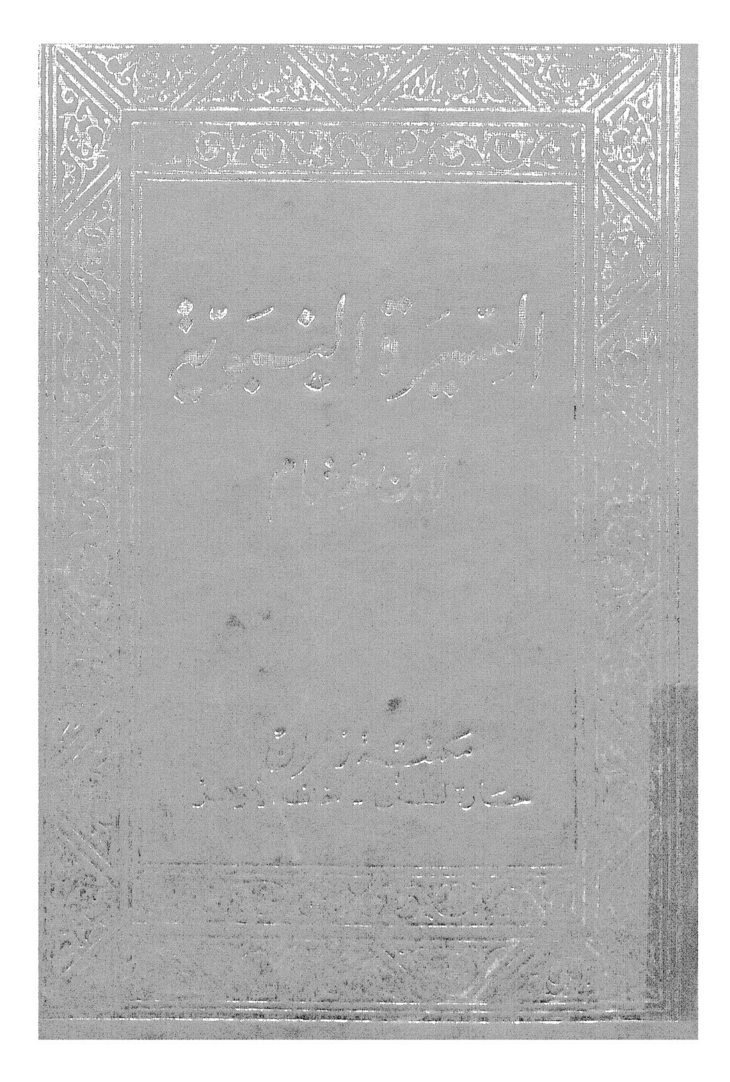


السيرة النبوية

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّة ﷺ

لابن هشام

أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

قدم لها وعلق عليها وضبطها

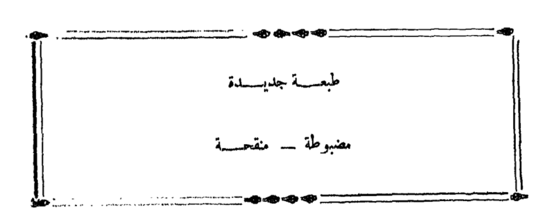
طه عبد الرءوف سعد

الجزء الثالث

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية

٩ ش. الصنادقية - الأزهر



طبعـــة جديـــدة
مضبوطة ـــ منقحـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوة بنى سُلَيم بالكُدْر

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقم بها[1] إلا سبع ليال حتى غزا بنفسه ، يريد بنى سُلَيم

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة سِبَاع بن عُرْفُطَة الغفارى ، أو ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : فبلغ ماء من مياههم ؛ يقال له : الكُدْر ، فأقام عليه ثلاث ليال ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً ، فأقام بها بقية شوال وذا القعدة ، وأفْدَى فى إقامته تلك جُلَّ الأسارى من قريش .

غزوة السَّويق[2]

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام: قال : حدثنا زياد بن عبد الله البَكَّائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال ثم غزا أبو سفيان بن حرب غزوة السَّويق فى ذى الحجة، وولى تلك الحجة المشركون من تلك السنة ، فكان أبو سفيان كما حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، ويزيد بن رومان ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، وكان من أعلم الأنصار ، حين رجع إلى مكة ، ورجع فَلُّ[3] قريش من بدر ، نذر أن لا يمس رأسه ماء من جنابة[4] حتى يغزو محمداً صلى الله عليه وسلم ، فخرج فى مئتى راكب من قريش ، ليُبِرَّ يمينه ، فسلك النَّجْدية ، حتى نزل بصدر قَنَاة إلى جبل يقال له : ثَيْب ، من المدينة على بريد أو نحوه ، ثم خرج من الليل ، حتى أتى بنى النَّضير تحت الليل ، فأتى حُيَىّ بن أخطب ، فضرب عليه بابه ، فأبى أن يفتح له بابه وخافه ، فانصرف عنه إلى سَلاَّم بن مِشْكَم ، وكان سيد بنى النضير فى زمانه ذلك ، وصاحب كنزهم . فاستأذن عليه ، فأذن له ، فقراه وسقاه وبَطَنَ[5] له من خبر الناس ، ثم خرج فى عقب ليلته حتى أتى أصحابه . فبعث رجالا من قريش إلى المدينة ، فأتوا ناحية منها، يقال لها: العُرَيض فحرَّقوا فى أصوار[6] من نخل بها ، ووجدوا بها رجلا من الأنصار وحليفاً له فى حرث لهما ، فقتلوهما ، ثم انصرفوا راجعين

---

(1) أى لما قدم من بدر لم يقم بالمدينة .

(2) السويق : عبارة عن حنطة أو شعير محمص مطحون ممزوج بعسل وسمن .

(3) الفل : المنهزمون .

(4) كان الغسل من الجنابة معمولا به فى الجاهلية .

(5) بطن له أمر الناس : أعلمه بسرهم .

(6) الأصوار : جمع صور وهو جماعة النخل .

وتَلير بهم الناس . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طلبهم ، واستعمل على المدينة بشير ابن عبد المنذر ، وهو أبو لبابة ، فيما قال ابن هشام ، حتى بلغ قَرْقَرة الكُدْر ، ثم انصرف راجعاً ، وقد فاته أبو سفيان وأصحابه ، وقد رأوا أزوادا من أزواد القوم قد طرحوها فى الحرث يتخففون منها للنجاء ، فقال المسلمون ، حين رجع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، أتطمع لنا أن تكون غزوة ؟ قال : نعم .

قال ابن هشام : وإنما سميت غزوة السَّويق ، فيما حدثنى أبو عبيدة : أن أكثر ما طرح القوم من أزوادهم السويق ، فهجم المسلمون على سويق كثير فسميت غزوة السويق .

قال ابن إسحاق : وقال أبو سفيان بن حرب عند مُنصرَفه ، لما صنع به سَلاَّم بن مِشْكَم :

وإنى تخيرتُ المدينةَ واحداً ... لِحلفٍ فلم أندمْ ولم أتلوَّم(١)

سقانى فروّانى كُمَيتا مُدَامةً ... على عَجَلٍ منى سَلاَمُ بْنُ مِشْكَمِ(٢)

ولما تولى الجيشُ قلت ولم أكن ... لأُفرحَه : أبشِرْ بعزٍّ ومَغنم

تأمَّلْ فإن القومَ سِرٌّ وإنهم ... صَريحُ لؤيٍّ لا شماطيطُ جُرْهُمُ(٣)

وما كان إلا بعضُ ليلةِ راكبٍ ... أتى ساعيا من غيرِ خَلَّةِ مُعدِمِ

غزوة ذى أَمَر

فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة السويق ، أقام بالمدينة بقية ذى الحجة أو قريبا منها ، ثم غزا نجداً ، يريد غطفان ، وهى غزوة ذى أَمَر ، واستعمل على المدينة عثمان ابن عفان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فأقام بنجد صفراً كله أو قريباً من ذلك ، ثم رجع إلى المدينة ، ولم يلق كيداً . فلبث بها شهر ربيع الأول كله ، أو إلا قليلا منه .

غزوة الفُرُع من بَحْرَان

ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يريد قريشا ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام .

---

(١) المدينة : أراد من المدينة . (٢) الكميت : اسم من أسماء الخمر .

(٣) السر والصريح : الخالص . والشماطيط : المختلطون .

قال ابن إسحاق : حتى بلغ بُحْران ، مَعدِنا بالحجاز من ناحية الفُرُع[1] ، فأقام بها شهر ربيع الآخر وجمادى الأولى ، ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً .

أمر بنى قَيْنُقاع

قال : وقد كان فيما بين ذلك ، من غزو رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بنى قينقاع ، كان من حديث بنى قَيْنُقاع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمعهم بسوق بنى قينُقاع ، ثم قال : يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ، فإنكم قد عرفتم أنى نبى مرسل ، تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله إليكم ؛قالوا : يامحمد ، إنك تُرىأنا قومُك ؟! لا يغرنك أنك لقيت قوما لاعلم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، إنا والله لئن حاربناك لتَعلمَنَّ أنا نحن الناس .

قال ابن إسحاق : فحدثنى مولى لآل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير ، أو عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : مانزل هؤلاء الآيات إلا فيهم : « قل للذينَ كفروا ستُغلبونَ وتُحشرون إلى جهنمَ وبئسَ المِهادُ . قد كان لكم آيةٌ فى فئتينِ التقتَا » : أى أصحاب بدر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقريش « فئةٌ تقاتلُ فى سبيلِ الله ، وأخرى كافرةٌ يرونهم مثليهم رأىَ العينِ ، واللهُ يؤيد بنصرِهِ من يشاءُ، إن فى ذلك لعبرةً لأولى الأبصارِ » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن بنى قَيْنُقاع كانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحاربوا فيما بين بدر وأحد .

قال ابن هشام : وذكر عبد الله بن جعفر بن المِسْوَر بن مَخْرَمةَ ، عن أبى عَوْن ، قال : كان من أمر بنى قينقاع أن امرأة من العرب قدِمَت بِجَلَبٍ[2] لها ، فباعته بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ بها ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها ، فأبت ، فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها ، فلما قامت انكشفت سوءتها ، فضحكوا بها ، فصاحت . فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وكان يهودياً ، وشدت اليهود على المسلم فقتلوه ، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود ، فغضب المسلمون ، فوقع الشر بينهم وبين بنى قينقاع .

قال ابن إسحاق :وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا على حكمه ، فقام إليه عبد الله بن أُبىّ ابن سلول ، حين أمكنه منهم ، فقال : يامحمد ، أحسن فى مَوالىَّ ،وكانوا حلفاء الخزرج : قال : فأبطأ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛

---

(١) الفُرُع : قرية ناحية المدينة. (٢) الجلب : البضائع التى تحضر فى الأسواق للبيع .

فقال : يا محمد أحسن فى موالىّ ، قال : فأعرض عنه . فأدخل يده فى جيب درع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وكان يقال لها : ذات الفُضُول .

قال ابن إسحاق : فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلنى ، وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظُللا[1] ثم قال : ويحك ! أرسلنى ؛ قال : لا والله لا أرسلك حتى تُحسن فى موالىّ ، أربعمائة حاسر[2] وثلاثمائة دارع[3] قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم فى غَداة واحدة ، إنى والله امرؤ أخشى الدوائر ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هم لك .

قال ابن هشام : واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة فى محاصرته إياهم بشير ابن عبد المنذر ، وكانت محاصرته إياهم خمس عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت قال : لما حاربت بنو قينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تشبث بأمرهم عبد الله بن أبى بن سلول وقام دونهم . ومشى عبادة بن الصامت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد بنى عوف ، لهم من حلفه مثل الذى لهم من عبد الله بن أبى ، فخلعهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتبرأ إلى الله عز وجل ، وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم من حلفهم ، وقال : يا رسول الله ، أتولى اللهَ ورسولَه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم . قال : ففيه وفى عبد الله بن أبىّ نزلت هذه القصة من المائدة « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهودَ والنصارَى أولياءَ ، بعضُهم أولياءُ بعضٍ ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن اللهَ لا يهدى القومَ الظالمين . فترى الذين فى قلوبهم مرضٌ » أى لعبد الله بن أبى وقوله : إنى أخشى الدوائر « يسارعون فيهم يقولون نخشَى أن تُصيبَنا دائرةٌ فعسى اللهُ أن يأتىَ بالفتح أو أمرٍ من عنده ، فيصبحوا على ما أسَروا فى أنفسِهم نادمين . ويقول الذين آمنوا أهؤلاءِ الذين أقسموا بالله جهدَ أيمانِهم » ، ثم القصة إلى قوله تعالى : « إنما وليكم اللهُ ورسولُه والذين آمنوا ، الذين يقيمون الصلاةَ ويُؤتون الزكاة وهم راكعون » . وذكر لتولى عبادة بن الصامت الله ورسوله والذين آمنوا ، وتبرئه من بنى قَيْنقاع وحلفهم وولايتهم : « ومن يتولَّ اللهَ ورسولَه والذين آمنوا فإن حزبَ اللهِ هم الغالبون » .

---

(١) الظلل : جمع ظلة ، واستعاره هنا لتغير الوجه وتجهمه .

(٢) الحاسر : من لا درع له . (٣) الدارع من عليه درع .

سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدة

قال ابن إسحاق : وسرية زيد بن حارثة التى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ، حين أصاب عير قريش ، وفيها أبو سفيان بن حرب ، على القَرَدَةِ ، ماء من مياه نجد . وكان من حديثها : أن قريشاً خافوا طريقهم الذى كانوا يسلكون إلى الشام ، حين كان من وقعة بدر ما كان ، فسلكوا طريق العراق ، فخرج منهم تُجّار ، فيهم : أبو سفيان بن حرب ، ومعه فضة كثيرة ، وهى مُعظمُ تجارتهم ، واستأجروا رجلا من بنى بكر بن وائل ، يقال له : فُرات بن حَيان يدلهم فى ذلك على الطريق .

قال ابن هشام : فرات بن حَيَّان ، من بنى عِجْل ، حليف لبنى سَهم .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة فلقيهم على ذلك الماء فأصاب تلك العير وما فيها ، وأعجزه الرجال ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقال حسان بن ثابت بعد أحد فى غزوة بدر الآخرة يؤنب قريشا لأخذهم تلك الطريق :

دَعُوا فلَجاتِ الشام قد حال دونَها ... جِلادٌ كأفواهِ المَخاضِ الأوارِكِ (١)

بأيدى رجالٍ هاجروا نحوَ ربِّهم ... وأنصارِه حقاً وأيدى الملائِك

إذا سلكتْ للغَوْرِ من بطنِ عالجٍ ... فقولا لها ليسَ الطَّريقُ هنالكَ (٢)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات لحسان بن ثابت ، نقضها عليه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وسنذكرها ونقيضتها إن شاء الله فى موضعها .

مقتل كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق : وكان من حديث كعب بن الأشرف : أنه لما أصيب أصحاب بدر ، وقدم زيد بن حارثة إلى أهل السافلة ، وعبد الله بن رواحة إلى أهل العالية بَشِيرَيْن ، بعثهما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى من بالمدينة من المسلمين بفتح الله عز وجل عليه ، وقتل من قتل من المشركين ، كما حدثنى عبد الله بن المغيث بن أبى بُرْدَة الظَّفَرى ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وصالح بن أبى أمامة بن سهل ، كل قد حدثنى

---

(١) الفلجات : العيون الجارية . والمخاض : حوامل الإبل : والأوارك : التى ترعى شجر الأراك الذى تتخذ من أغصانه المساويك .

(٢) الغور : ما انخفض من الأرض وبطن عالج : مكان .

بعض حديثه ، قالوا : قال كعب بن الأشرف ، وكان رجلا من طيء ، ثم أحد بنى نبهان ، وكانت أمه من بنى النضير ، حين بلغه الخبر : أحق هذا ؟ أترون محمداً قتل هؤلاء الذين يسمى هذان الرجلان — يعنى زيداً وعبد الله بن رواحة — فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم ، لبطن الأرض خير من ظهرها .

فلما تيقن عدو الله الخبر ، خرج حتى قدم مكة ، فنزل على المطلب بن أبى وداعة بن ضُبَيرة السهمى ، وعنده عاتكة بنت أبى العيص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينشد الأشعار ، ويبكى أصحاب القليب من قريش ، الذين أصيبوا ببدر ، فقال :

طحنت رحى بدرٍ لمهلكِ أهله ... ولمثلِ بدرٍ تستهل وتدمعُ
قُتلت سَراةُ الناسِ حولَ حياضِهم ... لا تَبعدوا إن الملوكَ تُصرَّع
كم قد أُصيب به من أبيضَ ماجدٍ ... ذى بهجةٍ يأوى إليه الضُيَّعُ
طَلْقِ اليدين إذا الكواكبُ أخلفت ... حَمَّالِ أثقالٍ يسودُ ويَرْبَع(١)
ويقول أقوامٌ أَسَرُّ بسُخطِهم ... إن ابنَ الاشرفِ ظل كعبا يجزَع
صدقوا فليت الأرضَ ساعةَ قُتِّلوا ... ظلت تَسوخُ بأهلِها وتَصدَّع
صار الذى أثرَ الحديثَ بطعنِهِ ... أو عاش أعمى مُرعَشا لا يسمع
نُبِّئت أن بنى المغيرةِ كلَّهم ... خشعوا لقتلِ أبى الحكيمِ وجُدِّعوا(٢)
وابنا ربيعةَ عندهَ ومُنبِّهٌ ... ما نال مثل المهلكين وتُبَّع
نُبِّئتُ أن الحارثَ بنَ هشامِهم ... فى الناسِ يبنى الصالحاتِ ويجمع
ليزورَ يثربَ بالجموعِ وإنما ... يحمى على الحسبِ الكريمِ الأروعُ(٣)

قال ابن هشام : قوله « تبع » ، « وأسر بسخطهم » . عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى ، فقال :

---

(١) يربع : أى يأخذ المرباع أى ربع الغنيمة وهو من نصيب الرؤساء فى الجاهلية .

(٢) التجديع : قطع الأنوف وهو هنا كناية عن الذل .

(٣) الأروع : من يبهرك حسنه .

أبكى لكعب ثم عُلَّ بعبرةٍ ... منه وعاش مجدَّعا لايسمعُ[1]
ولقد رأيتُ ببطنِ بدرٍ منهمُ ... قتلى تَسُحُّ لهـا العيونُ وتَدمَع
فابكى فقد أبكيتَ عبداً راضعا ... شِبْهَ الكُلَيْبِ إلى الكُلَيبةِ يَتبعُ
ولقد شفَى الرحمنُ منا سيداً ... وأهان قوما قاتلوه وصُرِّعوا
ونجا وأفلت منهمُ من قلبُـه ... شَغَفٌ يَظلُّ لخوفِه يتصـدعُ[2]

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان . وقوله « أبكى لكعب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقالت امرأة من المسلمين من بنى مُرَيْد ، بطن من بَلِيٍّ ، كانوا حلفاء فى بنى أمية بن زيد ؛ يقال لهم : الجَعَادِرَة ، تجيب كعبا — قال ابن إسحاق : اسمها ميمونة بنت عبد الله ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر هذه الأبيات لها ، وينكر نقيضتها لكعب ابن الأشرف :

تحنَّنَ هـذا العبدُ كلَّ تحنُّنٍ ... يبكى على قتلى وليس بناصِبِ
بكتْ عينُ من يبكى لبدرٍ وأهلِه ... وعُلَّتْ بمثليها لؤىُّ بنُ غالِبِ
فليت الذين ضُرِّجوا بدمائِهم ... يرى مابهم من كان بين الأخاشِب[3]
فيعلم حقا عن يقينٍ ويُبصروا ... تجرُّهمُ فوق اللحَى والحواجب

فأجابها كعب بن الأشرف ، فقال :

ألا فازجروا منكم سفيها لتسلموا ... عن القولِ يأتى منه غيرَ مُقاربِ
أتشتُمنى أن كنتُ أبكى بعَبرةٍ ... لقومٍ أتانى وُدُّهم غير كاذبِ
فإنى لباكٍ ما بقيتُ وذاكرٌ ... مآثرَ قومٍ مجدُهم بالجباجِبِ[4]
لعمرى لقد كانت مُرَيْدُ بمعزِلٍ ... عن الشرِّ فاحتالت وجوه الثعالبِ

---

(١) العال : الشرب بعد الشرب واستعاره هنا لمداومة البكاء .
(٢) الشغف : من تقطع شغاف قلبه حزنا .
(٣) الأخاشب : يريد الأخشبين وهما جبلان بمكة وجمعهما مع الجبال التى حولها .
(٤) الجباجب : جبال مكة .

لحَقٌّ مُرَيْدٍ أن تُجَــدَّ أنوفُهم   بِشَتْمِهمُ حَيَّىْ لؤيِّ بنِ غالِبِ
وهبت نصيبي من مُرَيْدٍ لجِحْذَرٍ   وفاءً وبيتِ اللهِ بينَ الأخاشبِ

ثم رجع كعب بن الأشرف إلى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عبدالله بن المغيث بن أبى بُرْدة من لى بابن الأشرف ؟ فقال له محمد ابن مَسْلمة ؛ أخو بنى عبد الأشهل : أنا لك به يارسول الله ، أنا أقتله ؛ قال فافعل إن قدرت على ذلك(١) . فرجع محمد بن مَسلمة فمكث ثلاثا لايأكل ولايشرب إلاما يعلق به نفسه ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاه ، فقال له : لم تركت الطعام والشراب ؟ فقال : يارسول الله ، قلت لك قولا لاأدرى هل أفِيَنَّ لك به أم لا ؟ فقال : إنما عليك بالجهد ؛ فقال : يارسول الله ، إنه لابد لنا من أن نقول : قال قولوا ما بدالكم ، فأنتم فى حِلٍّ من ذلك . فاجتمع فى قتله محمد بن مَسلمة ، وسِلْكان بن سلامة بن وَقْش ، وهو أبو نائلة ، أحد بنى عبد الأشهل ، وكان أخا كعب بن الأشرف من الرضاعة ، وعباد بن بشر بن وَقْش ، أحد بنى عبد الأشهل ، والحارث بن أوس بن معاذ ، أحد بنى عبد الأشهل ، وأبو عَبْس بن جبر ، أحد بنى حارثة ، ثم قدّموا إلى عدوالله كعب بن الأشرف ، قبل أن يأتوه ، سِلكان بن سلامة ، أبانائلة ، فجاءه فتحدث معه ساعة ، وتناشدوا شعراً ، وكان أبو نائلة يقول الشعر ثم قال : ويحك يابن الأشرف ! إنى قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك ، فاكتم عنى ، قال : أفعل ، قال : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا به العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة ، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال ، وجُهِدت الأنفس ، وأصبحنا قد جُهِدنا وجُهِد عيالنا ؛ فقال كعب : أنا ابن الأشرف ، أما والله لقد كنت أخبرك يابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما أقول ؛ فقال له سِلْكان : إنى قد أردت أن تبيعنا طعاما ونرهنك ونُوثِّق لك ، وتحسن فى ذلك ؛ فقال : أترهنونى أبناءكم ؟ قال : لقد أردت أن تفضحنا إن معى أصحابا لى على مثل رأيى ، وقد أردت أن آتيك بهم ، فتبيعهم وتحسن فى ذلك ، ونرهنك من الحَلْقة(٢) ما فيه وفاء ، وأراد سِلْكان أن لا ينكر السلاح إذا جاءوا بها ؛ قال : إن فى الحلقة لوفاء ؛ قال : فرجع سِلكان إلى أصحابه

---

(١) فيه من الفقه : وجوب قتل من سب النبي — صلى الله عليه وسلم — وإن كان ذا عهد ، خلافاً لأبى حنيفة رحمه الله فإنه لا يرى قتل الذمى فى مثل هذا ، ووقع فى كتاب شرف المصطفى أن الذين قتلوا كعب بن الأشرف حملوا رأسه فى مخلاة إلى المدينة ، فقيل : إنه أول رأس حمل فى الإسلام .

(٢) الحلقة : الدروع .

فأخبرهم خبره ، وأمرهم أن يأخذوا السلاح ، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه ، فاجتمعوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : ويقال : أترهنونى نساءكم ؟ قال : كيف نرهنك نساءنا ، وأنت أشبُّ أهل يثرب وأعطرهم ؛ قال : أترهنونى أبناءكم ؟

قال ابن إسحاق : فحدثنى ثَور بن زيد ، عن عِكرمة ، عن ابن عباس . قال :

مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغَرْقد ، ثم وجههم ، فقال : انطلقوا على اسم الله ، اللهم أعنهم ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ، وهو فى ليلة مقمرة وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه ، فهتف به أبو نائلة ، وكان حديث عهد بعرس ، فوثب فى ملحفته فأخذت امرأته بناحيتها ، وقالت : إنك امرؤ محارَب ، وإن أصحاب الحرب لاينزلون فى هذه الساعة ، قال : إنه أبو نائلة ، لو وجدنى نائما لما أيقظنى ؛ فقالت : والله إنى لأعرف فى صوته الشر ؛ قال : يقول لها كعب : لو يُدعَى الفتى لطعنة لأجاب . فنزل فتحدث معهم ساعة ، وتحدثوا معه ، ثم قال : هل لك يابن الأشرف أن تتماشى إلى شِعب العجوز[1] ، فنتحدث به بقية ليلتنا هذه ؟ قال : إن شئتم . فخرجوا يتماشَوْن ، فمشَوْا ساعة ، ثم إن أبا نائلة شامَ[2] يده فى فود رأسه ، ثم شم يده فقال : ما رأيت كالليلة طيبا أعطر قط ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها حتى اطمأن ، ثم مشى ساعة ، ثم عاد لمثلها ، فأخذ بفَوْد رأسه ، ثم قال : اضربوا عدو الله ، فضربوه ، فاختلفت عليه أسيافهم ، فلم تغن شيئا .

قال محمد بن مسلمة : فذكرت مِغْوَلا[3] فى سيفى ، حين رأيت أسيافنا لاتغنى شيئا ، فأخذته وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصن إلا وقد أوقدت عليه نار قال : فوضعته فى ثُنَّتِه[4] ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته فوقع عدو الله ، وقد أصيب الحارث بن أوس بن معاذ ، فجرح فى رأسه أو فى رجله ، أصابه بعض أسيافنا . قال : فخرجنا حتى سلكنا على بنى أمية بن زيد ، ثم على بنى قريظة ، ثم على بُعاث حتى أسندْنا[5] فى حرّة[6] العُرَيْض[7] ، وقد أبطأ علينا صاحبنا الحارث بن أوس ، ونزفه الدم ، فوقفنا له ساعة ، ثم أتانا يتّبع آثارنا .

---

(١) مكان خارج المدينة . (٢) شام : أدخل .
(٣) المغول : حديدة تجعل فى السوط فيكون لها غلافا .
(٤) الثنة : ما بين السرة والعانة . (٥) أسندنا : ارتفعنا .
(٦) الحرة : الأرض ذات الحجارة السود . (٧) العريض : وادى المدينة .

قال : فاحتملناه فجئنا به رسول الله صلى الله عليه وسلم آخر الليل ، وهو قائم يصلى ، فسلمنا عليه فخرج إلينا ، فأخبرناه بقتل عدو الله ، وتفل على جرح صاحبنا ، فرجع ورجعنا إلى أهلنا فأصبحنا وقد خافت يهود لوقعتنا بعدو الله ، فليس بها يهودى إلا وهو يخاف على نفسه .

قال ابن إسحاق : فقال كعب بن مالك :

فغودِرَ منهم كعبٌ صريعا ... فذلت بعد مصرعِه النضيرُ
على الكفين ثم وقد علته ... بأيدينا مشهَّرةٌ ذُكور
بأمرِ محمدٍ إذ دسَّ ليلا ... إلى كعبٍ أخا كعبٍ يسير
فما كَرَهُ فأنزلَه بمَكرٍ ... ومحمودٌ أخو ثقةٍ جسور

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له فى يوم بنى النضير ، سأذكرها إن شاء الله فى حديث ذلك اليوم .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سلام بن أبى الحقيق :

لله دَرُّ عصابةٍ لاقيتَهم ... يابن الحُقَيقِ وأنت يابنَ الأشرفِ
يَسْرون بالبِيضِ الخِفافِ إليكم ... مَرَحاً كأُسْدٍ فى عَرينٍ مُغرِفِ [1]
حتى أتوكم فى مَحَلِّ بلادِكم ... فسَقَوْكم حتفا ببيضٍ ذُفَّفِ [2]
مستبصرين لنصرِ دينِ نبيِّهم ... مستصغرين لكلِّ أمرٍ مُجْحِفِ

قال ابن هشام : وسأذكر قتل سَلَّام بن أبى الحقيق فى موضعه إن شاء الله .

وقوله : « ذفف » ، عن غير ابن إسحاق .

أمر مُحَيِّصَة وحُوَيِّصَة

قال ابن إسحاق : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه ، فوثب مُحَيِّصة بن مسعود — قال ابن هشام محيصة ويقال : محيصة بن مسعود بن كعب بن عامر بن عدى بن مَجْدَعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس — على ابن سُنَيْنة — قال ابن هشام : ويقال شُنَيْنَة — رجل من تُجار يهود ، كان

(١) المغرف : الملتف الشجر . (٢) البيض الذفف : السيوف سريعة القتل.

يلابسهم ويبايعهم فقتله وكان حُوَيصة بن مسعود إذ ذاك لم يسلم ، وكان أسن من مُحَيصة ، فلما قتله جعل حويصة يضربه ، ويقول : أى عدو الله ، أقتلته ، أما والله لرُب شحم فى بطنك من ماله . قال : محيصة ؛ فقلت : والله لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لضربت عنقك ؛ قال فوالله إن كان لأول إسلام حويصة قال : آولله لو أمرك محمد بقتلى لقتلتنى ؟ قال : نعم والله لو أمرنى بضرب عنقك لضربتها ! قال : والله إن دِينا بلغ بك هذا لعجبٌ ، فأسلم حويصة .

قال ابن إسحاق : حدثنى هذا الحديث مولى لبنى حارثة ، عن ابنة محيصة ، عن أبيها محيصة .

قال محيصة فى ذلك :

يلوم ابنُ أمى لو أُمرت بقتلِه ... لطبَّقتُ ذِفراه بأبيضَ قاضبِ[1]
حسامٍ كلونِ الملح أخلص صقله ... متى ما أصوبه فليس بكاذبِ
ما سرنى أنى قتلتك طائعا ... وأن لنا مابين بُصرَى ومأربِ

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة عن أبى عمرو المدنى ، قال : لما ظفر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة أخذ منهم نحوا من أربعمائة رجل من اليهود ، وكانوا حلفاء الأوس على الخزرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تضرب أعناقهم ، فجعلت الخزرج تضرب أعناقهم ، ويسرهم ذلك ، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخزرج ووجوههم مستبشرة ونظر إلى الأوس فلم ير ذلك فيهم ، فظن أن ذلك للحلف الذى بين الأوس وبين بنى قريظة ولم يكن بقى من بنى قريظة إلا اثنا عشر رجلا ، فدفعهم إلى الأوس ، فدفع إلى كل رجلين من الأوس رجلا من بنى قريظة وقال : ليضرب فلان وليذفف فلان فكان ممن دفع إليهم كعب بن يهوذا ، وكان عظيما فى بنى قريظة ، فدفعه إلى مُحيصة بن مسعود ، وإلى أبى بُردة بن نِيار — وأبو بردة الذى رخص له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أن يذبح جذعا من المعز فى الأضحى — وقال : ليضربه محيصة وليذفِّف عليه أبو بردة ، فضربه ضربة لم تقطع ، وذفف أبو بردة فأجهز عليه . فقال حويصة ، وكان كافرا ، لأخيه محيصة : أقتلت كعب بن يهوذا ؟ قال ، نعم ، فقال حويصة : أما والله لرب شحم قد نبت فى بطنك من ماله ، إنك للئيم يامُحيِّصة ، فقال له مُحيصة : لقد أمرنى بقتله من لو أمرنى بقتلك لقتلتك ، فعجب من قوله ثم ذهب عنه متعجبا . فذكروا أنه جعل يتيقظ من الليل : فيعجب من قول أخيه مُحيِّصة . حتى أصبح وهو يقول :

---

(١) طبقت : قطعت : والذفران : عظمان ناتئان خلف الأذنين ،والأبيض ؛ يريد به السيف،والقاضب : القاطع .

والله إن هذا لَدِينٌ . ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال محيصة فى ذلك أبياتا قد كتبناها .

قال ابن إسحاق : وكانت إقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد قدومه من نجران ، جماد الآخرة ورجبا وشعبان وشهر رمضان ، وغزته قريش غزوة أحد فى شوال سنة ثلاث .

غزوة أحد

وكان من حديث أحد ، كما حدثنى محمد بن مسلم الزهرى ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم ابن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد حدث بعض الحديث عن يوم أحد ، وقد اجتمع حديثهم كله فيما سقت من هذا الحديث عن يوم أحد قالوا ، أو من قال منهم .

لما أصيب يوم بدر من كفار قريش أصحابُ القليب ، ورجع فَلُّهم إلى مكة ، ورجع أبو سفيان بن حرب بعيره ، مشى عبدالله بن أبى ربيعة ، وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية فى رجال من قريش ، ممن أصيب آباؤهم وإخوانهم يوم بدر ، فكلموا أبا سفيان بن حرب ، ومن كانت له فى تلك العير من قريش تجارة ، فقالوا : يا معشر قريش ، إن محمدا قد وتركم ، وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه ، فعلنا ندرك منه ثأرنا بمن أصاب منا ، ففعلوا .

قال ابن إسحاق : ففيهم ، كما ذكر لى بعض أهل العلم ، أنزل الله تعالى : « إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرةً ، ثم يُغلبون والذين كفروا إلى جهنم يُحشرون » .

اجتماع قريش للحرب فاجتمعت قريش لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فعل ذلك أبو سفيان بن حرب ، وأصحاب العير بأحابيشها (١) ، ومن أطاعها من قبائل كنانة ، وأهل تهامة . وكان أبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحى قد منّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر ، وكان فقيراً ذا عيال وحاجة ، وكان فى الأسارى فقال : إنى فقير ذو عيال وحاجة قد عرفتها فامنن علىّ صلى الله عليك وسلم ، فمن عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له صفوان بن أمية : يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بلسانك ، فاخرج معنا ؛ فقال : إن محمداً قد منّ علىّ فلا أريد

---

(١) الأحابيش من انضموا إليهم وليسوا منهم .

أن أظاهر عليه ؛ قال : بلى فأعنا بنفسك ، فلك الله عليّ إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أن أجعل بناتك مع بناتى ، يصيبهن ما أصابهن من عسر ويسر ، فخرج أبو عزة فى تهامة ، ويدعو بنى كنانة ويقول :

إيهاً بنى عبدِ مناة الرُّزَّام ... أنتم حُماةٌ وأبوكم حَام(١)
لاتَعِدونى نصرَكم بعد العامْ ... لاتُسلمونى لا يَحِلُّ إسلام

وخرج مُسافع بن عبد مناف بن وهب بن حُذافة بن جُمح إلى بنى مالك بن كنانة ، يحرضهم ويدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

يا مالِ ، مالِ الحسبِ المقدَّم ... أنشُد ذا القربى وذا التذمم(٢)
من كان ذا رُحْمٍ ومن لم يَرحَمِ ... الحِلفَ وسْطَ البلدِ المحرَّمِ
عند حطيمِ الكعبةِ المعظَّمِ

ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشياً يقال له : وَحْشِىٌّ ، يقذف بحربة له قذف الحبشة ، قلما يخطىء بها ، فقال له اخرج مع الناس ، فإن أنت قتلت حمزة عم محمد بعمى طُعَيمة بن عدى ، فأنت عتيق .

فخرجت قريش بحدّها وجِدّها وحديدها وأحابيشها ، ومن تابعها من بنى كنانة ، وأهل تهامة وخرجوا معهم بالظُّعُن(٣) ؛ التماس الحفيظة ، وألا يفروا . فخرج أبو سفيان بن حرب ، وهو قائد الناس ، بهند بنة عتبة وخرج عِكرمة بن أبى جهل بأم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة وخرج الحارث بن هشام بن المغيرة بفاطمة بنت الوليد بن المغيرة ، وخرج صفوان بن أمية ببَرْزة بنت مسعود بن عمر بن عُمَير الثقفية ، وهى أم عبد الله بن صفوان بن أمية .

قال ابن هشام : ويقال : رقية .

قال ابن إسحاق : وخرج عمرو بن العاص بِرَيْطة بنت منبِّه بن الحجاج وهى أم عبد الله ابن عمرو ، وخرج طلحة بن أبى طلحة وأبو طلحة عبد الله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار بسُلافة بنت سعد بن شهيد الأنصارية وهى أم بنى طلحة : مُسافع والجُلاس وكِلاب ، قتلوا

---

(١) الرزام : من يثبتون فى مكانهم لا يبرحونه : يذكر أنهم ثابتون فى الحرب .
(٢) يامال : أراد يامالك فرخمه . وذو التذمم : الذى له ذمام والذمام العهد
(٣) الظعن : النساء فى الهوادج .

يومئذ هم وأبوهم ، وخرجت خُناس بنت مالك بن المضرب إحدى نساء بنى مالك بن حِسْل مع ابنها أبى عزيز بن عُمَير ، وهى أم مصعب بن عمير ، وخرجت عَمْرة بنت علقمة إحدى نساء بنى الحارث بن عبد مَنَاة بن كنانة . وكانت هند بنت عتبة كلما مرت بوحشى أو مربها ، قالت : ويها(١) أبا دَسْمَة أشفِ واستشف ، وكان وحشى يكنى بأبى دَسْمَة ، فأقبلوا حتى نزلوا بعَيْنَيْن ، بجبل ببطن السَّبْخة من قناة على شفير الوادى ، مقابل المدينة .

رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشاورته القوم : قال فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون قد نزلوا ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين : إنى قد رأيت والله خيرا ، رأيت بقراً ورأيت فى ذباب سيفى ثلما ، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رأيت بقرا لى تذبح ؟ قال : فأما البقر فهى ناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب سيفى ، فهو رجل من أهل بيتى يقتل .

قال ابن إسحاق : فإن رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا ، فإن أقاموا أقاموا بشر مُقام ، وإن هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأى عبد الله بن أبى ابن سلول مع رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يرى رأيه فى ذلك ، وألا يخرج إليهم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج ، فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيره ، ممن كان فاته بدر يارسول الله ، اخرج بنا إلى أعدائنا ، لا يرون أنا جَبُنا عنهم وضعُفنا ؟ فقال عبد الله بن أبى ابن سلول : يا رسول الله ، أقم بالمدينة لا تخرج إليهم ، فوالله ما خرجنا منها إلى عدو لنا قط إلا أصاب منا ، ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه ، فدَعْهم يارسول الله ، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس وإن دخلوا قاتلهم الرجال فى وجههم ، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم ، وإن رجعوا رجعوا خائبين كما جاءوا . فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حُبُّ لقاء القوم ، حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بيته ، فلبس لامته ، وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة . وقد مات فى ذلك اليوم رجل من الأنصار يقال له : مالك بن عمرو ، أحد بنى النجار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج عليهم ، وقد ندم الناس ، وقالوا : استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يكن لنا ذلك .

---

(١) كلمة تقال للتحضيض

فلما خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : يا رسول الله : استكرهناك ولم يكن ذلك لنا ، فإن شئت فاقعد صلى الله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ألف من أصحابه .

قال ابن هشام : واستعمل ابن أم مكتوم على الصلاة بالناس .

انخذال المنافقين : قال ابن إسحاق : حتى إذا كانوا بالشَّوْط بين المدينة وأحد ، انخزل عنه عبد الله بن أبي بن سلول بثلث الناس ، وقال : أطاعهم وعصاني ، ما ندري علام نقتل أنفسنا هاهنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من قومه من أهل النفاق والرَّيْب ، واتبعهم عبد الله ابن عمرو بن حرام ، أخو بني سَلِمة ، يقول : يا قوم ، أذكِّركم الله ألا تخذلوا قومكم ونبيَّكم عندما حضر من عدوهم ؛ فقالوا : لو نعلم أنكم تقاتلون لما أسلمناكم ، ولكنا لا نرى أنه يكون قتال . قال : فلما استعصَوْا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم ، قال : أبعدكم الله أعداء الله ، فسيُغني الله عنكم نبيه .

قال ابن هشام : وذكر غير زياد ، عن محمد بن إسحاق عن الزهري : أن الأنصار يوم أحد ، قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ألا نستعين بحلفائنا من يهود ؟ فقال : لا حاجة لنا فيهم .

قال زياد : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سلك في حَرَّة بني حارثة ، فذبَّ فرسٌ بذنبه ، فأصاب كُلاَّب سيف[1] فاستله .

قال ابن هشام : ويقال : كِلاَب سيف .

قال ابن اسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحب الفأل ولا يعتاف[2] . لصاحب السيف : شِمْ سيفك[3] ، فإني أرى السيف ستُسل اليوم .

ما كان من مِرْبَع المنافق حين سلك المسلمون حائطه : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : مَن رجل يخرج بنا على القوم من كَثَب : أي من قريب ، من طريق لا يمر بنا عليهم ؟ فقال أبو خيثمة أخو بني حارثة بن الحارث : أنا يا رسول الله ، فنفذ به في حَرَّة بني حارثة ، وبين أموالهم ، حتى سلك في مال لمربع بن قَيْظِي ، وكان رجلا منافقا ضرير البصر ، فلما سمع حس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين ، قام يَحْثِي في وجوههم التراب ،

---

(١) الكُلاب : مسمار في قائم السيف . (٢) اعتاف : تطير .

(٣) شم سيفك : اغمده .

ويقول : إن كنت رسول الله فإنى لا أحل لك أن تدخل حائطى . وقد ذكر لى أنه أخذ حفنة من تراب فى يده ، ثم قال : والله لو أعلم أنى لا أصيب بها غيرك يا محمد لضربت بها وجهك . فابتدره القوم ليقتلوه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقتلوه ، فهذا الأعمى أعمى القلب ، أعمى البصر . وقد بدر إليه سعد بن زيد ، أخو بنى عبد الأشهل ، قبل نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه ، فضربه بالقوس فى رأسه ، فشجه .

نزول الرسول بأحد : قال : ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل الشِّعْبَ من أحد ، فى عُدْوة الوادى إلى الجبل ، فجعل ظهره وعسكره إلى أحد ، وقال : لا يقاتلن أحد منكم حتى نأمره بالقتال . وقد سَرَّحت قريش الظهر والكُراع(١) فى زروع كانت بالصَّمْغة(٢) ، من قَناة للمسلمين : فقال رجل من الأنصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال : أتُرعى زروعُ بنى قَيْلة(٣) ولمَّا نُضارب ! وتعبَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم للقتال ، وهو فى سبعمائة رجل ، وأمَّر على الرماة عبد الله بن جُبَير ، أخا بنى عمرو بن عَوف وهو معلَّم يومئذ بثياب بيض ، والرماة خمسون رجلا ، فقال : انضح(٤) الخيلَ عنا بالنَّبل ، لا يأتونا من خلفنا ، إن كانت لنا أو علينا ، فاثبت مكانك لا نُؤتَيَنَّ من قِبَلِك . وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين دِرعين ودفع اللواء إلى مُصْعَب بن عمير ، أخى بنى عبد الدار .

الرسول يجيز من هم فى الخامسة عشرة : قال ابن هشام : وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سَمُرة بن جُندَب الفَزارى ، ورافع بن خَديج ، أخا بنى حارثة ، وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردهما ، فقيل له : يا رسول الله إن رافعا رامٍ ، فأجازه ؛ فلما أجاز رافعا قيل له : يا رسول الله ، فإن سَمُرة يصرع رافعا ، فأجازه . ورد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أسامة بن زيد ، وعبد الله بن عمر بن الخطاب ، وزيد بن ثابت ، أحد بنى مالك بن النجار ، والبَراء بن عازب ، أحد بنى حارثة ، وعمرو بن حزم ، أحد بنى مالك بن النجار ، وأُسَيد بن ظُهَير ، أحد بنى حارثة ، ثم أجازهم يوم الخندق ، وهم أبناء خمس عشرة سنة .

قال ابن إسحاق : وتعبأت قريش ، وهم ثلاثة آلاف رجل ، ومعهم مئتا فرس قد جَنَّبوها(٥) ، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد ، وعلى ميسرتها عِكرمة بن أبى جهل .

أبو دُجانة وشجاعته : وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من يأخذ هذا السيف بحقه ؟

---

(١) الظهر : الإبل . والكراع : الخيل . (٢) الصمغة مكان قرب أحد .

(٣) قيلة : أم الأوس والخزرج وينسبون إليها . (٤) انضح : ادفع .

(٥) جنبوها : جعلوها إلى جانبهم ليستعملوها عند الحاجة .

فقام إليه رجال ، فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجانة سِماك بن خَرَشة ، أخو بنى ساعدة ، فقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به العـــدو حتى ينحنى ، قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إياه . وكان أبو دُجانة رجلا شجاعا يختال عند الحرب ، إذا كانت ، وكان إذا أُعلم بعصابة له حمراء ، فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل ؛ فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عِصابته تلك ، فعصّب بها رأسه ، وجعل يتبختر بين الصفين .

قال ابن إسحاق : فحدثني جعفر بن عبد الله بن أسلم ، مولى عمر بن الخطاب ، عن رجل من الأنصار من بنى سلمة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين رأى أبا دُجانة يتبختر : إنها لَمِشية يبغضها الله ، إلا فى مثل هذا الموطن .

أبو عامر الفاسق : قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن أبا عامر ، عبد عمرو بن صَيْفى بن مالك بن النعمان ، أحد بنى ضبيعة ، وقد كان خرج حين خرج إلى مكة مباعدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، معه خمسون غلاما من الأوس ، وبعض الناس كان يقول : كانوا خمسة عشر رجلا، وكان يعد قريشا أن لو قد لقى قومه لم يختلف عليه منهم رجلان؛ فلما التقى الناس كان أول من لقيهم أبو عامر فى الأحابيش وعُبدان أهل مكة ، فنادى : يامعشر الأوس ، أنا أبو عامر قالوا : فلا أنعم الله بك عينا يافاسق . وكان أبو عامر يسمى فى الجاهلية : الراهب ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : الفاسق — فلما سمع ردهم عليه قال أصاب قومى بعدى شر ، ثم قاتلهم قتالا شديدا ، ثم راضَخهم [1] بالحجارة .

أبو سفيان وامرأته يحرضان قريشا : قال ابن إسحاق : وقد قال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بنى عبد الدار يحرضهم بذلك على القتال : يابنى عبد الدار ، إنكم قد وَلِيتم لواءنا يوم بدر ، فأصابنا ما قد رأيتم ، وإنما يُؤتَى الناس من قِبَلِ راياتهم إذا زالت زالوا ، فإما أن تكفونا لواءنا ، وإما أن تُخلوا بيننا وبينه فنَكْفِيكَمُوه ؛ فهموا به وتواعدوه ، وقالوا : نحن نُسلم إليك لواءنا ، ستعلم غداً إذا التقينا كيف نصنع ؟! وذلك أراد أبو سفيان .

فلما التقى الناس ، ودنا بعضهم من بعض ، قامت هند بنت عتبة فى النسوة اللاتى معها ، وأخذن الدفوف يضربن بها خلف الرجال ، ويحرضنهم ، فقالت هند فيما تقول :

---

(١) راضخهم : راماهم .

وَيْهاً بنى عبدِ الدارْ وَيْهاً حُماةَ الأدبارْ
ضرباً بكلّ بتّارْ

وتقول :

إن تُقبِلوا نُعانقْ ونَفرِشُ النمارِقْ (١)
أو تُدبِروا نفارقْ فِراقَ غيرِ وامقْ (٢)

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد : أَمِتْ ، أمت ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فاقتتل الناس حتى حميت الحرب ، وقاتل أبو دُجَانة حتى أمعن فى الناس .

قال ابن هشام : حدثنى غير واحد ، من أهل العلم ، أن الزبير بن العوام قال وجدت فى نفسى حين سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فمنعنيه وأعطاه أبا دُجَانة ، وقلت : أنا ابن صفية عمته ، ومن قريش ، وقد قمت إليه فسألته إياه قبله ، فأعطاه إياه وتركنى ، والله لأنظرن مايصنع ؛ فاتبعته ، فأخرج عصابة له حمراء ، فعصب بها رأسه ، فقالت الأنصار : أخرج أبو دُجانة عصابة الموت ، وهكذا كانت تقول له إذا تعصب بها فخرج وهو يقول :

أنا الذى عاهدَنى خليلى ونحن بالسفحِ لدَى النخيلِ
ألا أقومَ الدهرَ فى الكَيُّولِ أضرب بسيفِ اللهِ والرسولِ (٣)

قال ابن هشام : ويروى فى الكُبُول (٤) .

قال ابن إسحاق : فجعل لا يلقى أحداً إلا قتله . وكان فى المشركين رجل لا يدع لنا جريحا

---

(١) النمارق : الوسائد الصغيرة وكل ما يجلس عليه . (٢) الوامق : المحب .

(٣) قال أبو عبيد : الكيول آخر الصفوف ، قال : ولم يسمع إلا فى هذا الحديث ، وقال الهروى مثل ما قال أبو عبيد ، وزاد فى الشرح ، وقال سمى بكيول الزند ، وهى سواد ودخان يخرج منه آخراً ، بعد القدح إذا لم يور ناراً ، وذلك شىء لا غناء فيه ، ويقال منه كال الزند ، يكول ، فالكيول فيعول من هذا ، وكذلك كيول الصفوف لا يوقد نار الحرب ، ولا يزكيها ، هذا معنى كلامه لا لفظه . وقال أبو حنيفة الدينورى نحواً من هذا إلا أنه قال : كال الزند يكيل بالياء لا غير عن الروض الأنف .

(٤) الكبول : القيد .

إلا ذففت عليه ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه . فدعوت الله أن يجمع بينهما ، فالتقيا ، فاختلفا ضربتين ، فضرب المشرك أبا دُجانة ، فاتقاه بدَرَقته ، فعضت بسيفه ، وضربه أبو دُجانة فقتله ثم رأيته قد حمل السيف على مفرق رأس هند بنت عتبة ، ثم عدل السيف عنها . قال الزبير فقلتُ : الله ورسوله أعلم .

قال ابن إسحاق : وقال أبو دجانة سِماكُ بن خَرَشة : رأيت إنسانا يخمش الناس خمشا شديداً ، فصمدت له ، فلما حملت عليه السيف وَلْوَل فإذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أضرب به امرأة .

استشهاد حمزة : وقاتل حمزة بن عبد المطلب حتى قتل أرْطاةَ بن عَبْد شُرَحْبِيل بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار ، وكان أحد النفر الذين يحملون اللواء ثم مر به سِباع بن عبد العزى الغُبْشانى ، وكان يكنى بأبى نِيار ، فقال له حمزة : هلمّ إلىّ يابن مُقَطِّعة البُظُور — وكانت أمه أم أنمار مولاة شَريق بن عمرو بن وهب الثقفى .

قال ابن هشام : شريق بن الأخنس بن شريق . وكانت ختَّانة بمكة فلما التقيا ضربه حمزة فقتله .

قال وحشى ، غلام جبير بن مطعم : والله إنى لأنظر إلى حمزة يَهُدّ[1] الناس بسيفه ما يُليق[2] به شيئا ، مثل الجمل الأورق[3] إذ تقدمنى إليه سِباع بن عبد العزى ، فقال له حمزة : هلم إلى يابن مُقطِّعة البظور ، فضربه ضربة ، فكأن ما أخطأ رأسه ، وهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت فى ثُنَّته[4] حتى خرجت من بين رجليه ، فأقبل نحوى ، فغُلب فوقع ، وأمهلته حتى إذا مات جئت فأخذت حربتى ، ثم تنحيت إلى العسكر ، ولم تكن لى بشىء حاجة غيره .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن الفضل بن عباس بن ربيعة بن الحارث عن سليمان ابن يسار عن جعفر بن عمرو بن أمية الضَّمْرى قال : خرجت أنا وعبيد الله بن عدى بن الخِيار أخو بنى نوفل بن عبد مناف ، فى زمان معاوية بن أبى سفيان ، فأدْرَبْنا مع الناس[5] فلما قفلنا مررنا بحمص — وكان وحْشى ، مولى جُبَير بن مُطْعِم ، قد سكنها ، وأقام بها — فلما

---

(١) يهد : يهلك .
(٢) ما يليق : ما يبقى .
(٣) الأورق : مغبر اللون .
(٤) الثنة : ما بين أسفل البطن إلى العانة .
(٥) أدربنا : اجتزنا الدروب .

قدمناها ، قال لى عبيد الله بن عدى : هل لك فى أن نأتى وَحْشيا فنسأله عن قتل حمزة كيف قتله ؟ قال : قلت له : إن شئت . فخرجنا نسأل عنه بحمص ، فقال لنا رجل ، ونحن نسأل عنه : إنكما ستجدانه بفناء داره ، وهو رجل قد غلبت عليه الخمر ، فإن تجداه صاحيا تجدا رجلا عربيا ، وتجدا عنده بعض ما تريدان ، وتصيبا عنده ماشئتما من حديث تسألانه عنه ، وإن تجداه وبه بعض ما يكون به ، فانصرفا عنه ودعاه ، قال : فخرجنا نمشى حتى جئناه ، فاذا هو بفناء داره على طنفسة [1] له ، فإذا شيخ كبير مثل البُغاث .

قال ابن هشام : البغاث : ضرب من الطير إلى السواد —

فإذا هو صاح لا بأس به ، قال : فلما انتهينا إليه سلمنا عليه ، فرفع رأسه إلى عبيد الله بن عدى ، فقال : ابن لعدى بن الخيار أنت ؟ قال نعم ؛ قال : أما والله ما رأيتك منذ ناولتك أمك السعدية التى أرضعتك بذى طوًى ، فإنى ناولتكها وهى على بعيرها ، فأخذتك بعُرضَيْك [2] فلمعت لى قدماك حين رفعتك إليها ، فوالله ما هو إلا أن وقفت علىّ فعرفتهما . قال : فجلسنا إليه ، فقلنا له : جئناك لتحدثنا عن قتلك حمزة ، كيف قتلته ؟ فقال : أما إنى سأحدثكما كما حدثت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سألنى عن ذلك ، كنت غلاما لجبير بن مطعم ، وكان عمه طُعيمة بن عدى قد أصيب يوم بدر ؛ فلما سارت قريش إلى أحد قال لى جبير : إن قتلت حمزة عم محمد بعمى فأنت عتيق قال : فخرجت مع الناس ، وكنت رجلا حبشياً أقذف بالحربة قذف الحبشة ، قلما أخطىء بها شيئا ؛ فلما التقى الناس خرجت أنظر حمزة وأتبصره ، حتى رأيته فى عُرض الناس مثل الجمل الأورق ، يَهُد الناس بسيفه هدّاً ، ما يقوم له شىء ، فوالله إنى لأتهيأ له ، أريده وأستتر منه بشجرة أو حجر ليدنو منى إذ تقدمنى إليه سباع بن عبد العزى ؛ فلما رآه حمزة قال له : هلم إلىّ يابن مقطعة البظور . قال : فضربه ضربة كأن ما أخطأ رأسه . قال : وهززت حربتى ، حتى إذا رضيت منها ، دفعتها عليه ، فوقعت فى ثُنّته ، حتى خرجت من بين رجليه ، وذهب لينوء [3] نحوى ، فغُلب ، وتركته وإياها حتى مات ، ثم أتيته فأخذت حربتى ، ثم رجعت إلى العسكر ، فقعدت فيه ، ولم يكن لى بغيره حاجة ، وإنما قتلته لأُعتق . فلما قدمت مكة أُعتقت ثم أقمت حتى إذا افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة هربت إلى الطائف ، فمكثت بها ، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسلموا تعيَّت علىّ المذاهب ، فقلت : ألحق بالشام ، أو باليمن ، أو ببعض البلاد ؛ فوالله إنى لفى ذلك من همى إذ قال لى رجل : ويحك إنه والله ما يقتل أحداً من الناس دخل فى دينه ، وتشهد شهادته .

---

(١) الطنفسة : كل ما يجلس عليه كالبساط والوسائد والحصير والثوب .

(٢) بعرضيك : بجانبيك . (٣) ينوء : ينهض متعبا .

فلما قال لى ذلك ، خرجت حتى قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلم يَرُعْه إلا بى قائما على رأسه أتشهد بشهادة الحق ؛ فلما رآنى قال : أوحشىّ ؟ قلت : نعم يارسول الله قال : اقعد فحدثنى كيف قتلت حمزة ، قال : فحدثته كما حدثتكما ، فلما فرغت من حديثى : قال : ويحك ! غَيِّبْ عنى وجهك . فلا أَرَيَنَّك . قال : فكنت أتنكب رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث كان لئلا يرانى ، حتى قبضه الله صلى الله عليه وسلم .

فلما خرج المسلمون إلى مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة خرجت معهم ، وأخذت حربتى التى قتلت بها حمزة ؛ فلما التقى الناس رأيت مسيلمة الكذاب قائما فى يده السيف ، وما أعرفه ، فتهيأت له ، وتهيأ له رجل من الأنصار من الناحية الأخرى ، كلانا يريده ، فهززْت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه ، فوقعت فيه ، وشد عليه الأنصارى فضربه بالسيف ، فربك أعلم أينا قتله فإن كنت قتلته : فقد قتلت خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قتلت شر الناس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدُ الله بن الفضل ، عن سليمان بن يسار ، عن عبد الله بن عمر ابن الخطاب ، وكان قد شهد اليمامة ، قال : سمعت يومئذ صارخا يقول : قتله العبد الأسود .

قال ابن هشام : فبلغنى أن وحشياً لم يزل يُحَدُّ فى الخمر حتى خُلِع من الديوان ، فكان عمر بن الخطاب يقول : قد علمت أن الله تعالى لم يكن ليَدَعَ قاتِلَ حمزة .

استشهاد مصعب : قال ابن إسحاق : وقاتل مصعب بن عمير دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى قُتِل ، وكان الذى قتله ابنُ قَمِئة الليثى ، وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع إلى قريش فقال : قتلت محمداً . فلما قُتِل مصعب بن عمير أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء على بن أبى طالب ، وقاتل على بن أبى طالب ورجال من المسلمين .

قال ابن هشام : وحدثنى مَسْلَمة بن علقمة المازنى ، قال : لما اشتد القتال يوم أحد جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت راية الأنصار ؛ وأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى على بن أبى طالب رضوان الله عليه : أن قدِّم الراية . فتقدم على ، فقال : أنا أبو القُصَم(١) ،

(١) أبو الفصم أو أبو القصم بالقاف ، كما قال ابن هشام ، وهو أصح ، وإنما قال على — عليه السلام أنا أبو القصم من يبارزنى ، فالقصم : جمع قصمة ، وهى المعضلة المهلكة ، ويجوز أن يكون جمع القصمى ، أى الداهية التى تقصم . والدواهى القصم على وزن الكبر ، وهذا المعنى أصح ؛ لأنه لا يعرف قصمة ، ولكنه لما قال أبو سعد سويأتى حديثه بعد قليل أنا قاصم ، قال على : أنا أقصم منك ، بل أنا =

ويقال : أبو القُصَم ، فيما قال ابن هشام — فناداه أبو سعيد بن أبى طلحة ، وهو صاحب لواء المشركين : أن هل لك يا أبا القصم فى البراز من حاجة ؟ قال : نعم . فبرز بين الصفين ، فاختلفا ضربتين فضربه على فصرعه ، ثم انصرف عنه ولم يجهز عليه ؛ فقال له أصحابه : أفلا أجهزت عليه ؟ فقال : إنه استقبلنى بعورته ، فعطفتنى عنه الرحم (١) ، وعرفت أن الله عز وجل قد قتله .

ويقال : إن أبا سعد بن أبى طلحة خرج بين الصفين ، فنادى : أنا قاصم من يبارز برازا ، فلم يخرج إليه أحد . فقال : يا أصحاب محمد ، زعمتم أن قتلاكم فى الجنة ، وأن قتلانا فى النار كذبتم واللات ! لو تعلمون ذلك حقا لخرج إلىّ بعضكم ، فخرج إليه على بن أبى طالب ، فاختلفا ضربتين ، فضربه على فقتله .

خبر عاصم بن ثابت : وقاتل عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، فقتل مُسافع بن طلحة وأخاه الجُلاس بن طلحة ، كلاهما يشعره سهما(٢) ، فيأتى أمه سُلافة ، فيضع رأسه فى حجرها فتقول : يا بنى ، من أصابك ؟ فيقول : سمعت رجلا حين رمانى وهو يقول : خذها وأنا ابن أبى الأقلح . فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر ، وكان عاصم قد عاهد الله أن لا يمس مشركا أبدا ، ولا يمسه مشرك .

وقال عثمان بن أبى طلحة يومئذ ، وهو يحمل لواء المشركين :

إن على أهل اللواء حقّا أن يخضبوا الصّعْدة أو تندقا(٣)

فقتله حمزة بن عبد المطلب .

= أبو القصم ، أى أبو المعضلات القصم والدواهى العظم ، والقصم كسر بينونة ، والفصم : كسر بغير بينونة كَكسر القضيب الرطب ونحوه ، وفى التنزيل : «وكم قصمنا من قرية » وفيه « لا انفصام لها » .

(١) وذكر ابن إسحاق أيضا هذا فى غير رواية ابن هشام ، وقول على إنه اتقانى بعورته ، فأذكرنى الرحم أو فعطفتنى عليه الرحم ، وقد فعلها على مرة أخرى يوم صفين ، حمل على بشر بن أرطاة فلما رأى أنه مقتول كشف عن عورته ، فانصرف عنه . ويروى أيضا مثل ذلك عن عمرو بن العاص ، مع على - رضى الله عنه - يوم صفين ، وفى ذلك يقول الحارث بن النضر السهمى ، رواه ابن الكلبى وغيره :

أفى كل يوم فارس غير منته وعورته وسط العجاجة باديه

يكف لها عنه علىّ سنانه ويضحك منه فى الخلاء معاويه

(٢) يشعره سهما : أى يصيبه به . (٣) الصعدة : القناة .

حنظلة غسيل الملائكة : والتقى حنظلة بن أبى عامر الغسيل وأبو سفيان، فلما استعلاه حنظلة بن أبى عامر رآه شدّاد بن الأسود، وهو ابن شَعوب، قد علا أبا سفيان. فضربه شداد فقتله. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صاحبكم، يعنى حنظلة لتغسِّله الملائكة. فسألوا أهله ماشأنه ؟ فسُئلت صاحبته عنه. فقالت خرج وهو جُنُب حين سمع الهاتفة.

قال ابن هشام : ويقال : الهائعة. وجاء فى الحديث : « خيرُ الناس رجل ممسك بعِنان فرسه، كلما سمع هَيْعة طار إليها ». قال الطِّرِمّاح بن حكيم الطائى، والطِّرِمّاح : الطويل من الرجال :

أنا ابنُ حُماةِ المجدِ من آلِ مالكٍ　　　إذا جَعلَت خُور الرجالِ تَهيعُ[1]

والهيعة : الصَّيحة التى فيها الفزع

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لذلك غسلته الملائكة.

شعر الأسود وأبى سفيان فى قتل حنظلة : قال ابن إسحاق : وقال شداد بن الأسود فى قتله حنظلة :

لأحمِيَن صاحبى ونفسى　　　بطعنةٍ مثلِ شعاعِ الشمسِ

وقال أبو سفيان بن حرب، وهو يذكر صبره فى ذلك اليوم، ومعاونة ابن شَعوب إياه على حنظلة :

ولو شئتُ نجتنى كُمَيت طِمِرّة[2]　　　ولم أحمِلِ النعماءَ لابنِ شَعوبِ

وما زال مُهرى مَزجرَ الكلبِ منهمُ　　　لَدُن غُدوةً حتى دنت لِغروبِ[3]

أقاتلهم وأدَّعى يالَغالبٍ　　　وأدفعهم عنى بركنٍ صليبِ

فبكّى ولا تَرْعَى مقالةَ عاذلٍ　　　ولا تسأمى من عَبرةٍ ونحيبِ

أباكِ وإخوانا له قد تتابعوا　　　وحُقّ لهم من عَبرةٍ بنصيبِ

وسَلّى الذى قد كان فى النفسِ أننى　　　قتلتُ من النجارِ كلَّ نجيبِ

---

(١) الخور : مفرده أخور : الرجل الضعيف.

(٢) الطمرة : الفرس السريعة الوثب.

(٣) أى لم يبعد عنهم : إلا بمقدار الموضع الذى يزجر إليه الكلب، والضمير المستتر فى دنت للشمس.

ومن هاشمٍ قَرما كريما ومُصعَبا ... وكان لدى الهيجاءِ غيرَ هيوبِ
ولو أنني لم أشفِ نفسيَ منهمُ ... لكانت شجًا في القلب ذاتَ نُدوبِ
فآبوا وقد أودى الجلابيبُ منهمُ ... بهم خَدَبٌ من مُعطبٍ وكَئيبِ[1]
أصابهمُ من لم يكن لدمائهم ... كِفاءً ولا في خُطةٍ بضريبِ

حسان والحارث يردان على أبي سفيان: فأجابه حسان بن ثابت، فيما ذكر ابن هشام فقال:

ذكرتَ القُرومَ الصِّيدَ من آلِ هاشمٍ ... ولستَ لِزورٍ قلتَه بمُصيبِ
أتعجَبُ أن أقصدتَ حمزةَ منهمُ ... نَجيبا وقد سمّيتَه بنَجيبِ
ألم يقتلوا عمرا وعُتبةَ وابنَه ... وشَيبةَ والحجاجَ وابنَ حبيبِ
غداةَ دعا العاصي عليا فراعَه ... بضربةِ عَضْبٍ بلّه بخَضيبِ

قال ابن إسحاق: وقال ابن شَعوب يذكر يدَه عند أبي سفيان فيما دفع عنه، فقال:

ولولا دفاعي يا ابنَ حربٍ ومَشهدي ... لألفِيتَ يومَ النعفِ غيرَ مُجيبِ[2]
ولولا مَكَرّي المهرَ بالنعفِ قرقرت ... ضِباعٌ عليه أو ضِراءُ كَليبِ[3]

قال ابن هشام: قوله « عليه أو ضراء » عن غير ابن إسحاق. وقال الحرث بن هشام:

جزيتهمُ يوما ببدرٍ كمثلِه ... على سابحٍ ذي مَيعةٍ وشَبيبِ[4]
لدى صحنِ بدرٍ أو أقمتَ نوائحا ... عليكَ ولم تَحفِلْ مُصابَ حبيبِ
وإنك لو عاينتَ ما كان منهمُ ... لأبتَ بقلبٍ ما بقِيتَ نخيبِ[5]

قال ابن هشام: وهذا أجاب به الحارث بن هشام أبا سفيان لأنه ظن أنه عرّض به في قوله:

وما زال مُهري مَزجَرَ الكلبِ منهمُ

لفرار الحارث يوم بدر.

---

(١) الجلابيب: جمع جلباب، والجلباب في الأصل: الإزار الخشن، وكان المشركون يسمون من أسلم الجلابيب. والخدب: الطعن النافذ.

(٢) النعف. أسفل الجبل.

(٣) قرقرت: أي أسرعت لنهشه.

(٤) السابح: الفرس السريع. والميعة: الخفة. والشبيب: أن يرفع الفرس يديه جميعا في الجري.

(٥) النخيب: الجبان.

الزبير يذكر سبب الهزيمة : قال ابن إسحاق . ثم أنزل الله نصره على المسلمين وصدقهم وعده ، فحسُّوهم بالسيوف[1] حتى كشفوهم عن العسكر ، وكانت الهزيمة لاشك فيها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبَّاد بن عبدالله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عبد الله ابن الزبير ، عن الزبير ، أنه قال : والله لقد رأيتُنى أنظر إلى خَدَم هند بنت عتبة وصواحبها مُشمرات هوارب ، مادون أخذهن قليل ولا كثير إذ مالت الرماة إلى العسكر ، حين كشفنا القوم عنه وخَلَّوا ظهورنا للخيل ، فأُتينا من خلفنا ، وصرخ صارخ : ألا إن محمداً قد قتل ؛ فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء حتى مايدنو منه أحد من القوم .

قال ابن هشام : الصارخ أَزَبُّ العقبة ، يعنى الشيطان .

حسان يذكر شجاعة صؤاب : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن اللواء لم يزل صريعا حتى أخذته عمرة بنت علقمة الحارثية ، فرفعته لقريش ، فلاثُوا به[2] . وكان اللواء مع صؤاب ، غلام لبنى أبى طلحة ، حبشى وكان آخر من أخذه منهم ، فقاتل به حتى قطعت يداه ، ثم برك عليه ، فأخذ اللواء بصدره وعنقه حتى قتل عليه ، وهو يقول : اللهم هل أعْزَرت — يقول : أعذرت[3] — فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

فخرتم باللواء وشرُّ فخرٍ ... لواءٌ حين رُدّ إلى صؤابِ
جعلتم فخركم فيه بعبدٍ ... وألأم من يطا عفر الترابِ
ظننتم ، والسفيهُ له ظنونٌ ... وما إن ذاك من أمر الصوابِ
بأن جلادَنا يوم التقينا ... بمكةَ بيعُكم حُمرَ العيابِ[4]
أقر العينَ أن عُصبت يداه ... وما إن تُعصبان على خِضابِ

قال ابن هشام : آخرها بيتا يروى لأبى خراش الهذلى ، وأنشدنيه له خلف الأحمر :

أقر العينَ أن عُصبت يداها ... وما إن تُعصبان على خِضابِ

فى أبيات له ، يعنى امرأته ، فى غير حديث أحد ، وتروى الأبيات أيضا لمعقل بن خويلد الهذلى .

شعر حسان فى شجاعة عمرة الحارثية : قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت فى شأن عمرة بنت علقمة الحارثية ورفعها اللواء :

---

(1) حسوهم : قتلوهم .

(2) لاثوا به : اجتمعوا عليه .   (3) كان بلسانه لكنة يقلب الذال إلى الزاى .

(4) العياب : ماتجعل فيه الثياب ، واحدتها عيبة .

إذا عَضَلٌ سِيقت إلينا كأنها ... جِدايةُ شِركٍ مُعلَماتُ الحواجبِ (١)
أقمنا لهم طعنا مُبيراً مُنكِّلا ... وحُزناهمُ بالضربِ من كلِّ جانبِ
فلولا لواءُ الحارثيةِ أصبحوا ... يُباعون فى الأسواقِ بيعَ الجلائبِ (٢)

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى أبيات له .

ما أصاب الرسول يوم أحد : قال ابن إسحاق : وانكشف المسلمون، فأصاب فيهم العدو وكان يوم بلاء وتمحيص ، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة ، حتى خَلَص العدو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فَدُثَّ بالحجارة حتى وقع لشقه (٣) ، فأصيبت رباعيته ، وشج فى وجهه ، وكُلِمت شفته ، وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حُميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال :

كسرت رَبَاعية النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد ، وشج فى وجهه ، فجعل الدم يسيل على وجهه ، وجعل يمسح الدم وهو يقول: كيف يُفلح قوم خضَّبوا وجه نبيهم ، وهو يدعو إلى ربهم؟! فأنزل الله عز وجل فى ذلك :«ليس لك من الأمر شئ أو يتوبَ عليهم أو يعذبَهم فإنهم ظالمون»

قال ابن هشام : وذكر رُبيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه ، عن أبى سعيد الخدرى : أن عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته ، وأن ابن قَمِئة جرح وجنته فدخلت حلقتان من حلق المِغْفَر (٤) فى وجنته ، ووقع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرة من الحفر التى عمل أبو عامر ليقع فيها المسلمون ، وهم لا يعلمون ؛ فأخذ على بن أبى طالب بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفعه طلحة بن عبيد الله حتى استوى قائما ، ومص مالك بن سنان ، أبو أبى سعيد الخدرى . الدم : عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم ازدرده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مس دمى دمه لم تصبه النار .

قال ابن هشام : وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عُبيد الله .

---

(١) عضل : اسم قبيلة . والجداية : الصغير من ولد الظبى . وشرك : موضع .
(٢) الجلائب : ما يجلب إلى الأسواق ليباع فيها . (٣) الشق : الجانب .
(٤) المغفر : حلق يجعل على الرأس يتقى به ضروب السلاح فى الحرب .

وذكر، يعني عبد العزيز الدراوردي، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة، عن عيسى بن طلحة، عن عائشة، عن أبي بكر الصديق: أن أبا عبيدة بن الجراح نزع إحدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسقطت ثنيّته، ثم نزع الأخرى، فسقطت ثنيته الأخرى، فكان ساقط الثنيتين.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت لعتبة بن أبي وقاص:

إذا الله جازى معشراً بفعالهم	وضرهم الرحمنُ ربُّ المشارقِ
فأخزاك ربي يا عُتيبَ بن مالكٍ	ولقّاكَ قبلَ الموتِ إحدى الصواعقِ
بسطت يميناً للنبيّ تعمّداً	فأدميتَ فاهُ قُطِّعت بالبوارقِ (١)
فهلاَّ ذكرتَ الله والمنزلَ الذي	تصير إليه عند إحدى البوائقِ

قال ابن هشام تركنا منها بيتين أقذع فيهما.

من شجاعة أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم: قال ابن إسحاق: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين غشيه القوم: مَن رجلٌ يشري لنا نفسه؟ كما حدثني الحصين بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذ، عن محمود بن عمرو، قال: فقام زياد بن السَّكن في نفر خمسة من الأنصار — وبعض الناس يقول: إنما هو عمارة بن يزيد بن السكن — فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، رجلا ثم رجلا، يُقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئة من المسلمين، فأجهضوهم (٢) عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أدنوه مني، فأدنوه منه فوسده قدمه، فمات وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن هشام: وقاتلت أم عمارة، نُسَيْبة بنت كعب المازنية يوم أحد.

فذكر سعيد بن أبي زيد الأنصاري: أن أم سعد بنت سعد بن الربيع كانت تقول: دخلت على أم عمارة، فقلت لها: ياخالة، أخبريني خبرك، فقالت: خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في أصحابه والدولة والريح (٣) للمسلمين. فلما انهزم المسلمون، انحزتُ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) البوارق: السيوف. (٢) أجهضوهم: أزالوهم.
(١) تريد بالريح: إقبال النصر.

فقمت أباشر القتالَ؛ وأذُبُّ عنه بالسيف ، وأرمى عن القوس ، حتى خَلَصَت الجراح إلىَّ قالت : فرأيت على عاتقها جرحا أجوف له غَوْر ، فقلت: من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قِمئة أقمأه (١) الله ! لما ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبل يقول : دلونى على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومُصعب بن عمير ، وأناس ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فضربنى هذه الضربة ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكن عدو الله كان عليه درعان .

قال ابن إسحاق : وترّس دونَ رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دُجَانة بنفسه ، يقع النَّبل فى ظهره ، وهو منحن عليه ، حتى كَثُر فيه النبل . ورمى سعد بن أبى وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال سعد : فلقد رأيته يناولنى النَّبل وهو يقول : ارم ، فداك أبى وأمى ؛ حتى إنه ليناولنى السهم ماله نصل ، فيقول : ارْمِ به .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : رمى عن قوسه حتى اندقت سِيَتُها (٢) ، فأخذها قَتادة بن النعمان ، فكانت عنده ، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان ، حتى وقعت على وَجْنته .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردها بيده ، فكانت أحسن عينيه وأحدهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بنى عَدِىّ بن النجار ، قال : انتهى أنس بن النَّضْر ، عم أنس بن مالك ، إلى عمر بن الخطاب ، وطلحة بن عبيدالله ، فى رجال من المهاجرين والأنصار ، وقد ألقَوْا بأيديهم ، فقال : ما يجلسكم ؟ قالوا : قُتِل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فماذا تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل ؛ وبه سمى أنس بن مالك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حميد الطويل ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة ، فما عرفه إلا أخته ، عرفته ببنانه .

قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم : أن عبد الرحمن بن عوف أصيب فُوهُ يومئذ فهُتِم (٣) ، وجُرِح عشرين جراحة أو أكثر ، أصابه بعضها فى رجله فعَرِجَ .

---

(١) أقمأه الله : أذله الله . (٢) سيتها : طرفها .

(٣) هتم : كسرت ثنيته .

قال ابن إسحاق : وكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة ، وقول الناس : قُتل رسول الله صلى الله عليه وسلم — كما ذكر لى ابن شهاب الزهرى — كعب بن مالك ، قال : عرفت عينيه تَزْهَران(١) من تحت المِغْفَر ، فناديت بأعلى صوتى : يا معشر المسلمين ، أبشروا ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأشار إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أنصِتْ .

قال ابن إسحاق : فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ، ونهض معهم نحو الشِّعْب ، معه أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعلى بن أبى طالب ، وطلحة بن أبى طالب ، وطلحة بن عُبيد الله ، والزبير بن العوام ، رضوان الله عليهم ، والحارث بن الصِّمَّة ، ورَهط من المسلمين .

مقتل أبى بن خلف : قال : فلما أسند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشِّعْب أدركه أُبَىُّ ابن خلف وهو يقول : أى محمد ، لا نَجَوْتُ إن نَجَوْتَ ، فقال القوم : يا رسول الله ، أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعوه ؛ فلما دنا ، تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصِّمَّة ؛ يقول بعض القوم ، فيما ذُكر لى : فلما أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم منه انتفض بها انتفاضة تطايرنا بها ، تطايُرَ الشُّعْراء عن ظهر البعير إذا انتفض بها — قال ابن هشام : الشعراء : ذباب له لَدْغ — ثم استقبله فطعنه فى عنقه طعنة تَدَأْدَأَ منها

قال ابن هشام : تدأدأ ، يقول : تقلب عن فرسه فجعل يتدحرج .

قال ابن إسحاق : وكان أُبَىّ بن خلف ، كما حدثنى صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوف ، يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فيقول : يا محمد إن عندى العَوْذ ، فرسا أعلفه كل يوم فَرَقا(٢) من ذرة ، أقتلك عليه ؛ فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل أنا أقتلك إن شاء الله . فلما رجع إلى قريش وقد خدشه فى عنقه خدشا غير كبير ، فاحتقن الدم ، قال : قتلنى والله محمد ! قالوا له : ذهب والله فؤادك ! والله إن بك من بأس ؛ قال : إنه قد كان قال لى بمكة : أنا أقتلك ، فوالله لو بصق على لقتلنى . فمات عدو الله بِسَرِف(٣) وهم قافلون به إلى مكة .

---

(١) تزهران : تضيئان .
(٢) الفرق : مكيال يسع اثنى عشر رطلا .
(٣) سرف : مكان على ستة أميال من مكة .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لقد وَرِث الضلالةَ عن أبيه	أُبَىٌّ يومَ بارزه الرســـولُ
أتيت إليه تحمِلُ رِمَّ عَظْمٍ	وتُوعِده وأنت به جَهولُ
وقد قَتَلَت بنو النجار منكم	أميةَ إذ يُغَوِّثُ : يا عقيلُ
وعُتبةُ ابنا ربيعةَ إذ أطاعا	أبا جهلٍ ، لأمِّهما الهُبول(١)
وأفلتَ حارثٌ لما شغَلنا	بأسرِ القومِ ، أُسْرَتُه فليل(٢)

قال ابن هشام : أسرته : قبيلته .

وقال حسان بن ثابت أيضا فى ذلك :

ألا مَن مُبلِغٌ عنى أُبَيّاً	لقد أُلقيتَ فى سُحُقِ السعيرِ
تَمنّى بالضلالةِ من بعيدٍ	وتُقسِم إن قدرتَ مع النُّذور
تمنِّيك الأمانى من بعيدٍ	وقولُ الكفرِ يرجِعُ فى غُرور
فقد لاقتْك طاحنةٌ ذى حِفاظٍ	كريمِ البيتِ ليس بذى فُجُور(٣)
[illegible] على الأعداء طرّاً	إذا نابت ملمّاتُ الأمور

انتهاء الرسول إلى الشعب : قال : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فم الشِّعْب خرج على بن أبى طالب ، حتى ملأ دَرَقَته ماءً من المِهراس(٤) ، فجاء به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له ريحا ، فعافه ، فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم ، وصب على رأسه وهو يقول : اشتد غضب الله على من دَمّى وجه نبيه .

سعد بن أبى وقاص يحرص على قتل عتبة : قال ابن إسحاق : فحدثنى صالح بن كَيْسان عمن حدثه عن سعد بن أبى وقاص أنه كان يقول : والله ما حرصت على قتل رجل قط حرصى على قتل عتبة بن أبى وقاص ، وإن كان ما علمتُ لسيء الخلق مبغَضاً فى قومه ، ولقد كفانى منه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشتد غضب الله على من دَمّى وجه رسوله .

عمر يصعد إلى قريش الجبل : قال ابن إسحاق : فبينَا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشِّعب معه أولئك النفر من أصحابه ، إذ علَت عالية من قريش الجبل .

قال ابن هشام : كان على تلك الخيل خالد بن الوليد .

---

(١) الهبول : الثاكل .
(٢) الفليل : المنهزمون .
(٣) الحفاظ : الغضب .
(٤) المهراس : ماء بأحد .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه لاينبغى لهم أن يعلونا ! فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم من الجبل .

معاونة طلحة للرسول : قال ابن إسحاق : ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صخرة من الجبل ليعلوها ، وقد كان بَدَّن(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وظاهر بين درعين، فلما ذهب لينهض صلى الله عليه وسلم لم يستطع ، فجلس تحته طلحة بن عبيد الله ، فنهض به ، حتى استوى عليها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى يحي بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عبد الله بن الزبير ، عن الزبير ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يقول : أوْجَبَ(٢) طلحة حين صنع برسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع .

قال ابن هشام : وبلغنى عن عكرمة عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغ الدرجة المبنية فى الشِّعْب .

قال ابن هشام : وذكر عمر مولى غُفْرة : أن النبى صلى الله عليه وسلم صلى الظهر يوم أحد قاعداً من الجراح التى أصابته ، وصلى المسلمون خلفه قعوداً .

مقتل اليمان وابن وقش وابن حاطب : قال ابن إسحاق : وقد كان الناس انهزموا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى بعضهم إلى المنَقَّى ، دون الأعوص .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد ، رفع حُسَيل بن جابر ، وهو اليمان أبو حذيفة بن اليمان ، وثابت بن وَقَش فى الآطام مع النساء والصبيان ، فقال أحدهما لصاحبه ، وهما شيخان كبيران : ما أبا لك ، ما تنتظر ؟ فوالله لا بقى لواحد منا من عمره إلا ظِمْءُ(٣) حمار ، إنما نحن هامة(٤) اليوم أو غـداً ، أفلا نأخذ أسيافنا ، ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، لعل الله يرزقنا شهادة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخذا أسيافهما ثم خرجا ، حتى دخلا فى الناس ، ولم يُعلم بهما ، فأما ثابت بن وَقَش فقتله المشركون ، وأما حُسَيل بن جابر ، فاختلفت عليه

---

(١) بدن : ضعف . (٢) أوجب : وجبت له الجنة .

(٣) يضرب لقرب الأجل ، فالظمء ما بين الشربتين والحمار لا يصبر على العطش .

(٤) الهامة . كما تزعم العرب . طائر يخرج من رأس القتيل يصيح اسقونى اسقونى لايسكت حتى يؤخذ بثأره .

أسياف المسلمين ، فقتلوه ولا يعرفونه ، فقال حذيفة : أبى ، فقالوا : والله إن عرفناه . قال حذيفة : يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يَدِيَه ، فتصدق حذيفة بديته على المسلمين ؛ فزاده ذلك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أن رجلا منهم كان يدعى حاطب بن أمية بن رافع ، وكان له ابن يقال له يزيد بن حاطب ، أصابته جراحة يوم أحد ، فأُتى به إلى دار قومه وهو بالموت ، فاجتمع إليه أهل الدار ، فجعل المسلمون يقولون له من الرجال والنساء : أبشر يابن حاطب بالجنة ، قال : وكان حاطب شيخا قد عَسَا فى الجاهلية ، فنجم يومئذ نفاقه ، فقال : بأى شيء تبشرونه ؟ بجنة من حرمل(١) : غررتم والله هذا الغلام من نفسه .

مقتل قزمان منافقا : قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : كان فينا رجل أَتِىٌّ(٢) لا يُدرَى ممن هو ، يقال له : قُزْمان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا ذُكر له : إنه لمن أهل النار ، قال : فلما كان يوم أحد قاتل قتالا شديداً ، فقتل وحده ثمانية أو سبعة من المشركين ، وكان ذا بأس ، فأثبتته الجراحة ، فاحتُمل إلى دار بنى ظفر ، قال : فجعل رجال من المسلمين يقولون له : والله لقد أبليت اليوم ياقُزمان ، فأبشر ، قال : بماذا أبشر ؟ فوالله إن قاتلت إلا عن أحساب قومى ، ولولا ذلك ما قاتلت . قال : فلما اشتدت عليه جراحته أخذ سهما من كِنانته ، فقتل به نفسه .

مقتل مخيريق : قال ابن إسحاق : وكان ممن قتل يوم أحد مُخَيْرِيق ؛ وكان أحد بنى ثعلبة بن الفِطيون ، قال : لما كان يوم أحد ، قال : يا معشر يهود ، والله لقد علمتم أن نصر محمد عليكم لحق ، قالوا : إن اليوم يوم السبت ، قال : لاسبت لكم . فأخذ سيفه وعُدته ، وقال : إن أُصبت فمالى لمحمد يصنع فيه ماشاء ، ثم غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاتل معه حتى قتل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما بلغنا ـ مخيريق خير يهود .

الحارث بن سويد : قال ابن إسحاق : وكان الحارث بن سُوَيد بن صامت منافقا ، فخرج يوم أحد مع المسلمين ، فلما التقى الناس ، عدا على المُجَذَّر بن ذياد البَلَوى ، وقيس بن زيد ، أحد بنى ضُبَيعة ، فقتلهما ، ثم لحق بمكة بقريش ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ فيما يذكرون ـ

---

(١) قال السهيلى : من حرمل ، يريد الأرض التى دفن فيها ، وكانت تنبت الحرمل ، أى ليس له جنة إلا ذاك . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج٣ ص١٧٧ .

(٢) أتى : غريب .

قد أمر عمر بن الخطاب بقتله إن هو ظفر به ، ففاته ، فكان بمكة ، ثم بعث إلى أخيه الجُلاس ابن سُوَيد يطلب التوبة ، ليرجع إلى قومه . فأنزل الله تعالى فيه ، فيما بلغنى ، عن ابن عباس : « كيف يهدِى اللهُ قوما كفروا بعد إيمانهم ، وشهدوا أن الرسولَ حقٌّ وجاءهمُ البيناتُ ، واللهُ لايهدِى القومَ الظالمين » إلى آخر القصة .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به من أهل العلم : أن الحارث بن سُوَيد قتل المجذر بن ذياد ولم يقتل قَيس بن زيد ، والدليل على ذلك : أن ابن إسحاق لم يذكره فى قتلى أحد ، وإنما قتل المجذر ، لأن المجذر بن ذياد كان قتل أباه سويداً فى بعض الحروب التى كانت بين الأوس والخزرج ، وقد ذكرنا ذلك فيما مضى من هذا الكتاب .

فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى نفر من أصحابه ، إذ خرج الحارث بن سويد من بعض حوائط المدينة ، وعليه ثوبان مضرجان ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان ابن عفان ، فضرب عنقه ، ويقال : بعض الأنصار .

قال ابن إسحاق : قتل سُويد بن الصامت معاذ بن عفراء غيلة ، فى غير حرب رماه بسهم فقتله قبل يوم بعاث .

أمر أصيرم : قال ابن إسحاق : وحدثنى الحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ عن أبى سفيان ، مولى ابن أبى أحمد ، عن أبى هريرة قال : كان يقول : حدثونى عن رجل دخل الجنة لم يُصلِّ قط ، فإذا لم يعرفه الناس سألوه : من هو ؟ فيقول : أُصَيرم بنى عبد الأشهل ، عمرو بن ثابت بن وَقْش . قال الحصين : فقلت لمحمود بن أسد : كيف كان شأن الأصيرم ؟ قال : كان يأبى الإسلام على قومه . فلما كان يوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أحد بدا له فى الإسلام فأسلم ، ثم أخذ سيفه ، فعدا حتى دخل فى عُرْض الناس ، فقاتل حتى أثبتته الجراحة . وقال : فبينا رجال من بنى عبد الأشهل يلتمسون قتلاهم فى المعركة إذا هم به ، فقالوا : والله إن هذا للأصيرم ، ماجاء به ؟ لقد تركناه وإنه لمنكر لهذا الحديث ، فسألوه ماجاء به ؟ فقالوا : ماجاء بك يا عمرو ؟ أحَدَبٌ على قومك أم رَغبة فى الإسلام ؟ قال : بل رغبة فى الإسلام ، آمنت بالله وبرسوله وأسلمت ، ثم أخذت سيفى ، فغدوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قاتلت حتى أصابنى ما أصابنى ، ثم لم يلبث أن مات فى أيديهم ، فذكروه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه لمن أهل الجنة .

عمرو بن الجموح ومقتله : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بنى سلمة : ان عمرو بن الجموح كان رجلا أعرج شديد العَرَج ، وكان له بنون أربعة مثل

الأسد ، يشهدون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشاهد ، فلما كان يوم أحد أرادوا حبسه ، وقالوا له : إن الله عز وجل : قد عذرك ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن بنيّ يريدون أن يحبسونى عن هذا الوجه ، والخروج معك فيه ، فوالله إنى لأرجو أن أطأ بعرجتى هذه فى الجنة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما أنت فقد عذرك الله فلا جهاد عليك ، وقال لبنيه : ما عليكم أن لا تمنعوه ، لعل الله أن يرزقه الشهادة فخرج معه فقتل يوم أحد(١) .

هند وتمثيلها بحمزة : قال ابن إسحاق : ووقعت هند بنت عتبة ، كما حدثنى صالح بن كَيْسان ، والنسوة اللاتى معها ، يمثلن بالقتلى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يجدعن(٢) الآذان والآنُفَ ، حتى اتخذت هند من آذان الرجال وآنفهم خَدَماً(٣) وقلائد ، وأعطت خَدَمَها وقلائدها وقِرَطَتها وَحْشيا ، غلام جُبير بن مطعم ، وبقرت عن كَبِدِ حمزة ، فلاكتها فلم تستطع أن تُسيغها ؛ فلفظتها ، ثم علت على صخرة مشرفة ، فصرخت بأعلى صوتها فقالت :

نحن جزيناكم بيومِ بدرِ والحربُ بعدَ الحربِ ذاتُ سُعْرِ
ما كان عن عُتبةَ لى من صبرِ ولا أخى وعمِّه وبكرى
شفيتُ نفسى وقضيتُ نذرى شفيتَ وحشىُّ غليلَ صدرى
فشُكرُ وحشىّ علىَّ عمرى حتى ترِمَّ أعظمى فى قبرى

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عَبّاد بن المطلب . فقالت :

خَزِيتِ فى بدرٍ وبعدَ بدرِ يا بنتَ وقّاعٍ عظيمِ الكفرِ(٤)
صبّحكِ اللهُ غداةَ الفجرِ مِلهاشميين الطِّوالِ الزُّهرِ(٥)

---

(١) وزاد غير ابن إسحاق أنه لما خرج قال: اللهم لا تردنى ، فاستشهد فجعله بنوه على بعير ، ليحملوه إلى المدينة ، فاستصعب عليهم البعير ، فكان إذا وجهوه إلى كل جهة سارع إلا جهة المدينة ، فكان يأبى الرجوع إليها ، فلما لم يقدروا عليه ذكروا قوله : اللهم لا تردنى إليها ، فدفنوه فى مصرعه ، انظر الروض ج٣ ص ١٧٧ .

(٢) يجدعن : يقطعن . (٣) الخدم : الخلاخيل .

(٤) الوقاع : كثير الوقوع فى الدنيا . (٥) ملهاشميين : أرادت من الهاشميين ، والزهر : البيض .

بكلّ قطّاعٍ حُسامٍ يَفرِى حمزةُ ليثى وعلىٌّ صقرِى
إذ رام شيبٌ وأبوكِ غدرى فخضّبا منه ضواحِى النحرِ(١)
ونَذرُكِ السوءَ فشرُّ نذرِ

قال ابن هشام: تركنا منها ثلاثة أبيات أقذعت فيها.

قال ابن إسحاق: وقالت هند بنت عتبة أيضا:

شَفَيتُ من حمزةَ نفسى بأُحُدْ حتى بقرت بطنَه عن الكبِدْ
أذهبَ عنى ذاك ما كنت أجد من لذعةِ الحزنِ الشديد المعتمِدْ
والحربُ تعلوكم بشؤبوب بَرِدْ تقدم إقداما عليكم كالأسَدْ(٢)

قال ابن إسحاق: فحدثنى صالح بن كيسان أنه حُدث: أن عمر بن الخطاب قال لحسان ابن ثابت: يابن الفُرَيعة ـ قال ابن هشام: الفريعة بنت خالد بن خنيس: ابن حارثة بن لَوْذان ابن عبد وُد بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ـ لو سمعتَ ماتقول هند، ورأيت أشَرَها قائمة على صخرة ترتجز بنا، وتذكر ما صنعت بحمزة؟ قال له حسان: والله إنى لأنظر إلى الحربة تهوِى وأنا على رأس فارع ـ يعنى أُطُمَه ـ فقلت: والله إن هذه لسلاح ما هى بسلاح العرب، كأنها إنما تهوى إلى حمزة ولا أدرى، لكن أسمعنى بعض قولها أكْفِكُموها؛ قال: فأنشده عمر بن الخطاب بعض ما قالت، فقال حسان بن ثابت:

أَشِرَتْ لَكَاعِ وكان عادتُها لؤما إذا أَشِرَت مع الكفرِ(٣)

قال ابن هشام: وهذا البيت فى أبيات له تركناها، وأبياتا أيضا له على الدال: وأبياتا أخر على الذال، لأنه أقذع فيها.

قال ابن إسحاق: وقد كان الحُلَيس بن زبَّان، أخو بنو الحارث بن عبد مَناة، وهو يومئذ سيد الأحابيش، قد مر بأبى سفيان، وهو يضرب فى شِدق حمزة بن عبد المطلب بزُج الرُّمح ويقول ذق: عُقَقُ؛ فقال الحليس: يابنى كنانة، هذا سيد قريش يصنع بابن عمه ماترَوْن لحما(٤)؟ فقال: ويحك!! اكتمها عنى، فإنها كانت زلّة.

---

(١) شيب: أرادت شيبة فرخمته بغير نداء وهو قليل لضرورة الشعر. ضواحى النحر: ما ظهر من أعلى الصدر (٢) الشؤبوب: الدفعة الشديدة من المطر.

(٣) لكاع جعله اسماً لها فى غير النداء، وذلك جائز، وإن كان فى النداء أكثر نحو ياغدار. ويافساق، وكذلك لكع، قد استعمل فى غير النداء. (٤) أى ميتا لايستطيع الدفاع عن نفسه.

أبوسفيان يشمت بالمسلمين : ثم إن أباسفيان بن حرب ، حين أراد الانصراف ، أشرف على الجبل ، ثم صرخ بأعلى صوته فقال أنعمْتَ فَعَال[1] ، وإن الحرب سجال يوم بيوم ، أُعْلُ هُبَل ، أى أظهِرْ دينك ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قم ياعمر فأجبه ، فقل الله أعلى وأجل ، لاسَوَاء[2] ، قتلانا فى الجنة ، وقتلاكم فى النار . فلما أجاب عمر أباسفيان ، قال له أبوسفيان : هلم إلى ياعمر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : ائته فانظر ماشأنه ، فجاء ، فقال له أبوسفيان : أنشُدُك الله ياعمر ، أقتلنا محمدا ؟ قال عمر : اللهم لا ، وإنه ليسمع كلامك الآن ، قال : أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبَرّ ؛ لقول ابن قمئة لهم : إنى قد قتلت محمدا .

قال ابن هشام : واسم ابن قمئة عبدالله .

قال ابن إسحاق : ثم نادى أبوسفيان : إنه قد كان فى قتلاكم مثل ؛ والله مارَضيت ، وماسَخِطت ، ومانَهيْت ، وماأمرت .

ولما انصرف أبوسفيان ومن معه ، نادى : إن موعدكم بدر للعام القابل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد .

على يخرج فى آثار قريش : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، فقال : اخرج فى آثار القوم ، فانظر ماذا يصنعون وما يريدون فإن كانوا قد جنبوا الخيل[3] ، وامتطوا الإبل ، فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل ، فإنهم يريدون المدينة ، والذى نفسى بيده ، لئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ، ثم لأُناجزنهم . قال على : فخرجت فى آثارهم أنظر ماذا يصنعون ؛ فجَنبوا الخيل ، وامتطوا الإبل ، ووجّهوا إلى مكة .

سعد بن الربيع : وفرغ الناس لقتلاهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنى محمد ابن عبدالله بن عبد الرحمن بن أبى صعصعة المازنى ، أخو بنى النجار : مَن رجلٌ ينظر لى مافعل

---

(١) أى بالغنا فى فعالنا .

(٢) أى لانحن سواء ولايجوز دخول لاعلى اسم مبتدأ معرفة إلا مع التكرار نحو لازيد قائم ، ولاعمروخارج ، ولكنه جاز فى هذا الموضع ، لأن القصد فيه إلى نفى الفعل ، أى لايستوى كما جاز لانولك ، أى : لاينبغى لك .

(٣) جنبوا الخيل : قادوها إلى جنوبهم ليستعملوها وقت الحاجة .

سعد بن الربيع ؟ فى الأحياء هو أم فى الأموات ؟ فقال رجل من الأنصار[1] : أنا أنظر لك يارسول الله مافعل سعد ، فنظر فوجده جريحاً فى القتلى وبه رمق . قال : فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى أن أنظر ، أفى الأحياء أنت أم فى الأموات ؟ قال : أنا فى الأموات ، فأبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنى السلام ، وقل له : إن سعد بن الربيع يقول لك : جزاك الله عنا خير ماجزى نبياً عن أمته ، وأبلغ قومك عنى السلام وقل لهم : إن سعد بن الربيع يقول لكم : إنه لاعذر لكم عند الله إن خُلِص إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم ومنكم عين تطرف . قال : ثم لم أبرح حتى مات ؛ قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته خبره .

قال ابن هشام : وحدثنى أبوبكر الزُّبَيْرى : أن رجلا دخل على أبى بكر الصديق ، وبنت لسعد بن الربيع جارية صغيرة على صدره يرشُفها ويقبلها ، فقال له الرجل : من هذه ؟ قال : هذه بنت رجل خير منى ، سعد بن الربيع ، وكان من النقباء يوم العقبة ، وشهد بدراً ، واستشهد يوم أحد .

الرسول يحزن على حمزة ويتوعد المشركين بالمثلة : قال ابن إسحاق : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، يلتمس حمزة بن عبد المطلب ، فوجده ببطن الوادى قد بُقر بطنه عن كبده ، ومُثل به ، فجُدع أنفه وأذناه .

فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين رأى ما رأى لولا أن تحزن صفية ، ويكون سُنّة من بعدى لتركته ، حتى يكون فى بطون السباع ، وحواصل الطير ، ولئن أظهرنى الله على قريش فى موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم . فلما رأى المسلمون حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيظه على من فعل بعمه مافعل ، قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلَنَّ بهم مُثلة لم يُمثّلها أحد من العرب .

قال ابن هشام : ولما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة قال لن أصاب بمثلك أبدا ! ماوقفت موقفا قط أغيظ إلىَّ من هذا ! ثم قال : جاءنى جبريل فأخبرنى أن حمزة بن عبد المطلب مكتوب فى أهل السموات السبع : حمزة بن عبد المطلب ، أسد الله ، وأسد رسوله .

---

(1) الرجل : هو محمد بن مسلمة ، ذكره الواقدى ، وذكر أنه نادى فى القتلى : ياسعد بن الربيع مرة بعد مرة ، فلم يجبه أحد ، قال ياسعد إن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أرسلنى أنظر ماصنعت ، فأجابه حينئذ بصوت ضعيف ، وذكر الحديث ، وهذا خلاف ماذكره أبو عمر فى كتاب الصحابة ، فإنه ذكر فيه من طريق ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى عن أبيه عن جده أن الرجل الذى التمس سعداً فى القتلى هو : أبى بن كعب .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وأبو سلمة بن عبد الأسد، إخوة من الرضاعة، أرضعتهم مولاة لأبي لهب[١] .

قال ابن إسحاق : وحدثني بُرَيدة بن سفيان بن فروة الأسلمي، عن محمد بن كعب القُرَظي، وحدثني من لا أتهم، عن ابن عباس : أن الله عز وجل أنزل في ذلك، من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقول أصحابه : «وإن عاقَبتم فعاقِبوا بمثلِ ما عُوقبتم به، ولئن صَبَرتم لهو خيرٌ للصابرين . واصبرْ وما صبرُك إلا باللهِ، ولا تحزنْ عليهم، ولا تَكُ في ضيقٍ مما يَمكُرون»، فعفا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصبر ونهى عن المثلة .

قال ابن إسحاق : وحدثني حُميد الطويل، عن الحسن، عن سَمُرة بن جندب، قال : ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في مقام قط ففارقه، حتى يأمرنا بالصدقة، وينهانا عن المثلة[٢] .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن مِقْسَم، مولى عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمزة فسجِّيَ[٣] ببُردة ثم صلى عليه، فكبر سبع تكبيرات، ثم أتي بالقتلى فيوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم وعليه معهم، حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة[٤] .

---

(١) هي ثويبة .

(٢) والراوي هو حميد بن تيرويه، ويقال : ابن تيرى يكنى أبا حميدة مولى طلحة الطلحات، وهو حديث صحيح في النهي عن المثلة . فإن قيل . فقد مثل رسول الله — صلى الله عليه وسلم — بالعرنيين فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم، وتركهم بالحرة .

قلنا : في ذلك جوابان . أحدهما : أنه فعل ذلك قصاصاً لأنهم قطعوا أيدي الرعاة وأرجلهم وسملوا أعينهم، روى ذلك في حديث أنس، وقيل : إن ذلك قبل تحريم المثلة . فإن قيل : فقد تركهم يستسقون فلا يُسقون، حتى ماتوا عطشاً، قلنا عطشهم لأنهم عطشوا أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم : تلك الليلة، روى في حديث مرفوع أنه عليه السلام لما بقي وأهله تلك الليلة بلا لبن، قال : اللهم عطش من عطش أهل بيت نبيك . وقع هذا في شرح ابن بطال، وقد خرجه النسوي .

(٣) سجى : غطى .

(٤) لم يأخذ بهذا الحديث فقهاء الحجاز ولا الأوزاعي لوجهين : أحدهما ضعف إسناد هذا الحديث، فإن ابن إسحاق قال : حدثني من لا أتهم، يعني : الحسن بن عمارة — فيما

قال ابن إسحاق : وقد أقبلت فيما بلغنى ، صفية بنت عبد المطلب لتنظر إليه ، وكان أخاها لأبيها وأمها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابنها الزبير بن العوام : الْقَها فأرجعها ، لا ترى ما بأخيها ، فقال لها : يا أُمَّه ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن ترجعى ، قالت : ولم ؟ وقد بلغنى أن قد مثل بأخى ، وذلك فى الله ، فما أرضانا بما كان من ذلك ! لأحتسبن ولأصبرن إن شاء الله . فلما جاء الزبير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ، قال : خل سبيلها ، فأتته ، فنظرت إليه ، فصلت عليه ، واسترجعت[1] ، واستغفرت له، ثم أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن .

دفن الشهداء : قال : فزعم لى آل عُبيد الله بن جحش — وكان لأميمة بنت عبد المطلب ، حمزة خاله ، وقد كان مثل به كما مثل بحمزة ، إلا أنه لم يبقر عن كبده — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفنه مع حمزة فى قبره ، ولم أسمع ذلك إلا عن أهله .

= ذكروا — ولا خلاف فى ضعف الحسن بن عمارة عند أهل الحديث ، وأكثرهم لا يرونه شيئاً ، وإن كان الذى قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم غير الحسن ، فهو مجهول ، والجهل يوبقه .

والوجه الثانى : أنه حديث لم يصحبه العمل ، ولا يروى عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أنه صلى على شهيد فى شىء من مغازيه إلا هذه الرواية فى غزوة أحد ، وكذلك فى مدة الخليفتين إلا أن يكون الشهيد مرتثا من المعركة وأما ترك غسله ، فقد أجمعوا عليه ، وإن اختلفوا فى الصلاة إلا رواية شاذة عند بعض التابعين ، والمعنى فى ذلك — والله أعلم — تحقيق حياة الشهداء وتصديق قوله سبحانه . « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً » الآية - مع أن فى ترك غسله معنى آخر ، وهو أن دمه أثر عبادة ، وهو يجىء يوم القيامة وجرحه يثعب دماً وريحه ريح المسك ، فكيف يطهر منه وهو طيب وأثر عبادة ، ومن هذا الأصل انتزع بعض العلماء كراهية تجفيف الوجه من ماء الوضوء ، وهو قول الزهرى ، قال الزهرى : وبلغنى أنه يوزن ، ومن هذا الأصل انتزع كراهية السواك بالعشى للصائم لئلا يذهب خلوف فمه ، وهو أثر عبادة ؛ وجاء فيه ما جاء فى دم الشهداء أنه أطيب عند الله من ريح المسك ، ويروى أطيب يوم القيامة من ريح المسك . رواه مسلم باللفظين جميعاً ، والمعنى واحد ، وجاءت الكراهية للسواك بالعشى للصائم عن على وأبى هريرة ، ذكر ذلك الدارقطنى . .

(١) استرجعت : قالت : إنا لله وإنا إليه راجعون، فهو فعل منحوت من الجملة ؟ مثل : حوقل وبسمل واستعاذ إلى آخر هذه الأفعال المنحوتة .

قال ابن إسحاق : وكان قد احتمل ناس من المسلمين قتلاهم إلى المدينة ، فدفنوهم بها ، ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : أدفنوهم حيث صُرِعوا .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم الزهري ، عن عبد الله بن ثعلبة بن صُعَير العُذْري ، حليف بني زهرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على القتلى يوم أحد ، قال : أنا شهيد على هؤلاء ، إنه ما من جريح يجرح في الله ، إلا والله يبعثه يوم القيامة يدمّى جرحه ، اللون لون دم والريح ريح مسك ، انظروا أكثر هؤلاء جمعاً للقرآن ؛ فاجعلوه أمام أصحابه في القبر — وكانوا يدفنون الاثنين والثلاثة في القبر الواحد .

قال : وحدثني عمي موسى بن يسار أنه سمع أبا هريرة يقول : قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم : ما من جريح يُجرح في الله إلا والله يبعثه يوم القيامة وجرحه يدمى ، اللون لون دم ، والريح ريح مسك .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن أشياخ من بني سلمة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ ، حين أمر بدفن القتلى : انظروا إلى عمرو بن الجموح ، وعبد الله بن عمرو بن حرام ، فإنهما كانا متصافيين في الدنيا ، فاجعلوهما في قبر واحد .

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى المدينة ، فلقيته حَمْنة بنت جحش ، كما ذكر لي ، فلما لقيت الناس نُعي إليها أخـــوها عبد الله بن جحش ، فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نعي لها خالها حمزة بن عبد المطلب فاسترجعت واستغفرت له ، ثم نُعِي لها زوجها مُصعب بن عُمَير ، فصاحت وولولت ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن زوج المرأة منها لبمكان ! لما رأى من تثبتها عند أخيها وخالها ، وصياحها على زوجها .

قال ابن إسحاق : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدار من دور الأنصار من بني عبد الأشهل وظَفَر ، فسمع البكاء والنوائح على قتلاهم ، فذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى ، ثم قال : لكن حمزة لا بواكيَ له ! فلما رجع سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير إلى دار بني الأشهل أمرا نساءهم أن يتحزمن ، ثم يذهبن فيبكين على عم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : حدثني حكيم بن حكيم عن عَبّاد بن حُنَيف ، عن بعض رجال بني عبد الأشهل ، قال : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بكاءهن على حمزة خرج عليهن وهن على باب مسجده يبكين عليه ، فقال : ارجعن يرحمكن الله ، فقد آسيتن[1] بأنفسكن .

---

(١) آسيتن : عاونتن .

قال ابن هشام : ونهى يومئذ عن النوح .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بكاءهن ، قال : رحم الله الأنصار ! فإن المواساة منهم ما علمت لقديمة ، مروهن فلينصرفن .

المرأة الدينارية : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الواحد بن أبى عون ، عن إسماعيل بن محمد ، عن سعد بن أبى وقاص ، قال : مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بامرأة من بنى دينار ، وقد أصيب زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، فلما نعوا لها ، قالت فما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالوا : خيراً يا أم فلان ، هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : كل مصيبة بعدك جَلل ! تريد صغيرة .

قال ابن هشام : الجلل : يكون من القليل ، ومن الكثير ، وهو هاهنا من القليل . قال امرؤ القيس فى الجلل القليل :

لقتلِ بنى أَسَدٍ ربَّهم ألا كلُّ شىءٍ سواه جَلَلْ[1]

قال ابن هشام أى صغير قليل : قال ابن هشام : والجلل أيضاً العظيم : قال الشاعر ، وهو الحارث بن وعلة الجرمى :

ولئن عفوتُ لأعفُونْ جَلَلاً ولئن سطوتُ لأوهِنَن عظمى

غسل السيوف : قال ابن إسحاق : فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة ، فقال : اغسلى عن هذا دمه يا بُنَيَّة ، فوالله لقد صدقنى اليوم ، وناولها على بن أبى طالب سيفه ، فقال : وهذا أيضاً ، فاغسلى عنه دمه ، فوالله لقد صدقنى اليوم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن كنت صدقتَ القتال لقد صدق معك سهل بن حُنَيف وأبو دُجَانة .

قال ابن هشام : وكان يقال لسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذو الفَقَار .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن ابن أبى نجيح قال : نادى مناد يوم أحد :
لا سيفَ إلا ذو الفَقَارِ ، ولا فتىً إلا على

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى بن أبى طالب : لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا .

قال ابن إسحاق : وكان يوم أُحد يوم السبت للنصف من شوال .

---

(١) الرب : الملك .

غزوة حمراء الأسد

قال : فلما كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذّن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس بطلب العدو ، فأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس . فكلمه جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ؛ فقال : يارسول الله ، إن أبى كان خلفنى على أخوات لى سبع ، وقال : يابنى ، إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولست بالذى أوثرك بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ، فتخلف على أخواتك ؛ فتخلفت عليهن . فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج معه . وإنما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو ، وليبلغهم أنه خرج فى طلبهم ، ليظنوا به قوة ، وأن الذى أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت ، عن أبى السائب مولى عائشة بنت عثمان : أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من بنى عبد الأشهل كان شهد أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : شهدت أحدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا وأخ لى ، فرجعنا جريحين ، فلما أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج فى طلب العدو ، قلت لأخى أو قال لى : أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ والله مالنا من دابة نركبها ، وما منا إلا جريح ثقيل ، فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت أيسر جرحا ، فكان إذا غُلب حملته عُقْبة ، ومشى عقبة ، حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى إلى حَمْراء الاسد ، وهى من المدينة على ثمانية أميال ، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام :

قال ابن إسحاق : فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، ثم رجع إلى المدينة .

قال : وقد مر به كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، مَعْبد بن أبى معبد الخزاعى ، وكانت خزاعة ، مسلمهم ومشركهم عَيْبة نصح [1] لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، بتهامة ، صَفْقتهم [2] معه ، لا يخفون عنه شيئا كان بها ، ومعبد يومئذ مشرك ، فقال : يا محمد ، أما والله لقد عز علينا ما أصابك ، ولوددنا أن الله عافاك فيهم ، ثم خرج ورسول الله صلى الله عليه وسلم بحمراء

---

(١) عيبة نصح الرجل : مكمن سره .　　(٢) صفقتهم : اتفاقهم .

الأسد ، حتى لقى أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء ، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وقالوا : أصبنا حد أصحابه وأشرافهم وقادتهم ، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم ، لنكُرَّن على بقيتهم ، فلنفرغن منهم . فلما رأى أبو سفيان مَعبداً ، قال : ماوراءك يامعبد ؟ قال : محمد قد خرج فى أصحابه يطلبكم فى جمع لم أر مثله قط ، يتحرقون عليكم تحرقا ، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه فى يومكم ، وندموا على ما صنعوا ، فيهم من الحنق عليكم شىء لم أر مثله قط ؛ قال : ويحك ! ما تقول ؟ قال : والله ما أرى أن ترتحل حتى أرى نواصى الخيل ؛ قال : فوالله لقد أجمعنا الكَرَّة عليهم ، لنستأصل بقيتهم ، قال فإنى أنهاك عن ذلك ؛ قال : والله لقد حملنى مارأيت على أن قلت فيهم أبياتا من شعر ؛ قال : وما قلت ؟ قال : قلت :

كادت تُهَدُّ من الأصواتِ راحلتى ... إذ سالت الأرضُ بالجردِ الأبابيلِ [1]
تردِى بأسْدٍ كرامٍ لا تنابلةٍ ... عندَ اللقاءِ ولا مِيلٍ معازيلِ [2]
فظلْتُ عدوا أظن الأرضَ مائلةً ... لما سَمَوْا برئيسٍ غيرِ مخذول
فقلت : ويلَ ابنِ حربٍ من لقائِكمُ ... إذا تغطْمَطَتِ البطحاءُ بالجيل [3]
إنى نذيرٌ لأهلِ البَسْلِ ضاحيةً ... لكلِّ ذى إرْبَةٍ منهم ومعقول [4]
من جيشِ أحمدَ لاوَخْشٍ تنابلة ... وليس يوصَفُ ما أنذرتُ بالقيل [5]

فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه .

ومر به ركب من عبد القيس ، فقال : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة ؟ قال : ولم ؟ قالوا : نريد الميرة ؛ قال : فهل أنتم مبلغون عنى محمداً رسالة أرسلكم بها إليه ، وأحمِّل لكم هذه غداً زبيبا بعكاظ إذا وافيتموها ؟ قالوا نعم ؛ قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ؛ فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) الجرد : العتاق من الخيل . والأبابيل : الجماعات .

(٢) تردى : تسرع . والتنابلة : القصار . والميل : الذين لارماح معهم . والمعازيل : العزل من السلاح .

(٣) تغطمطت : اهتزت . والجيل : الصنف من الناس .

(٤) أهل البسل : قريش . والضاحية : الظاهرة للشمس . والإربة : العقل .

(٥) الوخش : رذلة الناس .

قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن أبا سفيان بن حرب لما انصرف يوم أحد ، أراد الرجوع إلى المدينة ، ليستأصل بقية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لهم صفوان ابن أمية بن خلف : لاتفعلوا ، فإن القوم قد حَرِبوا (١) ، وقد خشينا أن يكون لهم قتال غير الذى كان ، فارجعوا ، فرجعوا . فقال النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو بحمراء الأسد ، حين بلغه أنهم هموا بالرجعة : والذى نفسى بيده ، لقد سُوِّمت (٢) لهم حجارة ، لو صُبّحوا بها لكانوا كأمس الذاهب .

قال أبو عبيدة : وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجهه ذلك ، قبل رجوعه إلى المدينة معاوية بن المغيرة بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك بن مروان ، أبو أمه عائشة بنت معاوية ، وأبا عزة الجمحى ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسره ببدر ، ثم مَنَّ عليه ؛ فقال : يارسول الله ، أقلنى ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والله لا تمسح عارِضَيك بمكة بعدها وتقول : خدعت محمداً مرتين ، اضرب عنقه يازبير . فضرب عنقه .

قال ابن هشام : وبلغنى عن سعيد بن المسيب أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن لايُلدَغ من جُحر مرتين . اضرب عنقه ياعاصم بن ثابت ، فضرب عنقه .

قال ابن هشام : ويقال : إن زيد بن حارثة وعمار بن ياسر قتلا معاوية بن المغيرة بعد حمراء الأسد ، كان لجأ إلى عثمان بن عفان فاستأمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه ، على أنه وجد بعد ثلاث قُتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى فبعثهما النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذاوكذا ، فوجداه فقتلاه .

شأن عبد الله بن أُبَىّ بعد غزوة أحد : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول ، كما حدثنى ابن شهاب الزهرى ، له مقام يقومه كل جمعة لا يُنكر ، شرفا له فى نفسه وفى قومه ، وكان فيهم شريفا ، إذا جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة وهو يخطب الناس ، قام فقال : أيها الناس ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهركم ، أكرمكم الله وأعزكم به ، فانصروه وعزِّروه ، واسمعوا له وأطيعوا ، ثم يجلس حتى إذا صنع يوم أحد ما صنع ، ورجع بالناس ، قام يفعل ذلك كما كان يفعله ، فأخذ المسلمون بثيابه من نواحيه ، وقالوا : اجلس ، أى عدو الله ، لست لذلك بأهل ، وقد صنعت ماصنعت ، فخرج يتخطى رقاب الناس وهو يقول : والله لكأنما قلت بُجراً (٣) أن قمت أشدِّد أمره . فلقيه رجل من الأنصار بباب المسجد ، فقال : مالك ؟ ويلك ! قال : قمت

---

(١) حربوا : غضبوا . (٢) سومت : علمت . (٣) البجر : الأمر العظيم .

أَشدِّد أمره ، فوثب على رجال من أصحابه يجذبونني ويعنفونني ، لكأنما قلت بُجْراً أن قمت أشدد أمره ؛ قال : ويلك ! ارجع يستغفر لك رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : والله ما أبتغي أن يستغفر لي .

تمحيص المؤمنين يوم أحد : قال ابن إسحاق : كان يوم بلاء ومصيبة وتمحيص ، اختبر الله به المؤمنين ، ومحق به المنافقين ، ممن كان يظهر الإيمان بلسانه ، وهو مستخف بالكفر في قلبه ، ويوما أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة من أهل ولايته .

ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البَكّائي عن محمد ابن إسحاق المطلبي ، قال : فكان مما أنزل الله تبارك وتعالى في يوم أحد من القرآن ستون آية من آل عمران ، فيها صفة ما كان في يومهم ذلك ومعاتبة من عاتب منهم ، يقول الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « وإذ غَدَوْتَ من أهلك تُبَوِّئُ المؤمنين مقاعدَ للقتالِ ، واللهُ سميعٌ عليمٌ » .

قال ابن هشام : تبوِّئ المؤمنين : تتخذ لهم مقاعد ومنازل . قال الكميت بن زيد :

ليتني كنتُ قبلَه ... قد تبوأتُ مَضْجَعَا

وهذا البيت في أبيات له .

أي سميع بما تقولون ، عليم بما تخفون .

« إذ همت طائفتان منكم أن تَفشَلا » : أي تتخاذلا ، والطائفتان : بنو سلمة بن جشم بن الخزرج ، وبنو حارثة بن النَّبيت من الأوس ، وهما الجناحان يقول الله تعالى : « واللهُ وليُّهما » ؛ أي المدافع عنهما ماهمتا به من فشلهما ، وذلك أنه إنما كان ذلك منهما عن ضعف ووهن أصابهما غير شك في دينهما ، فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته ، حتى سلمتا من وهونهما وضعفهما ، ولحقتا بنبيهما صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : حدثني رجل من الأسْد من أهل العلم ، قال : قالت الطائفتان . ما نحب أنا لم نهم بما هممنا به ، لتولي الله إيانا في ذلك .

قال ابن إسحاق : يقول الله تعالى : « وعلى اللهِ فليتوكلِ المؤمنون » : أى من كان به ضعف من المؤمنين فليتوكل علىّ ، وليستعن بى ، أعنه على أمره ، وأدافع عنه ، حتى أبلغ عنه ، وأقويه على نيته . « ولقد نصركم اللهُ ببدرٍ وأنتم أذلة ، فاتقوا اللهَ لعلكم تشكرون » : أى فاتقونى ، فإنه شكر نعمتى . « ولقد نصركم اللهُ ببدرٍ » وأنتم أقل عدداً وأضعف قوة « إذ تقولُ للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدَّكم ربُّكم بثلاثةِ آلافٍ من الملائكةِ مُنزَلين . بلى إن تصبروا وتتقُوا ويأتوكم من فورِهم هذا يمدِدْكم ربُّكم بخمسةِ آلافٍ من الملائكةِ مُسوِّمين » : أى إن تصبروا لعدوى ، وتطيعوا أمرى ، ويأتوكم من وجههم هذا ، أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .

قال ابن هشام : مسومين : معلمين . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : أعلموا على أذناب خيلهم ونواصيها بصوف أبيض . فأما ابن إسحاق فقال : كانت سيماهم يوم بدر عمائم بيضاً . وقد ذكرت ذلك فى حديث بدر . والسيما : العلامة . وفى كتاب الله عز وجل : « سيماهم فى وجوهِهم من أثرِ السجودِ » : أى علامتهم . و « حجارةً من سِجّيلٍ منضودٍ مُسوَّمةً » يقول : مُعلمة . بلغنا عن الحسن بن أبى الحسن البصرى أنه قال : عليها علامة ، أنها ليست من حجارة الدنيا ، وأنها من حجارة العذاب . قال رؤبة بن العجاج :

فالآنَ تُبلَى بى الجيادُ السُّهَّمُ ولا تُجاريني إذا ما سوَّموا(١)

وشخصَت أبصارُهم وأجذموا(٢)

وهذه الأبيات فى أرجوزة له . والمسومة أيضاً : المرعية ، وفى كتاب الله تعالى : « والخيلُ المسوَّمةُ » ، و « شجرٌ فيه تُسيمون » . تقول العرب : سوم خيله وإبله ، وأسامها : إذا رعاها . قال الكميت بن زيد :

راعيا كان مُسجِحا ففقدنا ه وفقدُ المُسيمِ هُلْكُ السَّوامِ

قال ابن هشام : مسجحاً : سلس السياسة محسن إلى الغنم . وهذا البيت فى قصيدة له .

« وما جعله اللهُ إلا بُشرَى لكم ، ولتطمئنَّ قلوبُكم به ، وما النصرُ إلا من عندِ اللهِ العزيزِ الحكيمِ » : أى ما سميت لكم من سميت من جنود ملائكتى إلا بشرى لكم ، ولتطمئن قلوبكم ، لما أعرف من ضعفكم ، وما النصر إلا من عندى ، لسلطانى وقدرتى ، وذلك أن العز

(١) الجياد : الخيل العتاق . والسهم : العابسة .

(٢) أجذموا : أسرعوا .

والحكم إليَّ ، لا إلى أحد من خلقي . ثم قال : « ليقطعَ طَرفاً من الذين كفروا أو يَكبِتَهم فينقلبوا خائبين » : أي ليقطع طرفا من المشركين بقتل ينتقم به منهم ، أو يردهم خائبين : أي ويرجع من بقي منهم فَلًّا خائبين ، لم ينالوا شيئاً مما كانوا يأملون .

قال ابن هشام : يكبتهم : يغمهم أشد الغم ، ويمنعهم ما أرادوا . قال ذو الرمة :

ماأنسَ من شَجَنٍ لاأنسَ موقفَنا ... فى حيرةٍ بينَ مسرورٍ ومكبوتِ

ويكبتهم أيضاً : يصرعهم لوجوههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال لمحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليسَ لكَ من الأمرِ شيءٌ ، أو يتوبَ عليهم ، أو يعذبَهم فإنهم ظالمون » : أي ليس لك من الحكم شيء فى عبادى ، إلا ما أمرتك به فيهم ، أو أتوب عليهم برحمتى ، فإن شئت فعلت ، أو أعذبهم بذنوبهم فبحق « فإنهم ظالمون » . أى قد استوجبوا ذلك بمعصيتهم إياى « واللهُ غفورٌ رحيمٌ » : أى يغفر الذنب ويرحم العباد ، على ما فيهم(١) .

ثم قال: « يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مُضاعَفَةً » : أى لا تأكلوا فى الإسلام ، إذ هداكم الله به ما كنتم تأكلون إذ أنتم على غيره ، مما لا يحل لكم فى دينكم « واتقوا اللهَ لعلكم تُفلحون » أى فأطيعوا الله لعلكم تنجون مما حذركم الله من عذابه ، وتدركون ما رغبكم الله فيه من ثوابه ، « واتقوا النارَ التى أُعِدت للكافرين » ، أى التى جعلت داراً لمن كفر بى .

(١) وفى الترمذى حديث مرفوع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — كان يدعو على أبى سفيان والحارث بن هشام وعمرو بن العاصى ، حتى أنزل الله تعالى : « ليس لك من الأمر شيء ، أو يتوب عليهم » ، قال : فتابوا وأسلموا ، وحسن إسلامهم ، وهذا حديث ثابت فى حسن إسلام أبى سفيان خلافاً لمن زعم غير ذلك ، وأما الحارث بن هشام فلا خلاف فى حسن إسلامه وفى موته شهيداً بالشام ، وأما عمرو بن العاصى ، فقد قال فيه النبى عليه السلام : أسلم الناس وآمن عمرو ، وقال فى حديث جرى ، ما كانت هجرتى للمال ، وإنما كانت لله ورسوله فقال له النبى — صلى الله عليه وسلم — نعما بالمال الصالح للرجل الصالح ، فسماه : رجلا صالحاً والحديث الذى جرى : أنه كان قال له إنى أريد أن أبعثك وجهاً يسلمك الله فيه ، ويغنمك ، وأزعب لك زعبة من المال .

ثم قال : « وأطيعوا اللهَ والرسولَ لعلكم تُرحمون » معاتبة للذين عصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أمرهم بما أمرهم به فى ذلك اليوم وفى غيره . ثم قال : « وسارِعوا إلى مغفرةٍ من ربِّكم وجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ أُعدت للمتقين » : أى داراً لمن أطاعنى وأطاع رسولى . « الذين يُنفقون فى السَّراءِ والضراء ، والكاظمينَ الغيظَ ، والعافينَ عن الناسِ ، واللهُ يحب المحسنين » : أى وذلك هو الإحسان ، وأنا أحب من عمل به ، « والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلَموا أنفسَهم ذكروا اللهَ فاستغفروا لذنوبِهم ، ومن يغفرُ الذنوبَ إلا اللهُ ، ولم يُصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » : أى إن أتوا فاحشة ، أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نهى الله عنها ، وما حرم عليهم ، فاستغفروه لها ، وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب إلا هو . « ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » : أى لم يقيموا على معصيتى كفعل من أشرك بى فيما غلَوْا به فى كفرهم، وهم يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيرى . « أولئك جزاؤُهم مغفرةٌ من ربِّهم وجناتٌ تجرى من تحتها الأنهارُ خالدين فيها ، ونعمَ أجرُ العاملين » : أى ثواب المطيعين .

ثم استقبل ذكر المصيبة التى نزلت بهم ، والبلاء الذى أصابهم ، والتمحيص لما كان فيهم ، واتخاذه الشهداء منهم ، فقال : تعزية لهم ، وتعريفاً لهم فيما صنعوا ، وفيما هو صانع بهم : « قد خلتْ من قبلِكم سُننٌ فسيروا فى الأرضِ فانظروا كيف كان عاقبةُ المكذِّبين » : أى قد مضت منى وقائع نقمة فى أهل التكذيب لرسلى والشرك بى : عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مَدْيَن ، فرأوا مَثُلات قد مضت منى فيهم ، ولمن هو على مثل ما هم عليه من ذلك منى ، فإنى أمليت لهم : أى لئلا يظنوا أن نقمتى انقطعت عن عدوكم وعدوى ، للدولة التى أدلتهم بها عليكم، ليبتليكم بذلك ، ليعلمكم ما عندكم .

ثم قال تعالى : « هذا بيانٌ للناسِ وهدًى وموعظةٌ للمتقين » : أى هذا تفسير للناس إن قبلوا الهدى « وهدى وموعظة » أى نور وأدب « للمتقين » أى لمن أطاعنى وعرف أمرى . « ولا تَهِنوا ولا تحزنوا » : أى لا تضعفوا ولا تبتئسوا على ما أصابكم ، « وأنتم الأعلَوْن » : أى لكم تكون العاقبة والظهور « إن كنتم مؤمنين » : أى إن كنتم صدقتم نبيى بما جاءكم به عنى . « إن يَمسَسْكم قَرحٌ فقد مَسَّ القومَ قرحٌ مثله » : أى جراح مثلها ، « وتلك الأيامُ نداولها بين الناسِ » : أى نصرفها بين الناس للبلاء والتمحيص « وليعلمَ اللهُ الذين آمنوا ، ويتخذَ منكم شهداءَ ، واللهُ لا يحب الظالمين » : أى ليميز بين المؤمنين والمنافقين نبى وليكرم من أكرم من أهل الإيمان بالشهادة « والله لا يحب الظالمين » : أى المنافقين الذين يظهرون الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية « وليمحِّصَ اللهُ الذين آمنوا » : أى يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذى نزل بهم وكيف صبرهم ويقينهم « ويمحقَ الكافرين » : أى يبطل من المنافقين قولهم بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ، حتى يظهر منهم كفرهم الذى يستترون به .

ثم قال تعالى : « أم حَسِبتم أن تدخلوا الجنةَ ولمّا يعلمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم ويعلمَ الصابرين » : أى حسبتم أن تدخلوا الجنة ، فتصيبوا من ثوابى الكرامة ، ولم أختبركم بالشدة ، وأبتليكم بالمكاره ، حتى أعلم صدق ذلك منكم بالإيمان بى ، والصبر على ما أصابكم فىّ ، ولقد كنتم تمنون الشهادة على الذى أنتم عليه من الحق قبل أن تلقوا عدوكم ، يعنى الذين استنهضوا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خروجه بهم إلى عدوهم ، لما فاتهم من حضور اليوم الذى كان قبله ببدر ، ورغبةً فى الشهادة التى فاتتهم بها ، فقال : « ولقد كنتم تمنون الموتَ من قبلِ أن تلقوه » يقول : « فقد رأيتموه وأنتم تنظرون » أى الموت بالسيوف فى أيدى الرجال قد خلى بينكم وبينهم وأنتم تنظرون إليهم ، ثم صدهم عنكم . « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرسلُ ، أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلبْ على عَقِبَيه فلن يَضرَّ اللهَ شيئًا وسيجزى اللهُ الشاكرين » : أى لقول الناس : قُتل محمد صلى الله عليه وسلم ، وانهزامهم عند ذلك ، وانصرافهم عن عدوهم . أفإن مات أو قُتل » رجعتم عن دينكم كفارا كما كنتم ، وتركتم جهاد عدوكم ، وكتاب الله . وما خلف نبيه صلى الله عليه وسلم من دينه معكم وعندكم ، وقد بين لكم فيما جاءكم به عنى أنه ميت ومفارقكم ، « ومن ينقلبْ على عَقِبَيه » : أى يرجع عن دينه « فلن يضرَّ اللهَ شيئا » : أى ليس ينقص ذلك عز الله تعالى ولا ملكه ولا سلطانه ولا قدرته ، « وسيجزى اللهُ الشاكرين » : أى من أطاعه وعمل بأمره[1] .

ثم قال : « وما كان لنفسٍ أن تموتَ إلا بإذنِ اللهِ كتابا مؤجلا » : أى أن لمحمد صلى الله عليه وسلم أجلا هو بالغه ، فإذا أذن الله عز وجل فى ذلك كان . « ومن يُرِدْ ثوابَ الدنيا نؤتِه منها ومن يُرِدْ ثوابَ الآخرةِ نؤته منها ، وسنجزى الشاكرين » : أى من كان منكم يريد الدنيا، ليست له رغبة فى الآخرة ، نؤته منها ما قسم له من رزق ، ولا يعدوه فيها ، وليس له فى الآخرة من حظ « ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها » ما وعد به ، مع ما يجزى عليه من رزقه فى دنياه وذلك جزاء الشاكرين ، أى المتقين .

(١) ظهر تأويل هذه الآية حين انقلب أهل الردة على أعقابهم ، فلم يضر ذلك دين الله ولا أمة نبيه ، وكان أبو بكر يسمى : أمير الشاكرين لذلك ، وفى هذه الآية دليل على صحة خلافته ، لأنه الذى قاتل المنقلبين على أعقابهم حين ردهم إلى الدين الذى خرجوا منه ، وكان فى قوله سبحانه : « وسيجزى الله الشاكرين » دليل على أنهم سيظفرون بمن ارتد، وتكمل عليهم النعمة ، فيشكرون ، فتحريضه إياهم على الشكر — والشكر لا يكون إلا على نعمة — دليل على أن بلاء الردة لا يطول ، وأن الظفر بهم سريع ، كما كان .

ثم قال: «وكأيِّنْ من نبي قُتِل معه رِبِّيون كثير، فما وَهنوا لما أصابهم فى سبيلِ اللهِ، وما ضَعُفوا وما استكانوا، واللهُ يحب الصابرين»: أى وكأين من نبى أصابه القتل، ومعه ربيون كثير: أى جماعة، فما وهنوا لفقد نبيهم، وما ضعفوا عن عدوهم، وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله تعالى وعن دينهم، وذلك الصبر، والله يحب الصابرين «وما كان قولَهم إلا أن قالوا ربَّنا اغفرْ لنا ذنوبَنا، وإسرافَنا فى أمرِنا، وثبتْ أقدامَنا، وانصرْنا على القومِ الكافرين».

قال ابن هشام: واحد الربيين: رِبِّيّ؛ وقولهم: الرِّباب، لولد عبد مناة بن أد بن طابخة ابن إلياس، ولضبة، لأنهم تجمعوا وتحالفوا، من هذا، يريدون الجماعات. وواحدة الرباب: رِبة ورِبابة وهى جماعات قداح أو عِصى ونحوها، فشبهوها بها. قال أبو ذُؤَيب الهذلى:

وكأنهن رِبــــابةٌ وكـــأنه يَسَرٌ يفيض على القداحِ ويصدَعُ

وهذا البيت فى أبيات له. وقال أمية بن أبى الصلت:

حولَ شياطينِهم أبابيلُ رِبِّـــــيونَ شدوا سَنَوَّراً مَدْسُورا

وهذا البيت فى قصيدة له:

قال ابن هشام: والرِّبابة أيضاً: الخرقة التى تُلف فيها القداح.

قال ابن هشام: والسَّنَوَّر: الدروع. والدُّسُر، هى المسامير التى فى الحلق، يقول الله عز وجل «وحملناه على ذاتِ ألواحٍ ودُسُر».

قال الشاعر، وهو أبو الأخزر الحِمّانى، من تميم

دُسْرا بأطرافِ القَنا المقوّمِ

قال ابن إسحاق: أى فقولوا مثل ما قالوا، واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم، واستغفروه كما استغفروه، وامضوا على دينكم كما مضَوا على دينهم، ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين، واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم، واستنصروه على القوم الكافرين، فكل هذا من قولهم قد كان؛ وقد قتل نبيهم، فلم يفعلوا كما فعلتم، فآتاهم الله ثواب الدنيا بالظهور على عدوهم، وحسن ثواب الآخرة وما وعد الله فيها، والله يحب المحسنين.

« يا أيها الذين آمنوا إن تُطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين » : أى عن عدوكم ، فتذهب دنياكم وآخرتكم « بل اللهُ مولاكم وهو خيرُ الناصرين » ، فإن كان ماتقولونه بألسنتكم صدقا فى قلوبكم فاعتصموا به ، ولا تستنصروا بغيره ، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينه . « سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعبَ » : أى الذى به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بى ما لم أجعل لهم من حجة ، أى فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم بى ، واتبعتم أمرى ، للمصيبة التى أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لأنفسكم ، خالفتم بها أمرى للمعصية ، وعصيتم بها النبى صلى الله عليه وسلم . « ولقد صدقكم اللهُ وعدَه إذ تَحُسُّونَهم بإذنِه ، حتى إذا فَشِلتم وتنازعتم فى الأمرِ ، وعصيتم من بعد ما أراكم ماتُحبون ، منكم من يريدُ الدنيا ، ومنكم من يريدُ الآخرةَ[1] ، ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ، ولقد عفا عنكم ، والله ذو فضلٍ على المؤمنين » : أى وقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم ، إذ تحسونهم بالسيوف ، أى القتل ، بإذنى وتسليطى أيديكم عليهم ، وكفى أيديهم عنكم .

قال ابن هشام : الحَسُّ الاستئصال : يقال : حسست الشىء : أى استأصلته بالسيف وغيره قال جرير :

تَحُسُّهم السيوفُ كما تَسامَى حريقُ النارِ فى الأَجَمِ الحصيدِ[2]

وهذا البيت فى قصيدة له . وقال رؤبة بن العجاج :

إذا شكونا سَنةً حَسُوسَا
تأكلُ بعدَ الأخضرِ اليَبيسا

وهذان البيتان فى أرجوزة له .

قال ابن إسحاق : « حتى إذا فَشِلتم » : أى تخاذلتم « وتنازعتم فى الأمرِ » أى اختلفتم فى

---

(١) وقوله « ومنكم من يريد الآخرة » قال ابن عباس : هو عبد الله بن جبير الذى كان أميراً على الرماة ، وكان أمرهم أن يلزموا مكانهم ، وألا يخالفوا أمر نبيهم ، فثبت معه طائفة ، فاستشهد ، واستشهدوا ، وهم الذين أرادوا الآخرة ، وأقبلت طائفة على المغنم ، وأخذ السلب ، فكر عليهم العدو ، وكانت المصيبة ، انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ٣ ص ١٩٤

(٢) تسامى : ارتفع . والأجم : جمع أجمة . الشجر الكثير الملتف .

أمرى ، أى تركتم أمر نبيكم وما عهد إليكم ، يعنى الرماة « وعَصَيتم من بعد ما أراكم ما تحبون » :
أى الفتح ، لاشك فيه ، وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم ، « منكم من يريد الدنيا » : أى
الذين أرادوا النهب فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة « ومنكم
من يريد الآخرة » · أى الذين جاهدوا فى الله ، ولم يخالفوا إلى مانُهوا عنه ، لعرض من الدنيا ،
رغبة فيها ، رجاء ماعند الله من حسن ثوابه فى الآخرة : أى الذين جاهدوا فى الدين ولم يخالفوا
إلى ما نُهوا عنه ، لعرض من الدنيا ، ليختبركم ، وذلك ببعض ذنوبكم ، ولقد عفا الله عن عظيم
ذلك ، أن لايهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ، ولكنى عدت بفضلى عليكم ، وكذلك مَنّ
الله على المؤمنين ، أن عاقب ببعض الذنوب فى عاجل الدنيا أدبا وموعظة ، فإنه غير مستأصل
لكل مافيهم من الحق له عليهم ، بما أصابوا من معصيته ، رحمة لهم ، وعائدة عليهم ، لما
فيهم من الإيمان .

ثم أنبهم بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم ، وهم يُدْعَوْن لايعطفون عليه لدعائه إياهم ،
فقال : « إذ تُصعدون ولا تَلْوُونَ على أحدٍ ، والرسول يدعوكم فى أُخراكم ، فأثابكم غما بغم ،
لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم » : أى كربا بعد كرب ، بقتل من قتل من إخوانكم ،
وعلو عدوكم عليكم ، وبما وقع فى أنفسكم من قول من قال : قتل نبيكم ، فكان ذلك مما تتابع
عليكم غما بغم ؛ لكيلا تحزنوا على مافاتكم ؛ من ظهوركم على عدوكم ، بعد أن رأيتموه بأعينكم
ولا ما أصابكم من قتل إخوانكم ، حتى فرجت ذلك الكرب عنكم « والله خبيرٌ بما تعملون » .
وكان الذى فرج الله به عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم ، أن الله عز وجل
رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
حياً بين أظهرهم ، هان عليهم ما فاتهم من القوم بعد الظهور عليهم ، والمصيبة التى أصابتهم فى
إخوانهم ، حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم . « ثم أنزلَ عليكم من بعدِ الغمِّ
أَمَنَةً نُعاسا يغشى طائفةً منكم وطائفةٌ قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غيرَ الحقِّ ظنَّ الجاهليةِ ،
يقولون هل لنا من الأمرِ من شيءٍ ، قل إن الأمرَ كلَّه للهِ ، يُخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك ،
يقولون لو كان لنا من الأمرِ شيءٌ ماقُتلنا هاهنا ، قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كُتب عليهم
القتلُ إلى مضاجعهم ، وليبتلِيَ اللهُ ما فى صدورِكم ، وليمحِّصَ ما فى قلوبكم ، والله عليمٌ بذاتِ
الصدورِ » ، فأنزل الله النعاس أمنة منه على أهل اليقين به ، فهم نيام لايخافون ، وأهل النفاق
قد أهمتهم أنفسهم ، يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية ، تخوُّفَ القتل ، وذلك أنهم لايرجون
عاقبة ، فذكر الله عز وجل تلاومهم وحسرتهم على ما أصابهم . ثم قال الله سبحانه لنبيه صلى

الله عليه وسلم : « قل لو كنتم فى بيوتكم » لم تحضروا هذا الموطن الذى أظهر الله فيه منكم ما أظهر من سرائركم « لبرز » لأخرج « الذين كُتب عليهم القتلُ إلى مضاجعهم » إلى موطن غيره يُصْرَعون فيه ، حتى يبتلى به مافى صدورهم « وليمحِّص مافى قلوبكم ، والله عليم بذاتِ الصدورِ » : أى لايخفى عليه مافى صدورهم مما استخفوا به منكم .

ثم قال : « ياأيها الذين آمنوا لاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرضِ أوكانوا غُزًّى ، لوكانوا عندنا ماماتوا وماقُتلوا ، ليجعل اللهُ ذلك حسرةً فى قلوبهم ، واللهُ يحيى ويُميتُ واللهُ بما تعملون بصير » : أى لاتكونوا كالمنافقين الذين ينهون إخوانهم عن الجهاد فى سبيل الله ، والضرب فى الأرض فى طاعة الله عز وجل ، وطاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقولون إذا ماتوا أوقتلوا : لوأطاعونا ماماتوا وماقتلوا «ليجعل اللهُ ذلك حسرةً فى قلوبهم » لقلة اليقين بربهم ، «والله يحيى ويُميتُ » : أى يعجل مايشاء ويؤخر مايشاء من ذلك من آجالهم بقدرته . قال تعالى : « ولئن قُتلتم فى سبيلِ اللهِ أومُتم لمغفرةٌ من اللهِ ورحمةٌ خيرٌ مما يجمعون » : أى إن الموت لكائن لابد منه ، فموت فى سبيل الله ، أوقتل ، خير لوعلموا وأيقنوا مما يجمعون من الدنيا التى لها يتأخرون عن الجهاد ، تخوّف الموت والقتل لما جمعوا من زهرة الدنيا زهادة فى الآخرة «ولئن مُتم أوقُتلتم «أىُّ ذلك كان «لإلَى الله تُحشرون» : أى إن إلى الله المرجع ، فلاتغرنكم الدنيا ، ولاتغتروا بها ، وليكن الجهاد ومارغبكم الله فيه من ثوابه آثرَ عندكم منها .

ثم قال تبارك وتعالى : « فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم ، ولوكنت فَظًّا غليظَ القلبِ لانفضوا من حولِك » : أى لتركوك « فاعفُ عنهم » : أى فتجاوز عنهم « واستغفرْ لهم ، وشاورهم فى الأمرِ ، فإذا عزَمت فتوكلْ على اللهِ ، إن اللهَ يُحب المتوكلين » فذكر لنبيه صلى الله عليه وسلم لينه لهم ، وصبره عليهم ، لضعفهم ، وقلة صبرهم على الغلظة لوكانت منه عليهم فى كل ماخالفوا عنه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم صلى الله عليه وسلم . ثم قال تبارك وتعالى : « فاعف عنهم » : أى تجاوز عنهم ، « واستغفر لهم » ذنوبهم ، من قارف[1] من أهل الإيمان منهم « وشاورهم فى الأمر» : أى لتريهم أنك تسمع منهم ، وتستعين بهم ، وإن كنت غنيا عنهم ، تألفا لهم بذلك على دينهم « فإذا عزمت » : أى على أمر جاءك منى وأمر من دينك فى جهاد عدوك لايصلحك ولايصلحهم إلاذلك ، فامض على ماأُمرت به ، على خلاف من خالفك ، وموافقة من وافقك ،

---

(١) قارف الذنب : دخل فيه .

« وتوكل على الله » ، أى ارض به من العباد ، « إن الله يحب المتوكلين». «إن ينصركم الله فلا غالبَ لكم ، وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده» : أى لئلا تترك أمرى للناس ، وارفض أمر الناس إلى أمرى ، وعلى الله لا على الناس ، فليتوكل المؤمنون .

ثم قال : « وما كان لنبيٍّ أن يَغُلَّ ، ومن يَغلُلْ يأتِ بما غَلَّ يومَ القيامة ، ثم تُوفَّى كلُّ نفسٍ ما كسبت وهم لا يُظلمون » : أى ما كان لنبى أن يكتم الناس ما بعثه الله به إليهم ، عن رهبة من الناس ولا رغبة ، ومن يفعل ذلك يأت يوم القيامة به ، ثم يجزى بكسبه ؛ غير مظلوم ولا معتدى عليه « أفمن اتبع رضوانَ الله » على ما أحب الناس أو سخطوا « كمن باء بسَخَطٍ من الله » لرضا الناس أو لسخطهم . يقول : أفمن كان على طاعتى فثوابه الجنة ورضوان من الله كمن باء بسخط من الله واستوجب سخطه ، فكان « مأواه جهنم وبئس المصير » أسواء المثلان ! فاعرفوا . « هم درجاتٌ عند الله ، والله بصيرٌ بما يعملون » لكل درجات مما عملوا فى الجنة والنار : أى إن الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته .

ثم قال : « لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبلُ لفى ضلالٍ مبين » : أى لقد منَّ الله عليكم يا أهل الإيمان ، إذ بعث فيكم رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته فيما أحدثتم ، وفيما عملتم فيعلمكم الخير والشر ، لتعرفوا الخير فتعملوا به والشر فتتقوه ، ويخبركم برضاه عنكم إذا أطعتموه فتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط منكم من معصيته ، ولتتخلصوا بذلك من نقمته ، وتدركوا بذلك ثوابه من جنته « وإن كنتم من قبل لفى ضلالٍ مبين » : أى لفى عمياء من الجاهلية ، أى لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة صم عن الخير ، بكم عن الحق ، عمى عن الهدى .

ثم ذكر المصيبة التى أصابتهم ، فقال : « أوَلَمَّا أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم : أنَّى هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم ، إن اللهَ على كلِّ شىءٍ قديرٌ » : أى إن تك أصابتكم مصيبة فى إخوانكم بذنوبكم فقد أصبتم مثليها قبلُ من عدوكم ، فى اليوم الذى كان قبله ببدر ، قتلا وأسرا ونسيتم معصيتكم وخلافكم عما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم ، أنتم أحللتم ذلك بأنفسكم « إن اللهَ على كلِّ شىءٍ قدير » : أى إن الله على ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير « وما أصابكم يومَ التقى الجمعانِ فبإذنِ الله ، وليعلمَ المؤمنين » : أى ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فبإذنى ، كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن جاءكم نصرى ، وصدقتكم وعدى ، ليميز بين المؤمنين والمنافقين « وليعلمَ الذين نافقوا » منكم : أى ليظهر ما فيهم . « وقيل لهم تعالَوْا قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا »

يعنى عبد الله بن أُبَىّ وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد، وقولهم : لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ، ولدفعنا عنكم ، ولكنا لانظن أنه يكون قتال . فأظهر منهم ما كانوا يخفون فى أنفسهم . يقول الله عز وجل : « هم للكفرِ يومئذٍ أقربُ منهم للإيمانِ ، يقولون بأفواهِهم ما ليس فى قلوبِهم» أى يظهرون لك الإيمان وليس فى قلوبهم « والله أعلمُ بما يكتمون »: أى ما يخفون« الذين قالوا لإخوانهم» الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم : « لو أطاعونا ما قُتلوا ، قل فادْرَءوا عن أنفسِكم الموتَ إن كنتم صادقين » : أى أنه لابد من الموت، فإن استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا وذلك أنهم إنما نافقوا وتركوا الجهاد فى سبيل الله ، حرصا على البقاء فى الدنيا ، وفراراً من الموت .

ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم، يرغب المؤمنين فى الجهاد ، ويهون عليهم القتل :« ولاتحسَبَنَّ الذين قُتلوا فى سبيلِ الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يُرزقون . فرِحينَ بما آتاهم اللهُ من فضلِه ، ويستبشرون بالذين لم يَلحقوا بهم من خلفِهم ألّا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون » أى لاتظنن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا : أى قد أحييتهم ، فهم عندى يرزقون فى روح الجنة وفضلها ، مسرورين بما آتاهم الله من فضله على جهادهم عنه ، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم : أى ويُسَرّون بلحوق من لحقهم من إخوانهم على مامضوا عليه من جهادهم ، ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم ، قد أذهب الله عنهم الخوف والحزن. يقول الله تعالى :« يستبشرون بنعمةٍ من اللهِ وفضلٍ ، وأن اللهَ لايُضيعُ أجرَ المؤمنين» لما عاينوا من وفاء الموعود ، وعظيم الثواب .

مصير قتلى أحد : قال ابن إسحاق : وحدثنى إسماعيل بن أمية ، عن أبى الزبير ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لما أُصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم فى أجوافِ طيرٍ خُضر ، ترد أنهارَ الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب ، فى ظل العرش ، فلما وجدوا طِيبَ مشربهم ومأكلهم ، وحسن مَقيلهم ، قالوا : ياليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا ، لئلا يزهدوا فى الجهاد ، ولا ينكُلوا عن الحرب ، فقال الله تعالى : فأنا أبلغهم عنكم ، فأنزل الله على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات : ولا تحسبن ... » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى الحارث بن الفضيل ، عن محمود بن لبيد الأنصارى عن ابن عباس أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الشهداء على بارِقٍ نهر بباب الجنة ، فى قبة خضراء، يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مسعود أنه سُئل عن هؤلاء الآيات :

« ولا تحسبن الذين قُتلوا فى سبيلِ اللهِ أمواتا بل أحياءٌ عندَ ربّهم يُرزقون » فقال : أما إنا قد سألنا عنها فقيل لنا إنه لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر ، ترد فى أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها ، وتأوى إلى قناديل من ذهب فى ظل العرش ، فيطلع الله عز وجل عليهم اطلاعة فيقول : ياعبادى ، ماتشتهون فأزيدكم ؟ قال : فيقولون ربنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع الله عليهم اطلاعة ، فيقول : ياعبادى ، ماتشتهون ، فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ما أعطيتنا ، الجنة نأكل منها حيث شئنا ! قال : ثم يطلع عليهم اطلاعة ، فيقول : ياعبادى ، ماتشتهون فأزيدكم ؟ فيقولون : ربنا لافوق ماأعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ! إلا أنا نحب أن تَرُدَّ أرواحنا فى أجسادنا ، ثم نُرد إلى الدنيا ، فنقاتل فيك ، حتى نقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، قال : سمعت جابر ابن عبد الله يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا أبشرك يا جابر ؟ قال قلت : بلى يانبى الله ، قال : إن أباك حيث أصيب بأحد أحياه الله عز وجل ، ثم قال له : ماتحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك ؟ قال : أى رب ، أحب أن تردنى إلى الدنيا فأقاتل فيك ، فأقتل مرة أخرى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عمرو بن عُبيد ، عن الحسن ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ، مامن مؤمن يفارق الدنيا يحب أن يرجع إليها ساعة من نهار ، وأن له الدنيا وما فيها إلا الشهيد ، فإنه يحب أن يرد إلى الدنيا ، فيقاتل فى سبيل الله ، فيقتل مرة أخرى .

من خرجوا مع الرسول إلى حمراء الأسد : قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « الذين استجابوا للهِ والرسولِ من بعدِ ما أصابهم القَرْحُ » ، أى الجراح ، وهم المؤمنون الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد إلى حمراء الأسد على مابهم من ألم الجراح : « للذين أحسنوا منهم واتقَوْا أجرٌ عظيم . الذين قال لهم الناسُ إن الناسَ قد جمعوا لكم فاخشوْهم فزادهم إيمانا ، وقالوا حسبُنا اللهُ ونعمَ الوكيلُ » ، والناس الذين قالوا لهم ما قالوا ، النفر من عبد القيس ، الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ؟ قالوا إن أبا سفيان ومن معه راجعون إليكم . يقول الله عز وجل : « فانقلَبوا بنعمةٍ من اللهِ وفضلٍ لم يمسسهم سوءٌ ، واتبعوا رضوانَ اللهِ ، واللهُ ذو فضلٍ عظيم » لما صرف الله عنهم من لقاء عدوهم « إنما ذلكم الشيطانُ » ، أى لأولئك الرهط وما ألقى الشيطان على أفواههم « يخوِّفُ أولياءَه » : أى يرهبكم بأوليائه ، « فلا تخافوهم وخافونِ إن كنتم مؤمنين . ولا يحزنْك الذين يُسارعون فى الكفرِ » : أى المنافقون « إنهم لن يضروا اللهَ شيئا ، يريد الله ألا يجعلَ لهم حظاً فى الآخرةِ ، ولهم عذابٌ عظيم . إن الذين اشترَوُا الكفرَ بالإيمانِ لن يضروا اللهَ شيئا ولهم عذابٌ أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نُملى لهم خيرٌ

لأنفسهم ، إنما نملى لهم ليزدادوا إثما ولهم عذابٌ مهين . ما كان اللهُ ليذَرَ المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يَميزَ الخبيثَ من الطيب » : أى المنافقين « وما كان اللهُ ليُطلعَكم على الغيب » : أى فيما يريد أن يبتليكم به ، لتحذروا ما يدخل عليكم فيه « ولكن اللهَ يجتبي من رسله من يشاء » أى يعلمه ذلك « فآمنوا باللهِ ورسله، وإن تُؤمنوا وتتقوا » : أى ترجعوا وتتوبوا « فلكم أجرٌ عظيم »

ذكر من استشهد بأحد من المهاجرين

قال ابن إسحاق: واستشهد من المسلمين يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين من قريش ، ثم من بنى هاشم بن عبد مناف : حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ، رضى الله عنه ، قتله وحشى ، غلام جُبَير بن مُطعم .

ومن بنى أمية بن عبد شمس : عبد الله بن جحش ، حليف لهم من بنى أسد بن خزيمة .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : مُصعَب بن عمير ، قتله ابن قمئة الليثى .

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة : شَمَّاس بن عثمان . أربعة نفر .

ذكر من استشهد بأحد من الأنصار : ومن الأنصار ، ثم من بنى عبد الأشهل : عمرو بن مُعاذ بن النعمان ، والحارث بن أنس بن رافع ، وعُمارة بن زياد بن السكن .

قال ابن هشام : السكَن : ابن رافع بن امرىء القيس ، ويقال : السَّكْن .

قال ابن إسحاق : وسلمة بن ثابت بن وَقَش ، وعمرو بن ثابت بن وقش ، رجلان .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى عاصم بن عمر بن قتادة : أن أباهما ثابتا قتل يومئذ . ورفاعة ابن وقش . وحُسَيل بن جابر ، أبو حُذَيفة وهو اليمان ، أصابه المسلمون فى المعركة ولا يدرون ، فتصدق حذيفة بديته على من أصابه ، وصَيْفى بن قَيْظى . وحَباب بن قيظى . وعَبَّاد بن سهل ، والحارث بن أوس بن مُعاذ . اثنا عشر رجلا

ومن أهل راتج : إياس بن أوس بن عتيك بن عمرو بن عبد الأعلم بن زعوراء بن جُشَم ابن عبد الأشهل ، وعبيد بن التَّيهان .

قال ابن هشام : ويقال : عتيك بن التيهان .

وحبيب بن يزيد بن تَيْم . ثلاثة نفر .

ومن بنى ظَفَر : يزيد بن حاطب بن أمية بن رافع . رجل .

ومن بنى عمرو بن عوف ، ثم من بنى ضُبَيعة بن زيد : أبو سفيان بن الحارث بن قيس

ابن زيد ، وحنظلة بن أبي عامر بن صيفى بن نعمان بن مالك بن أمة ، وهو غسيل الملائكة قتله شداد بن الأسود بن شعوب الليثى . رجلان .

قال ابن هشام : قيس : ابن زيد بن ضبيعة ، ومالك : ابن أمة بن ضبيعة .

قال ابن اسحاق : ومن بنى عبيد بن زيد : أنيس بن قتادة . رجل .

ومن بنى ثعلبة بن عمرو بن عوف : أبو حَيَّة ، وهو أخو سعد بن خيثمة لأمه .

قال ابن هشام : أبو حبة : ابن عمرو بن ثابت .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن جبير بن النعمان ، وهو أمير الرماة . رجلان .

ومن بنى السلْم بن امرىء القيس بن مالك بن الأوس : خَيْثَمة أبو سعد بن خيثمة . رجل .

ومن حلفائهم من بنى العَجْلان : عبد الله بن سلمة . رجل .

ومن بنى معاوية بن مالك : سُبيع بن حاطب بن الحارث بن قيس بن هَيْشَة . رجل

قال ابن هشام : ويقال : سُوَيْبِق بن الحارث بن حاطب بن هَيْشَة .

قال ابن إسحاق : ومن بنى النجار : ثم من بنى سواد بن مالك بن غَنْم : عمرو بن قيس ، وابنه قيس بن عمرو .

قال ابن إسحاق : وثابت بن عمرو بن زيد ؛ وعامر بن مَخْلَد . أربعة نفر .

ومن بنى مبذول : أبو هبيرة بن الحارث بن علقمة بن عمرو بن ثَقْف بن مالك بن مبذول ، وعمرو بن مُطَرِّف بن علقمة بن عمرو . رجلان .

ومن بنى عمرو بن مالك : أوس بن ثابت بن المنذر : رجل .

قال ابن هشام : أوس بن ثابت ، أخو حسان بن ثابت .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عدى بن النجار . أنس بن النضر بن ضَمْضَم بن زيد بن حرام ابن جندب بن عامر بن غَنْم بن عدى بن النجار . رجل

قال ابن هشام : أنس بن النضر ، عم أنس بن مالك : خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى مازن بن النجار : قيس بن مُخَلَّد ، وكَيْسان ، عبد لهم . رجلان

ومن بنى دينار بن النجار : سُلَيم بن الحارث ، ونعمان بن عبد عمرو رجلان .

ومن بنى الحارث بن الخزرج : خارجة بن زيد بن أبي زهير ، وسعد بن الربيع بن عمرو ابن أبي زهير ، دُفنا فى قبر واحد ، وأوس بن الأرقم بن زيد بن قيس بن النعمان بن مالك ابن ثعلبة بن كعب . ثلاثة نفر .

ومن بنى الأبجر ، وهم بنو خُدْرة : مالك بن سنان بن عُبيد بن ثعلبة بن عبيد بن الأبجر ، وهو أبو أبي سعيد الخدرى .

قال ابن هشام : اسم أبي سعيد الخدرى : سنان ؛ ويقال سعد .

قال ابن إسحاق : وسعيد بن سُوَيد بن قيس بن عامر بن عباد بن الأبجر ؛ وعتبة بن ربيع ، ابن رافع ؛ بن معاوية ، بن عبيد ، بن ثعلبة ، بن عبيد ، بن الأبجر . ثلاثة نفر .

ومن بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج : ثعلبة بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبة بن حارثة ابن عمرو بن الخزرج بن ساعدة ؛ وثقف بن فروة بن البَدِىّ . رجلان

ومن بنى طريف ، رهط سعد بن عُبادة : عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة بن وَقش ابن ثعلبة بن طريف ؛ وضمرة ، حليف لهم من بنى جُهينة . رجلان .

ومن بنى عوف بن الخزرج ، ثم من بنى سالم ، ثم من بنى مالك بن العجلان بن زيد بن غَنْم بن سالم : نَوفل بن عبد الله ؛ وعباس بن عُبادة بن نَضْلة بن مالك بن العَجلان ؛ ونعمان بن مالك بن ثعلبة بن فِهر بن غَنم بن سالم ؛ والمجذَّر بن ذياد ، حليف لهم من بَلِىّ ؛ وعُبادة بن الحَسْحاس ، دفن النعمان بن مالك ، والمجذر ، وعبادة فى قبر واحد . خمسة نفر .

ومن بنى الحُبلى : رفاعة بن عمرو . رجل .

ومن بنى سلمة ، ثم من بنى حرام : عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة بن حرام ؛ وعمرو ابن الجموح بن زيد بن حرام ، دفنا فى قبر واحد ؛ وخَلّاد بن عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام ، وأبو أيمن ، مولى عمرو بن الجموح . أربعة نفر .

ومن بنى سَوَاد بن غَنْم : سُليم بن عمرو بن حديدة ، ومولاه عَنترة ، وسهل بن قَيس بن أبى كعب بن القَين . ثلاثة نفر .

ومن بنى زُرَيق بن عامر : ذَكْوان بن عبد قيس ، وعُبَيد بن المعلَّى بن لَوْذان . رجلان .

قال ابن هشام : عبيد بن المعلى ، من بنى حبيب .

قال ابن إسحاق : فجميع من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار . خمسة وستون رجلا .

قال ابن هشام : وممن لم يذكر ابن إسحاق من السبعين الشهداء الذين ذكرنا ، من الأوس ، ثم من بنى معاوية بن مالك : مالك بن نُميلة ، حليف لهم من مُزَينة .

ومن بنى خَطْمة — واسم خَطْمة : عبد الله بن جشم بن مالك بن الأوس — الحارث بن عدى بن خرشة بن أمية بن عامر بن خَطْمة .

ومن الخزرج ، ثم من بنى سواد بن مالك : مالك بن إياس .

ومن بنى عمرو بن مالك بن النجار : أياس بن عدى .

ومن بنى سالم بن عوف : عمرو بن إياس .

ذكر من قتل من المشركين يوم أحد

قال ابن إسحاق : وقتل من المشركين يوم أحد من قريش ، ثم من بنى عبد الدار بن قصى من أصحاب اللواء : طلحة بن أبى طلحة ، واسم أبى طلحة : عبدالله بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، قتله على بن أبى طالب ، وأبو سعيد بن أبى طلحة ، قتله سعد بن أبى وقاص

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وعثمان بن أبى طلحة ، قتله حمزة بن عبد المطلب ، ومسافع بن طلحة ، والجلاس بن طلحة ، قتلهما عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح . وكلاب بن طلحة . والحارث بن طلحة ، قتلهما قُزمان ، حليف لبنى ظَفَر .

قال ابن هشام : ويقال : قتل كلابا عبد الرحمن بن عوف .

قال ابن إسحاق : وأرطاة بن عبد شرحبيل بن هاشم بن عبدمناف بن عبد الدار قتله حمزة ابن عبد المطلب ، وأبو يزيد بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمان : وصُؤاب غلام له حبشى قتله قزمان .

قال ابن هشام : ويقال : قتله على بن أبى طالب ، ويقال : سعد بن أبى وقاص ويقال أبو دُجانة .

قال ابن إسحاق : والقاسط بن شُرَيح بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ، قتله قُزْمان أحد عشر رجلا .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : عبد الله بن حميد بن زهير بن الحارث بن أسد . قتله على بن أبى طالب رجل .

ومن بنى زُهرة بن كلاب : أبو الحكم بن الأخنس بن شَريق بن عمرو بن وهب الثقفى ، حليف لهم ، قتله على بن أبى طالب ، وسِبَاع بن عبد العُزّى — واسم عبد العزى : عمرو بن نَضْلة بن غُبْشان بن سُلَيم بن مَلْكان بن أفصَى — حليف لهم من خزاعة ، قتله حمزة بن عبد المطلب . رجلان .

ومن بنى مخزوم بن يَقَظة ، هشام بن أبى أمية بن المغيرة ، قتله قُزْمان : والوليد بن العاص ابن هشام بن المغيرة ، قتله قزمان : وأبو أمية بن أبى حذيفة بن المغيرة ، قتله على بن أبى طالب ، وخالد بن الأعلم ، حليف لهم ، قتله قُزْمان . أربعة نفر .

ومن بنى جُمَح بن عمرو : عمرو بن عبد الله بن عُمَير بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، وهو أبو عزة ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم صبراً ، وأُبَىّ بن خلف بن وهب بن حُذافة بن جُمَح ، قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده . رجلان .

ومن بنى عامر بن لؤي : عُبَيدة بن جابر ؛ وشَيبة بن مالك بن المضرِّب ، قتلهما قُزْمان . رجلان .

قال ابن هشام : ويقال : قتل عبيدة بن جابر عبد الله بن مسعود .

قال ابن إسحاق : فجميع من قتل الله تبارك وتعالى يوم أحد من المشركين ، اثنان وعشرون رجلا .

ذكر ماقيل من الشعر يوم أحد

قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر فى يوم أحد ، قول هُبَيرة بن أبى وهب بن عمرو بن عائذ بن عبد عمران بن مخزوم — قال ابن هشام : عائذ : ابن عمران بن مخزوم .

ما بالُ همٍّ عميدٍ بات يطرقنى ... بالوُدِّ من هندَ إذ تعدو عواديها[1]

باتت تعاتبنى هندٌ وتعذِلُنى ... والحربُ قد شُغلت عنى مَواليها

مهلا فلا تَعذليني إن من خُلُقى ... ما قد علمتِ وما إن لستُ أُخفيها

مساعفٌ لبنى كعبٍ بما كَلِفوا ... حمالُ عبءٍ وأثقالٍ أعانيها

وقد حَملت سلاحى فوق مُشترَفٍ ... ساطٍ سَبوحٍ إذا تجرى يُباريها[2]

(١) العميد : شديد الحزن . والعوادى : الشواغل .

(٢) مشترف : بفتح الراء اسم مفعول . أى فرس تنظر الناس إليه لحسنه .

كأنه إذ جرى عَـيْرٌ بفدفدةٍ مُكَدَّمٌ لاحقٌ بالعُونِ يَحميها(١)

من آلِ أعوجَ يرتاح النَّدىُّ له كجذعِ شَعْراءَ مُستَعلٍ مَراقيها(٢)

أعددته ورُقاق الحـدِّ مُنتحلا ومَارِنا لخطوبٍ قد أُلاقيها(٣)

هذا وبيضاءَ مثلَ النِّهْيِ مُحكَمَة نِيطَتْ عليَّ فما تبدو مساويها(٤)

سقنا كِنانةَ من أطرافِ ذى يَمَنٍ عُرضَ البلادِ على ما كان يُزجيها(٥)

قالت كنانةُ : أنَّى تذهبون بنا ؟ قلنا : النخيلَ ، فأمُّوها ومَن فيها (٦)

نحن الفوارسُ يوم الجرِّ من أُحُدٍ هابت مَعَدٌّ فقلنا نحن نأتيها(٧)

هابوا ضِرابا وطَعنا صادقا خَذِما مما يَرَوْن وقد ضُمَّت قَواصيها(٨)

ثُمَّت رحنا كأنا عارضٌ بَرِدٌ وقام هامُ بنى النجارِ يَبكيها(٩)

كأن هامَهم عنـد الوغَى فِلَقٌ من قَيْضِ رُبْدٍ نَفَتْه عن أداحِيها(١٠)

أو حنظلٌ ذعذعته الريحُ فى غُصُنٍ بالٍ تَعاوَرَهُ منها سوافيها(١١)

قد نَبذُل المالَ سَحّاً لاحسابَ له ونَطعنُ الخيلَ شَزْراً فى مآقيها(١٢)

---

(١) يشبه حصانه بحمار وحشى وهو العير . والفدفدة : الصحراء والمكدم : المعضوض والعون : القطيع من حمر الوحش .

(٢) الأعوج اسم فرس مشهور فى العرب ومنه الأعوجيات أى الخيل الجيدة . والندى المجلس من القوم والشعراء : نخلة كثيرة الأغصان .

(٣) رقاق الحد : السيوف والمنتحل : المتخير : والمارن هنا : الرمح اللين .

(٤) البيضاء : الدرع ، والنهى : الغدير . ونيطت علقت .

(٥) عرض البلاد : سعتها . ويزجيها : يسوقها .

(٦) يريد بالنخيل : المدينة المنورة . (٧) الجر : أصل الجبل .

(٨) الخذم : المذل .

(٩) العارض : السحاب والهام جمع هامة وهى ما تزعم العرب أنها طائر يخرج من د القتيل يصيح اسقونى حتى يؤخذ بثأر القتيل .

(١٠) الفلق : القطع . والقيض : قشر البيض والربض : النعام . والأداحى : أماكن تبيض فيها النعام .

(١١) تعاوره : تداوله . السوافى الرياح التى تحمل التراب والرمل .

(١٢) تبذل المال سحا : نجود كثيرا . والشزر : الطعن عن يمين وشمال

وليلةٍ يصطلى بالفرثِ جازرُها ... يختص بالنقرَى المثرين داعيها (١)
وليلةٍ من جمادى ذاتِ أنديةٍ ... جَرْبا جُماديّةٍ قد بِتّ أسريها (٢)
لا ينبح الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... من القَريسِ ولا تَسرى أفاعيها (٣)
أوقدتُ فيها لذى الضراءِ جاحمةً ... كالبرقِ ذاكيةَ الأركانِ أحميها (٤)
أورثنى ذاكم عمـرٌو ووالدُه ... من قبلِه كان بالمَثْنى يُغاليها (٥)
كانوا يُبارون أنواءَ النجوم فما ... دنَّت عن السَّوْرةِ العليا مساعيها (٦)

قال ابن إسحاق: فأجابه حسان بن ثابت، فقال:

سُقتمْ كنانةَ جهلاً من سفاهتِكم ... إلى الرسولِ فجندُ اللهِ مُخزيها
أوردتموها حياضَ الموتِ ضاحيةً ... فالنارُ موعدُها، والقتلُ لاقيها
جمعتموها أحابيشاً بلا حَسبٍ ... أئمةَ الكفرِ غرتكم طواغيها
ألا اعتبرتم بخيلِ اللهِ إذْ قتلت ... أهلَ القليبِ ومن ألقينه فيها
كم من أسيرٍ فككناه بلا ثمنٍ ... وجزِّ ناصيةٍ كنا مَواليها

قال ابن هشام: أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك:

قال ابن هشام: وبيت هبيرة بن أبى وهب الذى يقول فيه:

وليلةٍ يصطلى بالفرثِ جازرُها ... يختص بالنقرَى المثرينَ داعيها

يروى لجنوب، أخت عمرو ذى الكَلْب الهذلى، فى أبيات لها فى غير يوم أحد.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يجيب هُبَيرة بن أبى وهب أيضاً:

ألا هل أتى غسانَ عنا ودونَهم ... من الأرضِ خَرقٌ سيرُه مُتتعْنعُ (٧)
صحارٍ وأعلامٌ كأن قَتامَها ... من البعدِ نقعٌ هامدٌ مُتقطعُ (٨)

---

(١) النقرى: دعوة قوم دون قوم وضدها الجفلى قال الشاعر:

نحن فى المشتاة ندعو الجَفَلَى ... لاترى الآدب فينا ينتقر

(٢) أندية: جمع ندى وهو المجلس. وجربا: شديدة البرودة وجمادية نسبة إلى جماد وقد سمى بهذا الاسم إذ صادف مجيئه وقت تجمد المياه.

(٣) القريس: البرد مع الصقيع (٤) الجاحمة: الملتهبة.

(٥) المثنى: المرة بعد الأخرى. (٦) دنت: قصرت. السورة: المنزلة.

(٧) الخرق: الفلاة. والمتتعتع: المضطرب.

(٨) الأعلام: الجبال. والقتام: ما اسود من الأشياء. والنقع: الغبار.

تظل به البُزْلُ العراميسُ رُزَّحا ... ويخلو به غيثُ السنين فيُمرِعُ(١)
به جِيَفُ الحسرى يلوح صليبُها ... كما لاح كَتانُ التِّجارِ الموَضَّعُ(٢)
به العِينُ والآرامُ يمشين خِلفةً ... وَبيضُ نعامٍ قَيْضُه يتقلعُ(٣)
مُجالِدُنا عن ديننا كلُّ فخمةٍ ... مُدرَّبةٍ فيهـــا القوانسُ تلمعُ(٤)
وكلُّ صَموتٍ فى الصوانِ كأنها ... إذا لُبِسَت نِهْيٌ من الماءِ مُترَعُ(٥)
ولـكن ببدرٍ سائلوا من لقيتمُ ... من الناسِ والأنباءُ بالغيبِ تنفع
وإنَّا بأرضِ الخوفِ لو كان أهلُها ... سِوانا لقد أجْلَوا بليلٍ فأقشعوا(٦)
إذا جاء منـا راكبٌ كان قولُه ... أعِدوا لما يُزجِى ابنُ حربٍ ويجمع(٧)
فمهما يُهمُّ الناسَ مما يكيدنا ... فنحن له من سائرِ الناسِ أوسع
فلو غيرُنا كانت جميعا تكيدُه الـــ ... بريةُ قد أعْطَوا يداً وتوزعوا(٨)
نجـــالد لا تبقى علينا قبيلةٌ ... من الناسِ إلا أن يهابوا ويفظعوا
ولما ابتَنَوْا بالعِرضِ قال سَراتُنا ... علامَ إذا لم نمنعِ العِرضَ نَزرع ؟(٩)
وفينا رسولُ اللهِ نتبَعُ أمرَه ... إذا قال فينا القولَ لا نَتَطلَّعُ(١٠)
تدلَّى عليه الروحُ من عندِ ربِّه ... يُنزَّل من جوِّ السماءِ ويُرفع
نشاوره فيما نُريد وقَصْرُنا ... إذا ما اشتهى أنا نُطيعُ ونسمع(١١)
وقال رسولُ اللهِ لما بدَوا لنا ... ذروا عنكم هولَ المنياتِ واطمعوا
وكونوا كمن يَشرِى الحياةَ تقربا ... إلى مَلِكٍ يحيا لديه ويُرجَع
ولـكن خذوا أسيافَكم وتوكلوا ... على اللهِ إن الأمرَ للهِ أجمعُ

(١) البزل : الإبل القوية . العراميس : الشديدة . ويمرع : يخصب .

(٢) الصليب هنا : دسم الشحم واللحم . والموضع : المحلى بالنقوش .

(٣) العين : بقر الوحش . والآرام : بيض البطون سمر الظهور . وخلفة . جماعة وراء جماعة . والقيض : قشر البيض . ويتقلع : يتشقق .

(٤) الفخمة : الـكتيبة الضخمة . القوانس : رءوس بيض السلاح .

(٥) الصموت : الدرع التى أحكم صنعها . والصوان : ما يصان فيه الشىء . والنهى : الغدير .

(٦) أقشعوا : فروا . (٧) يزجى : يسوق .

(٨) توزعوا : تفرقوا . (٩) ابتنوا : ضربوا أبنيتهم . والعرض : قرى المدينة .

(١٠) لا نتطلع : لا نميل . (١١) قصرنا : غايتنا .

فسرنا إليهم جهرةً في رحالهم   ضُحَيّاً علينا البيضُ لا تتخشّع
بملمومةٍ فيها السَّنَوَّرُ والقَنا   إذا ضربوا أقدامها لا تُوَرَّع(١)
فجئنا إلى موجٍ من البحرِ وسطه   أحابيشُ منهم حاسرٌ ومقنّع
ثلاثة آلافٍ ونحن نَصِيّةٌ   ثلاثُ مئينَ إن كَثُرنا وأربعُ(٢)
نغاورهم تجري المنيةُ بيننا   نشارعهم حوضَ المنايا ونَشرَع(٣)
تهادَى قِسِيُّ النبعِ فينا وفيهمُ   وما هو إلا اليثربيُّ المقطّعُ(٤)
ومنجوفةٌ حِرْمِيَّةٌ صاعديةٌ   يُذَرُّ عليها السمُّ ساعةَ تُصنع(٥)
تصوبُ بأبدانِ الرجالِ وتارةً   تمر بأعراضِ البِصارِ تقعقع(٦)
وخيل تراها بالفضاءِ كأنها   جَرادُ صَباً في قَرّةٍ يتريّع(٧)
فلما تلاقينا ودارت بنا الرحى   وليس لأمرٍ حَمَّه اللهُ مَدفَع
ضربناهم حتى تركنا سَراتَهم   كأنهمُ بالقاعِ خُشْبٌ مُصرَّع
لَدُنْ غُدوةً حتى استفقنا عشيةً   كأن ذَكانا حَرُّ نارٍ تلفّع(٨)
وراحوا سِراعاً موجَعينَ كأنهم   جَهامٌ هراقت ماءه الريحُ مُقلِع(٩)
ورحنا وأُخرانا بِطاءٌ كأننا   أسُودٌ على لحمٍ ببيشةَ ظُلَّع(١٠)
فنِلنا ونال القومُ منا وربما   فعلنا ولكن ما لدى اللهِ أوسع
ودارت رحانا واستدارت رحاهمُ   وقد جعلوا كلٌّ من الشرِّ يشبع
ونحن أناس لا نرى القتلَ سُبّةً   على كلِّ من يحمي الذِّمارَ ويمنع
جِلادٌ على ريبِ الحوادثِ لا نرى   على هالكٍ عيناً لنا الدهرَ تدمع

---

(١) الملمومة : الكتيبة المجتمعة . والسنور : السلاح
(٢) النصية : خيار القوم . (٣) نغاورهم : نداولهم . نشارعهم : نشاربهم .
(٤) النبع شجر تتخذ منه القسي . واليثربي : الأوتار .
(٥) المنجوفة : السهام . والحرمية : نسبة إلى الحرم . والصاعدية : منسوبة إلى صاعد . وهو رجل مشهور بصنعها . (٦) البصار : حجارة . تقعقع : تصوت .
(٧) القرة : البرد . والتريع : المجيء والذهاب . (٨) ذكانا : التهابنا . تلفع : يصيب حرها من قرب منها .
(٩) الجهام : سحاب رقيق ليس فيه ماء . (١٠) بيشة مكان تنسب إليه . الأسود . وظلع : أي امتلأت بنا الأرض لكثرتنا .

بنو الحربِ لا نعيا بشيء نقوله ... ولا نحن مما جرّت الحربُ نجزع

بنو الحرب إن نظفر فلسنا بفحَّش ... ولا نحن من أظفارها نتوجع

وكنا شهابا يتقى الناسُ حرّه ... ويَفرج عنه من يليه ويَسْفع(١)

فخرتَ عليَّ ابنَ الزِّبَعْرَى وقد سرى ... لكم طلبٌ من آخر الليل مُتبع

فسل عنك فى عُليا مَعدّ وغيرها ... من الناس من أخزى مَقاما وأشنع

ومن هو لم تترك له الحربُ مفخراً ... ومَن خدُّه يومَ الكريهةِ أضرَع(٢)

شددنا بحولِ اللهِ والنصرِ شدّةً ... عليكم وأطرافُ الأسنةِ شُرّع

تكر القَنا فيكم كأن فروغَها ... عزالَى مَزادٍ ماؤها يتهرع(٣)

عمدنا إلى أهلِ اللواءِ ومن يَطِرْ ... بذكرِ اللواءِ فهْوَ فى الحمدِ أسرعُ

فخانوا وقد أعطَوْا يدا وتخاذلوا ... أبَى اللهُ إلا أمرَه وهو أصنع

قال ابن هشام : وكان كعب بن مالك قد قال :

مجالدُنا عن جِذْمنا كلُّ فَخمةٍ(٤)

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيصلح أن تقول : مجالدنا عن ديننا ؟ فقال كعب : نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فهو أحسن ؛ فقال كعب : مجالدنا عن ديننا

قال ابن إسحاق وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى فى يوم أحد :

يا غرابَ البَيْنِ أسْمعتَ فقل ... إنما تنطِقُ شيئا قد فُعِلْ

إن للخيرِ وللشرِّ مَدًى ... وكِلا ذلكَ وجهٌ وقَبَل(٥)

والعطياتُ خِساسٌ بينهم ... وسواءٌ قبرُ مُثْرٍ ومُقِل

كل عيشٍ ونعيمٍ زائلٌ ... وبناتُ الدهرِ يلعبنَ بكُلْ

أبلغنْ حسانَ عنّى آيةً ... فقريضُ الشعرِ يشفى ذا الغِلَل

كم ترى بالجرّ من جُمجمةٍ ... وأكفٍّ قد أُتِرّتْ ورِجِل(٦)

وسرابيلَ حسانٍ سُرِيَت ... عن كُماةٍ أُهلِكوا فى المنْزِل(٧)

---

(١) يسفع : يحرق .
(٢) الأضرع : الذليل .
(٣) الفروغ : جمع فرغ : الطعنة الواسعة التى يسيل دمها . والعزالى : جمع عزلاء وهى فم المزادة . ويتهرع : يسرع فى سيلانه .
(٤) جذمها : أصلها .
(٥) القبل : ما يستقبل الإنسان من الأيام .
(٦) الجر : أصل الجبل . أترت : قطعت
(٧) السرابيل : الدروع . سريت : جردت والمنزل : موضع النزال .

كم قتلنا من كريم سيد ... ماجد الجدين مقدام بطل

صادق النجدة قرم بارع ... غير ملتاث لدى وقع الأسل(١)

فسل المهراس من ساكنه ؟ ... بين أقحاف وهام كالحجل(٢)

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل(٣)

حين حكت بقباء بركها ... واستحر القتل في عبد الأشل(٤)

ثم خفوا عند ذاكم رقصا ... رقص الحفان يعلو في الجبل(٥)

فقتلنا الضعف من أشرافهم ... وعدلنا ميل بدر فاعتدل

لا ألوم النفس إلا أننا ... لو كررنا لفعلنا المفتعل

بسيوف الهند تعلو هامهم ... عللا تعلوهم بعد نهل(٦)

فأجابه حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه، قال :

ذهبت يابن الزبعرى وقعة ... كان منا الفضل فيها لو عدل

ولقد نلتم ونلنا منكم ... وكذاك الحرب أحيانا دول

نضع الأسياف في أكتافكم ... حيث نهوى عللا بعد نهل

نخرج الأصبح من أستاهكم ... كسلاح النيب يأكلن العصل(٧)

إذ تولون على أعقابكم ... هربا في الشعب أشباه الرسل(٨)

إذ شددنا شدة صادقة ... فأجاناكم إلى سفح الجبل(٩)

بخناطيل كأمذاق الملا ... من يلاقوه من الناس يهل(١٠)

---

(١) القرم : الفحل . الملتاث : الضعيف . وقع الأسل : وقع الرماح .

(٢) الأقحاف : جمع قحف ، ما انفصل من الجمجمة . الهام : الرءوس . الحجل : طائر أحمر المنقار والرجلين . (٣) الأسل : الرماح .

(٤) البرك : الصدر . عبد الأشل يريد بني عبد الأشهل . حذف الهاء لإقامة الوزن .

(٥) الرقص : ضرب من المشي السريع . الحفان : النعام الصغير .

(٦) العلل : الشرب الثاني والنهل الشرب الأول ، يريد معاودة الضرب.

(٧) النيب : النوق المسنة . والعصل : نبات تأكله الإبل فيخرج أحمر مع فضلاتها .

(٨) الرسل : الإبل المرسلة . (٩) أجأناكم ألجأناكم .

(١٠) الخناطيل : الجماعات . والأمذاق : أخلاط الناس . والملا : ما اتسع من الأرض. ويهل : يفزع ويرتاع .

ضاق عنا الشِّعْب إذ نجزَعُه ... وملأنا الفُرطَ منه والرِّجَل[1]
برجالٍ لستمُ أمثالَهم ... أيدوا جبريلَ نصراً فنزل[2]
وعلَوْنا يومَ بدرٍ بالتقى ... طاعةَ اللهِ وتصديقَ الرسل
وقتلنا كلَّ رأسٍ منهمُ ... وقتلنا كلَّ جَحْجَاح رِفَل[3]
وتركنا فى قريشٍ عورةً ... يومَ بدرٍ وأحاديثَ المثَل
ورسولُ اللهِ حقًّا شاهدٌ ... يومَ بدرٍ والتنابيلُ الهُبُل[4]
فى قريشٍ من جموعٍ جمَّعوا ... مثلَ ما يُجمع فى الخِصبِ الهَمَل[5]
نحن لا أمثالكم وُلْدَ استِها ... نحضُر البأسَ إذا البأسُ نزَل

قال ابن هشام: وأنشدنى أبو زيد الأنصارى: «وأحاديث المثل» والبيت الذى قبله. وقوله: «فى قريش من جموع جمعوا» عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك يبكى حمزة بن عبد المطلب وقتلى أحد من المسلمين:

نشجْتَ وهل لكَ من مَنْشَجِ ... وكنت متى تذكر تَلْجَجِ[6]
تذكُّرَ قومٍ أتانى لهم ... أحاديثُ فى الزمنِ الأعوجِ
فقلبُك من ذكرِهم خافقٌ ... من الشوق والحُزْن المنضَجِ
وقتلاهمُ فى جنانِ النعيمِ ... كرامُ المَداخــلِ والمخــرَجِ
بما صبروا تحت ظلِّ اللواءِ ... لواءِ الرسولِ بذى الأضْوُجِ[7]
غداة أجابت بأسيافِها ... جميعاً بنو الأوسِ والخــزرَجِ
وأشياعُ أحمدَ إذ شايعوا ... على الحقِّ ذى النورِ والمنهَجِ[8]

---

(١) نجزع: نقطع عرضاً. الفرط: الأرض العالية. والرجل: ما اطمأن من الأرض.
(٢) أيدوا جبريل: أى أيدوا بجبريل حذف حرف الجار وعدى الفعل.
(٣) الجحجاح: السيد العظيم. والرفل: من يجر ثوبه خيلاء.
(٤) التنابيل: القصار. الهبل: ضخام الأجسام.
(٥) الهمل: الإبل المهملة المتروكة بلا راع.
(٦) تلجج: تتمادى.
(٧) الأضوج: اسم مكان. (٨) المنهج: الواضح.

فما بَرِحوا يضربون الكماةَ ويمضون فى القَسْطَلِ المُرْهِجِ(١)
كذلك حتى دعاهم مليكٌ إلى جنةٍ دَوحةِ المَوْلجِ(٢)
فكلهمُ مات حُرَّ البلاءِ على ملةِ اللهِ لم يَحرَجِ
كحمزةَ لما وَفَى صادقاً بذى هَبَّةٍ صارمٍ سَلْجَجِ(٣)
فلاقاه عبدُ بنى نوفل يُبربِرُ كالجَمَلِ الأدعَجِ(٤)
فأوجَرَه حربةً كالشهاب تلَهَّبُ فى اللهبِ الموهجِ(٥)
ونعمانُ أوفَى بميثاقِه وحنظلةُ الخيرِ لم يُحنَجِ(٦)
عن الحقِّ حتى غدت رُوحُه إلى منزلٍ فاخرِ الزِّبْرِجِ(٧)
أولئك لا من ثوى منكمُ من النارِ فى الدَّرَكِ المُرْتَجِ

فأجابه ضرار بن الخطاب الفهرى، فقال:

أيجزعُ كعبٌ لأشياعِه ويبكى من الزمنِ الأعوجِ
عجيجَ المذكّى رأى إلفَه تروَّحَ فى صادرٍ مُحْنَجِ(٨)
فراحَ الرَّوايا وغادَرْنه يعجعجُ قسراً ولم يُحدَجِ(٩)
فقولاَ لكعبٍ يثنّى البُكا وللنِّىءِ من لحمِه يَنْضَجِ
لمصرعِ إخوانِه فى مَكَرٍّ من الخيلِ ذى قَسْطَلٍ مُرْهِجِ(١٠)
فياليت عَمراً وأشياعَه وعُتبةَ فى جمعِنا السَّوْرَجِ(١١)

---

(١) القسطل: الغبار. المرهج: العالى فى الجو.

(٢) الدوحة: الشجرة العظيمة المتسعة: المولج: المدخل.

(٣) بذى هبة: أى بسيف ذى هبة. والهبة: الوقوع فى العظم. سلجج: مرهف.

(٤) عبد بنى نوفل: هو وحشى. يبربر: يصيح والأدعج: الأسود.

(٥) أوجره: طعنه فى صدره. (٦) لم يحنج: لم يمل عن وجهه.

(٧) الزبرج: الزينة من الوشى أو الجوهر.

(٨) العجيج: الصياح. ويريد بالمذكى هنا: المسن من الإبل: الصادر: الراجع عن الماء: محنج: مصروف عن وجهه.

(٩) لم يحدج: لم يجعل عليه الحدج وهو مركب النساء.

(١٠) القسطل: الغبار. المرهج: المرتفع (١١) السورج: المتقد.

فيَشْفوا النفوسَ بأوتارِها ... بقتلى أصيبت من الخزرجِ
وقتلى من الأوسِ فى مَعرَكٍ ... أصيبوا جميعاً بذى الأضْوُجِ
ومقتلِ حمزةَ تحت اللواءِ ... بمطَّرِدٍ، مارنٍ، مُخلَجِ(١)
وحيث انثنى مُصعبٌ ثاويا ... بضربةِ ذى هَبَّةٍ سَلْجَجِ
بأحْدٍ وأسيافُنا فيهمُ ... تَلَهَّبُ كاللهبِ المُوهِجِ
غداةَ لقيناكم فى الحديدِ ... كأُسْدِ البَرَاحِ فلم تُعنَجِ(٢)
بكلِّ مُجَلَّحةٍ كالعُقابِ ... وأجردَ ذى مَيْعةٍ مُسْرَجِ(٣)
فدسناهمُ ثَمّ حتى انثنَوْا ... سوى زاهقِ النفسِ أو مُحرَجِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار. وقول كعب: «ذى النور والمنهج» عن أبى زيد الأنصارى.

قال ابن إسحاق: وقال عبد الله بن الزِّبَعْرى فى يوم أحد، يبكى القتلى:

ألا ذرفَتْ من مُقلتَيكَ دموعُ ... وقد بانَ من حبلِ الشبابِ قُطُوعُ
وشطَّ بمن تهوَى المَزارُ وفرّقت ... نوَى الحَىِّ دارٌ بالحبيبِ فَجُوعُ
وليس لما ولّى على ذى حرارةٍ ... وإن طال تَذرافُ الدموعِ رُجوعُ
فذرْ ذا ولكن هل أتى أمَّ مالكٍ ... أحاديثُ قومى والحديثُ يَشيعُ
ومُجنَبُنا جُرْداً إلى أهلِ يثربٍ ... عناجيجَ منها مُتْلَدٌ ونزيعُ(٤)
عشيةَ سرنا فى لُهامٍ يقودُنا ... ضَرورُ الأعادى للصديقِ نَفوعُ
نشدُّ علينا كلَّ زَغْفٍ كأنها ... غديرٌ بضوْجِ الواديين نقيعُ(٥)
فلما رأَوْنا خالطتهم مهابةٌ ... وعاينهم أمرٌ هناك فظيعُ
وودُّوا لو أنّ الأرضَ ينشقُّ ظهرُها ... بهم وصبورُ القومِ ثَمَّ جَزوعُ
وقد عُرّيت بيضٌ كأن وميضَها ... حريقٌ ترقّى فى الأباءِ سريعُ(٦)

---

(١) المطرد: الذى يهتز، والمراد به هنا الرمح. المارن: اللين.

(٢) تعنج: تكف (٣) المجلحة: المتقدمة ويريد بها فرسا. والأجرد الفرس العتيق. والميعة: النشاط.

(٤) مجنبنا: سوقنا للخيل. العناجيج: الحسان. المتلد: ما ولد عندك. والنزيع: الغريب.

(٥) الزغف: الدروع اللينة. والضوج: جانب الوادى. والنقيع: المملوء بالماء.

(٦) الأباء: الأجمة المشتبكة الأغصان.

بأيماننا نعلو بها كلَّ هامةٍ ... ومنها سهامٌ للعدوِّ ذريعُ(١)

فغادرنَ قتلَى الأوسِ غاصبةً بهم ... ضباعٌ وطيرٌ يعتفين وقوعُ

وجمعُ بني النجارِ في كلِّ تلعةٍ ... بأبدانِهم من وقعِهن نجيعُ(٢)

ولولا علوُّ الشِّعبِ غادرنَ أحمداً ... ولكن علا والسمهريُّ شروعُ(٣)

كما غادرتْ في الكرِّ حمزةَ ثاويا ... وفي صدرِه ماضي الشَّباةِ وقيعُ(٤)

ونعمانَ قد غادرنَ تحتَ لوائِه ... على لحمِه طيرٌ يجفن وُقوعُ(٥)

بأحْدٍ وأرماحُ الكُماةِ يُردنهم ... كما غالَ أشطانَ الدلاءِ نُزوعُ(٦)

فأجابه حسان بن ثابت، فقال:

أشاقَك من أمِّ الوليدِ رُبوعُ ... بَلاقِعُ ما من أهلهن جَميعُ

عفاهُن صَيفيُّ الرياحِ وواكفٌ ... من الدَّلوِ رجافُ السحابِ هَموعُ(٧)

فلم يبقَ إلا موقِدُ النارِ حولَه ... رواكدُ أمثالُ الحمامِ كُنوعُ(٨)

فدعْ ذِكرَ دارٍ بدَّدتْ بينَ أهلِها ... نوًى لِمتيناتِ الحبالِ قَطوعُ

وقُل إن يكن يومٌ بأحْدٍ يَعُدُّه ... سفيهٌ فإن الحقَّ سوفَ يشيعُ

فقد صابرتْ فيه بنو الأوسِ كلُّهم ... وكان لهم ذِكرٌ هناكَ رفيعُ

وحامَى بنو النجارِ فيه وصابروا ... وما كان منهم في اللقاءِ جَزوعُ

أمامَ رسولِ اللهِ لا يخذلونه ... لهم ناصرٌ من ربِّهم وشفيعُ

وفَوْا إذ كفرتم يا سَخينَ بربِّكم ... ولا يستوي عبدٌ وَفَى ومُضيعُ(٩)

بأيديهم بيضٌ إذا حَمِش الوغَى ... فلا بدَّ أن يَردَى لهن صَريعُ

كما غادرتْ في النقعِ عُتبةَ ثاويا ... وسَعداً صريعاً والوشيجُ شُروعُ(١٠)

---

(١) ذريع: من يقتل سريعا. (٢) نجيع: دم.

(٣) الشعب: الطريق في الجبل. السمهرى: الرماح. شروع مهيئة للطعن.

(٤) الشباة: الحد. وقيع: محدد. (٥) يجفن: يطلبن ما في جوفه.

(٦) غال: أهلك. الأشطان: الحبال. والنزوع: جذب الدلو من البئر.

(٧) الواكف: المطر المنهمر. والدلو: برج في السماء معروف. رجاف: مصوت. وهموع: سائل. (٨) كنوع: لاصقة بالأرض.

(٩) ياسخين: أراد ياسخينة وهو لقب لقريش لأكلها إياها وهي طعام يصنع من الدقيق.

(١٠) الوشيج: الرماح.

وقد غادرَتْ تحت العَجاجةِ مُسنَداً أُتِياً وقد بل القميصَ نجيعُ(١)
بكفةِّ رسولِ اللهِ حيثُ تنصَّبت على القومِ مما قد يُثرنَ نُقوع
أولئك قومٌ سادةٌ من فروعِكم وفى كلِّ قومٍ سادةٌ وفروعُ
بهن نُعِزُّ اللهَ حتى يُعِزَّنا وإن كان أمرٌ ياسَخينَ فظيع
فلا تذكروا قتلى وحمزةُ فيهمُ قتيلٌ ثوَى للهِ وهْوَ مطيع
فإن جِنانَ الخُلدِ منزلةٌ له وأمرُ الذى يقضى الأمورَ سريع
وقتلاكمُ فى النارِ أفضلُ رزقِهم حميمٌ معاً فى جوفِها وضَريعُ(٢)

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان وابن الزبعرى ، وقوله : « ماضى الشباة ، وطير يحفن » عن غير ابن إسحاق .

وقال ابن إسحاق وقال عمرو بن العاصى فى يوم أحد :

خرجنا من الفَيْفا عليهم كأننا مع الصبحِ من رضْوَى الحبيكُ المُنطَّقُ(٣)
تمنت بنو النجارِ جهلا لقاءَنا لدى جَنْبِ سَلْعٍ والأمانىُّ تَصْدُق(٤)
فما راعهم بالشرِّ إلا فُجاءةً كراديسُ خيلٍ فى الأزقةِ تَمرُق
أرادوا لِكَيْما يستبيحوا قِبابَنا ودونَ القبابِ اليومَ ضربٌ مُحَرِّق
وكانت قِباباً أُومِنَت قبلَ ماترى إذ رامها قومٌ أُبيحوا وأُحنقوا
كأن رءوسَ الخزرجيينَ غُدوةً وأيمانَهم بالمشرفيةِ بَرْوَقُ(٥)

فأجابه كعب بن مالك ، فيما ذكر ابن هشام ، فقال :

ألا أبلغا فِهراً على نأْيِ دارِها وعندهم من علمِنا اليومَ مَصدَقُ
بأنا غَداةَ السفحِ من بطنِ يثربٍ صَبَرنا وراياتُ المنيةِ تخفِق
صَبَرنا لهم والصبرُ منا سَجِيَّةٌ إذا طارت الأبرامُ نسمو ونَرْتُق(٦)
على عادةٍ تِلكُمْ جَرَينا بصبرِنا وقِدما لدى الغاياتِ نجرى فنسبِقُ
لنا حَومةٌ لا تُستطاعُ يقودها نبىٌّ أتى بالحقِّ عفٌّ مُصَدَّقُ

---

(١) العجاجة : الغبرة . النجيع : الدم . (٢) الضريع : ما يطرحه البحر من النبات .
(٣) رضوى : اسم جبل . الحبيك : ما فيه طرائق . المنطق : المحزم .
(٤) سلع : اسم جبل خارج المدينة . (٥) بروق : نوع من النبات له رؤوس تشبه البصل
(٦) الأبرام : اللئام . نرتق : نسد ونصلح .

أَلَا هل أَتَى أفناءَ فِهرِ بنِ مالكٍ ... مُقَطَّعُ أطرافٍ وهَامٌ مُفلَّقُ (١)

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطاب :

إنى وجَدِّكَ لولا مُقْدَمِى فرسى ... إذْ جالتِ الخيلُ بينَ الجزعِ والقاعِ (٢)
مازال منكم بجنبِ الجِزْعِ من أُحُدٍ ... أصواتُ هامٍ تَزَاقَى أمرُها شاعِىَ (٣)
وفارسٌ قد أصابَ السيفُ مَفرِقَه ... أفلاقُ هامتِه كفَروةِ الراعى
إنى وجَدِّكَ لا أنفكُّ مُنتَطِقًا ... بصارمٍ مثلِ لونِ المِلحِ قطّاعِ (٤)
على رِحالةِ مِلْوَاحٍ مُثابِرةٍ ... نحو الصريخِ إذا ما ثَوَّبَ الداعى (٥)
وما انتميتُ إلى خُورٍ ولا كُشُفٍ ... ولا لئامٍ غَداةَ البأسِ أوْرَاعِ (٦)
بل ضاربين حَبِيكَ البيضِ إذ لحقوا ... شُمِّ العرانينَ عندَ الموتِ لُذّاعِ (٧)
شُمٍّ بهاليلَ مُسترخٍ حمائلُهم ... يسعَوْن للموتِ سعيا غيرَ دَعْدَاعِ (٨)

وقال ضرار بن الخطاب أيضا :

لما أتت من بنى كعبٍ مُزَيَّنةٌ ... والخزرجيةُ فيها البيضُ تأتلقُ
وجرَّدوا مشرَفياتٍ مهنَّدةً ... ورايةً كجَناحِ النَّسرِ تختفقُ
فقلتُ يومٌ بأيامٍ ومعركةٌ ... تُنْسِى لما خلفَها ماهُزْهِزَ الوَرَقُ (٩)
قد عُوِّدوا كلَّ يومٍ أن تكونَ لهم ... ريحُ القتالِ وأسلابُ الذين لَقوا
خيرتُ نفسى على ماكانَ من وجلٍ ... منها وأيقنتُ أن المجدَ مُستَبَقُ

---

(١) الأفناء : المختلط . والهام : الرءوس .

(٢) الجزع : ما انعطف من الوادى . القاع : ما انخفض من الارض .

(٣) الهام : جمع هامة وهى مايزعم العرب أن طائرا يخرج من رأس القتيل يصيح اسقونى اسقونى حتى يؤخذ بثأره . تزاقى : تصيح : شاعى : أراد شائع .

(٤) المنتطق : المحتزم .

(٥) الرحالة : السرج . الملواح : الفرس القوية : ثوب : كرر الدعاء .

(٦) كشف : من لا أدراع لهم فى الحرب . الاوراع : الجبناء .

(٧) الحبيك : الطرائق . (٨) البهاليل : السادة . الدعداع : الضعيف .

(٩) هزهز : حرك .

أكرهتُ مهرى حتى خاض غمرتهم وبله من نجيع عانك علق (١)
فظل مهرى وسربالى جسيدهما نفخ العروق رشاش الطعن والورق (٢)
أيقنت أنى مقيم فى ديارهم حتى يفارق ما فى جوفه الحدق
لاتجزعوا يا بنى مخزوم إن لكم مثل المغيرة فيكم ما به زهق (٣)
صبراً فدى لكم أمى وما ولدت تعاوروا الضرب حتى يدبر الشفق

وقال عمرو بن العاصى :

لما رأيت الحرب ينـ ـزو شرها بالرضف نزوا (٤)
وتنازلت شهباء تلـ ـحو الناس بالضراء لحوا (٥)
أيقنت أن الموت حق والحياة تكون لغوا
حملت أثوابى على عتد يبذ الخيل رهوا (٦)
سلس إذا نكبن فى البيـ ـداء يعلو الطرف علوا
وإذا تنزل ماؤه من عطفه يزداد زهوا (٧)
ربذ كيعفور الصريـ ـمة راعه الرامون دحوا (٨)
شنج نساه ضابط الـ ـخيل إرخاء وعدوا (٩)
ففدى لهم أمى غدا ة الروع إذ يمشون قطوا (١٠)
سيراً إلى كبش الكتيـ ـبة إذ جلته الشمس جلوا

---

(١) غمرتهم : جماعتهم . النجيع . الدم . عانك : أحمر . علق : اسم من أسماء الدم .

(٢) جسيدهما : صبغهما : نفخ العروق . ما ترى به من الدم . الورق : ما انقطع من الدم

(٣) الزهق : العيب . (٤) الرضف : الحجارة المحماة .

(٥) شهباء : يقصد الكتيبة الكثيرة السلاح . تلحو : تضعف .

(٦) العتد : الفرس الشديد والرهو : الساكن .

(٧) ماؤه : عرقه .

(٨) الربذ : السريع . اليعفور: ولد الظبية : والصريمة الرمال المنقطعة . الدحو : الانبساط

(٩) شنج : منقبض . والنسا : عرق يمتد من الورك إلى الكعب ولا يقال عرق النسا لأن الشىء لايضاف إلى نفسه . ضابط ممسك . (١٠) القطو : ضرب من المشى فيه خيلاء .

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لعمرو .

قال ابن إسحاق : فأجابهما كعب بن مالك ، فقال :

أبلغ قريشا وخيرُ القولِ أصدقُه ... والصدقُ عند ذوى الألباب مقبولُ
أن قد قتلنا بقتلانا سَرَاتَكُمُ ... أهل اللواءِ ففيما يكثرُ القيل
ويومَ بدرٍ لقيناكم لنا مددٌ ... فيه مع النصرِ ميكالٌ وجبريل
إن تقتلونا فدينُ الحقِّ فِطرتُنا ... والقتلُ فى الحقِّ عند اللهِ تفضيل
وإن تَرَوْا أمرَنا فى رأيكم سَفها ... فرأىُ من خالفَ الإسلامَ تضليل
فلا تَمَنَّوْا لقاحَ الحربِ واقتعِدوا ... إن أخا الحربِ أصدى اللونِ مشغول
إن لكم عندنا ضربا تُراحُ له ... عُرْجُ الضباعِ له خَذْمٌ رعابيل (١)
إنا بنو الحربِ نَمريها ونَنْتُجها ... وعندنا لذوى الأضغانِ تنكيل (٢)
إن ينجُ منها ابنُ حربٍ بعدما بلغت ... منه التراقى وأمرُ اللهِ مفعول (٣)
فقد أفادت له حلما وموعظةً ... لمن يكون له لبٌّ ومعقول
ولو هبطتم ببطنِ السيلِ كافحكم ... ضربٌ بشاكلةِ البَطحاءِ ترعيل (٤)
تلقاكُم عُصَبٌ حولَ النبىِّ لهم ... مما يُعِدُّون للهيجا سرابيل
من جِذمِ غسانَ مسترخٍ حمائلُهم ... لاجُبَناءَ ولا مِيلٌ معازيل (٥)
يمشون تحتَ عَمايات القتالِ كما ... تمشى المَصاعبةُ الأُدمُ المراسيل (٦)
أو مثل مشى أسودِ الطلِّ ألثقها ... يومُ رَذاذٍ من الجوزاءِ مشمول
فى كلِّ سابغةٍ كالنِّهْيِ مُحكمةٍ ... قيامُها فَلَجٌ كالسيفِ بُهلول (٧)
تَرُدُّ حدَّ قِرامِ النَّبْلِ خاسئةً ... ويرجع السيفُ عنها وهو مَفلول
ولو قذفتم بسَلْعٍ عن ظهورِكمُ ... وللحياةِ ودفعِ الموتِ تأجيل (٨)

---

(١) تراح : تهتز . خزم : قطع اللحم . الرعابيل : المتقطعة .
(٢) نمريها : نستدرها (٣) التراق : عظام الصدر .
(٤) شاكلة : طرف . الترعيل : الضرب السريع .
(٥) الجذم : الأصل . الميل : الذين لاتروس لهم . والمعازيل . الذين لارماح لهم.
(٦) العمايات : الظلمات . المصاعبة : فحول الإبل .
(٧) سابغة : درع كاملة : النهى : غدير الماء . البهلول : الأبيض .
(٨) سلع : اسم جبل .

مازال فى القوم وِترٌ منكمُ أبداً تعفو السلامُ عليه وهو مطلولُ [1]
عبدٌ وحرٌ كريمٌ مُوثَقٌ قنصاً شطرَ المدينةِ مأسورٌ ومقتول [2]
كنا نؤمّلُ أخراكم فأعجلكم منا فوارسُ لاعُزْلٌ ولا مِيل
إذا جنى فيهمُ الجانى فقد علموا حقاً بأن الذى قد جرّ محمول
ما نحن لانحن من إثم مجاهرةً ولا مَلومٌ ولا فى الغُرمِ مَخذولُ

وقال حسان بن ثابت ، يذكر عدة أصحاب اللواء يوم أحد :

— قال ابن هشام : هذه أحسن ما قيل —

منعَ النومَ بالعِشاءِ الهمومُ وخيالٌ إذا تَغُورُ النجومُ
من حبيبٍ أصاب قلبَك منه سَقَمٌ فهوَ داخلٌ مكتوم [3]
يا لَقومى هل يقتلُ المرءَ مثلى واهنُ البطشِ والعظامِ سَؤوم
لو يَدِبُّ الحوْلىُّ من وَلَدِ الذرِّ عليها لأندَبَتْها الكُلوم [4]
شأنُها العطرُ والفراشُ ويعلو ها لُجَينٌ ولؤلؤٌ منظوم
لم تفتها شمسُ النهارِ بشىءٍ غيرَ أن الشبابَ ليس يدوم
إن خالى خطيبُ جابيةِ الجَوْ لانِ عندَ النعمانِ حين يقوم [5]
وأنا الصقرُ عندَ بابِ ابنِ سلمَى يومَ نُعمانُ فى الكُبولِ سقيم
وأُبَىٌّ وواقدٌ أُطلِقا لى يومَ رَاحا وكَبْلُهم محطوم [6]
ورهنتُ اليدين عنهم جميعا كلُّ كفٍّ جزءٌ لها مقسومُ
وسَطَتْ نسبتى الذوائبَ منهم كلُّ دارٍ فيها أبٌ لى عظيمُ [7]
وأبى فى سُمَيحةَ القائلُ الفا صلُ يومَ التقت عليه الخصوم [8]
تلك أفعالُنا وفعلُ الزِّبَعْرى خاملٌ فى صديقِه مذموم

(١) السلام : الحجارة . مطلول : غير مأخوذ بثأره .
(٢) القنص : الصيد (٣) أضاف : زار .
(٤) الحول : الصغير . أندبتها : أثرت فيها . الكلوم : الجروح .
(٥) الجابية : الحوض . والجولان موضع بسوريا
(٦) محطوم : مكسور .
(٧) السطة : الوسط ويكون الوسط غاية المدح إذا ذكر فى الأنساب . الذوائب : الأعالى.
(٨) أبى : ثابت بن المنذر وسميحة بئر فى المدينة احتكم إليه فيها الأوس والخزرج .

رُبَّ حلمٍ أضاعه عدمُ المـا ... لِ وجهلٍ غطى عليه النعيمُ
لا تسبَّنَّنى فلستَ بسِبِّى ... إن سِبِّى من الرجالِ الكريمُ
ما أبالى أنبَّ بالحزنِ تيسٌ ... أم لحانى بظهرِ غيبٍ لئيمُ
ولىَ البأسُ منكمُ إذ رحلتم ... أسرةٌ من بنى قُصَىٍّ صميم
تسعةٌ تحمل اللواءَ وطارت ... فى رعاعٍ من القنـا مخزوم
وأقاموا حتى أبيحوا جميعاً ... فى مقامٍ وكلُّهم مذموم
بدمٍ عانكٍ وكان حِفاظاً ... أن يقيموا إن الكريمَ كريمُ (١)
وأقاموا حتى أُزيروا شَعوباً ... والقنا فى نحورِهم محطوم (٢)
وقريشٌ تفرُّ منا لِواذاً ... أن يُقيموا وخَفَّ منها الحلوم (٣)
لم تطقْ حملَه العواتقُ منهم ... إنما يحمل اللواءَ النجومُ (٤)

قال ابن هشام : قال حسان هذه القصيدة :

منع النوم بالعشاء الهموم

ليلا ، فدعا قومه ، فقال لهم : خشيت أن يدركنى أجلى قبل أن أصبح ، فلا ترووها عنى.

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة للحجاج بن عِلاَّط السُّلَمى يمدح أبا الحسن أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ويذكر قتله طلحة بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار، صاحب لواء المشركين يوم أحد :

لله أىُّ مذبِّبٍ عن حُرمَةٍ ... أعنى ابنَ فاطمةَ المُعِمَّ المُخْوَلَا (٥)
سبقت يداك له بعاجلِ طعنةٍ ... تركت طُليحةَ للجبين مُجَدَّلا
وشدَدْتَ شَدةَ باسلٍ فكشفتهم ... بالجرِّ إذ يهوون أخوَلَ أخوَلَا (٦)

---

(١) عانك : أحمر . (٢) الشعوب : اسم من أسماء الموت .

(٣) لواذا : مستترين .

(٤) العواتق : جمع عاتق ، ما بين المنكب والعنق ، والنجوم : مشاهير الناس .

(٥) المذبب : الحامى . الحرمة : ما يجب على الإنسان أن يدافع عنه . ابن فاطمة : هو الإمام على كرم الله وجهه وفاطمة بنت أسد بن هاشم وهى أمه رضى الله عنه . والمعم المخول : كريم الأعمام والأخوال .

(٦) الجر : أصل الجبل . أخول أخولا : واحداً بعد واحد .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكي حمزة بن عبد المطلب ومن أصيب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد :

يا مَيُّ .. قومي فاندُبن بسُحيرةٍ شجوَ النوائح
كالحاملاتِ الوِقْرَ بالـ ثِّقلِ المُلِحَّاتِ الدوالح (١)
المعولاتِ الخامشا تِ وجوهَ حُرَّاتٍ صحائح (٢)
وكأن سيلَ دموعِها الـ أنصابُ تُخضَبُ بالذبائح
ينقُضنَ أشعاراً لهـ ـن هناك بادية المسائح (٣)
وكأنّها أذنابُ خيـ ـلٍ بالضحى شُمسٍ روامح (٤)
من بينِ مشزُورٍ ومجـ ـزورٍ يُذَعذَعُ بالبوارح (٥)
يبكين شجْواً مُسلَّبا تٍ كدحتهن الكوادح
ولقد أصاب قلوبَها مَجْلٌ له جُلَبٌ قوارح (٦)
إذ أقصدَ الحِدثانُ من كنا نُرجّي إذ نُشايح (٧)
أصحاب أُحُـــدٍ غالَهم دهرٌ ألَمَّ له جوارح
من كان فارسَنا وحا مينا إذا بُعث المَسالح (٨)
يا حمزَ ، لا واللهِ لا أنساك ما صُرَّ اللقائح (٩)
لمُناخِ أيتامٍ وأضيا فٍ وأرملةٍ تُلامح (١٠)

---

(١) الملحات : الثابتات . الدوالح : التي تحمل ثقلا .

(٢) الخامشات : الخادشات .

(٣) المسائح : ذوائب الشعر .

(٤) الشمس : النافرة (٥) يذعذع : يفرق . البوارح : الرياح الشديدة .

(٦) المجل : الجرح . جلب : قشور الجروح . القوارح : المؤلمة .

(٧) أقصد : أصاب . نشايح : نحذر .

(٨) المسالح : من يحملون السلاح .

(٩) صر : ربط . اللقائح : النوق التي لها لبن .

(١٠) المناخ : مكان النزول . تلامح : تنظر سريعا .

ولمّا ينوبُ الدهرُ فى	حَزْبٍ لحربٍ وهى لاقِحْ[١]
يا فارساً يا مِدْرَهاً	ياحرّ قد كنتَ المُصامِحْ[٢]
عنا شديداتِ الخطو	بِ إذا يَنوبُ لهن فادح
ذكرّتنى أســدَ الرسو	لِ ، وذاك مِدْرَهُنا المنافح
عنــا وكان يُعَد إذ	عُد الشريفون الجحاجح[٣]
يعــلو القماقِمَ جهرةً	سَبْطَ اليدين أغرَّ واضح[٤]
لاطائشٌ رَعِشٌ ولا	ذو علةٍ بالحمل آنِح[٥]
بحرٌ فليس يُغِبُّ جا	راً منه سَيْبٌ أو مَنادح[٦]
أودَى شبابُ أولى الحفا	ظِ والثّقيلون المراجح[٧]
المُطعِمون إذا المشا	تى مايصفِّقهن ناضح[٨]
لحمَ الجِلادِ وفوقَه	من شَحمِه شُطَبٌ شرائح[٩]
ليدافعوا عن جارِهم	مارامَ ذو الضِّغنِ المُكاشِح
لهفى لشبانٍ رُزئتهم	كأنهمُ المصابح
شُمٌّ ، بطارقةٍ ، غَطا	رِفةٍ ، خضارِمةٍ ، مَسامِح[١٠]
المشترون الحمدَ بالـ	أموالِ إن الحمدَ رابح

---

(١) لاقح : زائد شرها .

(٢) المدرة : المدافع . المصامح : شديد الدفع .

(٣) الجحاجح : السادة . (٤) القماقم : السادة .

(٥) آنح : ثقيل فى مشيه .

(٦) السيب : العطاء . المنادح : جمع مندحة ، وهى السعة .

(٧) المراجح : ذوو الحلم .

(٨) يصفقهن : يحلبهن . الناضح : من شرب دون أن يرتوى .

(٩) الشطب : طرائق السيف .

(١٠) الشم : الأعزاء والبطارقة فى الأصل الرؤساء الدينيون عند المسيحيين ، ويقصد بها هنا الرؤساء مطلقا . والغطارفة : السادة . والخضارمة : من يكثرون العطاء .

والجامزون بلُجْمِهم يوما إذا ما صاح صائح[1]
من كان يرمى بالنوا قِرِ من زمانٍ غيرِ صالح
ما إن تَزال ركابُه يرْسمن فى غُبْرٍ صحاصح[2]
راحت تَبارَى وهْو فى ركبٍ صدورُهمُ رواشح[3]
حتى تئوبَ له المعا لِى ليس من فَوز السفائح[4]
يا حمزَ قد أوحدتنى كالعودِ شذَّبه الكوافح[5]
أشكو إليك وفوقَك التر بُ المكوَّرُ والصفائح
من جَنْدلٍ يلقيه فو قَك إذ أجاد الضَّرحَ ضارح[6]
فى واسع يحْشُونه بالتُّربِ سوَّته المَاسح
فعزاؤُنا أنا نقو لُ وقولنا بَرْحٌ بوارح[7]
من كان أمسى وهْو عمـا أوقع الحِدثانُ جانح
فليأتِنا فلتبكِ عيـ ـناه لِهَلْكانا النوافح[8]
القائلين الفاعلـين ذوى السماحةِ والممادح
من لايزال نَدَى يديـ ـه له طِوالَ الدهرِ مائح[9]

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان ، وبيته : « المطعمون إذا المشاتى » وبيته : « الجامزون بلجمهم » وبيته : « من كان يرمى بالنواقر » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى حمزة بن عبد المطلب :

---

(١) الجامزون : الواثبون .
(٢) يرسمن : من الرسم ، وهو نوع من السير . الصحاصح : الأرض المستوية .
(٣) رواشح : ترشح العرق . (٤) السفائح : الجوالق .
(٥) الكوافح : القاطعون للعود .
(٦) الضرح : القبر . (٧) البرح : الشاق .
(٨) النوافح : من يعطون المعروف .
(٩) المائح : من ينزل إلى البئر ليستسق بالدلو .

أتعرف الدارَ عفا رسمها بعدك صَوْبُ المسبل الهاطل(١)
بين السراديح فأُدمانةٍ فمدفع الروحاءِ فى حائل(٢)
سألتُها عن ذاكَ فاستعجمتْ لم تدرِ ما مرجوعةُ السائل(٣)
دع عنك داراً قد عفا رسمُها وابكِ على حمزةَ ذى النائل
المالىء الشيزى إذا أعصفت غبراءُ فى ذى الشَّبم الماحلِ(٤)
والتاركِ القرنَ لدى لِبدةٍ يعثرُ فى ذى الخُرص الذابلِ(٥)
واللابس الخيلَ إذ أجحمت كالليثِ فى غابته الباسل(٦)
أبيضُ فى الذروةِ من هاشمٍ لم يَمرِ دونَ الحقِّ بالباطلِ(٧)
مال شهيداً بين أسيافكم شُلت يدا وحشىَّ من قاتل
أىَّ امرىءٍ غادر فى ألّةٍ مَطْرورةٍ مارنةِ العامل(٨)
أظلمتِ الأرضُ لِفقدانه واسودَّ نورُ القمرِ الناصل(٩)
صلى عليه اللهُ فى جنةٍ عاليةٍ مُكرَّمةِ الداخلِ
كنا نرى حمزةَ حِرزاً لنا فى كلِّ أمرٍ نابنا نازلِ
وكان فى الإسلامِ ذا تُدْرإٍ يكفيك فقدَ القاعدِ الخاذلِ(١٠)

---

(١) الصوب : المطر . والمسبل : السائل .

(٢) السراديح : الوديان . وأدمانة : مكان . والمدفع : حيث اندفاع الماء . والروحاء بلد . وحائل : وادى

(٣) المرجوعة : الرد .

(٤) الشيزى : جفان من خشب الأبنوس . الغبراء : الريح . والشبم فى الأصل الماء البارد ويقصد بها هنا أيام الزمهرير . (٥) ذو الخرص : ذو السنان وهو الرمح : الذابل : الرقيق

(٦) أجحمت : أحجمت . (٧) لم يمر : لم يجادل .

(٨) الإلة : الحربة . مطرورة : محددة . مارنة : لينة . العامل : أعلى الرمح .

(٩) الناصل : الخارج من بين السحاب .

(١٠) ذا تدرأ : أى صاحب مدافعة ومناطحة .

لا تفرحي يا هندُ واستحلبي دمعاً وأذري عبرةَ الثاكلِ
وابكي على عُتبةَ إذ قطَّه بالسيفِ تحت الرَّهجِ الجائلِ(١)
إذ خرَّ في مشيخةٍ منكمُ من كل عاتٍ قلبُه جاهلِ
أرداهمُ حمزةُ في أسرةٍ يمشون تحت الحلَقِ الفاضلِ
غداةَ جبريلُ وزيرٌ له نِعمَ وزيرُ الفارسِ الحاملِ

وقال كعب بن مالك يبكي حمزة بن عبد المطلب

طرقتْ همومُك فالرقادُ مسهَّدُ وجزعتَ أن سُلِخَ الشبابُ الأغيدُ
ودعتْ فؤادَك للهوى ضمْريَّةٌ فهواك غَوْرِيٌّ وصحوك مُنْجِدُ(٢)
فدعِ التماديَ في الغَوايةِ سادراً قد كنتَ في طلبِ الغوايةِ تُفنَدُ
ولقد أنى لك أن تَناهَى طائعاً أو تستفيقَ إذا نهاك المرشِدُ
ولقد هُدِدتَ لفقدِ حمزةَ هَدَّةً ظلت بناتُ الجوفِ منها تُرعَدُ(٣)
ولو انه فُجِعت حِراءُ بمثله لرأيتَ راسيَ صخرِها يتبدَّدُ
قَرْمٌ تمكن في ذؤابةِ هاشمٍ حيثُ النبوةُ والندى والسؤددُ
والعاقرُ الكُومَ الجلادِ إذا غدت ريحٌ يكاد الماءُ منها يجمُدُ(٤)
والتاركُ القِرنَ الكميَّ مجدَّلاً يومَ الكريهةِ والقنا يتقصَّدُ
وتراه يَرفُلُ في الحديدِ كأنه ذو لِبدةٍ شَثْنُ البراثنِ أربدُ(٥)
عمُّ النبيِّ محمدٍ وصفيُّه وَرَدَ الحِمامَ فطاب ذاكَ الموردُ
وأتى المنيةَ مُعلِماً في أسرةٍ نصروا النبيَّ ومنهمُ المستشهَدُ

---

(١) قط : قطع . الرهج : الغبار . الجائل : المتحرك .
(٢) ضمرية : منسوبة إلى قبيلة ضمرة . (٣) بنات الجوف : القلب وما اتصل به من الأحشاء .
(٤) الكوم : عظيمة السنام من الإبل .
(٥) ذو لبدة : الأسد . والشثن : الغليظ : البراثن : مخالب الأسد . الأربد : الأغبر .

ولقد إخالُ بذاك هنداً بُشرت ... لِتُميتَ داخلَ غُصَّةٍ لا تَبْرُدُ
مما صَبَحْنَا بالعَقَنْقَلِ قومَها ... يوماً تَغَيَّبَ فيه عنها الأسعدُ[1]
وببئرِ بدرٍ إذ يَرُدُّ وجوهَهم ... جبريلُ تحتَ لوائنا ومحمدُ
حتى رأيتُ لدى النبيِّ سَراتَهم ... قسمين: يُقْتَلُ من نشاءُ ويُطْرَد
فأقام بالعَطَنِ المعطَّنِ منهمُ ... سبعون: عُتبةُ منهمُ والأسود[2]
وابنَ المغيرةِ قد ضربنا ضربةً ... فوقَ الوريدِ لها رَشاشٌ مُزْبِد
وأميةَ الجُمَحِيَّ قَوَّمَ مَيلَه ... عَضْبٌ بأيدى المؤمنين مهنَّدُ
فأتاكَ فَلُّ المشركين كأنهم ... والخيلُ تَثْفِنُهم نعامٌ شُرَّد[3]
شتّانَ من هو في جهنمَ ثاويا ... أبداً ومن هو في الجِنانِ مُخَلَّدُ

وقال كعب أيضاً يبكي حمزة:

صفيةُ قومى ولا تعجزى ... وبَكِّى النساءَ على حمزةِ
ولا تسأمى أن تُطيلى البُكا ... على أسدِ اللهِ فى الهِزَّةِ
فقد كان عِزاً لأيتامِنا ... وليثَ الملاحمِ فى البِزَّةِ[4]
يريدُ بذاك رضا أحمدٍ ... ورضوانَ ذى العرشِ والعِزَّةِ

وقال كعب أيضا فى أحد:

إنك عمرَ أبيكِ الكريـ ... ـمِ أن تسألى عنكِ من يَجتدينا[5]
فإن تسألى ثم لا تُكذَبِى ... يخبرْكِ من قد سألتِ اليقينا

---

(١) العقنقل: كثيب الرمل. (٢) المعطن: مبرك الإبل.
(٣) تثفنهم: تطردهم. (٤) البزة: السلاح.
(٥) يجتدينا: يطلب معروفنا.

بأنا لياليَ ذات العظا ... م كنا ثمالا لمن يعترينا[1]

تلوذ البجودُ بأذرائنا ... من الضُرّ فى أزمات السنينا[2]

بجدوى فضولٍ أولى وُجْدِنا ... وبالصبر والبذل فى المعدمينا

وأبقت لنا جلبات الحرو ... ب ممن توازى لَكُن أن بُرينا[3]

معاطنَ تهوى إليها الحقو ... قُ يحسبها من رآها الفتينا[4]

تخيّس فيها عتاقُ الجما ... لِ صُحْما دواجنَ حمراً وجونا[5]

ودُفّاعَ رَجْلٍ كموج الفرا ... تِ يقدُمُ جأواءَ جُولا طَحونا[6]

ترى لونها مثلَ لونِ النجو ... م رجراجةً تُبرقُ الناظرينا

فإن كنت عن شأننا جاهلا ... فسلْ عنه ذا العلم ممن يلينا

بنا كيف نفعلُ إن قلّصت ... عواناً ضروساً عضوضاً حجونا[7]

ألسنا نَشُدُّ عليها العِصا ... بَ حتى تَدِرَّ وحتى تلينا

ويومٍ له وَهَجٌ دائمٌ ... شديدِ التهاوُلِ حامى الأرينا[8]

---

(١) ذات العظام : يقصد هنا بها ذات الجوع الشديد حتى إن العظام ليعاد طبخها . والثمال : الغياث . (٢) البجود : جماعات الناس . الأذراء : الأكناف .

(٣) جلبات : جمع جلبة وهو القطع . برينا : خلقنا .

(٤) المعاطن فى الأصل : أماكن برك الإبل ، ويريد بها هنا الإبل بعينها . والفتين : الأرض بها الحجارة السوداء .

(٥) تخيس : تذلل . الصحم : السود . دواجن : مقيمة . الجون : يريد بها هنا البيض .

(٦) الدفاع : ما يندفع من السيل . وجل : رجال . الجأواء كتيبة سوداء لكثرة ما عليها من السلاح . الجول : الكتيبة العظيمة . والطحون : التى تطحن ما تمر به أى تهلكه لقوتها .

(٧) قلصت : ارتفعت . أى ارتفعت نيران الحرب . العوان : الحرب المستمرة . والضروس : القوية . العضوض : كثيرة العض . الحجون : التى لا يعرف لها نهاية .

(٨) الأرين : جمع إرة : وهى مستوقد النار .

طويلٍ شـديدٍ أوارِ القتا ... لِ تنفي قواحزُه المُقرفينا[1]

تخالُ الكُماةَ بأعراضِه ... ثِمالاً على لذةٍ مُنزفينا[2]

تَعاوَرُ أيمانُهم بينَهم ... كئوسَ المنايا بحدِّ الظُّبِينا

شهِدنا فكنا أولى بأسِه ... وتحتَ العَماية والمُعْلِمينا

بخُرسِ الحسيسِ حسانٍ رِواءٍ ... وبُصْرِيَّةٍ قد أجِمْنَ الجُفونا[3]

فما يَنْفَلِلْنَ وما ينحنِينَ ... وما ينتهِينَ إذا ما نُهِينا

كبرقِ الخريفِ بأيدي الكُماةِ ... يُفجِّعْنَ بالظلِّ هاماً سُكونا[4]

وعلَّمنا الضربَ آباؤنا ... وسوف نُعلِّمُ أيضاً بَنِينا

جِلادَ الكُماةِ، وبذلَ التِّلا ... دِ، عن جُلِّ أحسابِنا ما بَقِينا

إذا مر قِرنٌ كفى نَسلُه ... وأورثَه بعدَه آخرينا

نَشِبُّ وتهلِكُ آباؤنا ... وبَيْنا نُربِّي بَنِينا فَنِينا

سألتَ بكَ ابنَ الزِّبَعْرَى فلم ... أُنَبِّئكَ في القومِ إلا هَجِينا

خبيثاً تُطيفُ بكَ المُنْدِياتُ ... مُقيماً على اللؤمِ حيناً فحِينا

تبجَّسْتَ تهجو رسولَ المليـ ... ـكِ قاتلكَ اللهُ جِلْفاً لَعِينا

تقولُ الخَنا ثم ترمي به ... نقيَّ الثيابِ تقيّاً أمِينا

قال ابن هشام: أنشدني بيته: «بنا كيف نفعل»، والبيت الذي يليه، والبيت الثالث منه، وصدر الرابع منه، وقوله «نشب وتهلك آباؤنا» والبيت الذي يليه، والبيت الثالث منه، أبو زيد الأنصاري.

قال ابن إسحاق: وقال كعب بن مالك أيضاً، في يوم أحد:

سائلْ قريشاً غداةَ السفحِ من أُحُدٍ ... ماذا لَقِينا وما لاقَوْا من الهَرَبِ

كنا الأسودَ وكانوا النَّمْرَ إذ زحفوا ... ما إن نراقبُ من آلٍ ولا نَسَبِ

---

(١) القواحز: القلق. المقرفون. جمع مقرف. النذل الدنيء.

(٢) أعراضه: جوانبه. المنزف: من ذهبت الخمر بلبه.

(٣) خرس الحسيس: السيوف الصامتة. أجن: مللن. الجفون: أغماد السيوف.

(٤) الظل: ظلال السيوف. الهام: الرءوس. السكون: الساكن.

فكم تركنا بها من سيدٍ بطلٍ حامى الذِّمارِ كريمِ الجدِّ والحسبِ
فينا الرسولُ شهابٌ ثم يتبعه نورٌ مضىءٌ له فضلٌ على الشهُبِ
الحقُّ منطقُه والعدلُ سيرتُه فمن يُجبه إليه ينجُ من تَبَبِ
نجْدُ المقدمِ ، ماضى الهمِّ ، معتزمٌ حين القلوبُ على رجْفٍ من الرعُبِ
يمضى ويذمُرنا عن غيرِ معصيةٍ كأنه البدرُ لم يُطبَعْ على الكذبِ
بدا لنا فاتبعناه نُصدِّقه وكذبوه فكنا أسعدَ العربِ
جالوا وجُلنا فما فاءوا وما رجَعوا ونحن نثفنُهم لم نألُ فى الطلبِ
ليسا سواءً وشتَّى بين أمرِهما حزبُ الإلهِ وأهلُ الشركِ والنُّصُبِ

قال ابن هشام : أنشدنى من قوله : « يمضى ويذمرنا » إلى آخرها ، أبو زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن رواحة يبكى حمزة بن عبد المطلب : قال ابن هشام أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب بن مالك :

بكت عينى وحُقَّ لها بكاها وما يُغنى البكاءُ ولا العويلُ
على أسدِ الإلهِ غداةَ قالوا أحمزةُ ذاكم الرجلُ القتيلُ
أصيب المسلمون به جميعا هناك وقد أصيب به الرسولُ
أبا يعلَى لك الأركانُ هُدَّتْ وأنت الماجدُ البَرُّ الوَصولُ
عليك سلامُ ربِّك فى جِنانٍ مُخالِطُها نعيمٌ لا يزولُ
ألا يا هاشمَ الأخيارِ صبرا فكلُّ فعالِكم حَسَنٌ جميلُ
رسولُ اللهِ مصطبِرٌ كريمٌ بأمرِ اللهِ ينطِقُ إذ يقولُ
ألا من مُبلغٌ عنى لُؤيا فبعد اليومِ دائلةٌ تدولُ[1]
وقبلَ اليومِ ماعرفوا وذاقوا وقائعَنا بها يُشفَى الغَليلُ
نسيتم ضربَنا بقَليبِ بدرٍ غَداةَ أتاكمُ الموتُ العجيلُ
غداةَ ثوى أبو جهلٍ صريعا عليه الطيرُ حائمةٌ تجولُ
وعُتبةُ وابنُه خَرّا جميعا وشيبةُ عضه السيفُ الصقيلُ
ومتركُنا أميةَ مُجلَعِبّاً وفى حيزومِه لَدْنٌ نبيلُ[2]

---

(١) الدائلة : يقصد بها الحرب .

(٢) مجلعبا : متمددا على الأرض . الحيزوم : أسفل الصدر . اللدن النبيل : الرمح العظيم

وهامَ بنى ربيعةَ سائلوها ففى أسيافِنا منها فُلولُ
ألا يا هندُ فابكى لا تَملّى فأنتِ الوالهُ العَبْرَى الهَبُولُ[1]
ألا يا هندُ لا تُبدِى شِماتا بحمزةَ إنّ عزّكمُ ذليل

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك :

أبلغْ قريشا على نأيِها أتفخرُ منا بما لم تَلِى
فخرتم بقتلَى أصابتهمُ فواضلُ مِن نِعَمِ المُفضِلِ
فحلُّوا جِنانا وأبقَوْا لكم أُسُوداً تحامِى عن الأشْبُل
تقاتل عن دينها ، وَسْطَها نبىٌّ عن الحقّ لم يَنكُل
رمتْه مَعَدٌّ بعُورِ الكلامِ ونَبْلِ العداوةِ لا تأتلى[2]

قال ابن هشام : أنشدنى قوله : «لم تلى» ، وقوله : «من نعم المفضل» أبو زيد الأنصارى

قال ابن إسحاق : وقال ضرار بن الخطاب فى يوم أحد :

ما بال عينك قد أزرى بها السُّهُدُ كأنما جال فى أجفانِها الرمَدُ
أمِن فِراقِ حبيبٍ كنتَ تألفُه قد حال من دونِه الأعداءُ والبُعُد
أم ذاك من شَغْبِ قومٍ لاجداءَ بهم إذا الحروبُ تلظت نارُها تَقِدُ
ما ينتهون عن الغىِّ الذى ركِبوا وما لهم من لؤىٍّ ويحَهم عَضُد
وقد نشدناهمُ باللهِ قاطبةً فما تردهمُ الأرحامُ والنُّشُد[3]
حتى إذا ما أبوْا إلا محاربةً واستحصدت بيننا الأضغانُ والحِقد
سرنا إليهم بجيشٍ فى جوانبِه قوانِسُ البيضِ والمحبوكةُ السُّرُد[4]
والجُرْدُ ترفُلُ بالأبطالِ شازِبةً كأنها حِدَأٌ فى سيرِها تُؤَد[5]
جيشٌ يقودهم صخرٌ ويرأسُهم كأنه لَيثُ غابٍ هاصِرٌ حَرِد[6]

---

(١) الهبول : الفاقدة . (٢) لا تأتلى : لا تقصر .
(٣) النشد : الأيمان . (٤) القوانس ماعلا بيض السلاح . المحبوكة : جيدة الصنع . والسرد . النسج ، ويريد بها هنا الدروع .
(٥) الجرد : عتاق الخيل . شازبة : ضامرة . (٦) هاصر : كاسر . حرد : غاضب .

فأبرز الحَيْنُ قوما من منازلهم ... فكان منا ومنهم مُلتقىً أُحُدُ
فغودرت منهمُ قتلى مجدَّلةً ... كالمعْز أصرَدَه بالصَّرْدح البَرَدُ (١)
قتلى كرامٌ بنو النجارِ وسطَهمُ ... ومُصْعَبٌ من قنانا حولَه قِصَدُ (٢)
وحمزةُ القَرْمُ مصروع تُطيف به ... ثَكْلَى وقد حُزَّ منه الأنفُ والكَبِدُ (٣)
كأنه حينَ يكبو فى جَدِيَّته ... تحتَ العَجاجِ وفيه ثعلبٌ جَسِدُ (٤)
حُوارُ نابٍ وقد ولَّى صحابتُه ... كما تولى النعامُ الهاربُ الشُّرُدُ (٥)
مُجلْعِبين ولا يلوون قد مُلِئوا ... رُعبا ، فنجّتهمُ العوصاءُ والكُؤُدُ (٦)
تبكى عليهم نساءٌ لا بُعولَ لها ... من كلِّ سالبةٍ أثوابُها قِدَدُ (٧)
وقد تركناهمُ للطيرِ مَلحمةً ... وللضباعِ إلى أجسادِهم تَفِدُ

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لضرار :

قال ابن إسحاق : وقال أبو زَعْنة بن عبد الله بن عمرو بن عُتبة ، أخو بنى جُشَم بن الخزرج ، يوم أحـد :

أنا أبو زَعنةَ يعدو بى الهُزَم ... لم تُمنَعِ المَخزاةُ إلا بالألمَ (٨)
يحمى الذمارَ خزرجىٌّ من جُشَمْ

وقال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب — قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين يوم أحد غير على ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحدا منهم يعرفها لعلى :

---

(١) أصرده برده . الصردح : المكان الصلب . (٢) قصد : قطع .

(٣) القرم : السيد .

(٤) الجدية : الدم السائل . الثعلب : الجزء الداخل من الرمح فى السنان . جسد : الدم الجامد .

(٥) الحوار : ولد الناقة . الناب : المسنة من الإبل .

(٦) مجلعبين : مصممين . العوصاء : العقبة الشديدة الصعبة . الكؤود جمع كؤود : عقبة صعبة المرتقى أو صعبة المصعد .

(٧) السالبة : اللابسة للسلاب وهو لباس الحزن . قدد : قطع .

(٨) الهزم : اسم فرس .

لاهُمَّ إن الحارثَ بنَ الصِّمهْ كان وفيا وبنا ذا ذِمهْ
أقبل فى مَهَامهٍ مهمه كليلةٍ ظلماءَ مُدْلَهِمه[1]
بينَ سيوفٍ ورماحٍ جَمَّه يبغى رسولَ اللهِ فيما ثَمَّه

قال ابن هشام : قوله : « كليلة » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال عِكرمة بن أبى جهل فى يوم أحد :

كلُّهمُ يزجُرُه أَرحبْ هلاَ ولن يَرَوْه اليومَ إلا مُقبِلاَ[2]
يحمل رُمحا ورئيسا جَحْفَلا

وقال الأعشى بن زُرارة بن النباش التميمى — قال ابن هشام : ثم أحد بنى أسد بن عمرو بن تميم — يبكى قتلى بنى عبد الدار يوم أحد :

حُيِّىَ من حىٍّ على نأيِهم بنو أبى طلحةَ لا تُصْرَفُ[3]
يمر ساقيهم عليهم بها وكلُّ ساقٍ لهمُ يُعرَف
لا جارُهم يشكو ولا ضيفُهم من دونه بابٌ لهم يَصرِفُ

وقال عبدالله بن الزِّبَعْرَى يوم أحد :

قتلنا ابنَ جحشٍ فاغتبطنا بقتلِه وحمزةَ فى فرسانِه وابنَ قَوْقَلِ
وأفلتَنا منهمْ رجالٌ فأسرعوا فليتهمُ عاجوا ولم نتعجلِ
أقاموا لنا حتى تَعَضَّ سيوفُنا سَرَاتَهمُ وكلنا غيرُ عُزَّلِ
وحتى يكونَ القتلُ فينا وفيهمُ ويلقَوْا صبوحا شرُّه غيرُ منجلى

قال ابن هشام : وقوله : « وكلنا » وقوله : « ويلقوا صبوحا » : عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقالت صفية بنت عبد المطلب تبكى أخاها حمزة بن عبد المطلب :

أسائلةٌ أصحابَ أُحْدٍ مخافةً بناتُ أبى من أعجمٍ وخبيرِ
فقال الخبيرُ إن حمزةَ قد ثَوَى وزيرُ رسولِ الله خيرُ وزيرِ
دعاه إلهُ الحقِّ ذوالعرشِ دعوةً إلى جنةٍ يحيا بها وسرورِ
فذلك ما كنا نرجِّى ونرتجى لحمزةَ يومَ الحشرِ خيرَ مصيرِ

---

(١) المهامة : القفار .
(٢) أرحب هلا : كلمة تزجر بها الخيل .
(٣) لا تصرف : لا ترد .

فوالله لا أنساك ما هبت الصَّبا ... بكاءً وحزنا تحضَرى ومسيرى
على أسَدِ اللهِ الذى كان مِدْرَها ... يذودُ عن الإسلامِ كلَّ كفورِ (١)
فياليت شِلْوِى عندذاك وأعظمى ... لدَى أضْبُعٍ تعتادُنى ونسورِ (٢)
أقول وقد أعلى النَّعِىَّ عشيرتى ... جزى اللهُ خيراً من أخٍ ونصيرِ

قال ابن هشام : انشدنى بعض اهل العلم بالشعر قولها : بكاءً وحزنا محضرى ومسيرى .

قال ابن إسحاق : وقالت نُعْم ، امرأة شَمَّاس بن عثمان ، تبكى شمَّاسا ، وقد أصيب يوم أحد :

ياعينُ جودى بفيضٍ غيرِ إبساسِ ... على كريمٍ من الفتيانِ إباسِ (٣)
صعبِ البديهةِ ميمونٍ نقيبتُـه ... حمالِ ألويةٍ رَكابِ أفراسِ
أقول لما أتى الناعى له جَـزَعا ... أودَى الجوادُ وأودَى المطعمُ الكاسى
وقلت لما خلتْ منـــه مجالسُه ... لا يُبعدُ اللهُ عنا قُربَ شماسِ

فأجابها أخوها ، وهو أبو الحكم بن سعيد بن يربوع ، يعزيها ، فقال :

إقنى حيـاءَكِ فى سِترٍ وفى كرمٍ ... فإنما كان شماسٌ من الناسِ
لاتقتلى النفسَ إذ حانت منيته ... فى طاعةِ اللهِ يومَ الروعِ والباس
قد كان حمزةُ ليثَ اللهِ فاصطبرى ... فذاقَ يومئذٍ من كأسِ شماسِ

وقالت هند بنت عتبة ، حين انصرف المشركون عن أحد :

رجعْتُ وفى نفسى بلابلُ جَمّةٌ ... وقد فاتنى بعضُ الذى كان مطلبى (٤)
من اصحابِ بدرٍ من قريش وغيرِهم ... بنى هاشمٍ منهم ومن أهلِ يثربِ
ولـكننى قد نِلتُ شيئا ولم يكن ... كما كنت أرجو فى مسيرِى ومركبى

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قولها :

وقد فاتنى بعضُ الذى كان مطلبى

وبعضهم ينكرها لهند ، والله أعلم .

---

(١) المدرة : من يدافع عن القوم. (٢) الشلو : بقية الفريسة.
(٣) الإبساس فى الأصل : مسح درع الناقة والقول لها بس بس ليدر ، فالإبساس فيه تكلف . وغير الإبساس : أى بغير تكلف . والإباس : الشديد .
(٤) البلابل : الأحزان.

ذكر يوم الرجيع

فى سنة ثلاث

مقتل خبيب وأصحابه : قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : حدثنا عاصم بن عمر بن قتادة ، قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أحد رهط من عَضَل والقارة .

قال ابن هشام : عضل والقارة ، من الهَوْن بن خُزَيمة بن مُدْرِكة .

قال ابن هشام : ويقال : الهُون ، بضم الهاء .

قال ابن إسحاق : فقالوا : يارسول الله ، إن فينا إسلاما ، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا فى الدين ، ويقرئوننا القرآن ، ويعلموننا شرائع الإسلام . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرا ستة [1] من أصحابه ، وهم مَرثَد بن أبى مرثد الغَنَوى ، حليف حمزة بن عبد المطلب وخالد بن البُكَير الليثى ، حليف بنى عدى بن كعب ، وعاصم بن ثابت بن أبى الأقلح ، أخو بنى عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس : وخُبَيْب بن عدى ، أخو بنى جَحْجَبَى بن كُلْفة بن عمرو ابن عوف ، وزيد بن الدَّثِنَّة بن معاوية أخو بنى بَيَاضة بن عمرو بن زُرَيْق بن عبد حارثة بن مالك بن غَضْب بن جُشَم بن الخزرج ؛ وعبد الله بن طارق حليف بنى ظَفَر بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

وأمَّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على القوم مَرثَد بن أبى مرثد الغَنَوى فخرج مع القوم . حتى إذا كانوا على الرجيع ، ماء لهذيل بناحية الحجاز ، على صدور الهَدْأة [2] غدروا بهم ، فاستصرخوا عليهم هُذَيلا ، فلم يَرُع القوم ، وهم فى رحالهم ، إلا الرجال بأيديهم السيوف ، قد غَشُوهم ؛ فأخذوا أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا لهم : إنا والله مانريد قتلكم ، ولكنا نريد أن نصيب بكم شيئا من أهل مكة ولكم عهد الله وميثاقه أن لانقتلكم .

فأما مرثد بن أبى مرثد ، وخالد بن البُكير ، وعاصم بن ثابت فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدا ولا عقدا أبدا ؛ فقال عاصم بن ثابت :

---

(١) ذكر البخارى أنهم كانوا عشرة . . . ستة من المهاجرين وأربعة من الأنصار .

(٢) الهدأة : موضع بين عسفان ومكة ، كما ذكر البخارى فى صحيحه .

ما عِلّتى وأنا جَلْدٌ نابِلُ	والقوسُ فيها وترٌ عُنابِلُ[1]
تزِلُّ عن صفحتِها المعابِلُ	الموتُ حقٌّ والحياةُ باطلُ[2]
وكلُّ ما حمَّ الإلهُ نازلُ	بالمرءِ والمرءُ إليه آئلُ[3]

إن لم أقاتلْكم فأمى هابِلُ

قال ابن هشام: هابل: ثاكل.

وقال عاصم بن ثابت أيضا:

أبو سليمانَ وريشُ المُقْعَدِ	وضَالَّةٌ مثلُ الجحيمِ المُوقَدِ[4]
إذا النواجى افْتُرِشت لم أُرْعَدِ	ومُجنأٌ من جِلدِ ثورٍ أجرَدِ[5]

ومؤمنٌ بما على محمدِ

وقال عاصم بن ثابت أيضا:

أبو سليمانَ ومثلى رامَى	وكان قومى مَعْشَراً كِراما

وكان عاصم بن ثابت يكنى: أبا سليمان. ثم قاتل القوم حتى قُتل وقتل صاحباه.

فلما قتل عاصم أرادت هُذيل أخذ رأسه، ليبيعوه من سُلافة بنت سعد بن شهيد، وكانت قد نذرت حين أصاب ابنها يوم أحد: لئن قدرت على رأس عاصم لتشربن فى قحفه الخمر، فمنعه الدَّبْر (٦)، فلما حالت بينه وبينهم قالوا: دعوه يمسى فتذهب عنه، فنأخذه. فبعث الله الوادى، فاحتمل عاصما، فذهب به. وقد كان عاصم قد أعطى الله عهدا أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركا أبدا، تنجسا: فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: حين بلغه أن الدَّبْر منعته: يحفظ الله العبد المؤمن، كان عاصم نذر أن لا يمسه مشرك، ولا يمس مشركا أبدا فى حياته، فمنعه الله بعد وفاته، كما امتنع منه فى حياته.

---

(١) النابل: صاحب النبل. والعنابل الشديد.

(٢) المعابل: الأنصال العريضة. (٣) آئل: صائر.

(٤) المقعد: رجل يريش النبل. الضالة: يريد بها القوس. وهى فى الأصل شجرة تصنع منها القسى. (٥) النواجى: الإبل السريعة. افترشت: عمرت. المجنأ: الترس لاحديد فيه

(٦) الدبر: الزنابير.

وأما زيد بن الدَّثِنَة وخُبَيب بن عدى ، وعبدالله بن طارق ، فلانوا ورقوا ورغبوا فى الحياة فأعطوا بأيديهم ، فأسروهم ، ثم خرجوا إلى مكة ، ليبيعوهم بها ، حتى إذا كانوا بالظَّهران (١) ، انتزع عبد الله بن طارق يده من القِران (٢) ، ثم أخذ سيفه ، واستأخر عنه القوم ، فرموه بالحجارة حتى قتلوه ، فقبره ، رحمه الله ، بالظهران ؛ وأما خُبَيب بن عدى وزيد بن الدَّثِنة فقدموا بهما مكة .

قال ابن هشام : فباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة .

قال ابن إسحاق : فابتاع خبيبا حُجَير بن أبى إهاب التميمى ، حليف بنى نوفل ، لعقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل ، وكان أبو إهاب أخا الحارث بن عامر لأمه فقتله بأبيه .

قال ابن هشام : الحارث بن عامر ، خال أبى إهاب ، وأبو إهاب ، أحد بنى أُسَيد بن عمرو بن تميم ؛ ويقال : أحد بنى عُدَس بن زيد بن عبد الله بن دارم ، من بنى تميم .

قال ابن إسحاق : وأما زيد بن الدثِنَّة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه ، أمية بن خلف ، وبعث به صفوان بن أمية مع مولى له ، يقال له نِسْطاس ، إلى التنعيم (٣) ، وأخرجوه من الحرام ليقتلوه واجتمع رهط من قريش ، فيهم أبو سفيان بن حرب ؛ فقال له أبو سفيان حين قدم ليقتل : أنشدك الله يازيد ، أتحب أن محمداً عندنا الآن فى مكانك نضرب عنقه ، وأنك فى أهلك ؟ قال : والله ما أحب أن محمداً الآن فى مكانه الذى هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه ، وأنى جالس فى أهلى . قال ؛ يقول أبو سفيان : ما رأيت فى الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً ؛ ثم قتله نسطاس ، يرحمه الله .

وأما خُبَيب بن عدى ، فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، أنه حدث عن ماوِيَّة ، مولاة حُجير ابن أبى إهاب ، وكانت قد أسلمت ، قالت : كان خبيب عندى ، حبس فى بيتى ، فلقد اطلعت عليه يوما ، وإن فى يده لقطفا من عنب ، مثل رأس الرجل يأكل منه ، وما أعلم فى أرض الله عنبا يُؤكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى نجيح جميعا أنها قالت : قال لى حين حضره القتل : ابعثى إلى بحديدة أتطهر بها للقتل ، قالت : فأعطيت غلاما من الحى

---

(١) الظهران : واد قريب من مكة . (٢) القران : الحبل الذى يربط به الأسير .

(٣) موضع خارج مكة فى الحل .

الموسى ؛ فقلت : ادخل بها على هذا الرجل البيت ، قالت : فوالله ما هو إلا أن ولى الغلام بها إليه ؛ فقلت : ماذا صنعت ؟ أصاب والله الرجل ثأره بقتل هذا الغلام ، فيكون رجلا برجل ، فلما ناوله الحديدة أخذها من يده ثم قال : لعمرك ، ماخافت أمك غدرى حين بعثتك بهذه الحديدة إلى ، ثم خلى سبيله ...

قال ابن هشام : ويقال : إن الغلام ابنها .

قال ابن إسحاق : قال عاصم : ثم خرجوا بخبيب ، حتى إذا جاءوا به إلى التنعيم ليصلبوه ، قال لهم: إن رأيتم أن تدعونى حتى أركع ركعتين فافعلوا ، قالوا : دونك فاركع . فركع ركعتين أتمهما وأحسنهما ، ثم أقبل على القوم فقال : أما والله لولا أن تظنوا أنى إنما طولت جزعا من القتل لاستكثرت من الصلاة . قال : فكان خُبَيْب بن عدى أول من سَنَّ هاتين الركعتين عند القتل للمسلمين [1] . قال : ثم رفعوه على خشبة ، فلما أوثقوه ، قال : اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك ، فبلغه الغداةَ ما يُصنع بنا ، ثم قال : اللهم أحْصِهم عدداً ، واقتلهم بِدَداً [2] ، ولا تغادر منهم أحدا . ثم قتلوه - رحمه الله .

فكان معاوية بن أبى سفيان يقول : حضرتُه يومئذ فيمن حضره مع أبى سفيان ، فلقد رأيته يلقينى إلى الأرض فَرَقا من دعوة خبيب ، وكانوا يقولون : إن الرجل إذا دُعِىَ عليه ، فاضطجع لجنبه زالت عنه .

قال ابن إسحاق : حدثنى يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير، عن أبيه عباد، عن عقبة بن الحارث، قال : سمعته يقول : ما أنا والله قتلت خبيبا ، لأنى كنت أصغر من ذلك ، ولكن أبا ميسرة ، أخا بنى عبد الدار ، أخذ الحربة فجعلها فى يدى ثم أخذ بيدى وبالحربة ، ثم طعنه بها حتى قتله

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا ، قال : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، استعمل سعيد بن عامر بن حِذْيَم الجُمَحِى على بعض الشام ، فكانت تصيبه غَشْية ، وهو بين ظَهْرَى القوم ، فذكر ذلك لعمر بن الخطاب ، وقيل : إن الرجل مصاب ، فسأله عمر فى قَدْمَة قدمها عليه ، فقال : ياسعيد ، ما هذا الذى يصيبك؟ فقال : والله يا أمير المؤمنين ما بى من بأس ، ولكنى كنت فيمن حضر خُبيب بن عدى حين قُتل ، وسمعت دعوته ، فوالله ما خطرت على قلبى وأنا فى مجلس قط إلا غُشِىَ على ، فزادته عند عمر خيرا .

---

(١) وقد صار فعل خبيب سنة وإن كانت السنة إنما هى أقوال أو أفعال من النبى صلى الله عليه وسلم . وهى أيضا إقرار وقد حدث فى حياته فلم ينكر فالصلاة هى خير ما يختم بها العبد حياته .

(٢) بددا : متفرقين .

قال ابن هشام : أقام خُبَيب فى أيديهم حتى انقضت الأشهر الحرم ، ثم قتلوه .

ما نزل فى سرية الرجيع من القرآن : قال ابن إسحاق : وكان مما نزل من القرآن فى تلك السرية ، كما حدثنى مولى لآل زيد بن ثابت ، عن عِكرمة مولى ابن عباس ، أو عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس .

قال : قال ابن عباس : لما أصيبت السرية التى كان فيها مَرْثد وعاصم بالرجيع ، قال رجال من المنافقين : ياويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا ، لاهم قعدوا فى أهليهم ، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم ! فأنزل الله تعالى فى ذلك من قول المنافقين ، وما أصاب أولئك النفر من الخير بالذى أصابهم . فقال سبحانه ، « ومِنَ الناسِ من يُعجبُك قولُه فى الحياةِ الدنيا » : أى لما يظهر من الإسلام بلسانه ، « ويُشهِدُ اللهَ على ما فى قلبِه » ، وهو مخالف لما يقول بلسانه ، « وهو ألَدُّ الخِصام » : أى ذو جدال إذا كلمك وراجعك .

قال ابن هشام : الألد : الذى يشغب ، فتشتد خصومته ، وجمعه : لُدٌّ ، وفى كتاب الله عز وجل : « وتُنذِرَ به قوما لُدًّا » . وقال المهلهل بن ربيعة التغلبى ، واسمه امرؤ القيس ، ويقال : عدى[1] ابن ربيعة :

إن تحتَ الأحجارِ حَدًّا ولِيناً   وخَصيماً ألدَّ ذا مِعْلاقِ

ويروى « ذا مِغلاق » فيما قال ابن هشام . وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الألندد .
قال الطِّرِمّاح بن حكيم الطائى يصف الحرباء :

يُوفِى على جِذْمِ الجُذولِ كأنه   خَصْمٌ أبرَّ على الخصومِ ألَنْدَدُ[2]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : قال تعالى : « وإذا تولَّى » : أى خرج من عندك « سعَى فى الأرض ليفسِدَ فيها ، ويُهلِكَ الحرثَ والنسلَ ، واللهُ لايحب الفسادَ » أى لايحب عمله ولا يرضاه . « وإذا قيل له اتقِ اللهَ أخذته العزةُ بالإثمِ فحسْبُه جهنمُ ولبئسَ المِهادُ . ومن الناسِ من يَشرِى

---

(١) هو عدى حقيقة ، فقد صرح مهلهل باسمه فى القصيدة فقال :

ضربتْ صدرَها إلىَّ وقالت   ياعديًّا لقد وَقَتْكَ الأواقى

(٢) يوفى : يشرف . الجذم : القِطعة . الجذول : الأصول .

نفسه ابتغاء مرضاتِ اللهِ، واللهُ رءوفٌ بالعبادِ» : أى قد شَرَوْا أنفسهم من الله بالجهاد فى سبيله والقيام بحقه، حتى هلكوا على ذلك، يعنى تلك السَّرِيَّة.

قال ابن هشام: يشرى نفسه: يبيع نفسه؛ وشروا: باعوا. قال يزيد بن ربيعة بن مُفرِّغ الحِمْيَرى:

وشَرَيْتُ بُرْداً ليتنى من بعدِ بُرْدٍ كنتُ هامَهْ

برد: غلام له باعه. وهذا البيت فى قصيدة له. وشرى أيضا: اشترى.

قال الشاعر:

فقلتُ لها لا تجزعِى أمَّ مالكٍ على ابنَيكِ إن عبدٌ لئيمٌ شَراهما

قال ابن إسحاق: وكان مما قيل فى ذلك من الشعر، قول خُبَيْب بن عدى، حين بلغه أن القوم قد اجتمعوا لصلبه.

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له.

لقد جمع الأحزابُ حولى وألَّبوا قبائلَهم واستجمعوا كل مَجْمَعِ
وكلهمُ مُبدِى العداوةَ جاهدٌ علىَّ لأنى فى وِثاقٍ بمَضيعِ
وقد جمَّعوا أبناءَهم ونساءَهم وقُرِّبتُ من جِذعٍ طويلٍ مُمَنَّعِ
إلى اللهِ أشكو غربتى ثم كُربتى وما أرصدَ الأحزابُ لى عند مصرعى
فذا العرشِ، صَبِّرنى على ما يراد بى فقد بضَّعوا لحمى وقد ياسَ مطمعى[1]
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شِلوٍ ممزَّعِ[2]
وقد خيَّرونى الكفرَ والموتُ دونَه وقد هَمَلت عيناى من غير مَجزَعِ
وما بى حِذارُ الموتِ، إنى لميتٌ ولكن حِذارى جَحْمُ نارٍ مُلفَّعِ[3]
فواللهِ ما أرجو إذا مُتُّ مُسلما على أىِّ جنبٍ كان فى اللهِ مَصرعى
فلستُ بمبدٍ للعدوِّ تَخشُّعا ولا جَزَعا إنى إلى اللهِ مَرجِعى

وقال حسان بن ثابت يبكى خبيبا:

ما بالُ عينك لا ترقا مَدامعُها سحًّا على الصدرِ مثلَ اللؤلؤِ القلِقِ[4]

---

(١) ياس: يأس.
(٢) الشلو: بقية الشىء.
(٣) الملفع: المشتمل.
(٤) القلق: المتحرك.

هل خُبَيْبٍ فتى الفتيانِ قد عَلِموا ... لا فَشِلٍ حين تلقاه ولا نَزِقِ
فاذهب خبيبُ جزاك اللهُ طَيبةً ... وجنةَ الخلدِ عندَ الحورِ فى الرُّفَقِ (١)
ماذا تقولون إن قال النبىُّ لكم ... حينَ الملائكة الأبرار فى الأفقِ
فيم قتلتم شهيدَ اللهِ فى رجلٍ ... طاغٍ قد اوعث فى البُلدانِ والرُّفَقِ (٢)

قال ابن هشام : ويروى : الطرق . وتركنا ما بقى منها ، لأنه أقذع فيها .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يبكى خُبَيبا :

ياعينُ جودى بدمعٍ منكِ مُنسكِبٍ ... وابكى خُبَيبا مع الفتيانِ لم يَؤُبِ
صقراً توسط فى الأنصارِ مَنصِبُه ... سمحَ السجيةِ محضا غيرَ مُؤتَشِبِ (٣)
قد هاج عينى على علاَّتِ عَبْرتِها ... إذ قيل نُصَّ إلى جِذعٍ من الخشبِ (٤)
يأيها الراكبُ الغادى لِطِيَّتِهِ ... أبلغ لديك وعيداً ليس بالكَذِبِ (٥)
بنى كهيبةَ إن الحربَ قد لَقِحت ... محلوبُها الصابُ إذ تُمْرَى لمحتلبِ (٦)
فيها أسُودُ بنى النجارِ تقدُمهم ... شُهْبُ الأسنةِ فى مُعْصَوْصِبٍ لَجِبِ (٧)

قال ابن هشام : وهذه القصيدة مثل التى قبلها ، وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان ، وقد تركنا أشياء قالها حسان فى أمر خبيب لما ذكرتُ .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

---

(١) الرفق : جمع رفيق (٢) أوعث : أفسد . (٣) المحض : الخالص . وغير مؤتشب : غير مختلط (٤) نص : رفع . (٥) الطية : ما تنطوى عليه النية .

(٦) جعل كهيبة كأنه اسم علم لأمهم ، وهذا كما يقال : بنى ضوطرى وبنى الغبراء وبنى درزة قال الشاعر :

أولاد درزة أسلموك وطاروا

وهذا كله اسم لمن يُسب ، وعبارة عن السفلة من الناس ، وكهيبة من الكهبة وهى الغبرة ، وهذا كما قالوا : بنى الغبراء ، وأكثر أشعار حسان فى هذه القصة ، قال فيها : من هذيل ، لأنهم إخوة القارة ، والمشاركون لهم فى الغدر بخبيب وأصحابه ، وهذيل وخزيمة أبناء مدركة ابن الياس وعضل والقارة من بنى خزيمة .. عن الروض .

ولقحت : زاد شرها . الصاب : العلقم . تمرى : تمسح .

(٧) المعصوصب : الجيش الكبير .

لو كانَ فى الدارِ قَرْمٌ ماجِدٌ بَطَلٌ ألوَى من القوم صَقرٌ خالُه أَنَسُ (١)
إذن وجدتَ خُبَيبا مجلسا فَسِحا ولم يُشدَّ عليكَ السجنُ والحرس
ولم تَسُقْكَ إلى التنعيم زِعنِفةٌ من القبائل منهم من نفت عُدَس (٢)
دلَّوكَ غدرا وهم فيها أولو خُلُفٍ وأنت ضَيمٌ لها فى الدارِ مُحتَبَس (٣)

قال ابن هشام: أنس: الأصم السُّلَمى: خال مطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف. وقوله: « من نفت عدس » يعنى حُجَير بن أبى إهاب: ويقال الأعشى بن زرارة بن النباش الأسدى وكان حليفا لبنى نوفل بن عبد مناف.

قال ابن إسحاق: وكان الذين أجْلَبوا على خبيب فى قتله حين قُتل من قريش: عكرمة بن أبى جهل، وسعيد بن عبد الله بن أبى قيس بن عبد وُد، والأخنس بن شريق الثقفى، حليف بنى زُهرة، وعبيدة بن حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمى، حليف بنى أمية بن عبد شمس، وأمية بن أبى عتبة، وبنو الحضرمى.

وقال حسان أيضا يهجو هذيلا فيما صنعوا بخبيب بن عدى:

أبلغ بنى عمرو بأن أخاهمُ شراهُ امرؤٌ قد كان للغدرِ لازمًا (٤)
شراه زُهيرُ بنُ الأغرّ وجامعٌ وكانا جميعا يركبان المحارما
أجرتم فلما أن أجرتم غدرتمُ وكنتم بأكناف الرجيع لهاذما (٥)
فليت خُبَيبا لم تخنه أمانةٌ وليت خبيبا كان بالقومِ عالما

قال ابن هشام: زهير بن الأغر وجامع: الهذليان اللذان باعا خبيبا.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضا:

إن سَرّكَ الغدر صِرْفا لا مزاجَ له فأتِ الرجيعَ فسل عن دارِ لَحيانِ
قومٌ تواصَوْا بأكلِ الجارِ بينَهمُ فالكلبُ والقردُ والإنسانُ مِثلانِ
لو ينطقُ التيسُ يوما قام يخطبُهم وكانَ ذا شرفٍ فيهم وذا شانِ

قال ابن هشام: وأنشدنى أبو زيد الأنصارى قوله:

لو ينطق التيس يوما قال يخطبهم وكان ذا شرف فيهم وذا شان

(١) ألوى: شديد الخصومة.
(٢) الزعنفة: الذين ليسوا خلصا فى القبائل بل المنتمين إليها. وعدس: اسم قبيلة
(٣) دلوك: غروك. (٤) شراه: باعه. (٥) اللهاذم: السيوف القاطعة.

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا :

سالت هُذَيلٌ رسولَ اللهِ فاحشةً ضلت هذيل بماسالتْ ولم تُصِبِ[1]
سالوا رسولَهمُ ما ليس مُعطِيَهم حتى المماتِ ، وكانوا سُبَّةَ العربِ
ولن ترى لهذيلٍ داعيا أبداً يدعو لمكرُمةٍ عن منزلِ الحَرَبِ
لقد أرادوا خِلالَ الفُحشِ ويحَهمُ وأن يُحِلوا حراما كان فى الكتبِ

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا :

لعَمْرى لقد شانت هذيلَ بنَ مدركٍ أحاديثُ كانت فى خُبَيبٍ وعاصمِ
أحاديثُ لَحيانٍ صَلوا بقبيحِها ولَحيانُ جَرّامونَ شَرَّ الجرائمِ[2]
أناسٌ همُ من قومِهم فى صميمِهم بمنزلةِ الزِّمعانِ دُبْرَ القوادمِ[3]
همُ غدروا يومَ الرجيعِ وأسلمت أمانتُهم ذا عفةٍ ومكارمِ
رسولَ رسولِ اللهِ غدراً ولم تكنْ هُذَيلٌ تَوَقَّى مُنكراتِ المحارمِ
فسوف يَرَوْن النصرَ يوما عليهمُ بقتلِ الذى تحميه دونَ الحرائمِ[4]
أبابيلُ دَبْرٍ شُمَّسٍ دون لَحمِه حمت لحمَ شَهّادٍ عِظامِ الملاحمِ
لعل هُذَيلا أن يرَوْا بمُصابهِ مصارعَ قتلَى أو مَقاما لمأتمِ[5]
ونوقِعَ فيهمْ وقعةً ذاتَ صَولةٍ يوافِى بها الركبانُ أهلَ المواسمِ
بأمرِ رسولِ اللهِ إن رسولَه رأَى رَأْىَ ذى حزمٍ بلَحيانَ عالمِ
قُبَيِّلةٌ ليس الوفاءُ يَهِمُّهم وإن ظُلِموا لم يدفعوا كفَّ ظالمِ
إذا الناسُ حَلوا بالفضاءِ رأيتَهم بمجرَى مسيلِ الماءِ بينَ المخارمِ[6]
محلُّهمُ دارُ البَوارِ ورأيُهم إذا نابَهم أمرٌ كرأيِ البهائمِ

وقال حسان بن ثابت يهجو هذيلا :

لحَى اللهُ لَحيانا فليست دماؤُهم لنا من قتيلَىْ غدرةٍ بوفاءِ

---

(١) سالت : لغة فى سألت .

(٢) صلوا بقبيحها : أصابهم شرها . جرامون : كسابون .

(٣) الزمعان . جمع زمعة : شعرة مدلاة فى مؤخر رجل الشاة أو غيرها . والدبر : الخلف .

(٤) يريد عاصم بن الأقلح فقد حمته الزنابير .

(٥) يريد : لمأتم . (٦) المخارم : مسايل الماء .

هُمُو قتلوا يوم الرجيعِ أبنَ حرةٍ أخا ثقةٍ فى وُدِّه وصفاءِ
فلو قُتلوا يومَ الرجيعِ بأسرِهم بذى الدَّبْرِ ما كانوا له بِكِفاءِ[1]
قتيلٌ حمته الدَّبْرُ بينَ بيوتِهم لدَى أهلِ كفرٍ ظاهرٍ وجَفاءِ
فقد قتلت لَحيانُ أكرمَ منهمُ وباعوا خُبيبا ويلهم بِلَفاءِ[2]
فأفٍّ للحيانٍ على كلِّ حالةٍ على ذِكرِهم فى الذكرِ كلُّ عَفاءِ[3]
قُبَيِّلةٌ باللؤمِ والغدرِ تغترى فلم تُمسِ يَخفَى لؤمُها بخفاءِ[4]
فلو قُتلوا لم توفِ منه دماؤُهم بلى إن قتلَ القاتليهِ شفائى
فإلا أمت أذْعَرْ هُذَيلا بغارةٍ كغادِى الجَهامِ المغتدِى بإفاءِ[5]
بأمرِ رسولِ اللهِ والأمرُ أمرُه يبيت لِلَحيانَ الخنا بِفَناءِ
يُصبِّحُ قوما بالرجيعِ كأنهم جِداءٌ وَشتَّاءٍ غيْرَ دِفَاءِ.[6]

وقال حسان بن ثابت أيضا يهجو هذيلا :

فلا واللهِ ، ما تدرى هذيلٌ أصافٍ ماءُ زمزمَ أم مَشوبُ
ولا لهمُ إذا اعتمروا وحجوا من الحِجْرَينِ والمسعَى نصيب
ولكن الرجيعَ لهم مَحلٌّ به اللؤمُ المبين والعُيوب
كأنهمُ لدَى الكِتان أصلا تيوسٌ بالحجازِ لها نَبيب[7]
همُ غـــروا بذمتِهم خُبيبا فبئسَ العهدُ عهدُهم الكذوب

قال ابن هشام : آخرها بيتا عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال حسانُ بن ثابت يبكى خبيبا وأصحابه :

صلى الإلهُ على الذين تتابعوا يومَ الرجيعِ فأُكرموا وأُثيبُوا
رأسُ السَّريةِ مرثدٌ وأميرُهم وابنُ البُكَيرِ إمامُهم وخُبيبُ

---

(١) ذو الدبر : هو عاصم بن الأقلح .

(٢) اللفاء : الشىء الحقير. (٣) العفاء : التغير.

(٤) تغترى : يغرى بعضها بعضا .

(٥) الغادى : المبكر . الجهام : السحاب القليل . والإفاء : الغنيمة .

(٦) جداء : جمع جدى . (٧) الكتان : جمع كتة . الأصل : جمع أصيل ، وهو العشى . النبيب : التصويت .

وابن لطارقَ وابنُ ذَثْنة منهمُ ... وافاه ثَمّ حِمامُه المكتوبُ
والعاصمُ المقتولُ عندَ رجيعهم ... كَسَبَ المعالى إنه لكَسوب
منع المَقادةَ أن ينالوا ظهرَه ... حتى يجالِد إنه لنجيب

قال ابن هشام : ويروى : حتى يجدل إنه لنجيب .

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان .

حديث بئر معونة

فى صفر سنة أربع

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شــوال وذا القعدة وذا الحجة — وولى تلك الحجة المشركون والمحرم — ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحاب بئر معونة فى صفر ، على رأس أربعة أشهر من أحد .

وكان من حديثهم ، كما حدثنى أبى : إسحاقُ بن يسار عن المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم ، وغيره من أهل العلم ، قالوا : قدم أبو بَرَاء عامر بن مالك بن جعفر مُلاعب الأسنة[١] على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، فلم يسلم ولم يبعد من الإسلام ، وقال : يا محمد ، لو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد ، فدعوهم إلى أمرك ، رَجَوْتُ أن يستجيبوا لك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى أخشى عليهم أهل نجد ، قال أبو بَرَاء : أنا لهم جار ، فابعثهم فليدْعوا الناس إلى أمرك .

فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم المنذِر بن عمرو ، أخا بنى ساعدة ، المُعْنِق ليموت[٢]

---

(١) وهو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن صعصعة ، سمى ملاعب الاسنة فى يوم سوبان ، وهو يوم كانت فيه وقيعة فى أيام جبلة ، وهى أيام حرب كانت بين قيس وتميم ، وجبله اسم لهضبة عالية . وكان سبب تسميته فى يوم سوبان ملاعب الأسنة أن أخاه الذى يقال له فارس قرزل ، وهو طفيل بن مالك ، كان أسلمه فى ذلك اليوم ، وفر فقال عمر :

فررت وأسلمت ابن أمك عامراً ... يلاعب أطراف الوشيج المزعزع

(٢) المعنق لقب به لأنه أسرع إلى الموت .

فى أربعين رجلا(١) من أصحابه ، من خيار المسلمين ، منهم : الحارث بن الصِّمَّة ، وحرام بن مِلحان أخو بنى عدى بن النجار ، وعروة بن أسماء بن الصَّلْت السُّلَمى ، ونافع بن بُدَيل بن ورقاء الخزاعى ؛ وعامر بن فُهَيرة مولى أبى بكر الصديق ، فى رجال مُسَمَّيْن من خيار المسلمين . فساروا حتى نزلوا ببئر معونة ، وهى بين أرض بنى عامر وحَرة بنى سُلَيم ، كلا البلدين منها قريب ، وهى إلى حَرة بنى سُلَيم أقرب .

فلما نزلوها بعثوا حرام بن مِلحان بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدو الله عامر ابن الطُّفَيل ، فلما أتاه لم ينظر فى كتابه حتى عدا على الرجل فقتله ، ثم استصرخ عليهم بنى عامر ، فأبوا أن يجيبوه إلى مادعاهم إليه ، وقالوا : لن نُخفِر(٢) أبا بَراء ، وقد عقد لهم عقداً وجواراً ، فاستصرخ عليهم قبائل من بنى سُلَيم من عُصَيَّة ورِعْل وذَكْوان ، فأجابوه إلى ذلك ، فخرجوا حتى غَشُوا القوم ، فأحاطوا بهم فى رحالهم ، فلما رَأَوْهم أخذوا سيوفهم ، ثم قاتلوهم حتى قتلوا من عند آخرهم ، يرحمهم الله ، إلا كعب بن زيد ، أخا بنى دينار بن النجار ، فإنهم تركوه وبه رمق ، فارْتُثَّ(٣) من بين القتلى ، فعاش حتى قتل يوم الخندق شهيداً ، رحمه الله .

وكان فى سَرح القوم عمرو بن أمية الضمْرى ، ورجل من الأنصار ، أحد بنى عمرو ابن عوف .

قال ابن هشام : هو المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحَيحة بن الجلاح .

قال ابن إسحاق : فلم ينبئهما بمصاب أصحابهما إلا الطير تحوم على العسكر ، فقالا : والله إن لهذه الطير لشأنا ، فأقبلا لينظرا ، فإذا القوم فى دمائهم ، وإذا الخيل التى أصابتهم واقفة . فقال الأنصارى لعمرو بن أمية : ما ترى ؟ قال : أرى أن نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره الخبر ، فقال الأنصارى : لكنى ما كنت لأرغب بنفسى عن موطن قتل فيه المنذر بن عمرو ، وما كنت لتخبرنى عنه الرجال ، ثم قاتل القوم حتى قتل ؛ وأخذوا عمرو بن أمية أسيراً ، فلما أخبرهم أنه من مضر ، أطلقه عامر بن الطفيل ، وجز ناصيته ، وأعتقه عن رقبة زعم أنها كانت على أمه .

---

(١) الصحيح أنهم كانوا سبعين كما وقع فى البخارى ومسلم .

(٢) الإخفار : نقض العهد .

(٣) أى رفع من بين القتلى وفيه رمق .

فخرج عمرو بن أمية ، حتى إذا كان بالقَرْقَرة من صدر قناة[1] ، أقبل رجلان من بنى عامر .

قال ابن هشام : ثم من بنى كلاب ، وذكر أبو عمرو المدنى أنهما من بنى سُلَيم .

قال ابن إسحاق : حتى نزلا معه فى ظل هو فيه . وكان مع العامريين عقد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوار ، لم يعلم به عمرو بن أمية ، وقد سألهما حين نزلا ، ممن أنتما ؟ فقالا : من بنى عامر ، فأمهلهما ، حتى إذا ناما ، عدا عليهما فقتلهما ، وهو يرى أنه قد أصاب بهما ثُؤْرة من بنى عامر ، فيما أصابوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما قدم عمرو بن أمية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد قتلتَ قتيلين ، لأدِيَنَّهما !

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عمل أبى بَرَاء ، قد كنت لهذا كارهاً متخوفاً . فبلغ ذلك أبا بَراء ، فشق عليه إخفار عامر إياه ، وما أصاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بسببه وجواره ، وكان فيمن أصيب عامر بن فُهَيرة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى هشام بن عروة ، عن أبيه : أن عامر بن الطفيل كان يقول : من رجل منهم لما قُتل رأيته رفع بين السماء والأرض ، حتى رأيت السماء من دونه ؟ قالوا : هو عامر بن فهيرة [2] .

قال ابن إسحاق: وقد حدثنى بعض بنى جَبّار بن سَلْمَى بن مالك بن جعفر ، قال — وكان جبار فيمن حضرها يومئذ مع عامر ثم أسلم — قال فكان يقول : إن مما دعانى إلى الإسلام أنى طعنت رجلا منهم يومئذ بالرمح بين كتفيه ، فنظرت إلى سنان الرمح حين خرج من صدره ، فسمعته يقول : فزت والله ! فقلت فى نفسى : ما فاز ! ألست قد قتلت الرجل ؟! قال : حتى سألت بعد ذلك عن قوله ، فقالوا : للشهادة ، فقلت: فاز لعمرو الله .

---

(١) مكان قريب من المدينة .

(٢) هذه رواية البكائى عن ابن إسحاق ، وروى يونس بن بكير عنه بهذا الإسناد أن عامر بن الطفيل قدم المدينة بعد ذلك ، وقال للنبى عليه السلام : من رجل يا محمد لما طعنته رفع إلى السماء ؟ فقال : هو عامر بن فهيرة ، وروى عبد الرزاق وابن المبارك أن عامر بن فهيرة التمس فى القتلى ، ففقد ، فيرون أن الملائكة رفعته أو دفنته .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يحرض بنى براء على عامر بن الطفيل :

بنى أم البنين ألم يرعكم ... وأنتم من ذوائب أهل نجد[1]

تهكم عامر بأبى براء ... ليخفره وما خطأ كعمد

ألا أبلغ ربيعة ذا المساعى ... فما أحدثت فى الحدثان بعدى

أبوك أبو الحروب أبو براء ... وخالك ماجد حكم بن سعد

قال ابن هشام : حكم بن سعد : من القين بن جسر ، وأم البنين : بنت عمرو بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وهى أم أبى براء .

قال ابن إسحاق : فحمل ربيعة بن عامر بن مالك على عامر بن الطفيل ؛ فطعنه بالرمح ، فوقع

---

(١) أم البنين : هى ليلى بنت عامر التى يذكرها لبيد فى قوله :

نحن بنى أم البنين الاربعـــة

ولم يكونوا أربعـــة بل كانوا إخوة خمسة : طفيل فارس قرزل ، وعامر ملاعب الأسنة ، وربيعة المقترين وهو والد لبيد ، وعبيدة الوضاح ، ومعاوية معوذ الحكماء وهو الذى يقول :

إذا سقط السماء بأرض قوم ... رعيناه وإن كانوا غضابا

وفى هذا الشعر يقول :

يعوذ مثلها الحكماء بعدى ... إذا ما الأمر فى الحدثان نابا

وبهذا البيت سمى معوذ الحكماء .

وإياهم عنى لبيد حين قال بين يدى النعمان بن المنذر :

نحن بنى أم البنين الأربعة ... المطعمون الجفنة المدعدعه

والضاربون الهام تحت الخيضعة ... يارب هيجا هى خير من دعه

وإنما قال : الأربعة ، وهم خمسة ، لأن أباه ربيعة قد كان مات قبل ذلك ، لا كما قال بعض النحويين أنه قال إنما قال أربعة ، ولم يقل خمسة من أجل القوافى ، فيقال له : لا يجوز للشاعر أن يلحن لإقامة وزن الشعر ، فكيف بأن يكذب لإقامة الوزن ، وأعجب من هذا أنه استشهد به على تأويل فاسد تأوله فى قوله سبحانه : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » وقال : أراد جنة واحدة ، وجاء بلفظ التثنية ، لتتفق رءوس الآى ...

فى فخذه ، فأشواه ، ووقع عن فرسه ، فقال : هذا عمل أبى براء ، إن أمت فدمى لعمى ، فلا يتبعن به ، وإن أعش فسأرى رأيى فيما أتى إلىّ .

وقال أنس بن عباس السُّلمى ، وكان خال طُعَيمة بن عدى بن نوفل ، وقتل يومئذ نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى :

تركتُ ابنَ ورقاءَ الخزاعىَّ ثاويا بمعترَكٍ تَسْفِى عليه الأعاصِرُ
ذكرت أبا الريانِ لما رأيتُه وأيقنت أنى عندَ ذلك ثائرُ

وأبو الريان : طعيمة بن عدى .

وقال عبد الله بن رواحة يبكى نافع بن بديل بن ورقاء :

رحم اللهُ نافعَ بنَ بُدَيْلٍ رحمةَ المبتغِى ثوابَ الجهادِ
صابرٌ صادقٌ وفىٌّ إذا ما أكثرَ القومُ قال قولَ السَّداد

وقال حسان بن ثابت يبكى قتلى بئر معونة ، ويخص المنذر بن عمرو :

على قتلَى معونةَ فاستهِلّى بدَمعِ العينِ سَحّاً غيرَ نَزْرِ
على خيلِ الرسولِ غَداةَ لاقوا مناياهم ولاقتهم بقَدْرِ
أصابهم الفناءُ بعَقدِ قومٍ تُخُوِّنَ عَقدُ حبلِهم بغَدْرِ
فيا لهفى لمنذرِ إذ تولّى وأعنقَ فى مَنيتِهِ بصبرِ[1]
وكائن قد أُصيبَ غداةَ ذاكم من ابيَضَ ماجدٍ من سِرِّ عمرو[2]

قال ابن هشام : أنشدنى آخرها بيتا أبو زيد الأنصارى .

وأنشدنى لكعب بن مالك فى يوم بئر معونة ، يعير بنى جعفر بن كلاب :

تركتم جارَكم لبنى سُليمٍ مخافةَ حربِهم عجزاً وهُونَا

---

(١) أعنق : أسرع .
(٢) السر : الخالص .

فلو نَبَلا تناولَ من عُقيلٍ . لَمِلْدِ بِحَبْلِهَا حبلا متينا[1]
أو القُرطاءِ ما إن أسلموه . وقِدْمًا ما وفوا إذ لا تفونا

قال ابن هشام : القرطاء : قبيلة من هوازن ، ويروى « من نُفَيل » مكان « من عقيل » ، وهو الصحيح : لأن القرطاء من نفيل قريب .

أمر إجلاء بنى النضير

فى سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى النَّضِير يستعينهم فى دية ذينك القتيلين من بنى عامر ، اللذين قتل عمرو بن أمية الضمْرى ، للجوار الذى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد لهما ، كما حدثنى يزيد بن رومان ، وكان بين بنى النضير وبين بنى عامر عقد وحلف . فلما أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يستعينهم فى دية ذينك القتيلين ، قالوا نعم ، يا أبا القاسم ، نعينك على ما أحببت ، مما استعنت بنا عليه . ثم خلا بعضهم ببعض ، فقالوا إنكم لن تجدوا الرجل على مثل حاله هذه — ورسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنب جدار من بيوتهم قاعد — فمن رجل يعلو على هذا البيت ، فيلقى عليه صخرة ، فيريحنا منه ؟ فانتدب لذلك عمرو بن جحّاش بن كعب ، أحدهم ، فقال : أنا لذلك ، فصعد ليلقى عليه صخرة كما قال ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أصحابه ، فيهم أبو بكر وعمر وعلى ، رضوان الله عليهم .

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما أراد القوم ، فقام وخرج راجعا إلى المدينة . فلما استلبث النبىَّ صلى الله عليه وسلم أصحابُه ، قاموا فى طلبه ، فلقوا رجلا مقبلا من المدينة ، فسألوه عنه : فقال : رأيته داخلا المدينة . فأقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى انتهوا إليه صلى الله عليه وسلم ، فأخبرهم الخبر ، بما كانت اليهود أرادت من الغدر به ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم ، والسير إليهم .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

---

(1) يريد بالحبل : العهد .

قال ابن إسحاق : ثم سار بالناس حتى نزل بهم .

قال ابن هشام : وذلك في شهر ربيع الأول ، فحاصرهم ست ليال ، ونزل تحريم الخمر .

قال ابن إسحاق : فتحصنوا منه في الحصون ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها ، فنادوه : أنْ يا محمد ، قد كنت تنهى عن الفساد ، وتعيبه على من صنعه ، فما بال قطع النخل وتحريقها[1] ؟

وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج ، منهم عدو الله عبد الله بن أُبيّ ابن سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل ، وسويد وداعس ، قد بعثوا إلى بني النضير : أن اثبتوا وتمنعوا ، فإنا لن نسلمكم ، إن قُوتلتم قاتلنا معكم ، وإن أُخرجتم خرجنا معكم ، فتربصوا ذلك من نصرهم ، فلم يفعلوا ، وقذف الله في قلوبهم الرعب ، وسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجليهم ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حملت الإبل من أموالهم إلا الحَلْقة[2] ، ففعل . فاحتملوا من أموالهم ما استقلت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجافِ[3] بابه ، فيضعه على ظهر بعيره فينطلق به . فخرجوا إلى خيبر ، ومنهم من سار إلى الشام .

فكان أشرافهم من سار منهم إلى خيبر : سلّام بن أبي الحُقيق ، وكنانة بن الربيع بن أبي الحُقيق ، وحُيَيّ بن أخطب . فلما نزلوها دان لهم أهلها .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث : أنهم استقلوا بالنساء والاموال ، معهم الدفوف والمزامير ، والقيان يعزفن خلفهم ، وإن فيهم لأم عمرو صاحبة عروة بن الورد العبسي ، التي ابتاعوا منه ، وكانت احدى نساء بني غِفار[4] ، بزُهاء وفخر ما رُئيَ مثله من حَيّ من الناس في زمانهم .

---

(١) قال أهل التأويل : وقع في نفوس المسلمين من هذا الكلام شيء ، حتى أنزل الله تعالى : « ماقَطَعتم من لينةٍ ، أو تركتموها قائمة على أصولها » . واللينة ألوان التمر ما عدا العجوة . والبرني ففي هذه الآية أن النبي — صلى الله عليه وسلم — لم يحرق من نخلهم إلا ماليس بقوت للناس وكانوا يقتاتون العجوة

(٢) الحلقة : السلاح .

(٣) النجاف : عتبة الباب العليا .

(٤) لم يذكر اسمها في رواية البكائي عنه ، وذكره في غيرها ، وهي سلمى قال الأصمعي =

وتخلّوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، يضعها حيث يشاء ، فقسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم على المهاجرين الأولين دون الأنصار . إلا أن سهل بن حُنيف وأبا دُجانة سِماك بن خَرَشَة ذكرا فقرا ، فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يسلم من بنى النضير إلا رجلان : يامين بن عُمَير ، أبو كعب بن عمرو بن جحاش ، وأبو سعد بن وهب ، أسلما على أموالهما فأحرزاها .

قال ابن إسحاق — وقد حدثنى بعض آل يامين : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليامين : ألم تر ما لَقِيت من ابن عمك ، وما هم به من شأنى ؟ فجعل يامين بن عمير لرجل جُعْلا على أن يقتل له عمرو بن جحاش ، فقتله فيما يزعمون .

ما نزل فى بنى النضير من القرآن : ونزل فى بنى النضير سورة الحشر بأسرها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمته . وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : « هو الذى أخرجَ الذين كفروا من أهلِ الكتابِ من ديارِهم لأولِ الحشرِ [1] ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم مانِعَتُهم حصونُهم من اللهِ ، فأتاهمُ اللهُ من حيثُ لم يحتسبوا ،

= اسمها . ليلى بنت شعواء ، وقال أبو الفرج : هى سلمى أم وهب امرأة من كنانة ، كانت ناكحاً فى مزينة ، فأغار عليهم عروة بن الورد ، فسباها ، وذكر الحديث ، وقول أبى الفرج إنها من كنانة لا يدفع قول ابن إسحاق إنها من غفار ، لأن غفار من كنانة . غفار بن مليل بن ضمرة بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة .

(١) روى موسى بن عقبة أنهم قالوا له : إلى أين نخرج يا محمد ؟ قال : إلى الحشر ، يعنى : أرض المحشر ، وهى الشام ، وقيل : إنهم كانوا من بسط لم يصبهم جلاء قبلها ، فلذلك قال : لأول الحشر ، والحشر : الجلاء ، وقيل إن الحشر الثانى ، هو حشر النار التى تخرج من قعر عدن ، فتحشر الناس إلى الموقف ، تبيت معهم ، حيث باتوا ، وتقيل معهم حيث قالوا ، وتأكل من تخلف ، والآية متضمنة لهذه الأقوال كلها ، ولزائد عليها ، فإن قوله : لأول الحشر يؤذن أن ثم حشراً آخر ، فكان هذا الحشر والجلاء إلى خيبر ، ثم أجلاهم عمر من خيبر إلى تيماء وأريحا ، وذلك حين بلغه التثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يبقين دينان بأرض العرب .

وقذف فى قلوبهم الرعبَ ، يُخربون بيوتَهم بأيديهم وأيدى المؤمنين » ، وذلك لهدمهم بيوتهم عن نُجُف أبوابهم إذا احتملوها . « فاعتبِروا يا أولى الأبصارِ ، ولولا أنْ كتبَ اللهُ عليهمُ الجلاءَ » وكان لهم من الله نقمة ، « لعذبهم فى الدنيا » : أى بالسيف ، « ولهم فى الآخرةِ عذابُ النارِ » مع ذلك . « ما قطعتم من لِينَةٍ أو تركتموها قائمةً على أصولِها » . واللينة : ما خالفَ العجوة من النخل « فبإذنِ اللهِ » : أى فبأمر الله قطعت ، لم يكن فساداً ، ولكن كان نقمة من الله « وليخزىَ الفاسقين » .

قال ابن هشام : اللينة : من الألوان ، وهى ما لم تكن بَرْنية ولا عجوة من النخل ، فيما حدثنا أبو عبيدة . قال ذو الرمة :

كأن قُتُودِى فوقَها عُشُّ طائرٍ على لِينَةٍ سَوْقاء تهفو جُنوبُها[1]

وهذا البيت فى قصيدة له .

« وما أفاءَ اللهُ على رسولِه منهم » — قال ابن إسحاق : يعنى من بنى النضير — « فما أوْجَفْتُمْ عليه من خَيْلٍ ولا رِكابٍ ، ولكن اللهَ يُسَلِّطُ رسلَه على من يشاء ، واللهُ على كلِّ شىءٍ قديرٌ » : أى له خاصة .

قال ابن هشام : أوجفتم : حركتم وأتعبتم فى السير . قال تميم بن أبىّ بن مقبل أحد بنى عامر ابن صَعْصَعة :

مَذاوِيدُ بالبيضِ الحديثِ صِقالُها عن الركبِ أحياناً إذا الركبُ أوجفوا[2]

وهذا البيت فى قصيدة له ، وهو الوَجِيف . وقال أبو زبيد الطائى ، واسمه حرملة ابن المنذر :

مُسْنِفاتٌ كأنهن قَنا الهنْـ ـدِ لطولِ الوجيفِ جَدْبَ المَرودِ[3]

وهذا البيت فى قصيدة له :

قال ابن هشام : السناف : البطان . والوجيف : وجيف القلب والكبد ، وهو الضربان .

---

(١) القتود : الرحل مع أدواته . السوقاء : عظيمة الساق . الجنوب : النواحى .
(٢) المذاويد : المدافعون عن قومهم . والبيض : السيوف .
(٣) مسنفات : مشدودات بالأحزمة . والمرود : الموضع الذى يطلب فيه المرعى .

قال قيس بن الخطيم الظَّفَرِىّ :

إنا وإن قدَّموا التى عَلِموا ... أكبادُنا من ورائهم تَجِفُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

« ما أفاء اللهُ على رسولِه من أهلِ القرى فللهِ وللرسولِ » — قال ابن إسحاق : ما يوجف عليه المسلمون بالخيل والركاب ، وفُتح بالحرب عنوة فلله وللرسول — « ولذى القربى واليتامى والمساكينِ وابنِ السبيلِ ، كيلا يكونَ دُولَةً بين الأغنياء منكم ، وما آتاكم الرسولُ فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » . يقول : هذا قسم آخر فيما أصيب بالحرب بين المسلمين ، على ما وضعه الله عليه .

ثم قال تعالى : « ألم ترَ إلى الذين نافقوا » يعنى عبد الله بن أُبىّ وأصحابه ، ومن كان على مثل أمرهم « يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهلِ الكتابِ » : يعنى بنى النضير ، إلى قوله « كمثَلِ الذين من قبلِهم قريبا ذاقوا وبالَ أمرِهم ، ولهم عذابٌ أليمٌ » : يعنى بنى قينقاع . ثم القصة . . إلى قوله : « كمَثَلِ الشيطانِ إذ قال للإنسانِ اكفرْ ، فلما كفرَ قال إنى برىءٌ منك ، إنى أخافُ اللهَ ربَّ العالمين ، فكان عاقبتَهما أنهما فى النــــار خالدينَ فيها ، وذلك جزاءُ الظالمين » .

ما قيل فى بنى النضير من الشعر : وكان مما قيل فى بنى النضير من الشعر قول ابن لُقَيم العبسى ، ويقال : قاله قيس بن بحر بن طريف . قال ابن هشام : قيس بن بحر الأشجعى — فقال :

أهلى فداءٌ لامرىءٍ غيرِ هالكٍ ... أحلَّ اليهودَ بالحسِىِّ المزنَّمِ(١)

(١) يريد : أحلهم بأرض غربة ، وفى غير عشائرهم ، والزنيم : الرجل يكون فى القوم ، وليس منهم ، أى أنزلهم بمنزلة الحسىّ ، أى المبعد الطريد ، وإنما جعل الطريد الذليل حسياً لأنه عرضة للأكل ، والحسى والحسو ما يحسى من الطعام حسواً ، أى أنه لا يمتنع على آكل ، ويجوز أن يريد بالحسى معنى الغذى من الغنم ، وهو الصغير الضعيف الذى لا يستطيع الرعى ، يقول : بدلوا بالمال الدثر والإبل الكوم ، رذال المال وغذاء الغنم ، والمزنم منه ، فهذا وجه يحتمل ، وقد أكثرت البحث عن الحِسِى فى مظانه من اللغة فلم أجد نصاً شافياً أكثر من قول أبى على : =

يَقِيلون فى جمرِ الغَضاةِ وبُدِّلوا ۞ أُهَيْضِبَ غُودَى بالوَدِىِّ المكَمِ (١)
فإن يك ظنى صادقا بمحمدٍ ۞ تروْا خيلَه بين الصَّلا ويَرَمْرَمِ
يؤم بها عمرو بن بُهْثة إنهم ۞ عدوٌّ وما حىٌّ صديقٌ كمجرِمِ
عليهن أبطالٌ مساعيرُ فى الوغَى ۞ يَهزون أطرافَ الوشيجِ المقوَّمِ (٢)
وكلَّ رقيقِ الشفرتين مُهندٍ ۞ تُوورِثْنَ من أزمانِ عادٍ وجُرهُمِ
فمن مُبلغٌ عنى قريشا رسالةً ۞ فهل بعدهم فى المجدِ مِن مُتكرَّمِ
بأن أخاكم فاعلمُنَّ محمداً ۞ تليدُ الندَى بينَ الحجونِ وزمزمِ (٣)
فدينوا له بالحقِّ تجسُمْ أمورُكم ۞ وتَسمُوا من الدنيا إلى كلِّ مُعظَمِ
نبىٌّ تلاقته من اللهِ رحمةٌ ۞ ولا تسألوه أمرَ غيبٍ مُرَجَّمِ (٤)
فقد كان فى بدرٍ لعَمرىَ عِبرةٌ ۞ لكم يا قريشا والقَليبِ الملمِّ
غداةَ أتى فى الخزرجيةِ عامداً ۞ إليكم مُطيعا للعظيمِ المكرَّمِ
مُعَاناً بروحِ القدسِ يَنْكِى عدوَّه ۞ رسولا من الرحمنِ حقاً بمَعْلَمِ (٥)
رسولا من الرحمنِ يتلو كتابَه ۞ فلما أنارَ الحقُّ لم يتلعثمِ
أرى أمرَه يزدادُ فى كلِّ موطنٍ ۞ عُلواً لأمرٍ حمَّه اللهُ مُحكَمِ (٦)

قال ابن هشام: عمرو بن بهثة، من غطفان. وقوله «بالحسى المزنم»، عن غير ابن إسحاق.

= الحسية، والحسى ما يحسى من الطعام، وإذا قد وجدنا الغذى واحد غذاء الغنم، فالحسى فى معناه غير ممتنع أن يقال، والله أعلم. والمزنم أيضاً: صغار الإبل - عن الروض الأنف.

(١) الغضاة: الشجر. الأهيضب: المكان المرتفع. غودى: اسم مكان. الودى المكمم: صغار النخل الذى خرج طلعه.

(٢) الوشيج: الرماح.   (٣) الحجون: موضع فى مكة.

(٤) المرجم: غير المتيقن.   (٥) المعلم: الموضع العالى.

(٦) حمه: قدره.

قال ابن إسحاق : وقال على بن أبى طالب : يذكر إجلاء بنى النضير ، وقتل كعب ابن الأشرف .

قال ابن هشام : قالها رجل من المسلمين غير على بن أبى طالب ، فيما ذكر لى بعض أهل العلم بالشعر ، ولم أر أحداً منهم يعرفها لعلى :

عرفْتُ ومَن يعتدلْ يَعرفِ ... وأيقنْتُ حقا ولم أصدِفِ (١)

عن الكَلِمِ المُحكَمِ الآيِ من ... لدَى اللهِ ذى الرأفةِ الأرأفِ

رسائلَ تُدرسُ فى المؤمنين ... بهن اصطفَى أحمدَ المصطفَى

فأصبح أحمدُ فينا عزيزاً ... عزيزَ المُقامَةِ والموقف

فيأيها المُوعِدوه سَفاها ... ولم يأتِ جَوْراً ولم يعنُفِ

ألستم تخافون أدنَى العذابِ ... وما آمِنُ اللهِ كالأخوف

وأن تُصرعوا تحت أسيافِه ... كمصرعِ كعبٍ أبى الأشرف

غداةَ رأى اللهُ طغيانَه ... وأعرضَ كالجملِ الأجنفِ (٢)

فأنزل جبريلَ فى قتلِه ... بوَحْيٍ إلى عبدِه مُلطَف

فدس الرسولُ رسولا له ... بأبيضَ ذى هَبَّةٍ مُرهَفِ (٣)

فباتت عيونٌ له مُعوِلاتٌ ... متى يُنعَ كعبٌ لها تَذرِف

وقلن لأحمدَ ذَرنا قليلا ... فإنا من النَّوحِ لم نشتفِ

فخلّاهم ثم قال اظعَنوا ... دُحورا على رغمِ الآنُفِ (٤)

وأجلى النضيرَ إلى غربةٍ ... وكانوا بدارِ ذوى زخرُف

إلى أذرعاتٍ رُدافَى وهم ... على كلِّ ذى دَبَرٍ أعجفِ (٥)

---

(١) أصدف : أعرض . (٢) الأجنف : المائل إلى جهة .

(٣) الأبيض : السيف . والهبة : الاهتزاز .

(٤) رغم الآنف : أى رغم أنفسكم ، أى على هوان ومذلة .

(٥) يريد على جمل جريح هزيل .

فأجابه سَمّاك اليهودى ، فقال :

إن تفخروا فهو فخر لكم بمقتل كعب أبى الأشرف
غداة غدوتم على حتفه ولم يأت غدراً ولم يخلف
فعل الليالى وصرف الدهور يديلن من العادل المنصف[1]
بقتل النضير وأحلافها وعقر النخيل ولم تقطف
فإن لا أمت نأتكم بالقنا وكل حسام معا مرهف
بكف كمىّ به يحتمى متى يلق قرنا له يتلف
مع القوم صخر وأشياعه إذا غاور القوم لم يضعف
كليث بترج حمى غيله أخى غابة هاصر أجوف[2]

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب بن الأشرف :

لقد خزيت بغدرتها الحبور كذاك الدهر ذو صرف يدور[3]
وذلك أنهم كفروا برب عزيز أمره أمر كبير
وقد أوتوا معا فهما وعلما وجاءهم من الله النذير
نذير صادق أدى كتابا وآيات مبينة تنير
فقالوا ما أتيت بأمر صدق وأنت بمنكر منا جدير
فقال بلى لقد أديت حقا يصدقنى به الفهم الخبير
فمن يتبعه يهد لكل رشد ومن يكفر به يجز الكفور

(١) يريد بالعادل المنصف محمداً صلى الله عليه وسلم وقد أراد الملعون التهكم عليه صلى الله عليه وسلم أو يكون كما قال أبو ذر فى شرح السيرة أن يكون اللفظ للمدح والمعنى للذم كما قال سبحانه وتعالى « ذق إنك أنت العزيز الكريم » .

(٢) ترج : جبل بالحجاز . وغيله : جمع غيلة وهى أجمة الأسد . والأجوف : عظيم الجوف .

(٣) الحبور : العلماء .

فلما أُشربوا غدراً وكفراً — وحاد بهم عن الحقّ النُّفورُ
أرى اللهُ النبيَّ برأيِ صدقٍ — وكان اللهُ يحكمُ لا يجورُ
فأيده وسلّطه عليهم — وكان نصيرُه نعمَ النصيرُ
فغودر منهمُ كعبٌ صريعا — فذلّت بعد مصرعِه النضيرُ
على الكفين ثَمّ وقد علته — بأيدينا مُشْهَرةٌ ذُكورُ(١)
بأمرِ محمدٍ إذ دَسّ ليلا — إلى كعبٍ أخا كعبٍ يسيرُ
فماكَرَهُ فأنزله بمكرٍ — ومحمودٌ أخو ثقةٍ جسورُ
فتلك بنو النضيرِ بدارِ سوءٍ — أبارَهمُ بما اجترموا المُبيرُ(٢)
غداةَ أتاهمُ في الزحفِ رَهْواً — رسولُ اللهِ وهْوَ بهم بصيرُ(٣)
وغسانُ الحُماةُ موازِروه — على الأعداءِ وهْوَ لهم وزيرُ
فقال السّلمَ ويحكمُ فَصَدّوا — وحالفَ أمرَهم كذبٌ وزورُ(٤)
فذاقوا غبَّ أمرِهمُ وَبالاً — لكلّ ثلاثةٍ منهم بعيرُ
وأُجلوا عامدين لقينقاعٍ — وغُودِرَ منهمُ نخلٌ ودورُ

فأجابه سَمّاك اليهودى، فقال:

أَرِقتُ وضافنى همٌّ كبيرٌ — بليلٍ غيرُه ليلٌ قصيرُ(٥)
أرى الأحبارَ تُنكرُه جميعا — وكلهمُ له علمٌ خبيرُ
وكانوا الدارسين لكلّ علمٍ — به التوراةُ تَنطِقُ والزبورُ
قتلتم سيدَ الأحبارِ كعباً — وقِدما كان يأمن من يُجيرُ
تدلّى نحوَ محمودٍ أخيه — ومحمودٌ سريرتُه الفُجورُ
فغادره كأن دَماً نجيعا — يسيلُ على مدارِعِه عبيرُ(٦)
فقد وأبيكمُ وأبى جميعا — أصيبتْ إذ أصيبَ به النضيرُ
فإن نَسلمْ لكم نترُكْ رجالا — بكعبٍ حولهم طيرٌ تدورُ

---

(١) مشهرة : مسلولة . ذكور : قوية . (٢) أبارهم : أهلكم .

(٣) الرهو : المشى فى تؤدة . (٤) حالف : صاحب .

(٥) ضافنى : نزل بى . (٦) الدم النجيع : الطرى . المدارع : ملابس من صوف؛ والعبير : الأخلاط من الطيب .

كأنهمُ عتائرُ يومَ عيدٍ ... تُذبَّحُ وهْيَ ليسَ لها نكيرُ(١)
ببيضٍ لا تُليقُ لهن عظما ... صَوافِي الحدِّ أكثرُها ذُكورُ(٢)
كما لاقيتمُ من بأسِ صَخرٍ ... بأُحْدٍ حيث ليسَ لكم نصيرُ(٣)

وقال عباس بن مرداس أخو بنى سليم يمتدح رجال بنى النضير :

لو أن أهلَ الدارِ لم يتصدعوا ... رأيتَ خِلالَ الدارِ ملهًى وملعباً
فإنك عَمْرِى هل أُريكَ ظعائناً ... سلكن على ركنِ الشَّطاةِ فَتَيأبا(٤)
عليهن عِينٌ من ظِباءِ تَبالةٍ ... أوانسُ يُصبين الحليمَ المجرَّبا(٥)
إذا جاء باغى الخيرِ قلن فُجاءةً ... له بوجوهٍ كالدنانيرِ مرحبا
وأهلا فلا ممنوعَ خيرٍ طلبتَه ... ولا أنت تخشى عندنا أن تُؤنَّبا
فلا تحسبنِّى كنتُ مولى ابن مِشْكَمٍ ... سَلامٍ ولا مولى حُيَيِّ بنِ أخطبا

فأجابه خَوَّات بن جُبَيْر، أخو بنى عمرو بن عوف، فقال :

تُبَكِّى على قتلَى يهودَ وقد ترى ... من الشجوِ لو تبكى أحبُّ وأقربا
فهلاَّ على قتلَى ببطنِ أُرَيْنِقٍ ... بكيتَ ولم تُعولْ من الشجوِ مُسْهِبا(٦)
إذا السِّلْمُ دارت فى صديقٍ رَدَدْتَها ... وفى الدينِ صدَّاداً وفى الحربِ ثعلبا
عَمدتَ إلى قدرٍ لقومِك تبتغى ... لهم شَبَهاً كيما تَعِزَّ وتَغلبا
فإنك لما أن كَلِفتَ تَمدُّحاً ... لمن كان عَيْباً مَدحُه وتكذُّبا
رحلتَ بأمرٍ كنتَ أهلا لمثلِه ... ولم تُلفِ فيهم قائلا لك مرحبا
فهلاَّ إلى قومٍ ملوكٍ مدحتَهم ... تبنَّوْا من العزِّ المؤثَّلِ منصبا(٧)
إلى معشرٍ صاروا ملوكا وكُرِّموا ... ولم يُلْفَ فيهم طالبُ العرفِ مُجدِبا

---

(١) العتائر : الذبائح . (٢) لا تليق : لا تبقى ولا تذر .
(٣) صخر : يقصد به أبا سفيان بن حرب .
(٤) الظعائن : النساء فى الهوادج . الشطاة وتيأب : موضعان .
(٥) العين : واسعات الأعين . تبالة : موضع باليمن يشتهر بالظباء . ويصبين : يذهبن العقل .
(٦) المسهب : المتغير الوجه . (٧) المؤثل : القديم .

أولئك أحرى من يهودٍ بمدحةٍ ... تراهم وفيهم عزةُ المجدِ تُرتُبا(١)

فأجابه عباس بن مرداس السلمى ، فقال :

هجوت صريحَ الكاهنَين وفيكمُ ... لهم نِعَمٌ كانت من الدهرِ تُرتَبا(٢)

أولئك أحرى لو بكيتَ عليهمُ ... وقومُك لوأدوا من الحقِّ مُوجَبا

من الشكرِ إن الشكرَ خيرٌ مَغَبَّةٍ ... وأوفقُ فعلا للذى كان أصوبا(٣)

فكنتَ كمن أمسى يُقطِّعُ رأسَه ... ليبلغَ عزا كان فيه مُرَكَّبا

فبكِّ بنى هارون واذكر فعالَهم ... وقتلَهمُ للجوعِ إذ كنتَ مُجدِبا

أخوّاتُ أذْرِ الدمعَ بالدمعِ وابكِهم ... وأعرِضْ عن المكروهِ منهم ونَكِّبا(٤)

فإنك لو لاقيتَهم فى ديارِهم ... لألفيتَ عما قد تقول مُنكِّبا

سِراعٌ إلى العَليا كرامٌ لدى الوَغَى ... يقال لباغى الخيرِ أهلا ومرحبا

فأجابه كعب بن مالك ، أو عبد الله بن رواحة فيما قال ابن هشام ، فقال :

لعَمْرِى لقد حكَّتْ رَحَى الحربِ بعدما ... أطارت لؤَيّاً قبلُ شَرقا ومغربا

بقيةَ آلِ الكاهنين وعزَّها ... فعادَ ذليلا بعد ما كان أغلبا

فطاح سَلَامٌ وابنُ سَعْيَةَ عَنوةً ... وقِيدَ ذليلا للمنايا ابنُ أخْطَبا

وأجلبَ يبغى العزَّ والذلَّ يبتغى ... خلافَ يديه ما جنى حين أجلبا

كتاركِ سهلِ الأرضِ والحزنِ همَّهُ ... وقد كان ذا فى الناسِ أكدَى وأصعبا(٥)

وشأسٌ وعزَّالٌ وقد صَليا بها ... وما غُيِّبا عن ذاكَ فيمن تغيبا

وعوفُ بنُ سَلمى وابنُ عوفٍ كلاهُما ... وكعبٌ رئيسُ القومِ حانَ وخُيِّبا(٦)

فبُعداً وسُحقا للنضيرِ ومثلِها ... إنِ اعقبَ فتحٌ أو إنِ اللهُ أعقبا

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بنى النضير بنى المصطلق . وسأذكر حديثهم إن شاء الله فى الموضع الذى ذكره ابن إسحاق فيه .

---

(١) الترتب : الثابت .

(٢) الكاهنان : قريظة والنضير ، وفى الحديث : يخرج فى الكاهنين رجل يدرس القرآن درساً لم يدرسه أحد قبله ، ولا يدرسه أحد بعده ، فكانوا يرونه محمدا بن كعب القرظى وهو محمد بن كعب بن عطية ، والكاهن فى اللغة بمعنى الكاهل ، وهو الذى يقوم بحاجة أهله ، إذا خلف عليهم ، يقال : وهو كاهن أبيه وكاهله ، قاله الهروى ، فيحتمل أن يكون سمى الكاهنان بهذا .

(٣) المغبة : العاقبة . (٤) نكب : أبعد .

(٥) الحزن : الأرض العالية . الأكدى : الذى لم يبلغ حاجته . (٦) حان : هلك .

غزوة ذات الرقاع

فى سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعد غزوة بنى النضير شهر ربيع الآخر وبعض جمادى ، ثم غزا نجداً يريد بنى محارب وبنى ثعلبة من غطفان ، واستعمل على المدينة أبا ذَرٍّ الغِفارِىَّ ؛ ويقال : عثمان بن عفان ، فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : حتى نزل نَخْلا [1] ، وهى غزوة ذات الرقاع .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها غزوة ذات الرقاع ، لأنهم رقعوا فيها راياتهم ، ويقال : ذات الرقاع : شجرة بذلك الموضع ، يقال لها : ذات الرقاع [2] .

قال ابن إسحاق : فلقى بها جمعا عظيما من غَطَفان ، فتقارب الناس ، ولم يكن بينهم حرب ، وقد خاف الناس بعضهم بعضاً ، حتى صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس صلاة الخوف ، ثم انصرف بالناس .

صلاة الخوف : قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التَّنُّورى — وكان يكنى : أبا عُبيدة — قال : حدثنا يونس بن عُبيد ، عن الحسن بن أبى الحسن ، عن جابر بن عبد الله فى صلاة الخوف ، قال : صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بطائفة ركعتين ثم سلم ، وطائفة مقبلون على العدو قال : فجاءوا فصلى بهم ركعتين أخريين ، ثم سلم .

---

(١) نخل : موضع بنجد.

(٢) وذكر غيره أنها أرض فيها بقع سود ، وبقع بيض ، كأنها مرقعة برقاع مختلفة ، فسميت ذات الرقاع لذلك ، وكانوا قد نزلوا فيها فى تلك الغزاة ، وأصح من هذه الأقوال كلها مارواه البخارى من طريق أبى موسى الأشعرى : قال : « خرجنا مع النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى غزاة ، ونحن ستة نفر بيننا بعير نعتقبه ، فنقبت أقدامنا ، ونقبت قدماى ، وسقطت أظفارى ، فكنا نلف على أرجلنا الخرق ، فسميت غزوة ذات الرقاع ، لما كنا نعصب من الخرق على أرجلنا ، وحدث أبو موسى بهذا ، ثم كره ذلك ، فقال : ما كنت أصنع بأن أذكره : كأنه كره أن يكون شيئاً من عمله أفشاه .

قال ابن هشام : وحدثنا عبد الوارث ، قال : حدثنا أيوب ، عن أبي الزبير ، عن جابر ، قال : صفنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صفين ، فركع بنا جميعا ، ثم سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسجد الصف الأول ، فلما رفعوا سجد الذين يلونهم بأنفسهم . ثم تأخر الصف الأول ، وتقدم الصف الآخر حتى قاموا مقامهم ثم ركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، ثم سجد النبي صلى الله عليه وسلم وسجد الذين يلونه معه ؛ فلما رفعوا رءوسهم سجد الآخرون بأنفسهم . فركع النبي صلى الله عليه وسلم بهم جميعا ، وسجد كل واحد منهما بأنفسهم سجدتين .

قال ابن هشام : حدثنا عبد الوارث بن سعيد التَّنُّورى ، قال : حدثنا أيوب عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : يقوم الإمام وتقوم معه طائفة ، وطائفة مما يلي عدوهم ، فيركع بهم الإمام ويسجد بهم ، ثم يتأخرون فيكونون مما يلي العدو ، يتقدم الآخرون فيركع بهم الإمام ركعة ، ويسجد بهم ، ثم تصلي كل طائفة بأنفسهم ركعة ، فكانت لهم مع الإمام ركعة ركعة ، وصلوا بأنفسهم ركعة ركعة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن عُبَيْد ، عن الحسن ، عن جابر بن عبد الله : أن رجلا من بني محارب ، يقال له : غَوْرَث ، قال لقومه من غطفان ومحارب: ألا أقتل لكم محمداً ؟ قالوا: بلى ، وكيف تقتله ؟ قال : أفتك به . قال : فأقبل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حِجْره ، فقال : يا محمد ، أنظر إلى سيفك هذا ؟ قال : نعم — وكان محلًى بفضة ، فيما قال ابن هشام — قال : فأخذه فاستله ، ثم جعل يهزه ، ويهم فيكبته الله ؟ ؛ ثم قال : يا محمد ، أما تخافني ؟ قال : لا ، وما أخاف منك ؟! قال : أما تخافني وفي يدي السيف ؟ قال : لا ، يمنعني الله منك ، ثم عمد إلى سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرده عليه . قال : فأنزل الله : « يا أيها الذينَ آمنوا اذكروا نعمةَ اللهِ عليكم إذ هَمَّ قومٌ أن يَبسطوا إليكم أيديَهم ، فكفَّ أيديَهم عنكم ، واتقوا اللهَ ، وعلى اللهِ فليتوكلِ المؤمنون » .

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن رُومَان : أنها إنما أنزلت في عمرو بن جَحَّاش ، أخي بني النضير وما هَمَّ به ، فالله أعلم أي ذلك كان .

قال ابن إسحاق : وحدثني وهب بن كيسان ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة ذات الرقاع من نَخْل ، على جمل لي ضعيف ؛ فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال جعلت الرفاق تمضي ، وجعلت أتخلف ، حتى أدركني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال . مالك يا جابر ؟ قال : قلت : يارسول الله ، أبطأ بي جملي هذا ، قال أنخه . قال : فأنخته ؛ وأناخ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أعطني هذه العصا ؛

من يدك ، أو اقطع لى عصا من شجرة ، قال : ففعلت . قال : فأخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فنخسه بها نخسات ، ثم قال : اركب ، فركبت، فخرج، والذى بعثه بالحق ، يواهق[١] ناقته مواهقة .

قال : وتحدثت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال لى : أتبيعنى جملك هذا ياجابر ؟ قال : قلت :يارسول الله ، بل أهبه لك ، قال : لا ، ولكن بعنيه ، قال : قلت: فَسُمْنيه يارسول الله ، قال : قد أخذته بدرهم ؛ قال: قلت : لا ، إذن ، تغبنني يارسول الله ! قال : فبدرهمين ؛ قال : قلت : لا . قال : فلم يزل يرفع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمنه حتى بلغ الأوقية . قال : فقلت أفقدْرَضيت يارسول الله ؟ قال: نعم :قلت : فهو لك ؛ قال : قدأخذته قال : ثم قال : يا جابر، هل تزوجت بعدُ؟ قال : قلت:نعم يارسول الله ، قال : أثيبًا أم بكراً؟ قال : قلت : لا ، بل ثيبا ، قال : أفلا جاريةً تلاعبُها وتلاعبك ! قال . قلت : يارسول الله ، إن أبى أصيب يوم أحد وترك بنات له سبعا ، فنكحتُ امرأة جامعة ، تجمع رءوسهن ، وتقوم عليهن ؛ قال أصبتَ إن شاء الله ، أما إنالوقد جئنا صِرارا[٢] أمرنا بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها يومنا ذاك ، وسمِعتْ بنا ، فنفضت نمارقها[٣] . قال : قلت : والله يارسول الله مالنا من نمارق ؛ قال : إنها ستكون ، فإذا أنت قدمت فاعمل عملا كيِّسا . قال : فلما جئنا صرارا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجزور فنحرت ، وأقمنا عليها ذلك اليوم ؛ فلماأمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل ودخلنا ؛ قال : فحدثت المرأة الحديث ، وماقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قالت : فدونَك ، فسمع وطاعة ـ قال : فلما أصبحت أخذت برأس الجمل ، فأقبلت به حتى أنخته على باب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : ثم جلست فى المسجد قريبا منه؛ قال : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرأى الجمل ؛ فقال : ماهذا ؛ قالوا : يارسول الله هذا جمل جاء به جابر ؛ قال : فأين جابر ؟ قال : فدُعيت له ؛ قال ؛ فقال : يابن أخى خذ برأس جملك ، فهو لك ، ودعا بلالا ، فقال له : اذهب بجابر ، فأعطه أوقية . قال : فذهبت معه فأعطانى أوقية ، وزادنى شيئاً يسيرا . قال : فوالله مازال يَنمِى عندى ، ويُرى مكانه من بيتنا حتى أصيب أمس فيما أصيب لنا يعنى يوم الحرّة[٤] .

---

(١) يواهق : يسابق .

(٢) صِرار : موضع قريب من المدينة . (٣) النمارق كل مايجلس عليه من الحشايا وغيرها .

(٤) يعنى : وقعة الحرة التى كانت بالمدينة أيام يزيد بن معاوية على يدى مسلم بن عقبة المرى الذى يسميه أهل المدينة مسرف بن عقبة ، وكان سببها أن أهل المدينة خلعوا يزيد بن معاوية

قال ابن إسحاق : وحدثني عمي صَدَقَةُ[1] بن يسار ، عن عقيل بن جابر ، عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات الرقاع من نخل ، فأصاب رجل امرأة رجل من المشركين ؛ فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا ، أتى زوجها وكان غائبا ، فلما أُخبر الخبر حلف لا ينتهي حتى يُهَرِيق في أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، فخرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلا ، فقال : مَن رجل يكلؤنا ليلتنا هذه ؟ قال : فانتدب رجل من المهاجرين ، ورجل آخر من الأنصار ، فقالا : نحن يارسول الله ، قال : فكونا بفم الشِّعب . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد نزلوا إلى شِعْب من الوادي ، وهما عمار بن ياسر وعبّاد بن بشر فيما قال ابن هشام .

قال ابن إسحاق : فلما خرج الرجلان إلى فم الشعب ، قال الأنصاري للمهاجري أي الليل تحب أن أكفيكه : أوله أم آخره ؟ قال : بل اكفني أوله ، قال : فاضطجع المهاجري فنام ،

= وأخرجوا مروان بن الحكم وبني أمية ، وأمّروا عليهم عبد الله بن حنظلة الغسيل الذي غسلت أباه الملائكة يوم أحد ، ولم يوافق على الخلع أحد من أكابر الصحابة الذين كانوا فيهم ، روى البخاري أن عبد الله بن عمر لما أرجف أهل المدينة بيزيد دعا بنيه ومواليه ، وقال لهم : إنا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله وبيعة رسوله ، وإنه والله لا يبلغني عن أحد منكم أنه خلع يداً من طاعته إلا كانت الفيصل بيني وبينه ، ثم لزم بيته ، ولزم أبو سعيد الخدري بيته ، فدخل عليه في تلك الأيام التي انتهت المدينة فيها ، فقيل له : من أنت أيها الشيخ ؟ فقال : أنا أبو سعيد الخدري صاحب النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقالوا له : سمعنا خبرك ، ولنعم مافعلت حين كففت يدك ، ولزمت بيتك ، ولكن هات المال ، فقال قد أخذه الذين دخلوا قبلكم علي ، وماعندي شيء ، فقالوا كذبت ونتفوا لحيته ، وأخذوا ماوجدوا حتى صوف الفرش ، وحتى أخذوا زوجين من حمام كان صبيانه يلعبون بهما . وأما جابر بن عبد الله الذي كنا بمساق حديثه فخرج في ذلك اليوم يطوف في أزقة المدينة والبيوت تُنتهب ، وهو أعمى ، وهو يعثر في القتلى ويقول تعس من أخاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له قائل : ومن أخاف رسول الله فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخاف المدينة* ، فقد أخاف ما بين جنبي . فحملوا عليه ليقتلوه ، فأجاره منهم مروان ، وأدخله بيته ، وقتل في ذلك اليوم من وجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة ، وقتل من أخلاط الناس عشرة آلاف .

(١) ليس عمه : وإنما هو لقب لقبه به احتراما له .

وقام الأنصارى يصلى ، قال : وأتى الرجل ، فلما رأى شخص الرجل عرف أنه رَبِيئة(١) القوم ، قال : فرمى بسهم ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه ووضعه ، فثبت قائما ، قال : ثم رماه بسهم آخر فوضعه فيه . قال : فنزعه فوضعه ، وثبت قائماً ، ثم عاد له بالثالث ، فوضعه فيه ، قال : فنزعه فوضعه ثم ركع وسجد ، ثم أهب صاحبه فقال : اجلس فقد أُثبِتُّ(٢) ، قال : فوثب فلما رآهما الرجل عرف أن قد نذرا به ، فهرب . قال : ولما رأى المهاجرى ما بالأنصارى من الدماء ، قال : سبحان الله ! أفلا أهببتنى أول ما رماك ؟ قال : كنت فى سورة أقرؤها فلم أحب أن أقطعها حتى أنفدها(٣) ، فلما تابع علىّ الرمى ركعت فأذنتك ، وايم الله ، لولا أن أُضيع ثغرا أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفظه لقطع نفسى قبل أن أقطعها أو أنفدها .

قال ابن هشام : ويقال : أُنفِذها .

قال ابن إسحاق : ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من غزوة الرقاع ، أقام بها بقية جمادى الأولى وجمادى الآخرة ورجبا .

غزوة بدر الآخرة

فى شعبان سنة أربع

قال ابن إسحاق : ثم خرج فى شعبان إلى بدر ، لميعاد أبى سفيان ، حتى نزله .

قال ابن هشام واستعمل على المدينة عبد الله بن عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول الأنصارى .

قال ابن إسحاق : فأقام عليه ثمانى ليال ينتظر أبا سفيان ، وخرج أبو سفيان فى أهل مكة حتى نزل مَجَنّة ، من ناحية الظهران ، وبعض الناس يقول : قد بلغ عُسفان ، ثم بدا له فى الرجوع ، فقال : يا معشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ترعون فيه الشجر وتشربون فيه اللبن ، وإن عامكم هذا عام جدب ، وإنى راجع ، فارجعوا ، فرجع الناس . فسماهم أهل مكة جيش السَّويق ، يقولون إنما خرجتم تشربون السويق .

وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على بدر ينتظر أبا سفيان لميعاده ، فأتاه مَخْشِىّ بن عمرو الضَّمْرى ، وهو الذى كان وادعه على بنى ضَمْرة فى غزوة وَدّان ، فقال : يا محمد ، أجئت للقاء

---

(١) الربيئة : من يحرس القوم . (٢) أثبت : جرحت جراحة بالغة .

(٣) أنفدها : أتم قراءتها .

قريش على هذا الماء ؟ قال : نعم ، ياأخا بنى ضَمْرة ، وإن شئت مع ذلك رددنا إليك ما كان بيننا وبينك ، ثم جالدناك حتى يحكم الله بيننا وبينك ، قال : لاوالله يامحمد ، مالنا بذلك منك من حاجة .

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر أبا سفيان فمر به مَعْبَد بن أبى معْبد الخزاعى ، فقال ، وقد رأى مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وناقته تهوى به (١) :

قد نفرتْ من رُفقتَىْ محمدِ وعجوةٍ من يثربٍ كالعَنجَدِ (٢)
تهوِى على دينِ أبيها الأتلدِ قد جعلت ماءَ قُدَيدٍ موعدى (٣)
وماءَ ضَجنانَ لها ضحَى الغدِ (٤)

وقال عبد الله بن رواحة فى ذلك — قال ابن هشام : أنشدنيها أبو زيد الأنصارى لكعب ابن مالك :

وعدنا أبا سفيان بدراً فلم نجدْ لميعادِه صدقا وما كان وافيا
فأقسمُ لو وافيتَنا فلقيتَنا لأبتَ ذميما وافتقدتَ المواليا
تركنا به أوصالَ عتبةَ وابنِهِ وعمراً أبا جهلٍ تركناه ثاويا
عصَيتم رسولَ اللهِ أفٍّ لدينِكم وأمرِكمُ السَّيّءِ الذى كان غاويا
فإنى وإنْ عنفتُمونى لقائلٌ فِدَى لرسولِ اللهِ أهلى وماليا
أطعناه لم نعدِله فينا بغيرِه شهابا لنا فى ظُلمةِ الليلِ هاديا

وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

دعوا فَلَجَات الشأمِ قد حال دونها جِلادٌ كأفواهِ المخاضِ الأوارِكِ (٥)

---

(١) تهوى به : تسرع به . (٢) العنجد : الزبيب .
(٣) الدين هنا : العادة ، الأتلد : القديم . ماء قديد : ماء قريب من مكة .
(٤) ضجنان : مكان قريب من مكة .
(٥) فلجات : جمع فلج ، وهذا الماء الجارى ، سمى فلجا ؛ لأنه قد حد فى الأرض ، وفرق بين جانبيه مأخوذ من فلج الأسنان ، أو من الفلج وهو القسم ، والفالج مكيال يقسم به ، والفلج والفيلج بعير ذو سنامين ، وهو من هذا الأصل ، ورواه أبو حنيفة الدينورى بالحاء وقال : الفلجة المزرعة . والمخاض : الإبل الحوامل . والأوارك : التى ترعى الأراك وهو شجر تؤخذ منه المساويك .

بأيدى رجالٍ هاجروا نحوَ ربّهم ... وأنصاره حقا وأيدى الملائكِ
إذا سلكت للغوْرِ من بطنِ عالجٍ ... فقولا لها ليس الطريقُ هُنالك.(١)
أقمنا على الرسّ النّزوع ثمانياً ... بأرعَنَ جرارٍ عريضِ المَبارِكِ(٢)
بكلّ كُمَيْتٍ جوزُه نصفُ خَلقِه ... وقُبٍّ طوالٍ مُشرفاتِ الحَوارِكِ(٣)
ترى العرفَجَ العامِى تُذرى أصولَه ... مناسمُ أخفاف المَطِىِّ الرواتِكِ(٤)
فإن نلقَ فى تطوافِنا والتماسِنا ... فُراتَ بنَ حيانٍ يكنْ رهنَ هالكِ
وإن تلقَ قيسَ بنَ امرىءِ القيسِ بعدَه ... يُزدْ فى سوادٍ لونِه لونُ حالكِ
فأبلغْ أبا سفيانَ عنى رسالةً ... فإنك من غُرّ الرجالِ الصعالكِ

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب . فقال :

أحسانُ إنا يابنَ آكلةِ الفغا ... وجدّك نغتالُ الخروقَ كذلك(٥)
خرجنا وما تنجو اليعافيرُ بيننا ... ولو وألَتْ منا بشدٍّ مُدارِكِ(٦)
إذا ما انبعثنا من مناخٍ حَسِبتَه ... مُدَمَّنَ أهلِ الموسمِ المتعاركِ(٧)
أقمتَ على الرسّ النّزوعِ تريدُنا ... وتتركنا فى النخلِ عندَ المدارِكِ(٨)
على الزرعِ تمشى خيلُنا وركابُنا ... فما وطئتْ ألصَقْنه بالدكادِكِ(٩)

(١) الغور : ما انخفض من الأرض . وعالج : مكان كثير الرمل .

(٢) الرس : البئر . النزوع : سهلة الماء . الأرعن : الجيش الجرار .

(٣) الكميت الفرس : لونها بين الاحمر والأسود يطلق على المذكر والمؤنث . وجوزه : وسطه : قب : جمع أقب وهو الضامر . والحوارك أعالى الفرس من ناحية الكتفين .

(٤) العرفج : نبات . والعامى : الذى بلغ العام : المناسم أخفاف البعير . الرواتك : المسرعة .

(٥) الفغا : التمر . نغتال : نقطع : الخروق : الصحراوات الواسعة .

(٦) اليعافير : أولاد الظباء . وألت : اعتصمت . الشد المدارك : الجرى المتتابع : والمعنى أنهم ملئوا السهل والجبل لكثرتهم فليس هناك مكان تهرب إليه اليعافير .

(٧) المدمن : ما تركه الركب وتركوا فيه آثارهم . والموسم : المكان الذى تجتمع فيه العرب : المتعارك : الذى يزدحم فيه القوم .

(٨) الرس النزوع : البئر السهلة الماء . المدارك : الاماكن القريبة .

(٩) الدكادك : الرمال اللينة .

أقمنا ثلاثا بينَ سَلعٍ وفارعٍ ‏ بجُردِ الجيادِ والمَطيِّ الرواتِكِ (١)
حَسِبتم جِلادَ القومِ عندَ قبابِهم ‏ كمأخَذِكم بالعَينِ أرطالَ آنِكِ (٢)
فلا تَبعثِ الخيلَ الجيادَ وقل لها ‏ على نحوِ قولِ المعصِمِ المتماسكِ (٣)
سَعِدتم بها وغيرُكم كان أهلَها ‏ فوارسُ من أبناءِ فِهرِ بنِ مالكِ
فإنك لا فى هِجرةٍ إن ذكرتَها ‏ ولا حُرماتِ الدينِ أنتَ بناسِكِ

قال ابن هشام : بقيت منها أبيات تركناها ، لقبح اختلاف قوافيها . وأنشدنى أبو زيد الأنصارى هذا البيت :

خرجنا وما تنجو اليعافير بيننا

والبيت الذى بعده لحسان بن ثابت فى قوله :

دعوا فلجات الشأم قد حال دونها

وأنشدنى له فيها بيته « فأبلغ أبا سفيان » .

غزوة دومة الجندل (٤)

فى شهر ربيع الأول سنة خمس

قال ابن إسحاق : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، فأقام من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم بها أشهرا حتى مضى ذو الحجة وولى تلك الحجة المشركون وهى سنة أربع ثم غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم دُومَةَ الجَنْدَل .

قال ابن هشام : فى شهر ربيع الأول ، واستعمل على المدينة سِباع بن عُرْفُطَة الغِفَارى .

قال ابن إسحاق : ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يصل إليها ، ولم يلق كيداً ، فأقام بالمدينة بقية سنته .

---

(١) سلع وفارع : جبلان . الرواتك : المسرعة .
(٢) العين : الدر . الآنك : القزدير . ‏ (٣) المعصم : المتماسك .
(٤) دومة الجندل بينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة وسميت بدومى بن إسماعيل عليه السلام لأنه نزلها .

غزوة الخندق (١)

فى شوال سنة خمس

حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زِيَاد بن عبد الله البَكَّائى ، عن محمد بن إسحاق المُطَّلِبى ، قال : ثم كانت غزوة الخندق فى شوال سنة خمس .

اليهود تحزب الأحزاب : فحدثنى يزيد بن رُومَان مولى آل الزبير بن عروة بن الزبير ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، ومحمد بن كعب القرظى ، والزهرى ، وعاصم ابن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبى بكر ، وغيرهم من علمائنا ، كلهم قد اجتمع حديثه فى الحديث عن الخندق ، وبعضهم يحدث ما لا يحدث به بعض قالوا : إنه كان من حديث الخندق أن نفراً من اليهود ، منهم : سَلاَّم بن أبى الحُقَيق النَضْرى (٢) ، وحُيَى بن أخطب النضرى ، وكنانة بن أبى الحُقَيق النضرى ، وهَوْذَة بن قيس الوائلى ، وأبو عمار الوائلى ، فى نفر من بنى النَّضير ، ونفر من بنى وائل ، وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجوا حتى قدموا على قريش مكة ، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : إنا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله — فقالت لهم قريش : يامعشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله تعالى فيهم : « ألم ترَ إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتابِ يؤمنون بالجِبْتِ والطاغوتِ (٣) ، ويقولونَ للذين كفروا هؤلاءِ أهدى من الذين آمنوا سبيلا ،

---

(١) وحفر الخندق لم يكن من عادة العرب ، ولكنه من مكايد الفرس وحروبها ، ولذلك أشار به سلمان الفارسى ، وأول من خندق الخنادق من ملوك الفرس فيما ذكر الطبرى منو شهر ابن أيرج بن أفريدون وقد قيل فى أفريدون : إنه ابن إسحاق عليه السلام ، وأكثرهم يقول فيه : هو ابن أثفيان ، وهو أول من اتخذ آلة الرى ، وإلى رأس ستين من ملكه بعث موسى عليه السلام ، والكمائن فى الحروب ، أول من عملها بختنصر فى قول الطبرى .

(٢) ونسب ابن أبى الحقيق وما بعده إلى بنى النضير فقال فيهم النضرى ، وقياسه : النضيرى إلا أن يكون من باب قولهم ثقفى وقرشى ، وهو خارج عن القياس ، وإنما يقال : فعلى فى النسب إلى فعيلة .

(٣) الجبت : الصنم المعبود . الطاغوت : الساحر . الكاهن . الشيطان . أو كل ما عبد من دون الله .

أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا ، . . . إلى قوله تعالى : « أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله » : أى النبوة ، « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما ، فنهم من آمن به ، ومنهم من صدّ عنه ، وكفى بجهنم سعيرا » .

قال : فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دعوهم إليه ، من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له . ثم خرج أولئك النفر من يهود ، حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان ، فدعوهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك ، فاجتمعوا معهم فيه .

خروج الأحزاب : قال ابن إسحاق : فخرجت قريش ، وقائدها أبو سفيان بن حرب ؛ وخرجت غطفان ، وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر [1] ، فى بنى فزارة : والحارث ابن عوف بن حارثة المرى ، فى بنى مرة ؛ ومسعر بن رخيلة بن نويرة بن طريف بن سحمة ابن عبد الله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان ، فيمن تابعه من قومه من أشجع .

حفر الخندق : فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما أجمعوا له من الأمر ، ضرب الخندق على المدينة ، فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ترغيبا للمسلمين فى الأجر ، وعمل معه المسلمون فيه ، فدأب فيه ودأبوا . وأبطأ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن المسلمين فى عملهم ذلك رجال من المنافقين ، وجعلوا يورّون بالضعيف من العمل ويتسللون إلى أهليهم بغير علم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا إذن . وجعل الرجل من المسلمين إذا نابته النائبة ، من الحاجة التى لا بد له منها ، يذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويستأذنه فى اللحوق بحاجته ، فيأذن له ، فإذا قضى حاجته رجع إلى ما كان فيه من عمله ، رغبة فى الخير ، واحتسابا له .

ما نزل من القرآن فى حق العاملين فى الخندق : فأنزل الله تعالى فى أولئك من المؤمنين : « إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى

---

(١) واسم عيينة حذيفة ، وسمى : عيينة لشتر كان بعينه وهو الذى قال فيه عليه السلام الأحمق المطاع ، لأنه كان من الجرارين ، تتبعه عشرة آلاف قناة ، وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : إن شر الناس من ودعه الناس اتقاء شره ، وفى رواية أخرى : أنه قال : إنى أداريه ، لأنى أخشى أن يفسد على خلقا كثيرا ، وفى هذا بيان معنى الشر الذى اتقى منه ، وكان دخل على النبى صلى الله عليه وسلم بغير إذن فلما قال له : أين الإذن ؟ قال : ما استأذنت على مضرى قبلك .

يستأذنوه ، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم ، واستغفر لهم الله ، إن الله غفور رحيم » فنزلت هذه الآية فيمن كان من المسلمين من أهل الحسبة والرغبة فى الخير ، والطاعة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم قال تعالى ، يعنى المنافقين الذين كانوا يتسللون من العمل ، ويذهبون بغير إذن من النبى صلى الله عليه وسلم : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا ، قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً، فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، أو يصيبهم عذاب أليم » .

قال ابن هشام : اللواذ : الاستتار بالشىء عند الهرب ، قال حسان بن ثابت :

وقريش تفر منا لواذاً ... أن يقيموا وخفّ منها الحلوم

وهذا البيت فى قصيدة له ، قد ذكرتها فى أشعار يوم أحد .

« ألا إن لله ما فى السموات والأرض قد يعلم ما أنتم عليه » .

قال ابن إسحاق : من صدق أو كذب .

« ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا ، والله بكل شىء عليم » .

المسلمون يرتجزون وهم يعملون : قال ابن إسحاق : وعمل المسلمون فيه حتى أحكموه ، وارتجزوا فيه برجل من المسلمين ، يقال له جُعَيْل ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم : عَمراً ، فقالوا :

سماه من بعد جُعَيْلٍ عَمرا ... وكان للبائس يوما ظَهْراً

فإذا مروا « بعمرو » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمراً ، وإذا مروا « بظهر » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ظهراً[1] .

معجزات ظهرت فى حفر الخندق : قال ابن إسحاق : وكان فى حفر الخندق أحاديث بلغتنى ، فيها من الله تعالى عبرة فى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتحقيق نبوته ، عاين ذلك المسلمون .

فكان فيما بلغنى أن جابر بن عبد الله يحدث : أنه اشتدت عليهم فى بعض الخندق كُدْيَة ، فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا بإناء من ماء ، فتفل فيه ، ثم دعا بما شاء الله أن يدعوَ به ، ثم نضح ذلك الماء على تلك الكدية ؛ فيقول من حضرها : فوالذى بعثه بالحق نبيا ، لانهالت حتى عادت كالكثيب لا ترد فأسا ولا مسحاة .

---

(١) أى يقول معهم آخر صدر البيت وآخر عجزه فقط فإنه صلى الله عليه وسلم لم يقل شعراً مطلقا وإن كان يسمعه ويستجيده يقول الله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن مينا أنه حُدث : أن ابنة لبشير بن سعد ، أخت النعمان ابن بشير ، قالت : دعتنى أمى عَمْرة بنت رَواحة ، فأعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى ، ثم قالت : أى بُنية ، اذهبى إلى أبيك وخالك عبد الله بن رواحة بغدائهما ، قالت : فأخذتها ، فانطلقت بها ، فمررت برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ألتمس أبى وخالى ؛ فقال : تعالى يا بُنية ، ما هذا معك ؟ قالت : فقلت : يارسول الله ، هذا تمر ، بعثتنى به أمى إلى أبى بشير بن سعد ، وخالى عبد الله بن رَواحة يتغديانه ؛ قال : هاتيه ؛ قالت : فصببته فى كفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبُسط له ثم دحا بالتمر عليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ فى أهل الخندق : أن هَلم إلى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى صَدَر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوبُ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن مينا ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخندق ، فكانت عندى شُوَيْهة ، غير جد سمينة . قال فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فأمرت امرأتى ، فطحنت لنا شيئا من شعير ، فصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت تلك الشاة ، فشويناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلما أمسينا وأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصراف عن الخندق — قال : وكنا نعمل فيه نهارنا ، فإذا أمسينا رجعنا إلى أهالينا — قال : قلت : يا رسول الله ، إنى قد صنعت لك شُوَيْهة كانت عندنا ، وصنعنا معها شيئا من خبز هذا الشعير ، فأحب أن تنصرف معى إلى منزلى ، وإنما أريد أن ينصرف معى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده . قال : فلما أن قلت له ذلك ؛ قال : نعم ، ثم أمر صارخا فصرخ : أن انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت جابر بن عبدالله ؛ قال : قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون ! قال : فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل الناس معه ؛ قال فجلس وأخرجناها إليه . قال : فبرَّك وسمى الله ، ثم أكل ، وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها .

قال ابن إسحاق : وحُدثت عن سَلْمان الفارسى ، أنه قال : ضَربتُ فى ناحية من الخندق ، فغلظت علىَّ صخرة ؛ ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب منى ؛ فلما رآنى أضرب ورأى شدة المكان علىَّ ، نزل فأخذ المعول من يدى ، فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ؛ قال : ثم ضرب به ضربة أخرى ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : ثم ضرب به الثالثة ، فلمعت تحته برقة أخرى . قال : قلت بأبى أنت وأمى يارسول الله ! ما هذا الذى رأيت لمع تحت المعول وأنت تضرب ؟ قال : أوَقدْ رأيت ذلك ياسلمان ؟ قال : قلت نعم ؛ قال : أما الأولى فإن الله فتح علىَّ بها اليمن ؛ وأما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب ؛ وأما الثالثة فإن الله فتح على بها المشرق .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أبي هريرة أنه كان يقول ـ حين فتحت هذه الأمصار في زمان عمر وزمان عثمان وما بعده ـ افتتحوا ما بدا لكم ، فوالذى نفس أبي هريرة بيده ، ما افتتحتم من مدينة ولا تفتتحونها إلى يوم القيامة إلا وقد أعطى الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق ، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة ، بين الجرف وزغابة[1] في عشرة آلاف من أحابيشهم ، ومن تبعهم من بني كنانة وأهل تهامة ، وأقبلت غطفان ومن تبعهم من أهل نجد ، حتى نزلوا بذنب نقمى ، إلى جانب أحد . وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع[2] ، في ثلاثة آلاف من المسلمين ، فضرب هنالك عسكره ، والخندق بينه وبين القوم .

قال : ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : وأمر بالذراري والنساء فجعلوا في الآطام[3] .

حيي بن أخطب يحرض كعب بن أسد : قال وخرج عدو الله حيي بن أخطب النضري ، حتى أتى كعب بن أسد القرظي ، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه ، وعاقده على ذلك وعاهده ؛ فلما سمع كعب بحيي بن أخطب أغلق دونه باب حصنه ، فاستأذن عليه ، فأبى أن يفتح له ، فناداه حيي : ويحك يا كعب افتح لي : قال : ويحك يا حيي ، إنك امرؤ مشئوم ، وإني قد عاهدت محمداً ، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقا : قال ويحك افتح لي أكلمك : قال : ما أنا بفاعل ، قال : والله إن

---

(١) زغابة اسم موضع بالغين المنقوطة والزاي المفتوحة ، وذكره البكري بهذا اللفظ بعد أن قدم القول بأنه زعابة بضم الزاي والعين المهملة ، وحكى عن الطبري أنه قال في هذا الحديث بين الجرف والغابة ، واختار هذه الرواية وقال : لأن زغابة لا تعرف قال : السهيلي في الروض الأنف والأعرف عندي في هذه الرواية رواية من قال : زغابة بالغين المنقوطة ، لأن في الحديث المسند عنه عليه السلام ، قال في ناقة أهداها إليه أعرابي ، فكافأه بست بكرات ، فلم يرض ، فقال عليه السلام : ألا تعجبون لهذا الأعرابي ! أهدى إلى ناقة أعرفها بعينها ، كما أعرف بعض أهلي ذهبت مني يوم زغابة ، وقد كافأته بست فسخط . الحديث .

(٢) سلع : جبل بالمدينة . (٣) الآطام : الحصون .

أغلقتَ دونى إلا عن جشيشتك [١] أن آكل معك منها ؛ فأحفظ [٢] الرجل ، ففتح له ؛ فقال : ويحك يا كعب ، جئتك بعز الدهر وببحر طام ، جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رومة ، وبغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذنب نقمى إلى جانب أحد ، قد عاهدونى على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمداً ومن معه . قال : فقال له كعب : جئتنى والله بذل الدهر ، وبجهام [٣] قد هَرَاق ماءه ، فهو يرعد ويبرق ، ليس فيه شىء ، ويحك يا حُيى : فدعنى وما أنا عليه ، فإنى لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء . فلم يزل حيى بكعب يفتِله فى الذِّروة والغارب [٤] حتى سمح له ، على أن أعطاه عهداً من الله وميثاقا : لئن رجعت قريش وغطفان ، ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك فى حصنك حتى يصيبنى ما أصابك . فنقض كعب بن أسد عهده ، وبرىء مما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وإلى المسلمين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن مُعاذ بن النعمان، وهو يومئذ سيد الأوس ، وسعد بنَ عُبادة بن دُلَيم ، أحد بنى ساعدة بن كعب بن الخزرج وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رَوَاحة ، أخو بنى الحارث بن الخزرج ، وخَوَّات بن جُبَير ، أخو بنى عمرو بن عوف ؛ فقال : انطلقوا حتى تنظروا ، أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟ فإن كان حقا فالحنوا لى لحنا أعرفه ، ولا تفتُّوا فى أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس . قال : فخرجوا حتى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، فيما نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : مَن رسولُ الله ؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . فشاتمهم سعد بن معاذ وشاتموه ، وكان رجلا فيه حِدة ؛ فقال له سعد بن عبادة : دع عنك مشاتمتهم ، فما بيننا وبينهم أربى من

---

(١) الجشيشة : طعام يصنع من البر المطحون خشنا .

(٢) أحفظ : أغضب .   (٣) الجهام : السحاب لا ماء فيه .

(٤) هذا مثل ، وأصله فى البعير ، يستصعب على سائقه فيأخذ القراد من ذروته وغاربه سنامه ، ويفتل هناك ، فيجد البعير لذة فيأنس عند ذلك ، فضرب هذا الكلام مثلا فى المراوضة والمخاتلة ، قال الحطيئة :

لعمرك ما قراد بنى بغيض   إذا نزع القراد بمستطاع

يريد : أنهم لا يخدعون ولا يستذلون .

الشامة . ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسلموا عليه ، ثم قالوا : عَضل والقَارة ، أى كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيع ، خُبَيب وأصحابه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، أبشروا يا معشر المسلمين .

قال وعظم عند ذلك البلاء ، واشتد الخوف ، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفلَ منهم ، حتى ظن المؤمنون كل ظن ، ونجم النفاق من بعض المنافقين ، حتى قال مُعتّب بن قُشَير ، أخو بنى عمرو بن عوف : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر ، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط .

لم يكن معتب منافقا : قال ابن هشام : وأخبرنى من أثق به من أهل العلم : أن معتب بن قشير لم يكن من المنافقين ، واحتج بأنه كان من أهل بدر .

قال ابن إسحاق : وحتى قال أوس بن قَيْظى ، أحد بنى حارثة بن الحارث : يارسول الله ، إن بيوتنا عورة من العدو ، وذلك عن ملأ من رجال قومه ، فأذنْ لنا أن نخرج فنرجع إلى دارنا ، فإنها خارج من المدينة . فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام عليه المشركون بضعا وعشرين ليلة ، قريبا من شهر ، لم تكن بينهم حرب إلا الرِّمِّيَّا بالنَّبل والحصار .

قال ابن هشام ويقال الرِّمْيَا .

محاولة الصلح مع غطفان : فلما اشتد على الناس البلاء ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ومن لا أتهم ، عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهرى ، إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، وإلى الحارث بن عوف بن أبى حارثة المُرى ، وهما قائدا غطفان ، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه وعن أصحابه ، فجرى بينه وبينهما الصلح ، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح ، إلا المراوضة فى ذلك . فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفعل ، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر لهما ، واستشارهما فيه ؛ فقالا له : يارسول الله ، أمراً تحبه فنصنعه ، أم شيئا أمرك الله به ، لا بد لنا من العمل به ، أم شيئا تصنعه لنا ؟ قال : بل شىء أصنعه لكم ، والله ما أصنع ذلك إلا لأننى رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة ، وكالبوكم [1] من كل جانب ، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما ؛ فقال له سعد بن معاذ : يارسول الله ، قد كنا

(١) كالبوكم : غالبوكم .

نحن وهؤلاء القوم على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منها ثمرة إلا قِرًى أو بيعا، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا له وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا ! والله مالنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فأنت وذاكَ. فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا.

قال ابن إسحاق: فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون، وعدوهم محاصروهم، ولم يكن بينهم قتال، إلا أن فوارس من قريش، منهم عمرو بن عبد وُد بن أبى قيس، أخو بنى عامر بن لؤى.

— قال ابن هشام: ويقال: عمرو بن عبد بن أبى قيس —.

قال ابن إسحاق: وعكرمة بن أبى جهل، وهُبيرة بن أبى وهب المخزوميان. وضِرَار بن الخطاب الشاعر ابن مِرْداس، أخو بنى محارب بن فِهر، تلبّسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، حتى مروا بمنازل بنى كنانة، فقالوا: تهيئوا يابنى كنانة للحرب، فستعلمون من الفرسان اليوم. ثم أقبلوا تُعنق [1] بهم خيلهم، حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها.

سلمان يشير إلى حفر الخندق: قال ابن هشام: يقال: إن سَلمان الفارسى أشار به على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحدثنى بعض أهل العلم: أن المهاجرين يوم الخندق قالوا: سَلمان منا؛ وقالت الأنصار: سَلمان منّا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سَلمان منا أهلَ البيت.

على يقتل عمرو بن عبد وُد: قال ابن إسحاق: ثم تيمموا مكانا ضيقا من الخندق، فضربوا خيلهم فاقتحمت منه، فجالت بهم فى السَّبْخة بين الخندق وسلع، وخرج على بن أبى طالب عليه السلام فى نفر معه من المسلمين، حتى أخذوا عليهم الثُّغْرة التى أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعنق نحوهم، وكان عَمرو بن عبد وُد قد قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة، فلم يشهد يوم أحد، فلما كان يوم الخندق خرج مُعْلِما [2] ليُرى مكانه. فلما وقف هو وخيله، قال: من يبارز؟ فبرز له على بن أبى طالب فقال له: ياعمرو، إنك قد كنت عاهدت الله ألا يدعوك رجل من

---

(١) تعنق: تسرع. (٢) معلما: له علامة يعرف بها.

قريش إلى إحدى خلتين إلا أخذتها منه ، قال له : أجل ؛ قال له علي : فإني أدعوك إلى الله وإلى رسوله ، وإلى الإسلام ؛ قال : لا حاجة لي بذلك ؛ قال فإني أدعوك إلى النزال ؛ فقال له : لم يابن أخي ؟ فوالله ما أحب أن أقتلك ، قال له علي : لكني والله أحب أن أقتلك ؛ فحمي عمرو عند ذلك ، فاقتحم عن فرسه ، فعقره ، وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي ، فتنازلا وتجاولا ، فقتله علي رضي الله عنه وخرجت خيلهم منهزمة ، حتى اقتحمت من الخندق هاربة .

قال ابن إسحاق : وقال علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في ذلك :

نصرَ الحجارةَ من سفاهةِ رأيه ... ونصرتُ ربَّ محمدٍ بصوابي (١)
فصددتُ حين تركتُه متجدّلا ... كالجذعِ بينَ دكادكٍ وروابي (٢)
وعففتُ عن أثوابه ولو انني ... كنت المقطَّرَ بزّني أثوابي (٣)
لا تحسَبُنَّ الله خاذلَ دينه ... ونبيّه يا معشرَ الأحزابِ

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب .

هجاء حسان لعكرمة : قال ابن إسحاق : وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ وهو منهزم عن عمرو ؛ فقال حسان بن ثابت في ذلك :

فرّ وألقى لنا رمحَه ... لعلك عِكرِمَ لم تفعَلِ
ووليت تعدو كعدوِ الظَّليم ... ما إن تجور عن المَعْدِل (٤)
ولم تُلقِ ظهرَك مُستأنِساً ... كأن قفاك قفا فُرْعُلِ

قال ابن هشام : الفرعل : صغير الضباع ، وهذه الأبيات له .

وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق وبني قريظة : حم لا يُنصرون .

استشهاد سعد بن معاذ : قال ابن إسحاق : وحدثني أبو ليلى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن ابن سهل الأنصاري ، أخو بني حارثة : أن عائشة أم المؤمنين كانت في حصن بني حارثة يوم الخندق ، وكان من أحرز حصون المدينة . قال : وكانت أم سعد بن معاذ معها في الحصن ؛ فقالت عائشة وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب : فمر سعد وعليه درع له مُقَلَّصة (٥) ، قد

---

(١) الحجارة : الأنصاب التي كانت تعبدها قريش . (٢) الدكادك : الرمال اللينة .
(٣) المقطر : الذي وقع على قطره وهو جنبه . وبزني : سلبني .
(٤) الظليم : ولد النعام . (٥) مقلصة : قصيرة قد ارتفعت عن حدها .

خرجت منها ذراعه كلها ، وفى يده حربته يرقل بها ويقول :

لبث قليلا يشهد الهيجا جمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل[1]

قال فقالت له أمه : الحق : أى بنى ، فقد والله أخرت ؛ قالت عائشة : فقلت لها : يا أم سعد ، والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هى ؛ قالت : وخفت عليه حيث أصاب السهم منه ، فرُمى سعد بن معاذ بسهم ، فقطع منه الأكحل[2] ، رماه كما حدثنى عاصم بن عمر ابن قتادة ، حبان بن قيس بن العرقة ، أحد بنى عامر بن لؤى ، فلما أصابه ، قال : خذها منى وأنا ابن العرقة ؛ فقال له سعد : عرق الله وجهك فى النار ، اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئا فأبقنى لها ، فإنه لا قوم أحب إلى أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك وكذبوه وأخرجوه ، اللهم وإن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعله لى شهادة ، ولا تمتنى حتى تقر عينى من بنى قريظة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك أنه كان يقول : ما أصاب سعداً يومئذ إلا أبو أسامة الجشمى ، حليف بنى مخزوم .

وقد قال أبو أسامة فى ذلك شعرا لعكرمة بن أبى جهل :

أعكرم هلا لمتنى إذ تقول لى فداك بآطام المدينة خالد[3]

ألست الذى ألزمت سعداً مرشة لها بين أثناء المرافق عاند[4]

قضى نحبه منها سعيد فأعولت عليه الشمط والعذارى النواهد

وأنت الذى دافعت عنه وقد دعا عبيدة جمعا منهم إذ يكابد

على حين ما هم جائر عن طريقه وآخر مرعوب عن القصد قاصد

قال ابن هشام : ويقال : إن الذى رمى سعداً خفاجة بن عاصم بن حبان .

حديث حسان فى وقعة الخندق : قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كانت صفية بنت عبد المطلب فى فارع ، حصن حسان بن ثابت

---

(١) جمل : اسم رجل . (٢) الأكحل : عرق فى وسط الذراع .

(٣) الآطام : الحصون .

(٤) مرشة : يريد طعنة مرشة ؛ أى تجرت منه رشاش الدم . والعاند : العرق الذى لا ينقطع دمه .

قالت : وكان حسان بن ثابت معنا فيه ، مع النساء والصبيان . قالت صفية : فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة ، وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم أحد يدفع عنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم ، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إن أتانا آت . قالت : فقلت : يا حسان ، إن هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، وإني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَن وراءنا من يهود ، وقد شُغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل إليه فاقتله ؛ قال : يغفر الله لك يابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفتِ ما أنا بصاحب هذا : قالت : فلما قال لي ذلك ، ولم أر عنده شيئا ، احتجزتُ[1] ثم أخذت عمودا ، ثم نزلت من الحصن إليه فضربته بالعمود حتى قتلته . قالت : فلما فرغت منه ، رجعت إلى الحصن ، فقلت : يا حسان ، انزل إليه فاسلبه ، فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل ، قال : مالي بسلبه من حاجة يابنة عبد المطلب[2] .

خداع نُعيم للمشركين : قال ابن إسحاق : وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة ، لتظاهر عدوهم عليهم ، وإتيانهم إياهم من فوقهم ومن أسفلَ منهم .

قال : ثم إن نُعيم بن مسعود بن عامر بن أُنَيف بن ثعلبة بن قُنفذ بن هلال بن خَلَاوة بن أشجع بن ريث ابن غَطَفان ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إني قد أسلمت ، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي ، فمرني بما شئت ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما أنت فينا رجل واحد ، فخذِّل عنا إن استطعت ، فإن الحرب خِدعة . فخرج نُعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة ، وكان لهم نديما في الجاهلية ، فقال : يابني قريظة ، قد عرفتم ودي إياكم ، وخاصةً ما بيني وبينكم ، قالوا : صدقت ، لست عندنا بمتَّهم ؛ فقال لهم إن قريشا وغطفان ليسوا كأنتم ، والبلد بلدكم ، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم ، لا تقدرون على أن تحَوَّلوا منه إلى غيره ، وإن قريشا

---

(١) احتجزت : شدت وسطها .

(٢) يحمل هذا الحديث عند الناس على أن حسانا كان جبانا شديد الجبن ، وقد دفع هذا بعض العلماء ، وأنكره ، وذلك أنه حديث منقطع الإسناد ، ولو صح هذا لهُجي به حسان ، فإنه كان يهاجي الشعراء كضرار وابن الزبعرى ، وغيرهما ، وكانوا يناقضونه ويردون عليه ، فما عيره أحد منهم بجبن ، ولا وسمه به ، فدل هذا على ضعف حديث ابن إسحاق . وإن صح فربما كان حسان معتلا في ذلك اليوم بعلة منعته من شهود القتال ، وهذا أولى ما تأول .

وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه ، وقد ظاهرتموهم عليه ، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره ، فليسوا كأنتم ، فإن رأوا نُهزة [١] أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم ، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم ، يكونوا بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه ، فقالوا : لقد أشرت بالرأى .

ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لأبى سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش : قد عرفتم وُدى لكم وفراقى محمدا ، وإنه قد بلغنى أمر قد رأيت على حقاً أن أبلغكموه ، نصحا لكم فاكتموا عنى ، فقالوا : نفعل : قال : تعلموا أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيما بينهم وبين محمد ، وقد أرسلوا إليه : إنا قد ندمنا على ما فعلنا ، فهل يرضيك أن نأخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيكهم ، فتضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم ؟ فأرسل إليهم : أن نعم . فإن بعثت إليكم يهود يلتمسون منكم رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحداً .

ثم خرج حتى أتى غطفان ، فقال : يامعشر غطفان ، إنكم أصلى وعشيرتى ، وأحب الناس إلىّ ، ولا أراكم تتهموننى ؛ قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم : قال : فاكتموا عنى ؛ قالوا : نفعل ، فما أمرك ؟ ، ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ماحذرهم .

ما أنزل الله بالمشركين : فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس ، وكان من صُنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أن أرسل أبوسفيان بن حرب ورءوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة ابن أبى جهل ، فى نفر من قريش وغطفان ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مُقام ، قد هلك الخف والحافر [٢] ، فاغدُوا للقتال حتى نناجز محمدا ، ونفرغ مما بيننا وبينه ؛ فأرسلوا إليهم : إن اليوم يوم السبت ، وهو يوم لا نفعل فيه شيئا ، وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا ، فأصابه مالم يخف عليكم ، ولسنا مع ذلك بالذين نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم ، يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى نناجز محمدا ، فإنا نخشى إن ضَرّستكم [٣] الحرب ، واشتد عليكم القتال أن تنشمروا [٤] إلى بلادكم وتتركونا ، والرجل فى بلدنا ، ولا طاقة لنا بذلك منه . فلما رجعت إليهم الرسل بما قالت بنو قريظة ، قالت قريش وغطفان : والله إن الذى حدثكم نُعيم بن مسعود لحق ، فأرسلوا

---

(١) النهزة : الفرصة .
(٢) الخف : الإبل . والحافر : الخيل .
(٣) ضرستكم : نالت منكم .
(٤) تنشمرون : ترجعون .

إلى بنى قريظة: إنا والله لاندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا ، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا ، فقالت بنو قريظة ، حين انتهت الرسل إليهم بهذا : إن الذى ذكر لكم نُعيم بن مسعود لحق ، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا ، فإن رأوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم . وخَلَّوْا بينكم وبين الرجل فى بلدكم ، فأرسلوا إلى قريش وغطفان : إنا والله لانقاتل معكم محمدا حتى تُعطونا رهنا فأبَوْا عليهم ، وخَذَّل الله بينهم ، وبعث الله عليهم الريح فى ليال شاتية باردة شديدة البرد ، فجعلت تَكفأ قدورهم ، وتطرح أبنيتهم .

استخبار ما حل بالمشركين : قال فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم ، وما فرق الله من جماعتهم ، دعا حُذَيفة بن اليمان ، فبعثه إليهم ، لينظر ما فعل القوم ليلا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن زياد ، عن محمد بن كعب القرظى ، قال : قال رجل من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان : يا أبا عبد الله ، أرأيتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصَحِبتُموه ؟ قال : نعم ، يابن أخى ؛ قال : فكيف كنتم تصنعون ؟ قال : والله لقد كنا نجهد ؛ قال : فقال : والله لو أدركناه ماتركناه يمشى على الأرض ولحملناه على أعناقنا . قال : فقال حذيفة : يابن أخى والله لقد رأيتُنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق ، وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هَوِيًّا[1] من الليل ، ثم التفت إلينا فقال : من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع — يَشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة — أسأل الله تعالى أن يكون رفيقى فى الجنة ؟ فما قام رجل من القوم ، من شدة الخوف ، وشدة الجوع ، وشدة البرد ؛ فلما لم يقم أحد ، دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن لى بد من القيام حين دعانى ؛ فقال ياحذيفة اذهب فادخل مع القوم ، فانظر ماذا يصنعون ، ولا تُحْدِثَنَّ شيئا حتى تأتينا . قال : فذهبت فدخلت فى القوم والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل ، لا تقر لهم قِدرا ولا نارا ولا بناء . فقام أبو سفيان . فقال : يامعشر قريش : لينظر امرؤ مَن جليسه ؟ قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذى كان إلى جنبى ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان .

أبو سفيان ينادى بالرحيل : ثم قال أبو سفيان : يا معشر قريش ، إنكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ، لقد هلك الكراع والخف[2] ، وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من شدة الريح ما تَرَوْن ، ما تطمئن لنا قِدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ،

---

(١) هويا من الليل : جزءا منه .　　(٢) الكراع : الخيل. الخف : الإبل .

فارتحلوا فإنى مرتحل ؛ ثم قام إلى جمله وهو معقول ، فجلس عليه ، ثم ضربه ، فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله إلا وهو قائم ، ولولا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلىّ « أن لا تحدث شيئا حتى تأتينى » ، ثم شئتُ ، لقتلته بسهم .

قال حذيفة : فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلى فى مِرْطٍ[1] لبعض نسائه ، مراجِل .

قال ابن هشام : المراجل : ضرب من وشْى اليمن .

فلما رآنى أدخلنى إلى رِجليه ، وطرح على طَرَفَ المِرْط ، ثم ركع وسجد ، وإنى لفيه ، فلما سلم أخبرته الخبر ، وسمعت غطفان بما فعلت قريش ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم .

الرجوع من الخندق : قال ابن إسحاق : ولما أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف عن الخندق راجعا إلى المدينة والمسلمون ، ووضعوا السلاح . .

غَزوة بنى قريظة فى سنة خمس

جبريل يأتى بحرب بنى قريظة : فلما كانت الظهر ، أتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى الزهرى ، معتجِرا[2] بعمامة من إستبرق[3] ، على بغلة عليها رِحَالة[4] ، عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقدْ وضعتَ السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ؛ فقال جبريل : فما وضعت الملائكة السلاح بعد ، وما رجعت الآن إلا من طلب القوم ، إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قُرَيظة ، فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم .

فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم مُؤذنا ، فأذن فى الناس ، من كان سامعا مطيعا ، فلا يُصلين العصر إلا ببنى قريظة .

واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم ، فيما قال ابن هشام

---

(١) المرط : الكساء . (٢) الاعتجار : التعمم على الرأس فقط دون جوانب الوجه أو اللحية . (٣) الإستبرق : الديباج الغليظ الصفيق الحسن .

(٤) الرحالة : السرج .

علي يبلغ الرسول ما سمعه من بني قريظة : قال ابن إسحاق : وقدّم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة ، وابتدرها الناس . فسار علي بن أبي طالب ، حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق ، فقال : يارسول الله ، لاعليك أن لاتدنو من هؤلاء الأخابث ؛ قال : لم ؟ أظنك سمعت منهم لي أذى ؟ قال : نعم يا رسول الله ؛ قال : لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا . فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم . قال : يا إخوان القردة ، هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ قالوا : ياأبا القاسم ، ماكنت جهولا .

جبريل في صورة دحية الكلبي : ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفر من أصحابه بالصَّوْرَيْن[1] قبل أن يصل إلى بني قريظة ، فقال : هل مر بكم أحد ؟ قالوا : يا رسول الله ، قد مر بنا دِحْيَة بن خليفة الكلبي ، على بغلة بيضاء عليها رِحالة ، عليها قطيفة ديباج . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ذلك جبريل ، بُعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ، ويقذف الرعب في قلوبهم .

ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة : نزل على بئر من آبارها من ناحية أموالهم ، يقال لها بئر أَنَّا .

قال ابن هشام : بئر أُنَّى .

قال ابن إسحاق : وتلاحق به الناس ، فأتى رجال منهم من بعد العشاء الآخرة ، ولم يصلوا العصر ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : لايصلين أحد العصر إلا ببني قريظة ، فشغلهم مالم يكن منه بُد في حربهم ، وأبوا أن يصلوا ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : حتى تأتوا بني قريظة . فصلوا العصر بها ، بعد العشاء الآخرة ، فما عابهم الله بذلك في كتابه ، ولا عنفهم به[2] رسول الله صلى الله عليه وسلم . حدثني بهذا الحديث أبي إسحاقُ بن يسار ، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري .

---

(١) الصورين : موقع قريب من المدينة .

(٢) وفي هذا من الفقه أنه لا يعاب على من أخذ بظاهر حديث أو آية ، فقد صلت منهم طائفة قبل أن تغرب الشمس ، وقالوا : لم يرد النبي — صلى الله عليه وسلم — إخراج الصلاة =

الحصار : قال : وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسا وعشرين ليلة ، حتى جهدهم الحصار ، وقذف الله فى قلوبهم الرعب .

وقد كان حيى بن أخطب دخل مع بنى قريظة فى حصنهم ، حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه .

كعب بن أسد ينصح قومه : فلما أيقنوا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يناجزهم ، قال كعب بن أسد لهم : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا ، فخذوا أيها شئتم ؛ قالوا : وما هى ؟ قال : نتابع هذا الرجل

= عن وقتها ، وإنما أراد الحث والإعجال فما عنف أحداً من الفريقين ، وفى هذا دليل على أن كل مختلفين فى الفروع من المجتهدين مصيب ، وفى حكم داود وسليمان فى الحرث أصل لهذا الأصل أيضاً ، فإنه قال سبحانه : « ففهمناها سليمان ، وكلا آتينا حكماً وعلماً » ولا يستحيل أن يكون الشىء صواباً فى حق إنسان وخطأ فى حق غيره ، فيكون من اجتهد فى مسألة فأداه اجتهاده إلى التحليل مصيباً فى استحلاله ؛ وآخر اجتهد فأداه اجتهاده ونظره إلى تحريمها ، مصيباً فى تحريمها ، وإنما المحال أن يحكم فى النازلة بحكمين متضادين فى حق شخص واحد ، وإنما عسر فهم هذا الأصل على طائفتين : الظاهرية والمعتزلة أما الظاهرية فإنهم علقوا الأحكام بالنصوص ، فاستحال عندهم أن يكون النص يأتى بحظر ، وإباحة معاً إلا على وجه النسخ . وأما المعتزلة ، فإنهم علقوا الأحكام بتقبيح العقل وتحسينه ؛ فصار حسن الفعل عندهم أو قبحه صفة عين ، فاستحال عندهم أن يتصف فعل بالحسن فى حق زيد والقبح فى حق عمرو ، كما يستحيل ذلك فى الألوان والأكوان وغيرهما من الصفات القائمة بالذوات ، وأما ما عدا هاتين الطائفتين من أرباب الحقائق ، فليس الحظر والإباحة عندهم بصفات أعيان ، وإنما هى صفات أحكام ، والحكم من الله تعالى يحكم بالحظر فى النازلة على من أداه نظره واجتهاده إلى الحظر ، وكذلك الإباحة والندب والإيجاب والكراهة ، كلها صفات أحكام . فكل مجتهد وافق اجتهاده وجهاً من التأويل ، وكان عنده من أدوات الاجتهاد ما يترفع به عن حضيض التقليد إلى هضبة النظر ، فهو مصيب فى اجتهاده مصيب فى الحكم الذى تعبد به ، وإن تعبد غيره فى تلك النازلة بعينها بخلاف ما تعبد هو به ؛ فلا يعد فى ذلك إلا على من يعرف الحقائق أو عدل بالهوى عن أوضح الطرائق . عن السهيلى من كتابه الروض الأنف .

ونصدقه فوالله لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل ، وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم ؛ قالوا : لانفارق حكم التوراة أبدا ، ولانستبدل به غيره ؛ قال : فإذا أبيتم على هذه ، فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مُصْلِتين السيوف ، لم نترك وراءنا ثقلا ، حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نَهلك نَهلك ، ولم نترك وراءنا نسلا نخشى عليه ، وإن نَظهرْ فلعمري لنجدن النساء والأبناء ؛ قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ! فما خير العيش بعدهم ؟ قال : فإن أبيتم على هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرة ؛ قالوا : نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ ! قال : ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما .

قصة أبي لبابة : قال : ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن ابعث إلينا أبا لبابة[1] بن عبد المنذر ، أخا بني عمرو بن عوف ، وكانوا حلفاء الأوس ، لنستشيره في أمرنا، فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم ؛ فلما رأوه قام إليه الرجال ، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه ، فَرَقّ لهم ، وقالوا له : يا أبا لبابة ! أترى أن ننزل على حكم محمد ؟ قال : نعم ، وأشار بيده إلى حلقه ، إنه الذبح . قال أبو لبابة : فوالله مازالت قدماى من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمُده ، وقال : لا أبرح مكاني هذا حتى يتوب الله على مما صنعت ، وعاهد الله : أن لا أطأ بني قريظة أبدا ، ولا أُرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا .

قال ابن هشام : وأنزل الله تعالى في أبي لبابة ، فيما قال سفيان بن عيينة ، عن إسماعيل

---

(١) هو رفاعة بن عبد المنذر بن زبير وقيل : اسمه مبشر ، وتاب وربط نفسه حتى تاب الله عليه ، وذكر فيه أنه أقسم ألا يحله إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيه : أنزل الله تعالى : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا » ، غير أن المفسرين اختلفوا في ذنبه ما كان ؟ فقال ابن إسحاق ما ذكره في السيرة من إشارته على بني قريظة ، وقال آخرون : كان من المخلفين الذين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك ، فنزلت توبة الله عليه في هذه الآية .

ابن أبى خالد ، عن عبد الله بن أبى قتادة : « يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا اللهَ والرسولَ وتخونوا أماناتِكم وأنتم تعلمون » .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره ، وكان قد استبطأه ، قال : أما إنه لو جاءنى لاستغفرت له ، فأما إذ قد فعل ما فعل ، فما أنا بالذى أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسيط : أن توبة أبى لبابة نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من السَّحر ، وهو فى بيت أم سلمة . فقالت أم سلمة : فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من السحر وهو يضحك . قالت : فقلت : مم تضحك يا رسول الله ؟ أضحك الله سِنك ؛ قال : تِيب على أبى لبابة ؛ قالت : قلت : أفلا أبشره يا رسول الله ! قال : بلى ، إن شئتِ . قال : فقامت على باب حجرتها ، وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب ، فقالت : يا أبا لبابة ، أبشر فقد تاب الله عليك . قالت : فثار الناس إليه ليطلقوه فقال : لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يطلقنى بيده ؛ فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا إلى صلاة الصبح أطلقه .

قال ابن هشام : أقام أبو لبابة مرتبطا بالجذع ست ليال ، تأتيه امرأته فى كل وقت صلاة ، فتحله للصلاة ، ثم يعود فيرتبط بالجذع ، فيما حدثنى بعض أهل العلم ، والآية التى نزلت فى توبته قول الله عز وجل : « وآخرونَ اعترفوا بذنوبِهم خَلَطوا عملا صالحا وآخرَ سيئا عسى الله أن يتوبَ عليهم إن اللهَ غفورٌ رحيم » .

إسلام بعض بنى هَدْل : قال ابن إسحاق : ثم إن ثعلبة بن سَعْيَة ، وأُسَيد بن سعية ، وأسد ابن عُبَيد ، وهم نفر من بنى هَدْل ، ليسوا من بنى قريظة ولا النضير ، نسبهم فوق ذلك ، هم بنو عم القوم ، أسلموا تلك الليلة التى نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قصة عمرو بن سُعْدَى : وخرج فى تلك الليلة عمرو بن سُعْدى القرظى ، فمر بحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليه محمد بن مَسْلمة تلك الليلة ؛ فلما رآه قال : من هذا ؟ قال : أنا عمرو بن سُعْدَى — وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بنى قريظة فى غدرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : لا أغدر بمحمد أبداً — فقال محمد بن مسلمة حين عرفه : اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام ، ثم خلى سبيله . فخرج على وجهه حتى أتى باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة تلك الليلة ، ثم ذهب فلم يُدْرَ أين توجه من الأرض إلى يومه هذا ، فذُكر

لرسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ؛ فقال : ذاك رجل نجاه الله بوفائه . وبعض الناس يزعم أنه كان أُوثق بِرُمَّة[١] فيمن أوثق من بنى قريظة ، حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأصبحت رمته مُلقاة ، ولا يُدرَى أين ذهب ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه تلك المقالة ، والله أعلم أى ذلك كان .

تحكيم سعد فى أمر بنى قريظة : قال فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الأوس ، فقالوا : يارسول الله ، إنهم موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأمس ما قد علمت — وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بنى قريظة قد حاصر بنى قَيْنُقاع ، وكانوا حلفاء الخزرج ، فنزلوا على حكمه ، فسأله إياهم عبد الله بن أُبَىّ ابن سلول ، فوهبهم له — فلما كلمته الأوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا ترضون يامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟ قالوا : بلَى ؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فذاك إلى سعد بن معاذ . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ فى خيمة لامرأة من أسلم ، يقال لها رُفَيْدة[٢] ، فى مسجده ، كانت تداوى الجرحى ، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضَيعة من المسلمين ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق : اجعلوه فى خيمة رُفَيدة حتى أعوده من قريب . فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بنى قريظة ، أتاه قومه فحملوه على حمار قد وطّئوا له بوسادة من أدَم ، وكان رجلا جسيما جميلا ، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يقولون : يا أبا عمرو ، أحسن فى مواليك ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ؛ فلما أكثروا عليه قال : لقد أنَى لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم . فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بنى عبد الأشهل ، فنعى لهم رجال بنى قريظة ، قبل أن يصل إليهم سعد ، عن كلمته التى سمع منه . فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قوموا إلى سيدكم — فأما المهاجرون من قريش ، فيقولون : إنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأنصار ؛ وأما الأنصار ، فيقولون : قد عم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم — فقاموا إليه ، فقالوا : يا أبا عمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك

---

(١) الرمة : الحبل البالى .

(٢) وقيل إنها أنصارية من أسلم .

أمر مواليك لتحكم فيهم ؛ فقال سعد بن معاذ : عليكم بذلك عهد الله وميثاقه ، أن الحكم فيهم لما حكمت ؟ قالوا : نعم : وعلى من هاهنا ؟ في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو مُعرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ؛ قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال ، وتُقسّم الأموال ، وتسبى الذراري والنساء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[١] .

قال ابن هشام : حدثني بعض من أثق به من أهل العلم : أن علي بن أبي طالب صاح وهم محاصرو بني قريظة : يا كتيبة الإيمان ، وتقدم هو والزبير بن العوام ، وقال : والله لأذوقن ماذاق حمزة أو لأفتحن حصنهم ؛ فقالوا : يا محمد ، ننزل على حكم سعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق : ثم استُنزلوا ، فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة في دار بنت الحارث[٢] ، امرأة من بني النجار ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة ، التي هي سوقها اليوم ، فخندق بها خنادق ، ثم بعث إليهم ، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق ، يُخرَج بهم إليه أرسالا[٣] ، وفيهم عدو الله حُيَيّ بن أخطب ، وكعب بن أسد ، رأس القوم ، وهم ستمائة أو سبعمائة ، والمكثر لهم يقول : كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة . وقد قالوا لكعب ابن أسد ، وهم يُذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا : يا كعب ، ماتراه يصنع بنا ؟ قال : أفي كل موطن لاتعقلون ؟ ألا ترون الداعيَ لا ينزع ، وأنه من ذهب به منكم لايرجع ؟ هو والله القتل ! فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأتى بحُيَي بن أخطب عدو الله ، وعليه حلة له فُقّاحيّة(٤) — قال ابن هشام : فقاحية .

---

(١) الأرقعة : السموات .

(٢) واسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، وكانت تحت مسيلمة الكذاب ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر بن كريز .

(٣) أرسالا : طائفة وراء أخرى .

(٤) فقاحية : تضرب إلى لون الحمرة .

ضربٍ من الوشى — قد شقها عليه من كل ناحية قدر أنملة لئلا يُسلَبها ، مجموعة يداه إلى عنقه بحبل . فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكنه من يَخذُل اللهَ يُخذَلْ ، ثم أقبل على الناس ، فقال : أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضُربت عنقه .

فقال جبل بن جوال الثعلبى :

لَعَمرُكَ ما لامَ ابنُ أخطبَ نفسَه ... ولكنه من يَخذُلِ اللهَ يُخذَلِ
لجاهدَ حتى أبلغَ النفسَ عذرَها ... وقلقل يبغى العزَّ كلَّ مُقلقَلِ[1]

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت : لم يقتل من نسائهم إلا امرأة واحدة . قالت : والله إنها لعندى تحدَّث معى ، وتضحك ظهراً وبطنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالها فى السوق ، إذ هتف هاتف باسمها : أين فلانة ؟ قالت : أنا والله . قالت : قلت لها : ويلك ؛ مالك ؟ قالت : أقتل ؛ قلت : ولم ؟ قالت : لحدث أحدثته ؛ قالت : فانطُلق بها ، فضُرب عنقها ؛ فكانت عائشة تقول فوالله ما أنسى عجبا منها ، طيبَ نفسها ، وكثرة ضحكها ، وقد عرفتْ أنها تقتل .

قال ابن هشام : وهى التى طرحت الرحا على خَلَّاد بن سويد ، فقتلته .

قصة الزبير بن باطا : قال ابن إسحاق : وقد كان ثابت بن قيس بن الشماس ، كما ذكر لى ابن شهاب الزهرى ، أتى الزَّبير[2] بن باطا القرظى ، وكان يكنى أبا عبد الرحمن — وكان الزبير قد منَّ على ثابت بن قيس بن شماس فى الجاهلية ذكر لى بعض ولد الزبير أنه كان منَّ عليه يوم بُعاث ، أخذه فجز ناصيته ، ثم خلى سبيله — فجاءه ثابت وهو شيخ كبير ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، هل تعرفنى ؟ قال : وهل يجهل مثلى مثلك ؛ قال : إنى قد أردت أن أجزيك بيدك عندى ؛ قال : إن الكريم يجزى الكريم ؛ ثم أتى ثابتُ بن قيس رسولَ الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) قلقل : تحرك .

(٢) هو الزبير بفتح الزاى وكسر الباء جد الزبير بن عبد الرحمن المذكور فى الموطأ فى كتاب النكاح ، واختلف فى الزبير بن عبد الرحمن ، فقيل : الزبير بفتح الزاى وكسر الباء كاسم جده وقيل الزُّبير ، وهو قول البخارى فى التاريخ .

فقال : يارسول الله إنه قد كانت للزبير على مِنّة ، وقد أحببت أن أجزيَه بها ، فهَب لى دمه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هو لك ؛ فأتاه فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لى دمك ، فهو لك ؛ قال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟ قال : فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، هب لى امرأته وولده ؛ قال : هم لك . قال : فأتاه فقال : قد وهب لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أهلك وولدك ، فهم لك ؛ قال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟ فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، مالَه ؛ قال : هو لك . فأتاه ثابت فقال : قد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك ، فهو لك ؛ قال : أى ثابت ، مافعل الذى كأن وجهه مرآة صينية يتراءى فيها عذارى الحى ، كعبُ بن أسد ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل سيد الحاضر والبادى حُيَى بن أخطب ؟ قال : قتل ؛ قال ؛ فما فعل مُقدِّمتنا إذا شددنا ، وحاميتنا إذا فررنا ، عزّال بن سموأل ؟ قال : قُتل ؛ قال : فما فعل المجلسان ؟ يعنى بنى كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة ؛ قال : ذهبوا قُتِلوا ؟ قال : فإنى أسألك يا ثابت بيدى عندك إلا ألحقتنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، فما أنا بصابر لله فَتلة دلوٍ ناضح [1] حتى ألقى الأحبة . فقدمه ثابت ، فضرب عنقه .

فلما بلغ أبابكر الصديق قوله «ألقى الأحبة» . قال : يلقاهم والله فى نار جهنم خالدا فيها مخلدا.

قال ابن هشام : قَبلة دلو ناضح . قال زهير بن أبى سلمى فى « قبلة » :

وقابلٌ يتغنى كلما قَــدَرَتْ   على العَراقىِّ يداه قائما دَفَقَا

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن هشام : ويروى : وقابل يتلقى ، يعنى قابل الدلو يتناول .

عطية القرظى ورفاعة بن سموأل : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل كل من أنبت منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى شعبة بن الحجاج ، عن عبد الملك بن عُمَير ، عن عطية القرظى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر أن يُقتل من بنى قريظة كل من أنبت منهم ، وكنت غلاما ، فوجدونى لم أنبت ، فخلوا سبيلى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أيوب بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أبى صعصعة أخو بنى عدى ابن النجار ، أن سَلمَى بنتَ قيس أمّ المنذر أختَ سَلِيطِ بن قَيْس ... — وكانت

(١) الناضح : الجمل . والمعنى مقدار ما يأخذ الرجل الدلو ليصبها فى الحوض .

إحدى خالات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد صلت معه القبلتين ، وبايعته بيعة النساء — سألته رفاعة بن سموأل القرظى ، وكان رجلا قد بلغ ، فلاذ بها ، وكان يعرفهم قبل ذلك ، فقالت يا نبى الله ، بأبى أنت وأمى ، هب لى رفاعة ، فإنه قد زعم أنه سيصلى ويأكل لحم الجمل ؛ قال : فوهبه لها ، فاستحيته .

تقسيم الفىء : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأبناءهم على المسلمين ، وأعلم فى ذلك اليوم سُهمان الخيل وسهمان الرجال ، وأخرج منها الخمس ، فكان للفارس ثلاثة أسهم ، للفرس سهمان ولفارسه سهم ، وللراجل من ليس له فرس ، سهم . وكانت الخيل يوم بنى قريظة ستة وثلاثين فرسا ، وكان أول فىء وقعت فيه السُّهمان ، وأخرج منها الخمس ، فعلى سنتها وما مضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وقعت المقاسم ، ومضت السنة فى المغازى .

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل سبايا من سبايا بنى قريظة إلى نجد ، فابتاع لهم بها خيلا وسلاحا .

إسلام ريحانة : قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسائهم رَيحانة بنت عمرو بن خُنافة ، إحدى نساء بنى عمرو بن قريظة ، فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفى عنها وهى فى ملكه ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عرض عليها أن يتزوجها ، ويضرب عليها الحجاب ؛ فقالت : يارسول الله ، بل تتركنى فى ملكك ، فهو أخف على وعليك ، فتركها . وقد كانت حين سباها قد تعصت بالإسلام ، وأبت إلا اليهودية ، فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووجد فى نفسه لذلك من أمرها . فبينا هو مع أصحابه ، إذ سمع وقع نعلين خلفه ؛ فقال : إن هذا لثعلبة بن سعية يبشرنى بإسلام رَيحانة ؛ فجاءه فقال يارسول الله ، قد أسلمت رَيحانة ، فسره ذلك من أمرها .

مانزل من القرآن فى الخندق وبنى قريظة : قال ابن إسحاق : وأنزل الله تعالى فى أمر الخندق ، وأمر بنى قريظة من القرآن ، القصة فى الأحزاب ، يذكر فيها ما نزل من البلاء ، ونعمته عليهم ، وكفايته إياهم حين فرج ذلك عنهم ، بعد مقالة من قال من أهل النفاق : « ياأيها الذين آمنوا اذكروا نعمةَ الله عليكم إذ جاءتكم جنودٌ فأرسلنا عليهم ريحا وجنوداً لم تروْها ، وكان اللهُ بما تعملون بصيراً » . والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة ، وكانت الجنود التى أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة . يقول الله تعالى : « إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفلَ منكم ، وإذ زاغت الأبصارُ وبلغت القلوبُ الحناجرَ ، وتظنون بالله الظنونا » . فالذين جاءوهم من فوقهم

بنو قريظة ، والذين جاءوهم من أسفل منهم قريش وغطفان . يقول الله تبارك وتعالى : « هنا لك ابْتُلِيَ المؤمنون وزُلزلوا زلزالا شديداً ، وإذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرضٌ ما وعدنا اللهُ ورسولُه إلا غُروراً » لقول مُعتِّب بن قُشَير إذ يقول ما قال . « وإذ قالت طائفةٌ منهم يا أهلَ يثربَ لا مُقامَ لكم فارجعوا ويستأذنُ فريقٌ منهم النبيَّ يقولون إن بيوتَنا عورةٌ وما هى بعورةٍ إن يريدون إلا فِراراً » لقول أوْس بن قَيْظى ومن كان على رأيه من قومه « ولو دُخِلَتْ عليهم من أقطارِها » : أى المدينة .

قال ابن هشام : الأقطار : الجوانب ؛ وواحدها : قطر ، وهى الأقتار ، وواحدها : قتر .

قال الفرزدق :

كم من غنًى فتح الإلهُ لهم به والخيلُ مُقْعِيَةٌ على الأقطارِ[1]

ويُروى : « على الأقتار » . وهذا البيت فى قصيدة له .

« ثم سُئلوا الفتنةَ » : أى الرجوع إلى الشرك « لآتوْها وما تلبثوا بها إلا يسيراً . ولقد كانوا عاهدوا اللهَ من قبلُ لا يُوَلُّونَ الأدبارَ ، وكان عهدُ اللهِ مسئولا » ، فهم بنو حارثة ، وهم الذين هموا أن يفشلوا يوم أحد مع بنى سلمة حين هما بالفشل يوم أحد ، ثم عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها أبدا ، فذكر لهم الذى أعطوا من أنفسهم ، ثم قال تعالى : « قل لن ينفعَكمُ الفِرارُ إن فررتم من الموتِ أو القتلِ ، وإذاً لا تُمَتَّعون إلا قليلا . قل من ذا الذى يعصمُكم من اللهِ إن أراد بكم سوءاً ، أو أراد بكم رحمةً ، ولا يجدونَ لهم من دونِ اللهِ ولياً ولا نصيراً . قد يعلمُ اللهُ المعوِّقين منكم » : أى أهل النفاق « والقائلين لإخوانِهم هَلُمَّ إلينا ، ولا يأتون البأسَ إلا قليلا » : أى إلا دفعا وتعذيراً[2] « أشِحَّةً عليكم » : أى للضغن الذى فى أنفسهم « فإذا جاء الخوفُ رأيتَهم ينظرون إليك ، تدورُ أعينُهم كالذى يُغشَى عليه من الموتِ » : أى إعظاما له وفرقا منه « فإذا ذهب الخوفُ سلقوكم بألسنةٍ حِدادٍ » : أى فى القول بما لا تحبون ، لأنهم لا يرجون آخرة ، ولا تحملهم حِسْبة[3] ، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده .

قال ابن هشام : سلقوكم : بالغوا فيكم بالكلام ، فأحرقوكم وآذوكم . تقول العرب : خطيب

---

(١) مقعية : أى ساقطة على أجنابها تريد القيام .

(٢) التعذير : أن يفعل الشىء بغير نية وغرضه أن يُعذر أمام الناس .

(٣) الحسبة : طلب الأجر .

سلاّق ، وخطيب مِسْلق ومِسْلاق . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

فيهم المجدُ والسماحةُ والنجـْـدةُ فيهم والخاطِبُ السّلاّقُ

وهذا البيت فى قصيدة له .

« يحسَبون الأحزابَ لم يذهبوا ، قريش وغَطَفان « وإن يأتِ الأحزابُ يودُّوا لو أنهم بادونَ فى الأعرابِ يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ماقاتلوا إلا قليلا » .

ثم أقبل على المؤمنين فقال : « لقد كان لكم فى رسولِ اللهِ أُسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو اللهَ واليومَ الآخر » : أى لئلا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ، ولا عن مكان هو به .

ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به ، فقال : « ولما رأى المؤمنون الأحزابَ قالوا هذا ما وعدنا اللهُ ورسولُه ، وصدق اللهُ ورسولُه ، وما زادهم إلا إيمانا وتسليما » : أى صبرا على البلاء وتسليما للقضاء ، وتصديقا للحق ، لما كان الله تعالى وعدهم ورسوله صلى الله عليه وسلم ثم قال : « من المؤمنين رجالٌ صَدَقوا ما عاهدوا اللهَ عليه ، فمنهم من قضَى نحبَه » : أى فرغ من عمله ، ورجع إلى ربه ، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد .

قال ابن هشام قضى نحبه : مات ، والنحب : النفس ، فيما أخبرنى أبو عبيدة وجمعه : نحوب . قال ذو الرمة :

عشيةَ فر الحارثيون بعدما قضى نحبَه فى مُلتقَى الخيلِ هَوْبَرُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وهوبر : من بنى الحارث بن كعب ، أراد : يزيد بن هوبر . والنحب أيضا : النذر . قال جرير بن الخطَفى :

بطِخْفَةَ جالدنا الملوكَ وخيلُنا عشيةَ بسطامٌ جَرَيْنَ على نَحْبِ

يقول : على نذر كانت نذرت أن تقتله فقتلته ، وهذا البيت فى قصيدة له . وبسطام : بسطام ابن قيس بن مسعود الشيبانى ، وهو ابن ذى الجدَّيْن . حدثنى أبو عبيدة : أنه كان فارس ربيعة ابن نزار : وطخفة : موضع بطريق البصرة .

والنحب : الخِطار ، وهو : الرهان . قال الفرزدق :

وإذ نَحبَتْ كلبٌ على الناس أيُّنا على النحبِ أعْطَى للجزيلِ وأفضَلُ

والنحب : البكاء . ومنه قولهم ينتحب . والنحب : الحاجة والهمة ؛ تقول : مالى عندهم نحب . قال مالك بن نُوَيرة اليربوعى :

ومالىَ نحبٌ دونهم غيرَ أنَّنى تلستُ ماتبغى من الشُّدُنِ الشُّجُرِ[1]

وقال نَهار بن تَوْسِعة ، أحد بنى تَيْم اللات بن ثعلبة بن عُكابة بن صعب بن على بن بكر ابن وائل .

قال ابن هشام : هؤلاء موالى بنى حنيفة :

ونجى يوسفَ الثقفىَّ ركضٌ دِراكٌ بعد ما وقع اللواءُ[2]
ولو أدركنه لقضين نحبا به ولكلِّ مُخطأةٍ وَقاءُ

والنحب أيضا : السير الخفيف المرّ .

قال ابن إسحاق : « ومنهم من ينتظر » : أى ما وعد الله به من نصره ، والشهادة على مامضى عليه أصحابه . يقول الله تعالى : « ومابدّلوا تبديلا » : أى ماشكّوا وماترددوا فى دينهم ، وما استبدلوا به غيره . « ليجزىَ اللهُ الصادقين بصدقهم ، ويعذبَ المنافقين إن شاء ، أو يتوب عليهم ، إن اللهَ كان غفوراً رحيما . وردَّ اللهُ الذين كفروا بغيظهم » : أى قريشا وغطفان « لم ينالوا خيراً ، وكفى اللهُ المؤمنين القتالَ وكان اللهُ قويا عزيزاً . وأنزل الذين ظاهَروهم من أهل الكتاب » : أى بنى قريظة « من صَياصِيهم » ، والصياصى : الحصون والآطام التى كانوا فيها .

قال ابن هشام : قال سُحَيْم عبد بنى الحسحاس ؛ وبنو الحسحاس من بنى أسد بن خزيمة :

وأصبحت الثيرانُ صرعَى وأصبحت نساءُ تميمٍ يبتدرْنَ الصَّياصِيا

وهذا البيت فى قصيدة له . والصياصى : القرون . قال النابغة الجعدى :

وسادةَ رهطِى حتى بَقِيـــتُ فرداً كَصِيصِيَةِ الأعضبِ[3]

يقول : أصاب الموت سادة رهطى . وهذا البيت فى قصيدة له . وقال أبو دواد الإيادى .

فذعَرْنا سُحْمَ الصَّيَاصِى بأيديـــهِنَّ نَضْحٌ من الكُحَيْلِ وقارُ[4]

وهذا البيت فى قصيدة له . والصياصى أيضا : الشوك الذى للنساجين ، فيما أخبرنى أبو عبيدة . وأنشدنى لدُرَيْد بن الصِّمَّة الجُشَمى ، جُشَم بن معاوية بن بكر بن هوازن :

---

(1) الشدن : الإبل الشدنية منسوبة إلى شدن بلدة باليمن . الشجر : التى فى أعينها حمرة .
(2) دراك : متتابع . (3) الأعضب : مكسور القرن .
(4) السحم : السود . الصياصى : القرون . الكحيل القطران . القار : الزفت .

نظرتُ إليه والرماحُ تنوشُه كوقعِ الصَّياصِى فى النسيجِ الممدَّدِ

وهذا البيت فى قصيدة له . والصياصى أيضا : التى تكون فى أرجل الديكة ناتئة كأنها القرون الصغار ، والصياصى أيضا : الأصول . أخبرنى أبو عبيدة أن العرب تقول : جذ الله صيصيته : أى أصله .

قال ابن إسحاق : « وقذفَ فى قلوبهم الرعبَ فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » : أى قتل الرجال ، وسبى الذرارى والنساء ، « وأورثكم أرضَهم وديارَهم وأموالَهم وأرضاً لم تطئُوها » : يعنى خيبر « وكان اللهُ على كلِّ شىءٍ قديراً » .

إكرام سعد فى موته : قال ابن إسحاق : فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر بسعد بن معاذ جرحه ، فمات منه شهيداً .

قال ابن إسحاق : حدثنى معاذ بن رفاعة الزرَقى ، قال : حدثنى من شئت من رجال قومى : أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قُبض سعد بن معاذ من جوف الليل معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال : يامحمد ، من هذا الميت الذى فُتحت له أبواب السماء ، واهتز له العرش[1] ؟ قال : فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا يجر ثوبه إلى سعد ، فوجده قد مات .

---

(١) حديث اهتزاز العرش ثابت من وجوه وفى بعض ألفاظه أن جبريل عليه السلام نزل حين مات سعد معتجراً بعمامة من إستبرق ، فقال يا محمد من هذا الميت الذى فتحت له أبواب السما واهتز له العرش ؟ وفى حديث آخر قال عليه السلام . لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها ، ويذكر أن قبره وجد منه رائحة المسك ، وقال عليه السلام : لو نجا أحد من ضغطة القبر لنجا منها سعد .

وقد تكلم الناس فى معناه ، وظنوا أنه مشكل ، وقال بعضهم : الاهتزاز ها هنا بمعنى الاستبشار بقدوم روحه ، وقال بعضهم : يريد حملة العرش ومن عنده من الملائكة ، استبعاداً منهم لأن يهتز العرش على الحقيقة ، ولا بعد فيه ، لأنه مخلوق وتجوز عليه الحركة ، والهزة ولا يعدل عن ظاهر اللفظ ، ما وجد إليه سبيل ، وحديث اهتزاز العرش لموت سعد صحيح ؛ قال أبو عمر : هو ثابت من طرق متواترة ، وما روى من قول البراء بن عازب فى معناه :

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : أقبلت عائشة قافلة من مكة ، ومعها أُسيد بن حُضَير ، فلقيه موت امرأة له ، فحزن عليها بعض الحزن ، فقالت له عائشة : يغفر الله لك يا أبا يحيى ، أتحزن على امرأة وقد أُصبت بابن عمك ، وقد اهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري ، قال : كان سعد رجلا بادنا ، فلما حمله الناس وجدوا له خِفة ، فقال رجال من المنافقين : والله إن كان لبادنا ، وما حملنا من جنازة أخف منه ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن له حَمَلة غيركم ، والذى نفسي بيده ، لقد استبشرت الملائكة بروح سعد ، واهتز له العرش .

قال ابن إسحاق : وحدثني معاذ بن رفاعة ، عن محمود بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح . عن جابر بن عبد الله ، قال : لما دُفن سعد ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فسبح الناس معه ، ثم كبر فكبر الناس معه ؛ فقالوا : يارسول الله ، مِمَّ سبحت ؟ قال : لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره ، حتى فرجه الله عنه .

قال ابن هشام : ومجاز هذا الحديث قول عائشة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن للقبر لضمة لو كان أحد منها ناجيا لكان سعد بن معاذ .

قال ابن إسحاق : ولسعدٍ يقول رجلٌ من الأنصار :

وما اهتز عرشُ اللهِ من موتِ مالكٍ ... سمِعنا به إلا لسعدٍ أبي عَمْرِو

وقالت أم سعد ، حين احتمل نعشه وهى تبكيه — قال ابن هشام — وهى كُبَيْشَةُ بنت

= أنه سرير سعد اهتز لم يلتفت إليه العلماء ، وقالوا كانت بين هذين الحيين من الأنصار ضغائن وفى لفظ الحديث : اهتز عرش الرحمن ، رواه أبو الزبير عن جابر يرفعه ، ورواه البخارى من طريق الأعمش عن أبي صالح وأبي سفيان كلاهما عن جابر ، ورواه من الصحابة جماعة غير جابر ، منهم أبو سعيد الخدرى ، وأسيد بن حضير ؛ ورميثة بنت عمرو ، ذكر ذلك الترمذى . والعجب لما روى عن مالك رحمه الله من إنكاره للحديث ، وكراهيته للتحدث به مع صحة نقله ، وكثرة الرواة له ، ولعل هذه الرواية لم تصح عن مالك . انظر الروض الأنف بتحقيقنا ج ٣ ص ٢٨٣ وما بعدها .

رافع بن معاوية بن عُبَيد بن ثعلبة بن عبد بن الأبجر ، وهو خدرة بن عوف بن الحارث ابن الخزرج :

ويلُ امِّ سعدٍ سَعدا صرامةً وحـــدَّا
وسُـــوددًا ومجـــدا وفارسا مُعِـــدا
سُـــد به مَسَـــدّا يَقدُّ هاما قـــدا

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل نائحة تكذب ، إلا نائحة سعد بن معاذ .

الشهداء يوم الخندق : قال ابن إسحاق : ولم يستشهد من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر .

من بنى عبد الأشهل : سعد بن معاذ ، وأنس بن أوس بن عتيك بن عمرو ، وعبد الله ابن سهل . ثلاثة نفر .

ومن بنى جُشَم بن الخزرج ، ثم من بنى سلمة : الطفيل بن النعمان ، وثعلبة بن غنيمة . رجلان

ومن بنى النجار ، ثم من بنى دينار : كعب بن زيد ، أصابه سهم غَرْب ، فقتله .

قال ابن هشام : سهمُ غَرْبٍ وسهمٌ غَربٌ ، بإضافة وغير إضافة ، وهو الذى لا يعرف من أين جاء ولا من أين ومن رمى به

قتلى المشركين : وقتل من المشركين ثلاثة نفر .

من بنى عبد الدار بن قصى : مُنبِّه بن عثمان بن عبيد بن السبَّاق بن عبد الدار ، أصابه سهم ، فمات منه بمكة .

قال ابن هشام : هو عثمان بن أمية بن منبه بن عبيد بن السباق .

قال ابن إسحاق : ومن بنى مخزوم بن يقظة : نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده ، وكان اقتحم الخندق ، فتورط فيه ، فقُتل ، فغلب المسلمون على جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا حاجة لنا فى جسده ولا بثمنه ، فخلى بينهم وبينه .

قال ابن هشام : أعطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بجسده عشرة آلاف درهم ، فيما بلغنى عن الزهرى .

قال ابن إسحاق : ومن بنى عامر بن لؤى ، ثم من بنى مالك بن حِسْل : عمرو بن عبد وُدّ ، قتله على بن أبى طالب رضوان الله عليه .

قال ابن هشام : وحدثنى الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهرى أنه قال : قتل على بن أبى طالب يومئذ عمرو بن عبد وُد وابنه حِسْل بن عمرو .

قال ابن هشام : ويقال عمرو بن عبد ود ، ويقال : عمرو بن عبد .

الشهداء يوم بنى قريظة قال بن إسحاق : واستشهد يوم بنى قريظة من المسلمين ، ثم من بنى الحارث بن الخزرج : خَلَّاد بن سُوَيد بن ثعلبة بن عمرو ، طُرِحت عليه رحى ، فشدخته شدخا شديداً ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن له لأجر شهيدين .

ومات أبو سِنَان بن مِحْصَن بن حُرْثان ، أخو بنى أسد بن خزيمة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم محاصر بنى قريظة ، فدفن فى مقبرة بنى قريظة التى يدفنون فيها اليوم ، وإليه دفنوا أمواتهم فى الإسلام .

ولما انصرف أهل الخندق عن الخندق ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغنى : لن تغزوكم قريش بعد عامكم هذا ، ولكنكم تغزونهم . فلم تغزهم قريش بعد ذلك ، وكان هو الذى يغزوها ، حتى فتح الله عليه مكة .

ماقيل من الشعر فى أمر الخندق وبنى قريظة

قال ضِرَار بن الخطاب بن مرداس ، أخو بنى محارب بن فِهْر ، فى يوم الخندق :

ومشفقةٍ تظن بنا الظنونا ... وقد قُدنا عَرَنْدَسَةً طَحونا (١)

كأن زُهاءَها أُحُدٌ إذا ما ... بدت أركانُه للناظرينا

ترى الأبدانَ فيها مُسبغاتٍ ... على الأبطالِ واليَلَبَ الحصينا (٢)

وجُرْداً كالقِداحِ مُسوَّماتٍ ... نؤم بها الغُواةَ الخاطئينا

كأنهمُ إذا صالوا وصُلنا ... ببابِ الخندقين مُصافحونا

أُناسٌ لا نرى فيهم رشيدا ... وقد قالوا ألسنا راشدينا

فأحجرناهمُ شهراً كَرِيتا ... وكنا فوقهم كالقاهرينا (٣)

---

(١) العرندسة : الشديدة ؛ صفة لموصوف محذوف أى كتيبة .

(٢) الأبدان : الدروع . اليلب : الدرق . (٣) كريتا : كاملا .

نراوحهم ونغدو كلَّ يومٍ ... عليهم فى السلاحِ مُدَجَّجِينا
بأيدينا صوارمُ مُرْهَفاتٌ ... نَقُد بها المفارقَ والشُّئونا [1]
كأن وميضهن معريات ... إذا لاحت بأيدى مُصْلِتِينا [2]
وميضُ عقيقةٍ لمعت بليلٍ ... ترى فيها العقائقَ مُستبينا [3]
فلولا خندقٌ كانوا لديه ... لدمرنا عليهم أجمعينا
ولكن حال دونهمُ وكانوا ... به من خوفنا متعوِّذينا
فإن نرحلْ فإنا قد تركنا ... لدى أبياتكم سعدا رهينا
إذا جن الظلامُ سمعتَ نوحَى ... على سعدٍ يرجِّعنَ الحنينا
وسوف نزوركم عما قريبٍ ... كما زرناكمُ متوازرينا
بجمعٍ من كنانةَ غيرِ عُزْلٍ ... كأُسْدِ الغابِ قد حمتِ العرينا

فأجابه كعب بن مالك، أخو بنى سلمة، فقال:

وسائلةٍ تُسائل ما لَقِينا ... ولو شَهِدَتْ رأتنا صابرينا
صبَرْنا لا نرى لله عِدلا ... على ما نابَنا متوكلينا
وكان لنا النبىُّ وزيرَ صدقٍ ... به نعلو البريةَ أجمعينا
نقاتلُ معشراً ظلموا وعقوا ... وكانوا بالعداوةِ مُرصِدينا
نعاجلهم إذا نهضوا إلينا ... بضربٍ يُعجِلُ المتسرعينا
ترانا فى فضافضَ سابغاتٍ ... كغُدرانِ المَلا متسربلينا
وفى أيماننا بيضٌ خِفافٌ ... بها نشفى مَراحَ الشاغبينا
ببابِ الخندقين كأن أُسْداً ... شوابِكُهن يحمين العَرينا
فوارسُنا إذا بَكَروا وراحوا ... على الأعداءِ شُوساً مُعْلِمِينا [4]
لننصرَ أحمداً واللهَ حتى ... نكونَ عبادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينا
ويعلمَ أهلُ مكةَ حين ساروا ... وأحزابٌ أتوا متحزِّبينا:

---

(١) الشئون جمع عظام الرأس. (٢) المصلت: الذى جرد سيفه من غمده

(٣) العقيقة: السحابة التى ينشق عنها البرق.

(٤) الشوس: من ينظرون بمؤخر عيونهم كبرا.

بأن الله ليس له شريكٌ ... وأن الله مولَى المؤمنينا
فإما تَقتلوا سعداً سَفاهاً ... فإن الله خيرُ القادرينا
سيُدخِلُه جناناً طيباتٍ ... تكون مُقامةً للصالحينا
كما قد ردكم فَلاًّ شريداً ... بغيظِكم، خَزايا خائبينا(١)
خزايا لم تنالوا ثَم خيراً ... وكدتم أن تكونوا دامِرينا
بريحٍ عاصفٍ هبت عليكم ... فكنتم تحتَها متكمِّهينا(٢)

وقال عبد الله بن الزبعرى السهمى، يوم الخندق:

حَيِّ الديارَ محا معارفَ رسمِها ... طولُ البِلَى وتراوُحُ الأحقابِ
فكأنما كتب اليهودُ رسومَها ... إلا الكَنيفَ ومَعْقِدَ الأطنابِ(٣)
قفراً كأنك لم تكن تلهو بها ... فى نعمةٍ بأوانسٍ أترابِ(٤)
فاترك تذكُّرَ ما مضى من عِيشَةٍ ... ومَحَلّةٍ خَلَقِ المُقامِ يبابِ
واذكرْ بلاءَ معاشرٍ واشكرهُمُ ... ساروا بأجمعِهم من الأنصابِ
أنصابِ مكةَ عامدين ليثربٍ ... فى ذى غياطِلَ جَحْفَلٍ جَبْجابِ(٥)
يدعُ الحُزونَ مناهجاً معلومةً ... فى كلِّ نَشْرٍ ظاهرٍ وشعابِ(٦)
فيها الجياد شوازبٌ مجنوبةٌ ... قُبُّ البطونِ لواحقُ الأقرابِ(٧)
من كل سَلْهبَةٍ وأجردَ سَلْهَبٍ ... كالسِّيدِ بادرَ غفلةَ الرُّقبابِ(٨)

---

(١) الفل: المنهزمون.

(٢) المتكمه فى الأصل من وُلد أعمى. والمراد أنهم لا يبصرون.

(٣) الكنيف: حظيرة الماشية: معقد: وتد. والأطناب: الحبال التى تشد بها الخيام.

(٤) الأتراب: المتساويات فى السن.

(٥) الغياطل: الأصوات. ويقصد «بذى غياطل» جيشا كثير الأصوات. جبجاب: كثير.

(٦) الحزون: ما ارتفع من الأرض. المناهج: الطرق الواضحة. النشر: ما ارتفع من الأرض. والشعاب: جمع شعب: المنخفض بين جبلين.

(٧) الشوازب: الضامرة. القب: الضامرة. لواحق الأقراب: ضامرة الخواصر.

(٨) السلهبة: الطويلة. السيد: الذئب.

جيشٌ عُيَينةُ قاصدٌ بلوائِهِ فيه وصَخرٌ قائدُ الأحزابِ
قَرْمانِ كالبدْرَين أصبحَ فيهما غيثُ الفقيرِ ومَعقِلُ المرْتاب[1]
حتى إذا وردوا المدينة وارتَدوا للموتِ كلَّ مُجَرَّبٍ قَضَّاب
شهراً وعشراً قاهرين محمداً وصِحابُه فى الحربِ خيرُ صحابِ
نادوا برحلتِهم صبيحةَ قلتمُ كدنا نكون بها مع الخُيَّابِ
لولا الخنادقُ غادروا من جمعِهِم قتلَى لطيرٍ سُغَّبٍ وذئابِ

فأجابه حسان بن ثابت الأنصارى ، فقال :

هل رسمُ دارسَةِ المُقامِ يَبابِ متكلِّمٌ لمحاوِرٍ بجوابِ[2]
قفرٌ عَفا رِهَمُ السحابِ رسومَه وهبوبُ كلِّ مُطِلَّةٍ مِرْباب[3]
ولقد رأيتُ بها الحُلولَ يزينُهم بيضَ الوجوهِ ثواقبُ الأحسابِ[4]
فدعِ الديارَ وذِكْرَ كلِّ خَرِيدةٍ بيضاءَ آنسةِ الحديثِ كَعابِ
واشكُ الهمومَ إلى الإلهِ وما ترى من معشرٍ ظلموا الرسولَ غِضابِ
ساروا بأجمعِهم إليه وألبوا أهلَ القُرى وبوادىَ الأعرابِ
جيشٌ عُيَينةُ وابنُ حربٍ فيهمُ متخمِّطون بحَلْبَةِ الأحزاب[5]
حتى إذا وردوا المدينةَ وارتجوا قتلَ الرسولِ ومغنَمَ الأسلاب
وغدَوْا علينا قادرين بأيدِهم رُدّوا بغيظِهِمُ على الأعقاب
بهُبوبِ مُعصِفَةٍ تُفرِّقُ جمعَهم وجنودِ ربِّك سيدِ الأربابِ
فكفى الإلهُ المؤمنين قتالَهم وأثابَهم فى الأجرِ خيرَ ثوابِ
من بعدِ ما قَنِطوا ففرق جمعَهم تنزيلُ نصرِ مليكِنا الوهابِ
وأقر عينَ محمدٍ وصِحابِهِ وأذل كلَّ مكذِّبٍ مرتابِ
عاتِى الفؤادِ مُوَقَّعٍ ذى ريبةٍ فى الكفرِ ليس بطاهرِ الأثوابِ
عَلِقَ الشقاءُ بقلبِهِ ففؤادُه فى الكفرِ آخرَ هذه الأحقابِ

---

(١) قرمان : مثنى قرم وهو السيد .

(٢) اليباب : القفر . المحاور : من يجادلك فى الكلام .

(٣) الرهم : المطر . مرباب : ثابتة . (٤) الحلول : البيوت المجتمعة . ثواقب : مزهرة .

(٥) متخمطون : مختلطون . الحلبة : الخيل المعدة للسباق .

وأجابه كعب بن مالك أيضا ، فقال :

أبقى لنا حدثُ الحروبِ بقيةً — من خيرِ نِحلةِ ربِّنا الوهابِ
بيضاءَ مشرفةَ الذُّرَى ومعاطِنا — حُمَّ الجذوعِ غزيرةَ الأحلابِ (١)
كاللوبِ يُبذَلُ جَمُّها وحفيلُها — للجارِ وابنِ العمِّ والمُنتابِ (٢)
ونزائعًا مثلَ السراحِ نمَى بها — علفُ الشعيرِ وجزةُ المِقضابِ (٣)
عَرِيَ الشَّوَى منها وأردفَ نحضَها — جُردُ المتونِ وسائرِ الآرابِ (٤)
قُوداً تراحُ إلى الصياحِ إذا غدت — فِعلَ الضِّراءِ تُراحُ للكُلّابِ (٥)
وتحوطُ سائمةَ الديارِ وتارةً — تُردِي العِدا وتئوبُ بالأسلابِ
حُوشُ الوحوشِ مُطارةٌ عندَ الوغى — عُبْسُ اللقاءِ مُبينةُ الإنجابِ (٦)
عُلفت على دَعةٍ فصارت بُدَّناً — دُخْسَ البضيعِ خفيفةَ الأقصابِ (٧)
يغدونَ بالزَّغْفِ المضاعفِ شكُّهُ — وبمُترَصاتٍ في الثِّقافِ صيابِ (٨)
وصوارمٍ نزعَ الصياقلُ غُلْبَها — وبكلِّ أروعَ ماجدِ الأنسابِ (٩)
يصلُ اليمينَ بمارنٍ متقاربٍ — وُكِلتْ وقيعتُه إلى خبّابِ (١٠)
وأغرَّ أزرقَ في القناةِ كأنه — في طُخْيَةِ الظلماءِ ضوءُ شهابِ (١١)

---

(١) الذرى : الأعالى . المعاطن : مبارك الإبل حول الماء . الجذوع : الأعناق ، والأحلاب : ما يحلب منها . (٢) اللوب : الأراضى ذات الحجارة السود . جمها : ما اجتمع من لبنها . المنتاب : القاصد . (٣) النزائع : الخيل العربية المنزوعة من أرضها إلى أرض أخرى . السراح : الذئاب . جزة المقضاب : ما يقطع لها من النبات .

(٤) الشوى : القوائم . النحض : اللحم . جرد : ملس . المتون : الظهور . والآراب : الأعضاء . (٥) قود : طوال . تراح : تنشط . الضراء : الكلاب المعلمة . الكلاب : السائق بالكلاب . (٦) الحوش : النافرة . عبس : شديدة . الإنجاب : الكرم .

(٧) دخس : كثيرة اللحم . الأقصاب : الأمعاء .

(٨) الزغف : مالان من الدروع . المترصات : القويات . صياب : صائبة .

(٩) غلبها : صدأها . الماجد : الشريف .

(١٠) المارن : الرمح اللين ، وقيعته : صنعته . خباب : عبد صانع السيوف .

(١١) الأغر الأزرق : السنان الجيد . الطخية : الشدة .

وكتيبةٍ ينفي القِرانَ قتيرُها ... وتردُّ حدَّ قواحزِ النُّشّابِ (١)

جأْوَى مُلَمْلَمَةٍ كأن رماحَها ... في كلِّ مَجْمَعةٍ ضريمةُ غابِ (٢)

يأوي إلى ظلِّ اللواءِ كأنه ... في صَعْدةِ الخطيِّ فَيْءُ عُقابِ (٣)

أعيتْ أبا كَرِبٍ وأعيتْ تُبَّعاً ... وأبتْ بسالتُها على الأعرابِ

ومواعظٌ من ربِّنا نُهْدَى بها ... بلسانِ أزهرَ طيِّبِ الأثوابِ

عُرِضَتْ علينا فاشتهينا ذِكْرَها ... من بعدِ ما عُرِضَتْ على الأحزابِ

حِكَماً يراها المجرمون بزعمهم ... حَرَجاً ويفهمُها ذوو الألبابِ

جاءتْ سَخِينةُ كي تُغالبَ ربَّها ... فلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلّابِ (٤)

قال ابن هشام: حدثني من أثق به، قال: حدثني عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، قال كعب بن مالك:

جاءتْ سخينةُ كي تُغالِبَ ربَّها ... فلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلّابِ

---

(١) القران: تقارن النبل. القتير: مسامير حلق الدرع، ويريد به الدروع. قواحز النشاب: النبال التي أصابت الأهداف. (٢) الجأوى: التي يخالط سوادها حمرة. ململمة: مجتمعة. الضريمة: الملتهبة. (٣) الصعدة: القناة المستقيمة. الخطي: الرمح. الفيء: الظل. العقاب: طائر جارح قوي المخالب أعقف المنقار حاد البصر يطلق على المذكر والمؤنث.

(٤) كان هذا الاسم مما سميت به قريش قديماً، ذكروا أن قصيا كان إذا ذبح ذبيحة أو نحيرة بمكة أتى بعجزها فصنع منه خزيرة، وهو لحم يطبخ ببر فيطعمه الناس، فسميت قريش بها سخينة. وقيل: إن العرب كانوا إذا أسنتوا أكلوا العلهز، وهو الوبر والدم، وتأكل قريش الخزيرة والفتة فنفست عليهم ذلك فلقبوهم: سخينة، ولم تكن قريش تكره هذا اللقب، ولو كرهته ما استجاز كعب أن يذكره، ورسول الله صلى الله عليه وسلم منهم، ولتركه أدباً مع النبي عليه السلام، إذ كان قرشياً، ولقد استنشد عبد الملك بن مروان ما قاله الهوزني في قريش:

يا شدةً ما شددنا غير كاذبة ... على سخينة لولا الليل والحرم

فقال: ما زاد هذا على أن استثنى، ولم يكره سماع التلقيب بسخينة، فدل هذا على أن هذا اللقب لم يكن مكروهاً عندهم ولا كان فيه تعيير لهم بشيء. راجع الروض الأنف ج ٣ ص ٢٠٠.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شكرك الله يا كعب على قولك هذا .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

من سره ضربٌ يُمعمِعُ بعضُه بعضا كمعمعةِ الأباءِ المُحْرَقِ (١)
فليأتِ مأسدةً تُسنُّ سيوفُها بينَ المذادِ وبين جِذْعِ الخندقِ (٢)
دَرِبوا بضربِ المعلَّمينَ وأسلموا مُهَجاتِ أنفسِهم لربِّ المشرقِ
فى عُصبةٍ نصر الإلهُ نبيَّه بِهِمُ وكان بعبدِه ذا مَرفَقِ
فى كلِّ سابغةٍ تخط فضولُها كالنَّهْىِ هبت ريحُه المترقرِقِ (٣)
بيضاءَ محكَمَةٍ كأن قتيرَها حَدَقُ الجنادبِ ذاتَ شَكٍّ موثَقِ (٤)
جدلاءَ يحفِزُها نِجادُ مُهَنَّدٍ صافى الحديدةِ صارمٍ ذى رونقِ (٥)
تِلكم مع التقوى تكونُ لباسَنا يومَ الهياجِ وكلَّ ساعةِ مَصدَقِ
نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرن بخطوِنا قُدُما ونُلحِقُها إذا لم تَلْحَقِ
فترى الجماجمَ ضاحيا هاماتُها بَلْهَ الأكفَّ كأنها لم تُخلَقِ (٦)
نلقى العدوَّ بفخمةٍ ملمومةٍ تَنفى الجموعَ كقصدِ رأسِ المشرِقِ (٧)
ونُعِد للأعداءِ كلَّ مُقلَّصٍ ورْدٍ ومحجولِ القوائمِ أبلقِ (٨)
تَرْدِى بفرسانٍ كأن كُماتَهم عندَ الهياجِ أسودُ طَلٍّ مُلثِقِ (٩)
صُدُقٍ يُعاطونَ الكُماةَ حتوفَهم تحت العَمايةِ بالوشيجِ المزهِقِ (١٠)

---

(١) المعمعة : صوت اتقاد النار . الأباء : الأغصان الملتفة .

(٢) المأسدة : المكان الكثير الأسود ويريد هنا مكان الحرب . المذاد مكان حفر الخندق .

(٣) السابغة : الدروع الكاملة . تخط فضولها : يجر على الأرض ما زاد منها . النهى : غدير الماء . (٤) القتير : مسامير الدروع . الجنادب : جمع جندب . نوع صغير من الجراد . والشك : إحكام فى الصنع . موثق : قوية .

(٥) الجدلاء : الدرع القوية النسج . يحفزها : يرفعها . النجاد : حمائل السيف . رونق السيف : طلاوته وسقاؤه وبريقه . (٦) بله : اسم فعل بمعنى اترك .

(٧) الملمومة : المجتمعة . أى كتيبة مجتمعة . (٨) المقلص : الفرس الخفيف . والورد : الأحمر الضارب إلى الصفرة . ومحجول القوائم : فى قوائمه بياض .

(٩) الطل . المطر الضعيف . (١٠) العماية : ظلمة الغبار . الوشيج : الرماح .

أمر الإلهُ بربطها لعدوّه ... فى الحرب إن الله خيرُ موفّق
لتكونَ غيظاً للعدوّ وحُيّطاً ... للدارِ إن دَلَفت خيول النُّزَّق
ويعيننا اللهُ العزيزُ بقوةٍ ... منه وصدقِ الصبرِ ساعةَ نلتقى
ونطيعُ أمرَ نبيِّنا ونُجيبه ... وإذا دعا لكريهةٍ لم نُسبَق
ومتى يُنادِ إلى الشدائدِ نأتِها ... ومتى نرَ الحوماتِ فيها نُعنِق (١)
من يتَّبِعْ قــولَ النبىِّ فإنه ... فينا مطاعُ الأمرِ حقُّ مُصَدَّق
فبذاكَ ينصرُنا ويُظهرُ عزَّنا ... ويصيبُنا من نَيلِ ذاك بمرْفَق
إن الذين يكذّبون محمداً ... كفروا وضلوا عن سبيلِ المُتَّقى

قال ابن هشام أنشدنى بيته :

تلكم مع التقوى تكون لباسنا

وبيته :

من يتبع قول النبى

أبو زيد وأنشدنى :

تنفى الجموع كرأس قُدس المشرق

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

لقد علم الأحزابُ حين تألبوا ... علينا وراموا ديننا ما نُوادِعُ
أضاميمُ من قيسِ بنِ عَيْلانَ أصفقت ... وخِنْدِفُ لم يدروا بما هو واقع (٢)
يذودوننا عن ديننا ونذودُهم ... عن الكفرِ والرحمنُ راءٍ وسامع
إذا غايظونا فى مقامٍ أعاننا ... على غيظهم نصرٌ من اللهِ واسع
وذلك حفظُ اللهِ فينا وفضلُه ... علينا ومن لم يحفظِ اللهُ ضائع
هدانا لدينِ الحقِّ واختاره لنا ... ولله فوقَ الصانعين صنائع

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال كعب بن مالك فى يوم الخندق :

---

(١) نعنق : نسرع .
(٢) أضاميم : جماعات . وأصفقت : اجتمعت على أمر .

ألا أبلغْ قريشا أن سَلْعا ... وما بين العُرَيضِ إلى الصِّمادِ (١)

نَوَاضِحُ فى الحروبِ مدرَّباتٌ ... وخُوصٌ نُقِّبتْ من عهدِ عادِ (٢)

رواكدُ يزخَرُ المَرَّارُ فيها ... فليست بالجِمامِ ولا الثِّمادِ (٣)

كأن الغابَ والبَرْدِىَّ فيها ... أَجَشُّ إذا تَبَقَّعَ للحَصادِ (٤)

ولم نجعلْ تجارتَنا اشتراءَ الـ ... ـحَميرِ لأرضِ دَوْسٍ أو مُرادِ

بلادٌ لم تُثَرْ إلا لكيْما ... نجالدَ إن نَشِطتم للجِلادِ

أثرْنا سكةَ الأنباطِ فيها ... فلم تَرَ مثلَها جَلَهاتِ وادِ (٥)

قَصَرْنا كلَّ ذى حُضُرٍ وطَوْلٍ ... على الغاياتِ مُقْتَدِرٍ جَوادِ (٦)

أجيبونا إلى ما نجتديكم ... من القولِ المُبَيَّنِ والسَّدادِ (٧)

وإلا فاصبروا لجِلادِ يومٍ ... لكم منا إلى شَطْرِ المَذادِ (٨)

نُصبِّحُكم بكلِّ أخى حروبٍ ... وكلِّ مُطَهَّمٍ سَلِسِ القِيادِ

وكلِّ طِمِرَّةٍ خَفِقٍ حَشاها ... تَدِفُّ دفيفَ صفراءِ الجرادِ (٩)

وكلِّ مُقَلَّصِ الآرابِ نَهْدٍ ... تميمِ الخَلْقِ من أُخَرٍ وهادِى (١٠)

خيولٌ لا تُضاعُ إذا أُضيعت ... خيولُ الناسِ فى السنةِ الجَمادِ

ينازعنَ الأعنَّةَ مُصغياتٍ ... إذا نادى إلى الفزعِ المنادِى

---

(١) سلع : جبل بالمدينة . والعريض : واد بالمدينة

(٢) نواضح : حدائق تسقى بالنضح . خوص : آبار ضيقة .

(٣) المرار : نهر . الجمام . الآبار كثيرة الماء . الثماد : الماء القليل .

(٤) الأجش : العالى الصوت . تبقع : صار فيه بقع علامة النضج .

(٥) السكة : النخيل المصطف . جلهات وادى . ما كشفت عنه السيول فأبرزته .

(٦) الحضر : الجرى . وذو الحضر : يريد الخيل . (٧) نجتديكم : نسألكم .

(٨) الشطر : الناحية . والمذاد : حيث حفر الخندق بالمدينة .

(٩) الطمرة : الفرس الوثوب القوية . تدف : تقول دف الطائر : إذا حرك جناحيه . صفراء الجراد : هى التى ألقت بيضها فهى خفيفة فى طيرانها .

(١٠) المقلص : الشديد . الآراب قطع اللحم . النهد : الغليظ . والهادى : العنق . أى : كريم من أوله إلى آخره .

إذا قالت لنا النُّذُرُ استعدوا ... توكلنا على ربِّ العبادِ
وقلنا لن يُفَرِّجَ ما لَقِينا ... سِوَى ضربِ القوانِسِ والجِلادِ(١)
فلم تَرَ عُصبةٌ فيمن لَقِينا ... من الأقوامِ من قارٍ وبادِي
أشدَّ بسالةً منا إذا ما ... أردناه وألينَ فى الوِداد
إذا ما نحن أشرجنا عليها ... جِيادَ الجُدْلِ فى الأُرَبِ الشِّداد(٢)
قذفنا فى السوابغِ كلَّ صقرٍ ... كريمٍ غيرِ مُعْتَلِثِ الزناد
أشمَّ كأنه أسدٌ عَبوسٌ ... غداةَ بدا ببطنِ الجزعِ غادى
يُغَشِّى هامةَ البطلِ المُذَكّى ... صَبِيَّ السيفِ مسترخِى النِّجاد(٣)
لنظهرَ دينَك، اللهمَّ إنا ... بكفِّك فاهدنا سُبُلَ الرشادِ

قال ابن هشام بيته :

قصرنا كل ذى حُضْر وطول

والبيت الذى يتلوه ، والبيت الثالث منه ، والبيت الرابع منه ، وبيته :

أشم كأنه أسد عبوس

والبيت الذى يتلوه ، عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال مُسافع بن عبد مناف بن وهب بن حذافة بن جُمَح ، يبكى عمرو بن عبد وُد ، ويذكر قتل على بن أبى طالب إياه :

عمرُو بنُ عبدٍ كان أولَ فارسٍ ... جَزَعَ المَذادَ وكان فارسَ يَلْيَلِ(٤)
سَمْحُ الخلائقِ ماجدٌ ذو مِرَّةٍ ... يبغى القتالَ بشكّةٍ لم ينكُلِ
ولقد علمتم حين ولَّوْا عنكم ... أن ابنَ عبدٍ فيهمُ لم يَعجَلِ
حتى تكنَّفَه الكُماةُ وكلُّهم ... يبغى مقاتِلَه وليس بمؤتَلِى(٥)

---

(١) القوانس : أعالى بيض الحديد .
(٢) أشرجنا : ربطنا . الجدل : الدروع المحكمة النسج . الأرب : العقد الشديدة .
(٣) المذكى : شديد القوة . صبى السيف : وسطه . النجاد : حمائل السيف .
(٤) جزع : قطع . المذاد : مكان بالمدينة حيث بنى الخندق . يليل : واد فى بدر .
(٥) ليس بمؤتلى : أى ليس بمقصر .

ولقد تكنفت الأسنة فارسا بجنوب سلع غير نكس أميل

تسل النزال علي فارس غالب بجنوب سلع ، ليته لم ينزل

فاذهب علي فما ظفرت بمثله فخراً ولا لاقيت مثل المعضل

نفسي الفداء لفارس من غالب لاقى حمام الموت لم يتحلحل[1]

أعني الذي جزع المذاد بمهره طلبا لثأر معاشر لم يخذل

وقال مسافع أيضاً يؤنب فرسان عمرو الذين كانوا معه ، فأجلوا عنه وتركوه :

عمرو بن عبد والجياد يقودها خيل تقاد له وخيل تنعل[2]

أجلت فوارسه وغادر رهطه ركنا عظيما كان فيها أول

عجبا وإن أعجب فقد أبصرته مهما تسوم علي عمراً ينزل[3]

لاتبعدن فقد أصبت بقتله ولقيت قبل الموت أمراً يثقل

وهبيرة المسلوب ولى مدبراً عند القتال مخافة أن يقتلوا

وضرار كان البأس منه محضراً ولى كما ولى اللئيم الأعزل

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له . وقوله : « عمراً ينزل » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال هبيرة بن أبي وهب يعتذر من فراره ، ويبكي عمراً ، ويذكر قتل علي إياه :

لعمرك ما وليت ظهري محمداً وأصحابه جبناً ولا خيفة القتل

ولكنني قلبت أمري فلم أجد لسيفي غناء إن ضربت ولا نبلي

وقفت فلما لم أجد لي مقدما صددت كضرغام هزبر أبي شبل

ثنى عطفه عن قرنه حين لم يجد مكراً وقدما كان ذلك من فعلي

فلا تبعدن يا عمرو حياً وهالكا وحق لحسن المدح مثلك من مثل

ولا تبعدن يا عمرو حياً وهالكا فقد بنت محمود الثنا ماجد الأصل[4]

---

(١) لم يتحلحل : لم يتزحزح .

(٢) تنعل : تلبس نعال الخيل وهي الحديد في أرجل الخيل لتقوى على المشي .

(٣) تسوم : تطالب . (٤) الثنا : الذكر الجميل .

فمن لِطرادِ الخيـــلِ تُقدَعُ بالقَنا ... وللفخرِ يوما عند قرقرةِ البُزْلِ[1]
هناك لو كان ابنُ عبدٍ لزارها ... وفرَّجها حقا فتًى غيرُ ما وغْلِ[2]
فعنكَ عليُّ لا أرى مثلَ موقفٍ ... وقفتَ على نجدِ المقدَّم كالفحلِ[3]
فما ظَفِرتْ كفاكَ فخراً بمثـلِه ... أمِنْتَ به ما عشتَ من زَلَّةِ النعل

وقال هبيرة بن أبي وهب يبكي عمرو بن عبد وُدٍّ، ويذكر قتل علي إياه:

لقد عَلِمتْ عُلْيا لؤيِّ بنِ غالبٍ ... لَفارسُها عمـــرٌو إذا نابَ نائبُ
لَفارسُها عمرٌو إذا ما يسومُه ... عليٌّ وإنَّ الليثَ لا بد طَالب
عشيـــةَ يدعوه عليٌّ وإنه ... لَفارسُها إذ خامَ عنه الكتـائب[4]
فيا لَهفَ نفسي إن عَمراً تَركتُه ... بيثربَ لا زالت هنـاك المصـائبُ

وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد وُد:

بقيتُـــكم عمرٌو أبحناه بالقَنا ... بيثربَ نحمى والحماةُ قليلُ
ونحن قتلناكم بكلِّ مُهَنَّدٍ ... ونحن وُلاةُ الحربِ حين نَصول
ونحن قتلناكم ببدرٍ فأصبحت ... معاشرُكم في الهالكين تجول

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً في شأن عَمرو بن عبد وُد:

أمسى الفتى عمرُو بنُ عبدٍ يبتغي ... بجَنوبِ يثربَ ثأرَه لم يُنظَرِ
فلقد وجدتَ سيوفَنا مشهورةً ... ولقد وجدتَ جيادَنا لم تُقْصَر
ولقد لَقِيتَ غداةَ بدرٍ عُصبةً ... ضربوك ضربا غيرَ ضربِ الحُسَّر
أصبحتَ لا تُدعى ليومِ عظيمةٍ ... يا عمرُو أو لجسيمِ أمرٍ مُنكَرِ

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت أيضاً:

ألا أبلغْ أبا هِدْمٍ رسولا ... مُغَلْغَلةً تَخُبُّ بها المَطِيُّ[5]

---

(١) قرقرة البزل: أصوات الإبل الكريمة.

(٢) الوغل: الفاسد. (٣) عنك: اسم فعل أمر بمعنى ابتعد.

(٤) خام: جبن. (٥) المغلغلة. الرسالة الخطية المحمولة من بلد إلى بلد.

أكبتُ وليكم فى كلِّ كرهٍ — وغيرى فى الرخاءِ هو الولىُّ
ومنكم شاهدٌ ولقد رآنى — رُفعتُ له كما احتُمِل الصبى

قال ابن هشام: وتروى هذه الأبيات لربيعة بن أمية الديلى، ويروى فيها آخرها:

كببتَ الخزرجىَّ على يديه — وكان شفاءَ نفسى الخزرجىُّ

وتروى أيضاً لأبى أسامة الجشمى.

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت فى يوم بنى قريظة يبكى سعد بن معاذ ويذكر حكمه فيهم:

لقد سجمَتْ من دمعِ عينى عَبرةٌ — وحُقَّ لعينى أن تفيضَ على سعدِ
قتيلٌ ثوَى فى معْرَكٍ فُجِعتْ به — عيونٌ ذوارِى الدمعِ دائمةُ الوجدِ(١)
على ملةِ الرحمنِ وارثَ جنةٍ — مع الشهداءِ وفدُها أكرمُ الوفدِ
فإن تكُ قد ودعتنا وتركتنا — وأمسيتَ فى غبراءَ مُظلمةِ اللحد
فأنت الذى يا سعدُ أبتَ بمشهدٍ — كريمٍ وأثوابِ المكارمِ والحمدِ
بحكمك فى حَيَّىْ قريظةَ بالذى — قضى اللهُ فيهم ماقضيتَ على عمدِ
فوافق حكمَ اللهِ حكمُكَ فيهمُ — ولم تعفُ إذ ذُكِّرتَ ماكان من عَهد
فإن كان ريبُ الدهرِ أمضاكَ فى الألَى — شَرَوْا هذه الدنيا بجناتِها الخلد
فنعمَ مصيرُ الصادقين إذا دُعوا — إلى اللهِ يوماً للوجاهةِ والقصدِ

وقال حسان بن ثابت أيضاً، يبكى سعد بن معاذ، ورجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشهداء، ويذكرهم بما كان فيهم من الخير:

ألا يا لقومى هل لما حُمَّ دافعُ — وهل ما مضى من صالحِ العيشِ راجعُ
تذكرتُ عصراً قد مضى فتهافتت — بناتُ الحشى وانهل منى المدامع(٢)
صبابةُ وجدٍ ذكرتنى أحبةً — وقتلَى مضى فيها طُفَيْلٌ ورافع
وسعدٌ فأضحَوا فى الجنانِ وأوحشت — منازلُهم فالأرضُ منهم بلاقع
وفَوْا يومَ بدرٍ للرسولِ وفوقَهم — ظلالُ المنايا والسيوفُ اللوامع
دعا فأجابوه بحقٍّ وكلُّهم — مطيعٌ له فى كل أمرٍ وسامع
فما نكَلوا حتى تولوا جماعةً — ولا يقطعُ الآجالَ إلا المصارع

---

(١) ذوارى: ساكبة.

(٢) بنات الحشى: القلب وما اتصل به من أعضاء.

لأنهم يرجون منه شفاعة — إذا لم يكن إلا النبيون شافع
فذلك يا خير العباد بلاؤنا — إجابتنا لله والموت ناقع
لنا القدم الأولى إليك وخلفنا — لأولنا في ملة الله تابع
ونعلم أن الملك لله وحده — وأن قضاء الله لابد واقع

وقال حسان بن ثابت أيضا في يوم بني قريظة :

لقد لقيت قريظة ما سآها — وما وجدت لذل من نصير
أصابهم بلاء كان فيه — سوى ما قد أصاب بني النضير
غداة أتاهم يهوي إليهم — رسول الله كالقمر المنير
له خيل مجنبة تعادى — بفرسان عليها كالصقور
تركناهم وما ظفروا بشيء — دماؤهم عليهم كالغدير
فهم صرعى تحوم الطير فيهم — كذاك يدان ذو العند الفجور
فأنذر مثلها نصحا قريشا — من الرحمن إن قبلت نذيري

وقال حسان بن ثابت في بني قريظة :

لقد لقيت قريظة ما سآها — وحل بحصنها ذل ذليل
وسعد كان أنذرهم بنصح — بأن إلهكم رب جليل
فما برحوا بنقض العهد حتى — فلاهم في بلادهم الرسول(١)
أحاط بحصنهم منا صفوف — له من حر وقعتهم صليل

وقال حسان بن ثابت أيضا في يوم بني قريظة :

تفاقد معشر نصروا قريشا — وليس لهم ببلدتهم نصير(٢)
هم أوتوا الكتاب فضيعوه — وهم عمي من التوراة بور(٣)
كفرتم بالقرآن وقد أتيتم — بتصديق الذي قال النذير
فهان على سراة بني لؤي — حريق بالبويرة مستطير(٤)

---

(١) فلاهم : ضربهم بالسيوف . (٢) تفاقد : هلك .
(٣) بور : هلكى . (٤) البويرة : مكان لبني قريظة .

فأجابه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، فقال :

أدام اللهُ ذلك من صنيعٍ وحرّق فى طوائفها السعيرُ
ستعلمُ أيُّنا منها بنُزْهٍ وتعلمُ أىَّ أرضَيْنا تضيرُ(١)
فلو كان النخيلُ بها رِكابا لقالوا لا مُقامَ لكم فسيروا

وأجابه جبل بن جوّال الثعلبى أيضا ، وبكى النضير وقريظة ، فقال :

ألا يا سعدُ سعدَ بنى مُعاذٍ لِما لَقيَتْ قريظةُ والنضيرُ
لعَمْرُكَ إن سعدَ بنى مُعاذٍ غداةَ تحملوا لَهُوَ الصَّبور
فأما الخزرجىُّ أبو حُبابٍ فقال لقينُقاعَ لا تَسيروا
وبُدلتِ الموالى من حُضَيرٍ أُسَيْداً والدوائرُ قد تدور
وأقفرتِ البويرةُ من سلامٍ وسَعْيةَ وابنِ أخطبَ فهْىَ بور
وقد كانوا ببلدتهم ثِقالاً كما ثَقُلتْ بمِيطانَ الصخور(٢)
فإن يهلِكْ أبو حَكَمٍ سَلَامٌ فلا رَثُّ السلاحِ ولا دَثور(٣)
وكلُّ الكاهنَيْن وكان فيهم مع اللينِ الخضارمةُ الصقور
وجدنا المجدَ قد ثبتوا عليه بمجدٍ لا تغيِّبه البدور
أقيموا يا سَراةَ الأوسِ فيها كأنكمُ من المَخْزاةِ عُور
تركتم قِدْرَكم لا شىءَ فيها وقِدْرُ القومِ حاميةٌ تفورُ

مقتل سَلاَّم بن أبى الحُقَيْق

قال ابن إسحاق : ولما انقضى شأن الخندق ، وأمر بنى قريظة ، وكان سَلاَّم بن أبى الحُقَيْق ، وهو أبو رافع فيمن حزب الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت الأوس قبل أحد قتلت كعب بن الأشرف ، فى عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريضه عليه ، استأذنت الخزرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل سَلاَّم بن أبى الحُقَيْق ، وهو بخيبر ، فأذن لهم

---

(١) النزه : البعد .
(٢) ميطان : جبل بالمدينة .
(٣) الدثور : المتغير .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، قال : وكان مما صنع الله به لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ، لا تصنع الأوس شيئا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غناء إلا قالت الخزرج : والله لا تذهبون بهذه فضلا علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الإسلام . قال : فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ، وإذا فعلت الخزرج شيئا قالت الأوس مثل ذلك .

ولما أصابت الأوس كعب بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الخزرج : والله لا تذهبون بها فضلا علينا أبداً ؛ قال : فتذاكروا : مَنْ رجلٌ لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحُقَيق ، وهو بخيبر ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم .

فخرج إليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر : عبد الله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبد الله بن أُنَيس ، وأبو قتادة ، الحارث بن ربعي ، وخزاعي بن أسود ، حليف لهم من أسلم . فخرجوا وأمّر عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عَتِيك ، ونهاهم عن أن يقتلوا وليداً أو امرأة ، فخرجوا حتى إذا قدموا خيبر ، أتوا دار ابن أبي الحقيق ليلا ، فلم يدعوا بيتا في الدار إلا أغلقوه على أهله . قال: وكان في عِلّيّة له إليها عجلة[1] قال : فأسندوا فيها ، حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت إليهم امرأته ، فقالت : من أنتم ؟ قالوا . ناس من العرب نلتمس الميرة . قالت : ذاكم صاحبكم ، فادخلوا عليه ؛ قال : فلما دخلنا عليه ، أغلقنا علينا وعليها الحجرة ، تخوفا أن تكون دونه مجاولة تحول بيننا وبينه ، قالت : فصاحت امرأته ، فنوهت[2] بنا وابتدرناه ، وهو على فراشه بأسيافنا ، فوالله مايدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه كأنه قُبطية[3] ملقاة . قال : ولما صاحت بنا امرأته ، جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ، ثم يذكر نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكف يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل . قال : فلما ضربناه بأسيافنا تحامل عليه عبد الله بن أُنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه ، وهو يقول : قطني قطني :

---

(١) العجلة : جذع النخلة ينقر في أماكن منه للصعود عليها .

(٢) نوهت : شهرت . (٣) القبطية : ثياب بيض كانت تصنع في مصر .

أى حسبى حسبى . قال : وخرجنا ، وكان عبد الله بن عتيك رجلا سيء البصر ، قال : فوقع من الدرجة فوُثِئَت[١] يده وَثْئًا شديدا — ويقال : رجله ، فيما قال ابن هشام — وحملناه حتى نأتى به مَنْهراً من عيونهم ، فندخل فيه . قال : فأوقدوا النيران ، واشتدوا فى كل وجه يطلبو ننا قال : حتى إذا يئسوا رجعوا إلى صاحبهم ، فاكتنفوه وهو يقضى بينهم . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نعلم بأن عدو الله قد مات ؟ قال : فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم فانطلق حتى دخل فى الناس . قال : فوجدت امرأته ورجال يهود حوله وفى يدها المصباح تنظر فى وجهه ، وتحدثهم وتقول : أما والله لقد سمعت صوتَ ابن عتيك ، ثم أكذبت نفسى وقلت : أنَّى ابن عتيك بهذه البلاد ؟ ثم أقبلت عليه تنظر فى وجهه ثم قالت : فاظ[٢] وإله يهود ، فما سمعتُ من كلمة كانت ألذ إلى نفسى منها . قال : ثمَّ جاءنا الخبر فاحتملنا صاحبنا فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرناه بقتل عدو الله ، واختلفنا عنده فى قتله ، كلنا يدعيه . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هاتوا أسيافكم ، قال : فجئناه بها ، فنظر إليها فقال لسيف عبد الله بن أنيس : هذا قتله ، أرى فيه أثر الطعام .

قال ابن إسحاق : فقال حسان بن ثابت وهو يذكر قتل كعب بن الأشرف وقتل سَلَّام ابن أبى الحُقَيق:

لله دَرُّ عصابةٍ لاقيتهم ... يابنَ الحُقَيقِ وأنت يابنُ الأشرفِ

يَسرونَ بالبيضِ الخفافِ إليكم ... مَرَحا كأُسْدٍ فى عرينٍ مُغْرِفِ[٣]

حتى أتَوْكم فى مَحَلِّ بلادِكم ... فسَقَوْكم حتفا ببيضٍ ذُفَّفِ[٤]

مستبصرين لنصرِ دين نبيِّهم ... مستصغرينَ لكلِّ أمرٍ مجحِفِ

قال ابن هشام : قوله : « ذُفَّف » ، عن غير ابن إسحاق .

---

(١) الوثء : إصابة العظم بلا كسر .

(٢) فاظ : مات .

(٣) مغرف : ملتف الأغصان .

(٤) ذفف : سريعة القتل .

إسلام عمرو بن العاص وخالد بن الوليد

قال ابن إسحاق : وحدثني يزيد بن أبي حبيب ، عن راشد مولى حبيب بن أبي أوس الثقفي ، عن حبيب بن أبي أوس الثقفي ، قال حدثني عمرو بن العاص من فيه ، قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالا من قريش ، كانوا يرون رأيي ، ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون والله أني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكرا ، وإني قد رأيت أمراً ، فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قال : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإنا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير ، قالوا : إن هذا الرأي ، قلت : فاجمعوا لنا ما نهديه له ، وكان أحب ما يهدى إليه من أرضنا الأدم (١) ، فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضَّمْري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه . قال : فدخل عليه ثم خرج من عنده . قال فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه ، فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . قال : فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع ، فقال : مرحبا بصديقي ، أهديتَ إليّ من بلادك شيئا ؟ قال : قلت : نعم ، أيها الملك ، قد أهديت إليك أدماً كثيراً ، قال : ثم قربته إليه ، فأعجبه واشتهاه ثم قلت له : أيها الملك ، إني قد رأيت رجلا خرج من عندك ، وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطنيه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا ، قال : فغضب ، ثم مد يده فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فَرَقا منه ؛ ثم قلت له : أيها الملك ، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتكه ، قال : أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله ! قال : قلت : أيها الملك ، أكذلك هو ؟ قال : ويحك يا عمرو أطعني واتبعه ، فإنه والله لعلى الحق ، وليظهرن على من خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قال : قلت : أفتبايعني له على الإسلام ؟ قال : نعم ، فبسط يده ، فبايعته على الإسلام ثم خرجت إلى أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه ، وكتمت أصحابي إسلامي .

---

(١) الأدم : الجلد .

ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم ، فلقيت خالد بن الوليد ، وذلك قبل الفتح ، وهو مقبل من مكة ، فقلت : أين يا أبا سليمان ؟ قال : والله لقد استقام المنسم ، وإن الرجل لنبي ، أذهبُ والله فأُسلم ، فحتى متى ؛ قال : قلت : والله ما جئت إلا لأُسلم . قال : فقدمنا المدينة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت، فقلت : يارسول الله ، إني أبايعك على أن يغفر لى ماتقدم من ذنبي ، ولا أذكر ما تأخر ؛ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعمرو ، بايع ، فإن الإسلام يَجُبُّ(١) ماكان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها ؛ قال ؛ فبايعته ، ثم انصرفت .

قال ابن هشام : ويقال : فإن الإسلام يَحُتُّ(٢) ما كان قبله ، وإن الهجرة تحت ما كان قبلها.

إسلام عثمان بن طلحة : قال ابن إسحاق ، وحدثني من لا أتهم : أن عثمان بن طلحة ابن أبي طلحة ، كان معهما ، حين أسلما .

قال ابن إسحاق : فقال ابن الزِّبَعْرى السهمي :

أَنشدُ عثمانَ بنَ طلحةَ حِلفَنا ... ومُلقَى نِعالِ القومِ عند المقَبَّلِ(٣)
وما عقَدَ الآباءُ من كلِّ حِلفَةٍ ... وما خالدٌ من مثلها بمحلَّلِ
أمِفتاحَ بيتٍ غيرِ بيتِك تبتغى ... وما يبتغى من مجدِ بيتٍ مُؤَثَّلِ
فلا تأمنَنَّ خالداً بعد هذه ... وعثمانَ جاءا بالدُّهَيمِ المعضِّلِ(٤)

وكان فتح بني قريظة في ذي القعدة وصدر ذي الحجة ، وولي تلك الحجة المشركون

غزوة بني لحيان

« بسم الله الرحمن الرحيم »

قال حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبدالله البَكّائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ذا الحجة والمحرم وصفراً وشهري ربيع ، وخرج في جُمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح قريظة ، إلى بني لحيان يطلب بأصحاب الرجيع : خُبَيب بن عدي وأصحابه ، وأظهر أنه يريد الشام ، ليصيب من القوم غِرّة .

---

(١) يجب : يقطع . (٢) يحت : يسقط .
(٣) المقبل : اسم مكان من قبّل ويريد به الحجر الأسود . (٤) الدهيم : الداهية .

فخرج من المدينة صلى الله عليه وسلم، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم، فيما قال ابن هشام.

قال ابن إسحاق: فسلك على غُرَاب، جبل بناحية المدينة على طريقه إلى الشام، ثم على مَحِيص، ثم على البتراء، ثم صَفَّق [1] ذات اليسار، فخرج على يَيْن، ثم على صُخَيرات اليمام، ثم استقام به الطريق على المَحَجَّة من طريق مكة فأغذ [2] السير سريعاً، حتى نزل على غُرَان، وهى منازل بنى لَحيان، وغران واد بين أمَج وعُسْفان، إلى بلد يقال له: ساية، فوجدهم قد حذروا وتمنعوا فى رءوس الجبال. فلما نزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخطأه من غرتهم ما أراد، قال: لو أنا هبطنا عُسْفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة، فخرج فى مئتى راكب من أصحابه حتى نزل عُسْفان، ثم بعث فارسين من أصحابه حتى بلغا كُرَاع الغَمِيم، ثم كر وراح رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا.

فكان جابر بن عبدالله يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين وجّه راجعا: آيبون تائبون إن شاء الله لربنا حامدون، أعوذ بالله من وَعْثاء السفر [3] وكآبة [4] المنقلَب، وسوء المنظر فى الأهل والمال.

والحديث فى غزوة بنى لَحيان، عن عاصم بن عمر بن قتادة، وعبدالله بن أبى بكر، عن عبدالله ابن كعب بن مالك؛ فقال كعب بن مالك فى غزوة بنى لَحيان:

لو ان بنى لحيان كانوا تناظروا ... لقوا عُصَبا فى دارهم ذات مُصدَقِ [5]
لَقُوا سَرَعاناً يملأ السَّرب روعُه ... أمامَ طَحونٍ كالمجَرَّةِ فيلَقِ [6]
ولكنهم كانوا وِباراً تتبعتْ ... شعابَ حجازٍ غيرِ ذى متنفَّقِ [7]

غزوة ذى قَرَد

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة؛ فلم يقم بها إلا ليالى قلائل، حتى أغار عُيَيْنة ابن حِصن بن حذيفة بن بدر الفَزَارى؛ فى خيل من غَطَفان على لِقاح [8] لرسول الله صلى الله

(١) صفق: عدل. (٢) أغذ: أسرع (٣) وعثاء السفر: شدته.
(٤) الكآبة: الحزن. (٥) تناظروا: انتظروا. العصب الجماعات.
(٦) سرعان: من يتقدمون الجيش. السرب: الطريق: الطحون: الكتيبة الضخمة. المجرة: مجموعة من النجوم، الفيلق: الكتيبة.
(٧) الوبار جمع وبر دويبة صغيرة تشبه الهرة. والمتنفق: الذى له منفذ ينفذ منه.
(٨) اللقاح: الإبل الحوامل.

عليه وسلم بالغابة، وفيها رجل من بنى غِفَار وامرأة له ، فقتلوا الرجل واحتملوا المرأة في اللقاح .

قال ابن إسحق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومن لا أتهم ، عن عبد الله بن كعب بن مالك ، كل قد حدث في غزوة ذى قَرَد بعض الحديث: أنه كان أول من نذر(١) بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى ، غدا يريد الغابة متوشحا قوسه ونبله ، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده ، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم ، فأشرف فى ناحية سلع ، ثم صرخ : واصباحاه ، ثم خرج يشتد فى آثار القوم ، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم ، فجعل يردهم بالنبل ، ويقول إذا رمى : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضَّع ، فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربا ، ثم عارضهم ، فإذا أمكنه الرمى رمى ، ثم قال : خذها وأنا ابن الأكوع ، اليوم يوم الرضَّع ، قال : فيقول قائلهم : أُوَيْكِعنا هو أول النهار .

تسابق الفرسان : قال : وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الأكوع ، فصرخ بالمدينة الفزَعَ الفزع ، فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان أول من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان : المقداد بن عمرو ، وهو الذى يقال له : المقداد بن الأسود ، حليف بنى زُهرة ، ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الأنصار ، عبّاد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء ، أحد بنى عبد الأشهل ، وسعد بن زيد ، أحد بنى كعب بن عبد الأشهل ، وأسيد بن ظهير ، أخو بنى حارثة بن الحارث : يشك فيه ، وعُكّاشة بن مِحْصَن ، أخو بنى أسد بن خزيمة ومحرز بن نَضْلة ، أخو بنى أسد بن خزيمة ، وأبو قتادة الحارث بن رِبْعِى ، أخو بنى سلمة ، وأبو عَيّاش ، وهو عبيد بن زيد بن الصامت ، أخو بنى زُرَيق . فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمَّر عليهم سعد بن زيد ، فيما بلغنى ، ثم قال : اخرج فى طلب القوم ؛ حتى ألحقك فى الناس .

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى عن رجال من بنى زُرَيق ، لأبى عياش : يا أبا عَيّاش ، لو أعطيت هذا الفرس رجلا ، هو أفرس منك فلحق بالقوم ؟ قال أبو عياش : فقلت يارسول الله ، أنا أفرسُ الناس ، ثم ضربت الفرس ، فو الله ما جرى بى خمسين ذراعا حتى طرحنى ، فعجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لو أعطيته أفرس منك ، وأنا أقول : أنا أفرس الناس ، فزعم رجال من بنى زُرَيق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى

---

(١) نذر : علم .

فرس أبى عياش مُعاذ بن ماعص، أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خَلَدة ، وكان ثامناً ، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية ، ويطرح أسيد بن ظُهير ، أخا بنى حارثة ، والله أعلم أى ذلك كان . ولم يكن سلمة يومئذ فارسا ، وقد كانأول من لحق بالقوم على رجليه. فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا .

محرز بن نضلة ومقتله : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمرو بن قتادة: أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ، أخو بنى أسد بن خزيمة — وكان يقال لمحرز : الأخرم ، ويقال له قُمَير — وأن الفزع لما كان ، جال فرس لمحمود بن مسلمة فى الحائط ، حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرسا صنيعا جَاماً ، فقال نساء من نساء بنى عبد الأشهل ، حين رأين الفرس يجول فى الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه : يا قمير ، هل لك فى أن تركب هذا الفرس ؟ فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطَينه إياه . فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذ الخيل بجمامه ، حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا يامعشر بنى اللكيعة (١) حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار . قال : وحمل عليه رجل منهم فقتله، وجال الفرس ، فلم يُقدر عليه حتى وقف على آرِيّة (٢) من بنى عبد الأشهل، فلم يقتل من المسلمين غيره .

قال ابن هشام : وقتل يومئذ من المسلمين مع مُحرز ، وقاص بن مجزز المُدلجى ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم .

أفراس المسلمين : قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذا اللّمة .

قال ابن هشام : وكان اسم فرس سعد بن زيد: لاحق، واسم فرس المقداد بعزَجة، ويقال : سَبْحة ، واسم فرس عكاشة بن محصن : ذو اللمة ، واسم فرس أبى قتادة : حَزْوَة ، وفرس عباد بن بشر : لماع ، وفرس أُسَيد بن ظُهير : مسنون ، وفرس أبى عيَّاش : جُلْوة (٣) .

---

(١) اللكيعة : اللئيمة . (٢) يقصد بالآرية هنا الموضع الذى يربط به الفرس .

(٣) البعزجة : شدة جرى فى مغالبة ، كأنه منحوت من بعج إذا شق ، وعز ، أى : غلب. وأما سبحة فمن سبح إذا علا علوا فى اتساع ومنه : سبحان الله ، وسبحات الله : عظمته وعلوه لأن الناظر المفكر فى الله سبحانه يسبح فى بحر لا ساحل له ، وأما حزوة : فمن حزوت الطير إذا زجرتها ، أو من حزوت الشىء إذا أظهرته ، قال الشاعر :

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك : أن محرزاً إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن ، يقال له الجناح ، فقتل محرز واستلبت الجناح .

قتلى المشركين : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن ربعى ، أخو بنى سلمة ، حبيبَ بن عيينة بن حصن ، وغشّاه بُرده ، ثم لحق بالناس .

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن اسحاق : فإذا حبيب مُسَجّى ببرد أبى قتادة ، فاسترجع الناس وقالوا : قُتل أبو قتادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبى قتادة ، ولكنه قتيل لأبى قتادة ، وَضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه .

وأدرك عُكَّاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح ، فقتلهما جميعاً ، واستنقذوا بعض اللقاح ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قَرَد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وأقام عليه يوما وليلة ؛ وقال له سلمة بن الأكوع : يارسول الله ، لو سرحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السَّرح ، وأخذت بأعناق القوم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : إنهم الآن لَيُغْبَقون[1] فى غطفان .

تقسيم الفىء بين المسلمين : فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مئة رجل جزورا ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا حتى قدم المدينة .

لا نذر فى معصية : وأقبلت امرأة الغفارى[2] على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر ، فلما فرغت ، قالت : يا رسول الله ، إنى قد نذرت لله أن أنحرها إن نجانى الله عليها ؛ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بئس

= ترى الأمعز المحزو فيه كأنه ... من الحر واستقباله الشمس مسطح

وجلوة : من جلوت السيف ، وجلوت العروس ، كأنها تجلو الغم عن قلب صاحبها . ومسنون من سننت الحديدة إذا صقلتها . الروض الأنف ج ٤ ص ١٥

(١) الغبق : شرب اللبن بالعشى . (٢) اسمها : ليلى .

ماجزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها ! إنه لانذر فى معصية الله ولافيما لاتملكين ، إنما هى ناقة من إبلى ، فارجعى إلى أهلك على بركة الله .

والحديث عن امرأة الغفارى وما قالت ، وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبى الزبير المكى ، عن الحسن بن أبى الحسن البصرى .

ما قيل من الشعر فى يوم ذى قرد : وكان مما قيل من الشعر فى يوم ذى قرد قول حسان ابن ثابت :

لولا الذى لاقتْ ومسّ نسورها ... بجنوب سايةَ أمْسِ فى التَّقْوادِ[1]
للقينكم يحملنَ كلَّ مُدجَّجٍ ... حامى الحقيقةِ ماجدِ الأجدادِ
ولَسَرَّ أولادَ اللقيطةِ أننا ... سِلْمٌ غداةَ فوارسِ المِقدادِ
كنا ثمانيةً وكانوا جحفلاً ... لَجِباً فشكوا بالرماح بَدادِ
كنا من القومِ الذين يَلونهم ... ويُقدِّمون عِنانَ كلِّ جوادِ
كلا وربِّ الراقصاتِ إلى مِنىً ... يقطعن عُرضَ مخارمِ الأطوادِ[2]
حتى نُبيلَ الخيلَ فى عَرَصاتِكم ... ونئوب بالمَلِكاتِ والأولادِ[3]
رَهْواً بكلِّ مُقلصٍ وطِمِرَّةٍ ... فى كلِّ معترَكٍ عَطفنَ روادى[4]
أفنى دوابرَها ولاح متونَها ... يومٌ تُقادُ به ويومُ طِرادِ
فكذاك إن جيادَنا ملبونةٌ ... والحربُ مشعلةٌ بريحِ غوادِ[5]

---

(١) الضمير فى لاقت وما بعدها للخيل، والنسر كالنواة فى باطن حوافر، وفى الفرس عشرون عضواً ، كل عضو منها يسمى باسم طائر ، النسر والنعامة والهامة والسمامة والسعدانة وهى الحمامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر والخرب والناهض ، وهو فرخ العقاب والخطاب الخ . وساية : اسم موضع .

(٢) الراقصات : الإبل . والرقص للإبل : نوع من المشى . المخارم : الطرق . الأطواد : الجبال

(٣) نبيل الخيل : نجعلها تبول .

(٤) الرهو : المشى فى تؤدة . المقلص : المشمر . طمرة : فرسة سريعة . روادى : سريعة

(٥) ملبونة : تسقى اللبن

وسيوفُنا بيضُ الحدائدِ تجتلي ... جُنَنَ الحديدِ وهامةَ المرتادِ(١)
أخذ الإلهُ عليهمُ لحرامِه ... ولعزةِ الرحمنِ بالأشْـدادِ
كانوا بِدارٍ ناعمين فبُدِّلوا ... أيامَ ذى قَرَدٍ وجوهَ عِبادِ

قال ابن هشام : فلما قالها حسان غضب عليه سعد بن زيد ، وحلف أن لا يكلمه أبداً ؛ قال: انطلق إلى خيلي وفوارسي فجعلها للمقداد ! فاعتذر إليه حسان وقال : والله ما ذاك أردت ، ولكن الرَّوِىَّ وافق اسم المقداد ؛ وقال أبياتا يرضى بها سعداً :

إذا أردتم الأشَـدَّ الجلْدا ... أو ذا غَناءٍ فعليكم سعدا
سعدَ بنَ زيدٍ لا يُهدّ هَدا

فلم يقبل منه سعد ولم يغن شيئا .

وقال حسان بن ثابت فى يوم ذى قَرَد :

أظنّ عُيَيْنَـةُ إذ زارها ... بأن سوف يهدمُ فيها قصورًا
فأُكْذِبتَ ماكنتَ صدَّقته ... وقلتم سنغنم أمراً كبيرا
فعِفْتَ المدينةَ إذ زرتَها ... وآنستَ للأُسدِ فيها زئيرا
فولَّوا سراعا كشدِّ النعامِ ... ولم يكشفوا عن مُلِطٍّ حصيرا(٢)
أميرٌ علينا رسولُ المليكِ ... أحببْ بذاكَ إلينا أميرا
رسولٌ نصـدقُ ما جاءه ... ويتلو كتابا مُضيئا منيرًا

وقال كعب بن مالك فى يوم ذى قَرَد للفوارس :

أتحسب أولادُ اللقيطةِ أننا ... على الخيلِ لسنا مثلَهم فى الفوارسِ
وإنا أناس لانرى القتلَ سُبةً ... ولا ننثنى عند الرماحِ المَداعِسِ(٣)

---

(١) تجتلى : تقطع . الجنن : الأسلحة . والمرتاد : المحارب .

(٢) ملط : من قولهم : ألطت الناقة بذنبها إذا وضعته بين فخذيها ؛ يريد أنهم لم يستطيعوا الإغارة على العير ولم يكشفوا ماتستتر به .

(٣) المداعس : المطاعن .

وإنا لنقرى الضيفَ من قَمَع الذُّرَا ... ونضرب رأسَ الأبلخِ المُتَشاوِسِ[١]

نرد كُماةَ المُعلِمين إذا انتخَوْا ... بضربٍ يُسلِّى نخوةَ المتقاعسِ[٢]

بكلِّ فتًى حامى الحقيقةِ ماجدٍ ... كريمٍ كسِرحانِ الغَضاةِ مُخالسِ[٣]

يَذودون عن أحسابهم وتِلادِهم ... ببيضٍ تَقُدُّ الهامَ تحتَ القوانسِ

فسائلْ بنى بدرٍ إذا ما لقِيتَهم ... بما فعل الإخوانُ يومَ التمارسِ

إذا ما خرجتم فاصدُقوا من لقيتمُ ... ولا تكتموا أخبارَكم فى المجالسِ

وقولوا زَلِلْنا عن مخالبِ خادرٍ ... به وَحَرٌ فى الصدرِ ما لم يمارسِ[٤]

قال ابن هشام: أنشدنى بيته: «وإنا لنقرى الضيف» أبو زيد.

قال ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجشمى، فى يوم ذى قَرَد: لعُيينة بن حصن وكان عيينة بن حصن يكنى بأبى مالك:

فهلا كررت أبا مالكٍ ... وخيلُك مدبرةٌ تقتَلُ

ذكرت الإيابَ إلى عسجرٍ ... وهيهاتَ قد بَعُدَ المُقفَلُ[٥]

وطمنتَ نفسَك ذا مَيعةٍ ... مِسَحَّ الفضاءِ إذا يُرسَلُ[٦]

إذا قبضَتْه إليك الشِّما ... لُ جاش كما اضطرمَ المِرجلُ

فلما عرفتم عبادَ الإلـ ... ـهِ لم ينظرِ الآخِرَ الأولُ

عرَفتم فوارسَ قد عُوِّدوا ... طِرادَ الكُماة إذا أسهلوا[٧]

إذا طَرَدوا الخيلَ تشقَى بهم ... فِضاحا وإن يُطرَدوا ينزلوا

فيعتصموا فى سواءِ المقا ... مِ بالبيضِ أخلصَها الصيْقلُ

---

(١) قمع الذرا: أعالى الأسنمة. الأبلخ: المتعاظم. المتشاوس: الجرىء فى القتال.

(٢) انتخوا: تكبروا. المتقاعس: الراكب رأسه.

(٣) السرحان: الذئب. وغضاة: جمعها غضا: شجر خشبه من أصلب الخشب وجمره شديد الالتهاب، ويقال ذئب الغضا: مثل يضرب فى الخداع والاحتيال.

(٤) الخادر: الأسد الذى يلازم الخدر وهو بيته. الوحر: الحقد.

(٥) عسجر: موضع بمكة.

(٦) «ذامية»: ذو نشاط. المسح: الكثير الجرى.

(٧) أسهلوا: نزلوا السهل.

غزوة بنى المصطلق

فى شعبان سنة ست

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً، ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة[1] ، فى شعبان سنة ست .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذرّ الغفارى ؛ ويقال : نُميلة بن عبدالله الليثى .

سببها : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، كل قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق ، قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جُوَيرية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم . فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له : المُرَيْسيع[2] ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقُتل من قتل منهم ، ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

استشهاد ابن صبابة خطأ : وقد أصيب رجل من المسلمين من كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر ، يقال له : هشام بن صُبَابة ؛ أصابه رجل من الأنصار من رهط عُبادة بن الصامت، وهو يرى أنه من العدو ، فقتله خطأ .

الفتنة بين المهاجرين والأنصار : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ، ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار ، يقال له : جَهْجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وَبَر[3] الجهنى ، حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء ،

---

(١) وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة ، وجذيمة هو المصطلق ، وهو مفتعل من الصلق ، وهو رفع الصوت.

(٢) المريسيع ، وهو ماء لخزاعة ، وهو من قولهم : رسعت عين الرجل : إذا دمعت من فساد .

(٣) وقيل إنه : سنان بن تيم ، من جهينة بن سود بن أسلم حليف الأنصار . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٢ ص ١٥ .

فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يامعشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يا معشر المهاجرين[1] ؛ فغضب عبدالله بن أبى ابن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم : زيد بن أرقم ، غلام حدث ، فقال : أوقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا فى بلادنا ، والله ما أعدنا وجلابيب قريش[2] إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم : هذا مافعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتوهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم . فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكيف ياعمر إذا تحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه! لا ولكن أذن بالرحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناس .

قال ابن أبى : وقد مشى عبد الله بن أبى بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ما سمع منه ، فحلف بالله : ما قال ، ولا تكلمت به . — وكان فى قومه شريفا عظيما — ، فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه

---

(١) وفى الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما ، قال : دعوها فإنها منتنة ، يعنى : إنها كلمة خبيثة ، لأنها من دعوى الجاهلية ، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً واحداً ، فإنما ينبغى أن تكون الدعوة يا للمسلمين ؛ فمن دعا فى الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقوال : أحدها : أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً اقتداء بأبى موسى الأشعرى فى جلده النابغة الجعدى خمسين سوطاً حين سمع ياللعامر ، فأقبل يشتد بعصبة له . والقول الثانى : إن فيها الجلد دون العشرة لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا فى حد ، والقول الثالث : اجتهاد الإمام فى ذلك على حسب مايراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن وإما بالجلد .

فإن قيل : إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها ؟ قلنا : قد قال دعوها فإنها منتنة ، فقد أكد النهى ، فمن عاد إليها بعد هذا النهى ، وبعد وصف النبى صلى الله عليه وسلم لها بالإنتان وجب أن يؤدب .

(٢) لقب أطلقته قريش على المهاجرين .

يارسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ، ولم يحفظ ما قال ، حَدَبا على ابن أُبَىّ ابن سلول ، ودفعا عنه .

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار ، لقيه أُسَيد بن حُضَير ، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يانبى الله ، والله لقد رحت فى ساعة منكرة ، ما كنت تروح فى مثلها ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أوَما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب يارسول الله قال : عبد الله بن أبى ؛ قال : وما قال ؟ قال : زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذلَّ ، قال . فأنت يارسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ؛ ثم قال : يارسول الله ، ارفق به ، فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه ، فإنه ليرى أنك قد استلبته مُلكا .

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياما ، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبد الله بن أبى .

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فُوَيق النقيع ؛ يقال له : بَقْعاء . فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوفوها ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتخافوها ، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد بن التابوت ، أحد بنى قَيْنُقاع وكان عظيما من عظماء يهود ، وكهفا للمنافقين ، مات فى ذلك اليوم .

ما نزل فى ابن أبى : ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أبى ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذى أوفى الله بأذنه . وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبى الذى كان من أمر أبيه .

موقف عبد الله من أبيه : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن قتادة : أن عبد الله أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبد الله بن أبى فيما بلغك عنه ، فإن كنت لابد فاعلا فرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس ، فأقتله فأقتل مؤمنا بكافر، فأدخل النار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى يا عمر ؛ أما والله لو قتلتُه يوم قلتَ أقتله . لأُرْعِدت له آنُفٌ ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ؛ قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمري .

مخادعة مقيس : قال ابن إسحاق : وقدم مِقْيَس بن صُبَابة من مكة مسلما ، فيما يظهر ، فقال : يارسول الله ، جئتك مسلما ، وجئتك أطلب دية أخي ، قتل خطأ. فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صُبَابة ؛ فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً ؛ فقال في شعر يقوله :

شفى النفسَ أنْ مات بالقاع مُسْنَدا ... تُضَرِّجُ ثوبيه دماءُ الأخادع [1]
وكانت هُمومُ النفسِ من قبلِ قتلِه ... تُلِمُّ فتحمِيني وِطاءَ المضاجع
حللتُ به وِتْرى وأدركتُ ثُؤرتى ... وكنتُ إلى الأوثانِ أولَ راجع
ثأرتُ به فِهراً وحَمَّلتُ عقلَه ... سَراةَ بنى النجارِ أربابَ فارع [2]

وقال مِقْيَس بن صُبَابة أيضا :

جلَّلته ضربةً باتت لها وَشَلٌ ... من ناقع الجوفِ يعلوه وينصرمُ
فقلتُ والموتُ تغشاه أسِرَّتُه ... لا تأمننَّ بنى بكرٍ إذا ظُلِموا

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق : يا منصور ، أَمِتْ أَمِتْ .

قتلى بنى المصطلق : قال ابن إسحاق : وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس ، وقتل على بن أبي طالب منهم رجلين ، مالكا وابنه ، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلا من فرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أحيمر .

جويرية بنت الحارث رضى الله عنها : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سبيا كثيراً ، فشا قسمه فى المسلمين ؛ وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى ضِرَار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ،

---

(١) الأخادع : يريد الأخدعان : وهما عرقان بالقفا .
(٢) فارع : حصن لبنى النجار بالمدينة .

قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق ، وقعت جويرية بنت الحارث في السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حُلوة مُلاّحة ، لايراها أحد إلا أخذت بنفسه فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها : وعرفت أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيت ، فدخلتْ عليه ، فقالت : يارسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء ، ما لم يخف عليك ، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسى ، فجئتك أستعينك على كتابتى ؛ قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يارسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؛ قالت : نعم يارسول الله ؛ قال : قد فعلتُ (١)

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار ، فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسلوا ما بأيديهم. قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث

---

(١) وكان نظره عليه السلام لجويرية حتى عرف من حسنها ماعرف ، فإنما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها ، لأنه لا يُكره النظر إلى الإماء ، وجائز أن يكون نظر إليها ، لأنه نوى نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التى قالت له : إنى قد وهبت لك نفسى يارسول الله ، فصعد فيها النظر ثم صوب ، ثم أنكحها من غيره ، وقد ثبت عنه عليه السلام الرخصة فى النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها ، وقال للمغيرة حين شاوره فى نكاح امرأة : لو نظرت إليها ، فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما ، وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح ثبيتة بنت الضحاك ، وقد أجازه مالك فى إحدى الروايتين عنه ، وفى مسند البزار من طريق أبى بكرة لاحرج أن ينظر الرجل إلى المرأة قبل التزويج ، وأورد فى الباب قوله عليه السلام لعائشة أريتك فى المنام يجىء بك الملك فى سرقة من حرير ، فكشفت عن وجهك ، قال : هذه امرأتك ، فقلت : إن يكن من عند الله يمضه . وهذا الاستدلال حسن .

ابن أبى ضرار بفداء ابنته ؛ فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شِعْب من شعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال : يا محمد ، أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، فى شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك محمد رسول الله فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت ، وحسن إسلامها ؛ فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم ، فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فبيناهم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يارسول الله ، سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر (١) راجعا ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ما جئنا لذلك ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالةٍ ، فتُصبحوا على ما فعلتم نادمين . واعلموا أن فيكم رسولَ اللهِ لو يطيعكم فى كثيرٍ من الأمر لعنتم ... » إلى آخر الآية .

وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، كما حدثنى من لا أتهم عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريبا من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق

قال ابن إسحاق : حدثنا الزهرى ، عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد بن جبير ، وعن عروة ابن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كل قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدثنى القوم .

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة

---

(١) انشمر : أسرع .

وعبد الله بن أبي بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكل قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ، وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ؛ فلما كانت غزوة بني المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمي عليهن معه ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق [1] لم يُهيجهن اللحمُ فيثقُلن ، وكنت إذا رُحِّل لي بعيري جلست في هودجي ، ثم يأتي القوم الذين يرحّلون لي ويحملونني ، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به . قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجّه قافلا ، حتى إذا كان قريبا من المدينة نزل منزلا ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتي ، وفي عنقي عقد لي ، فيه جَزْع ظَفَار [2] ، فلما فرغت انسل من عنقي ولا أدري ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه في عنقي ، فلم أجده ، وقد أخذ الناس في الرحيل ، فرجعت إلى مكاني الذي ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافي ، الذين كان يرحّلون لي البعير ، وقد فرغوا من رحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أني فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب . قد انطلق الناس .

قالت : فتلففت بجلبابي ، ثم اضطجعت في مكاني ، وعرفت أن لو قد افتُقدت لرُجع إليّ ، قالت : فوالله إني لمضطجعة إذ مر بي صَفوان بن المعَطَّل السُّلَمي ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته [3] ، فلم يبت مع الناس ، فرأى سوادي ، فأقبل حتى وقف علي ، وقد كان يراني

---

(١) العلق : جمع علقة : ما يتعلل به قبل وجبة الطعام الأساسية .

(٢) الجزع : الخرز . ظفار : مدينة باليمن ينسب إليها هذا الخرز .

(٣) وهو صفوان بن ربيضة بن خزاعي بن محارب بن مرة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة ابن سليم السلمي . الذكواني ، يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساقه العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف في هذا الحديث الذي قال فيه أهل الإفك ما قالوا ، وقد روى في تخلفه سبب آخر ، وهو أنه كان ثقيل النوم لا يستيقظ حتى يرتحل الناس ويشهد لصحة هذا حديث أبي داود أن امرأة صفوان اشتكت به إلى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكرت أشياء منها أنه لا يصلي الصبح ، فقال صفوان : يارسول الله إني امرؤ ثقيل الرأس =

قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأنا متلففة فى ثيابى ؛ قال : ما خلّفك يرحمك الله ؟ قالت : فما كلمته ، ثم قرب البعير ، فقال : اركبى ، واستأخر عنى . قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعا ، يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتُقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى ، فقال أهل الإفك ما قالوا ، فارتعج [1] العسكر ، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك .

قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك شىء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أبوى لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيرا ، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بى ، كنت إذا اشتكيت رحمنى ، ولطف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شكواى تلك : فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل علىّ وعندى أمى تمرضنى — قال ابن هشام : وهى أم رُومان ، واسمها زينب بنت عبد دُهْمان ، أحد بنى فراس بن غَنْم بن مالك بن كنانة — قال : كيف تيكم ، لا يزيد على ذلك .

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وجدت فى نفسى، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيتُ ما رأيت من جفائه لى : لو أذنت لى ، فانتقلت إلى أمى ، فمرضتنى ؟ قال : لا عليك . قالت : فانتقلت إلى أمى ، ولا علم لى بشىء مما كان ، حتى نقِهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوما عربا لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكُنُف التى تتخذها الأعاجم ، نعافها ونكرهها ، إنما كنا نذهب فى فُسَح المدينة ، إنما كانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مِسْطَح بنت أبى رُهْم بن المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر بن كعب ابن تيْم ، خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه : قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مِرْطِها [2] ؛ فقالت : تعس مِسطَح ! ومسطح لقب واسمه عوف ، قالت : قلت : بئس لعمرُ الله ما قلتِ لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً ، قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر ؟ قالت :

= لا أستيقظ حتى تطلع الشمس . فقال له النبى عليه السلام : فإذا استيقظت فصل ، وقد ضعف البزار حديث أبى داود هذا فى مسنده . وقتل صفوان بن المعطل شهيداً فى خلافة معاوية ، واندقت رجله يوم قتل ، فطاعن بها ، وهى منكسرة حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شمشاط .

(١) ارتعج : اضطرب .　　(٢) مرطها : كساؤها .

قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول أهل الإفك ، قالت : قلت : أوقد كان هذا ؟ قالت نعم والله فقد كان . قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى ، ورجعت ، فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدّع كبدى ، قالت : وقلت لأمى : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئا ! قالت : أى بُنية ، خفضى عليك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلا كثّرن وكثّر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، ما بال رجال يؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتا من بيوتى إلا وهو معى .

قالت : وكان كِبْرُ ذلك[1] عند عبد الله بن أبى ابن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وحَمْنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تناضينى[2] فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيرا وأما حَمْنة بنت جحش، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضادنى لأختها ، فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أُسَيد بن حُضَير : يارسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ؛ قالت : فقام سعد بن عُبادة ، وكان قبل ذلك يُرَى رجلا صالحا فقال : كذبت لعمر الله ، لا نضرب أعناقهم ، أما والله ماقلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ولو كانوا من قومك ماقلت هذا ، فقال أسيد : كذبت لعمرالله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ؛ قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر . ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على .

قالت فدعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد ، فاستشارهما ؛ فأما أسامة فأثنى علىّ خيرا ، وقاله ؛ ثم قال يارسول الله ، أهلك ولانعلم منهم إلا خيرا ، وهذا الكذب

---

(١) كبر ذلك : إثمه .

(٢) فى الأصول : تناصبى ولكن قال السهيلى فى الروض الأنف أن الحديث فى تناصينى من المناصاة ، أى : المساواة . انظر الروض جـ ٤ ص ٢١ .

وللباطل : وأما علىّ فإنه قال : يارسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف وسل الجارية ، فإنها ستصدقك . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بُرَيْرة ليسألها : قالت : فقام إليها على بن أبى طالب ، فضربها ضربا شديداً ، ويقول : اصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قالت ؛ فتقول والله ما أعلم إلا خيرا ، وما كنت أعيب على عائشة شيئا ، إلا إنى كنت أعجن عجينى ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه ، فتأتى الشاة فتأكله .

قالت : ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهى تبكى معى ، فجلس ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال : ياعائشة ، إنه قد كان ماقد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ؛ فوالله ماهو إلا أن قال لى ذلك ، فقلص دمعى حتى ماأحس منه شيئاً ، وانتظرت أبوىّ أن يجيبا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلما قالت : وايم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأنا من أن ينزل الله فىّ قرآنا يقرأ به فى المساجد ، ويُصَلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئا يكذب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبرا ؛ فأما قرآن ينزل فى ، فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك . قالت : فلما لم أر أبوىّ يتكلمان ، قالت : قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فقالا : والله ماندرى بماذا نجيبه ؛ قالت : والله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم مادخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ؛ قالت : فلما أن استعجما علىّ ، استعبرت فبكيت ؛ ثم قلت : والله لاأتوب إلى الله مما ذكرت أبدا . والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولن مالم يكن ، ولئن أنا أنكرت مايقولون لاتصدقوننى . قالت : ثم التمستُ اسمَ يعقوب فما أذكره ؛ فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : «فصبرٌ جميلٌ ، واللهُ المستعانُ على ماتصِفون » . قالت : فوالله مابرح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ماكان يتغشاه ، فسُجّى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك مارأيت ، فوالله مافزعت ولاباليت قد عرفت أنى بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالمى ، وأما أبواى ، فوالذى نفس عائشة بيده ، ماسُرّىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما ، فرَقا من أن يأتىَ من الله تحقيق ماقال الناس ، قالت : ثم سُرّىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس ، وإنه ليتحدر منه مثل الجُمان[1] فى يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى ياعائشة ،

---

(١) الجمان : اللؤلؤ .

فقد أنزل الله براءتك ، قالت قلت : بحمدالله ، ثم خرج إلى الناس ، فخطبهم ، وتلا عليهم ماأنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدَّهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاقُ بن يسار عن بعض رجال بنى النجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : ياأبا أيوب ، ألا تسمع مايقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت ياأم أيوب فاعلة ؟ قالت : لاوالله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك .

قالت : فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ماقال من أهل الإفك ، فقال تعالى : « إن الذين جاءوا بالإفك عُصبةٌ منكم ، لاتحسَبوه شراً لكم بل هو خيرٌ لكم ، لكل امرىء منهم ما اكتسبَ من الإثم ، والذى تولى كِبْرَه منهم له عذابٌ عظيم » ، وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ماقالوا .

قال ابن هشام : ويقال : وذلك عبدالله بن أبىّ وأصحابه .

قال ابن هشام : والذى تولى كبره عبدالله بن أبى ، وقد ذكر ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا . ثم قال تعالى : « لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنونَ والمؤمناتُ بأنفسهم خيراً » : أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته ، ثم قال : « إذ تلقَّوْنَه بألسنتِكم ، وتقولون بأفواهِكم ماليس لكم به علم ، وتحسبونه هيِّناً ، وهو عند اللهِ عظيم » .

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ماقال ، قال ، أبوبكر ، وكان ينفق على مِسْطَح لقرابته وحاجته : والله لاأنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولاأنفعه بنفع أبدا بعد الذى قال لعائشة ، وأدخل علينا ، قالت : فأنزل الله فى ذلك « ولايأتلِ أولوا الفضلِ منكم والسَّعةِ أن يُؤتوا أولى القربَى والمساكينَ والمهاجرينَ فى سبيل الله ، وليعفُوا وليصفحوا ألاتُحبون أن يغفرَ اللهُ لكم ، واللهُ غفورٌ رحيم » .

قال ابن هشام : يقال : كِبْره وكُبْره فى الرواية ، وأما فى القرآن فكِبره بالكسر .

قال ابن هشام : « ولا يأتل أولوا الفضل منكم » ، ولا يأل أولو الفضل منكم ـ قال امرؤ القيس بن حُجْر الكندى :

ألا رُبَّ خصم فيك ألوى رددته · نصيح على تعذاله غيرِ مُؤْتَلِ

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : ولا يأتل أولوا الفضل : ولا يحلف أولو الفضل ، وهو قول الحسن بن أبى الحسن البصرى ، فيما بلغنا عنه .

وفى كتاب الله تعالى : «للذين يُؤلون من نسائهم » ، وهو من الألِيَّة ، والألية : اليمين . قال حسان بن ثابت :

آليت مافى جميع الناس مجتهدا   منى أَلِيَّةَ بَرٍّ غيرِ إفنادِ

وهذا البيت فى أبيات له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها . فمعنى : أن يؤتوا فى هذا المذهب : أن لا يؤتوا ، وفى كتاب الله عز وجل : « يبينُ اللهُ لكم أن تضلوا » يريد : أن لاتضلوا ؛ « ويُمسك السماء أن تقعَ على الأرض » ، يريد أن لاتقع على الأرض ، وقال ابن مُفَرِّغ الحِمْيَرى :

لاذَعَرْتُ السَّوامَ فى وضحِ الصبـ   ـحِ مُغيرا ولا دُعيتُ يَزيدَا

يومَ أُعطِى مخافةَ الموتِ ضَيْمًا   والمنايا يرصدننى أن أحِيدا

يريد : أن لا أحيد ؛ وهذان البيتان فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله ، إنى لأحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

قال ابن إسحاق : ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقد كان حسان قال شعرا مع ذلك يعرِّض بابن المعطل فيه ، وبمن أسلم من العرب من مضر ، فقال :

أمسى الجلابيبُ قد عَزُّوا وقد كثُروا   وابن الفريعةِ أمسى بيضةَ البلدِ (١)

قد ثكلتْ أمُّه من كنتَ صاحبَه   أو كان منتشِبا فى بُرْثُنِ الأسدِ (٢)

ما لِقتيلى الذى أغدو فآخذُه   من ديَةٍ فيه يُعطاها ولا قود

ما البحرُ حين تهبُّ الريحُ شاميةً   فيَغْطَئِلُّ ويرمى العِبْرَ بالزَّبَد (٣)

يوما بأغلبَ منى حين تُبصرنى   يَلْتَغِظُ أفرى كفرى العارضِ البَرِد (٤)

---

(١) الجلابيب : لفظ تطلقه قريش على من أسلم منهم . بيضة البلد : أى منفرد .

(٢) البرثن : يد الأسد مع أصابعه .

(٣) يغطئل : يتحرك . العبر : جانب البحر .

(٤) أفرى : أقطع ، العارض البرد : السحاب الحامل للبرد .

أما قــريش فإنى لن أسالمهم ... حتى يُنيبوا من الغيات للرشدِ
ويتركوا اللاتَ والعزى بمعزلةٍ ... ويسجدوا كلُّهم للواحدِ الصمد
ويشهدوا أن ما قال الرسولُ لهم ... حقٌّ ويُوفوا بعهدِ اللهِ والوُكُدِ

فاعترضه صفوان بن المعطل، فضربه بالسيف، ثم قال: كما حدثنى يعقوب بن عتبة:

تلقَّ ذُبابَ السيفِ عنى فإننى ... غلامٌ إذا هُوجيتُ لستُ بشاعرِ

قال ابن إسحاق: وحدثنى محمدُ بن إبراهيم بن الحارث التيمى: أن ثابت بن قيس بن الشمّاس وثب على صفوان بن المعطّل، حين ضرب حسان، فجمع يديه إلى عنقه بحبل، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج، فلقيه عبد الله بن رواحة، فقال: ما هذا؟ قال: أما أعجبك ضرب حسان بالسيف! والله ما أراه إلا قد قتله، قال له عبد الله بن رواحة: هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت؟ قال: لا والله؛ قال: لقد اجترأت، أطلق الرجل، فأطلقه، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكروا ذلك له، فدعا حسان وصفوان ابن المعطل؛ فقال ابن المعطل: يارسول الله: آذانى وهجانى، فاحتملنى الغضب، فضربته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان: أحسن ياحسان، أتشوّهت[1] على قومى أن هداهم الله للإسلام، ثم قال: أحسن ياحسان فى الذى أصابك، قال: هى لك يارسول الله.

قال ابن هشام: ويقال: أبعد أن هداكم الله للإسلام.

قال ابن إسحاق: فحدثنى محمد بن إبراهيم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عوضا منها بيرحاء، وهى قصر بنى حُديلة اليوم بالمدينة، وكانت مالا لأبى طلحة بن سهل تصدق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان فى ضربته وأعطاه سيرين، أمة قبطية، فولدت له عبد الرحمن بن حسان، قالت: وكانت عائشة تقول: لقد سئل عن ابن المعطل، فوجدوه رجلا حصورا، ما يأتى النساء، ثم قتل بعد ذلك شهيدا.

قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان قال فى شأن عائشة رضى الله عنها:

حَصَانٌ رَزَانٌ ما تُزَنُّ بريبــةٍ ... وتُصبحُ غَرْثَى من لحومِ الغوافِلِ[2]

---

(١) أتشوهت على قومى: أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله وإلى رسوله. هكذا قال السهيلى فى الروض الأنف جـ ٤ ص ٢٢.

(٢) حصان: فعال بفتح الحاء يكثر فى أوصاف المؤنث: وفى الأعلام منها، كأنهم قصدوا =

عقيلةُ حيٍّ من لؤيِّ بنِ غالبٍ كرامِ المساعى مجدُهم غيرُ زائلِ
مُهذَّبةٌ قد طيَّبَ اللهُ خِيمَها وطهَّرها من كلِّ سوءٍ وباطلِ [١]
فإن كنتُ قد قلتُ الذى قد زعمتمُ فلا رفعتْ سوطى إلىَّ أناملى
وكيف ووُدّى ما حَييتُ ونُصرتى لآلِ رسولِ اللهِ زينِ المحافلِ
له رتبٌ عالٍ على الناسِ كلِّهم تقاصَرُ عنــه سَوْرةُ المتطاولِ
فإن الذى قد قيل ليس بلائطٍ ولكنه قولُ امرىءٍ بىَ ماحِلِ [٢]

= بتوالى الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى ، أى المسمى بهذه الصفات خفيف على النفس ، وحصان من الحصن والتحصن ، وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها ، وقالت جارية من العرب لأمها :

يا أمتا أبصرنى راكب يسير فى مستحنفر لاحب
جعلت أحثى التراب فى وجهه حصنا وأحمى حوزة الغائب

فقالت لها أمها :

الحصن أدنى لو تآبيته من حثيك الترب على الراكب

ذكر هذه الابيات أحمد بن أبى سعيد السيرافى فى شرح أبيات الإيضاح . والرزان والثقال بمعنى واحد ، وهى القليلة الحركة .

وقوله : وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ، أى خميصة البطن من لحوم الناس ، أى اغتيابهم وضرب الغرث مثلا ، وهو عدم الطعم وخلو الجوف وفى التنزيل « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا » ضرب المثل لأخذه فى العرض بأكل اللحم . لأن اللحم ستر على العظم ، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستره .

وقال : ميتا ، لأن الميت لا يحس ، وكذا الغائب لا يسمع ما يقول فيه المغتاب ، ثم هو فى التحريم كأكل لحم الميت .

وقوله : من لحوم الغوافل ، يريد : العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر ، كما قال سبحانه : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات » جعلن غافلات ، لأن الذى رمين به من الشر لم يهممن به قط ولا خطر على قلوبهن ، فهن فى غفلة عنه ، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف .

(١) الخيم : الطبع .
(٢) لائط : لاصق . ماحل : ماشى بالنميمة .

قال ابن هشام: بيته: «عقيلة حى» والذى بعده، وبيته: «له رتب عال» عن أبى زيد الأنصارى.

قال ابن هشام: وحدثنى أبو عبيدة: أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة، فقالت:

حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبةٍ ... وتصبح غرثى من لحومِ الغوافلِ

فقالت عائشة. لكنْ أبوها.

قال ابن إسحاق: وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه فى فريتهم على عائشة — قال ابن هشام. فى ضرب حسان وصاحبيه —.

لقد ذاق حسانُ الذى كان أهلَه ... وحمنةُ إذ قالوا هجيرا ومِسْطَحُ
تعاطَوْا برجم الغيبِ زوجَ نبيِّهم ... وسَخطةَ ذى العرشِ الكريمِ فأتْرِحوا [1]
وآذَوْا رسولَ الله فيها فجُلِّلوا ... مخازىَ تبقى عُمِّموها وفُضِّحوا
وصُبَّت عليهم مُحصَداتٌ كأنها ... شآبيبُ قَطْرٍ من ذُرا المزنِ تسفحُ [2]

أمر الحديبية [3] فى آخر سنة ست، وذكر بيعة الرضوان

والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سُهَيل بن عمرو

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالا، وخرج فى ذى القعدة معتمراً، لا يريد حربا.

---

(١) أترحوا: من الترح وهو الحزن.

(٢) محصدات. صفة لموصوف محذوف يعنى سياطا. والمحصدات المفتولة، الشآبيب: الدفعات من المطر. تسفح. تسيل.

(٣) يقال فيها: الحديبية بالتخفيف، وهو الأعرف عند أهل العربية. قال الخطابى: أهل الحديث يقولون: الحديبية بالتشديد، والجعرانة كذلك، وأهل العربية يقولونهما: بالتخفيف وقال البكرى: أهل العراق يشددون الراء والياء فى الجعرانة والحديبية، وأهل الحجاز يخففون. وقال أبو جعفر النحاس: سألت كل من لقيته ممن أثق بعلمه عن الحديبية، فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف.

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُميلة بن عبد الله الليثى .

قال ابن إسحاق : واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه وهو يخشى من قريش الذى صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت ، فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظما له .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عروة بن الزبير عن مِسْور ابن مَخْرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق معه الهدى سبعين بَدَنة ، وكان الناس سبعمائة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغنى ، يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مئة .

قال الزهرى : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعُسْفان لقيه بشر بن سفيان الكعبى — قال ابن هشام : ويقال بُسْر — فقال : يارسول الله هذه قريش ، قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العُوذ المطافيل (١) ، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طُوًى (٢) يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبدا ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدّموها إلى كُراع الغَميم (٣) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلّوا بينى وبين سائر العرب ، فإن هم أصابونى كان الذى أرادوا ، وإن أظهرنى الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة (٤) ، ثم قال : مَن رجل يخرج بنا عن طريق غير طريقهم التى هم بها ؟

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رجلا من أسلم قال : أنا يارسول الله ، قال : فسلك بهم طريقا وعراً أجْرَل (٥) ، بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على

---

(١) استعار العوذ المطافيل للنساء مع أولادهن . والعوذ هى الإبل حديثة النتاج والمطافيل التى معها أولادها .
(٢) ذو طوى : موضع قرب مكة .
(٣) كراع الغميم : موضع بين مكة والمدينة .
(٤) السالفة : صفحة العنق .
(٥) الأجرل : كثير الحجارة .

المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : قولوا نستغفر الله ونتوب إليه ، فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها للحِطّة [١] التى عُرضت على بنى إسرائيل . فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمش ، فى طريق تخرجه على ثَنِية المُرار مهبط الحديبية من أسفل مكة ، قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قَتَرَة [٢] الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك فى ثنية المرار بركت ناقته ، فقالت الناس : خَلأَت [٣] الناقة ، قال : ما خلأت وما هو لها بخُلُق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . لاتدعُونى قريش اليوم إلى خُطة يسألونى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها . ثم قال للناس : انزلوا ؛ قيل له : يارسول الله : ما بالوادى ماء ننزل عليه ، فأخرج سهما من كنانته ، فأعطاه رجلا من أصحابه ، فنزل به فى قليب من تلك القُلُب . فغرزه فى جوفه ، فجاش بالرّواء حتى ضرب الناس عنه بعَطَن [٤]

قال ابن اسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم عن رجال من أسلم : أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جُندَب بن عُمير بن يَعمَر بن دارم بن عمر بن وائلة بن سهم بن مازن بن أسلم بن أفصى بن أبى حارثة ، وهو سائق بُدْن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن هشام : أفصى بن حارثة .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى بعض أهل العلم : أن البرَاء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

وقد أنشدتْ أسلمَ أبياتا من شعر قالها ناجية ، قد ظننا أنه هو الذى نزل بالسهم ، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبلت بدلوها ، وناجية فى القليب يميح على الناس [٥] ، فقالت :

---

(١) وهو قوله تعالى : « .. وقولوا حِطّة نغفرلكم ذنوبكم » ومعناها الاستغفار من الذنوب بقولهم اللهم حط عنا ذنوبنا .

(٢) القترة : الغبار .

(٣) خلأت : بركت وحرنت عن المشى .

(٤) العطن : مبرك الإبل حول الماء .

(٥) يميح على الناس : يملأ دلاءهم .

يأيها المائحُ دَلوى دونَكا إنى رأيتُ الناسَ يحمدونكا

يُثنون خيراً ويمجّدونكا

قال ابن هشام : ويروى :

إنى رأيت الناس يمدحونكا

قال ابن إسحاق : فقال ناجية ، وهو فى القليب يميح على الناس :

قد علمت جاريةٌ يمانيــةْ أنى أنا المائحُ واسمى ناجيةْ

وطعنةٍ ذاتِ رَشاشٍ واهيةْ طعنتُها عندَ صدورِ العاديهْ[1]

فقال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بُدَيل بن ورقاء الخزاعى ، فى رجال من خُزاعة ، فكلموه وسألوه : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حربا ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظما لحرمته ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يا معشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمدا لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً هذا البيت ، فاتهموهم وجبّهوهم[2] وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبدا ، ولا تحدث بذلك عنا العرب .

قال الزهرى : وكانت خزاعة عَيْبة نصح[3] رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسلمها ومشركها، لا يُخفون عنه شيئا كان بمكة .

قال : ثم بعثوا إليه مِكْرز بن حفص بن الأخيف ، أخا بنى عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال : هذا رجل غادر ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال لبديل وأصحابه ؛ فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم بعثوا إليه الحُلَيس بن علقمة أو ابن زَبان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم

---

(١) الواهية : المسترخية من اتساعها . (٢) جبهوهم : واجهوهم بما يكرهون .

(٣) عيبة نصح الرجل : موضع سره .

يتألهون ، فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض[1] الوادى فى قلائده[2] ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، رجع إلى قريش ، ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاما لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابى لا علم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن الحُلَيْس غضب عند ذلك وقال : يامعشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم . أيُصد عن بيت الله من جاء معظما له ! والذى نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرنَّ بالأحابيش نفرة رجل واحد . قال فقالوا له : مَهْ ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفى ؛ فقال : يا معشر قريش ، إنى قد رأيت ما يلقى منكم من يبعثونه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وإنى ولد — وكان عروة لسُبَيْعة بنت عبد شمس — وقد سمعت بالذى نابكم ، فجمعت من أطاعنى من قومى ، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى : قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم . فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ثم قال : يامحمد ، أجمعت أوشاب الناس[3] ، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها[4] بهم ، إنها قريش قد خرجت معها العُوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبدا . وايم الله ، لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ؛ فقال : امصُص بَظرَ اللات ، أنحن ننكشف عنه ؟ قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة ، قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ، قال : ثم جعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه . قال : والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الحديد . قال : فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويقول : اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك ؛ قال : فيقول عروة : ويحك ! ما أفظك وأغلظك ! قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له عروة : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة ؛ قال : أى غُدَرُ ، وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس .

---

(١) عرض الوادى : جانبه . (٢) القلائد : ما يعلق فى أعناق الإبل علامة على أنها هدى.

(٣) أوشاب الناس : أخلاطهم . (٤) بيضة الرجل : عشيرته . ويفضها : يهلكها .

قال ابن هشام : أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك ، من ثقيف ، فتهايج الحيان من ثقيف : بنو مالك رهط المقتولين ، والأحلاف رهط المغيرة ، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية ، وأصلح ذلك الأمر .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلم به أصحابه : وأخبره أنه لم يأت يريد حربا .

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رأى ما يصنع به أصحابه ، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ، ولا يبصق بصاقا إلا ابتدروه . ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه . فرجع إلى قريش ، فقال : يامعشر قريش ، إنى قد جئت كسرى فى ملكه ، وقيصر فى ملكه . والنجاشى فى ملكه ، وإنى والله ما رأيت مليكا فى قوم قط مثل محمد فى أصحابه ، ولقد رأيت قوما لا يسلمونه لشيء أبدا ، فروا رأيكم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل العلم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش ابن أمية الخزاعى ، فبعثه إلى قريش بمكة ، وحمله على بعير له يقال له الثعلب ، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له ، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرادوا قتله ، فمنعته الأحابيش ، فخلّوا سبيله ، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس : أن قريشا كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا ، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً ، فأخذوا أخذا ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعفا عنهم ، وخلى سبيلهم ، وقد كانوا رموا فى عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنّبل .

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة ، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له ، فقال : يا رسول الله ، إنى أخاف قريشا على نفسى . وليس بمكة من عدى بن كعب أحد يمنعنى ، وقد عرفت قريش عداوتى إياها ، وغلظتى عليها ، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى ، عثمان بن عفان . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان ، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش ، يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، وإنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ، ومعظما لحرمته .

قال ابن إسحاق : فخرج عثمان إلى مكة ، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، أو قبل أن يدخلها ، فحمله بين يديه ، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش ، فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به ؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف فقال : ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم . واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قُتِــــل .

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لا نبرح حتى نناجز القوم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة ، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لا نفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجدُّ بن قيس ، أخو بني سلمة ، فكان جابر بن عبد الله يقول : والله لكأني أنظر إليه لاصقا بإبط ناقته . قد ضبأ[1] إليها ، يستتر بها من الناس . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي : أن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به عمن حدثه بإسناد له ، عن ابن أبي مُلَيكة عن ابن أبي عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

أمر الهدنة : قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بني عامر بن لؤي ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا ، فوالله لا تحدّث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً . فأتاه سُهَيل بن عمرو ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلاً ، قال : قد أراد القوم الصلح

---

(١) ضبأ إليها : احتمى بها .

حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام ، وتراجعا ، ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر فقال : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال . بلى ، قال : أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية(١) فى ديننا ؟ قال أبو بكر : يا عمر ، الزم غَرْزَه(٢) ، فإنى أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ألست برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ؛ قال : فعلام نُعطى الدنية فى ديننا ؟ قال : أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعنى ! قال : فكان عمر يقول : ما زلت أتصدق وأصوم وأصلى وأعتق ، من الذى صنعت يومئذ ، مخافة كلامى الذى تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

شروط الصلح : قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال ؛ أكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن أكتب : باسمك اللهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، قال : فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال : فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عَيْبة مكفوفة (٣) ، وأنه لا إسلال ولا إغلال(٤) ، وأنه من أحب أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم وأنك ترجع عنا عامك هذا ، فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثا ، معك سلاح الراكب ، السيوف فى القُرُب ، لا تدخلها بغيرها .

---

(١) الدنية : الذل . (٢) الزم غرزه : أى الزم أمره .
(٣) عيبة مكفوفة : أى صدور منطوية على ما فيها .
(٤) الإسلال : السرقة خفية . الإغلال : الخيانة .

أبو جندل بن سهيل : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسُف فى الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمّل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ، فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلبيبه ، ثم قال : يا محمد ، قد لَجّت[1] القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال : صدقت ، فجعل ينتره بتلبيبه ، ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل ، أصبر واحتسب ، فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحا ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ؛ وإنا لا نغدر بهم ، قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ؛ ويقول : أصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون ، وإنما دم أحدهم دم كلب قال : ويدنى قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوتُ أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، فضن الرجل بأبيه ، ونفذت القضية .

من شهدوا على الصلح : فلما فـرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهَد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطّاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سُهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقّاص ومحمود بن مسلمة ، ومِكرز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبى طالب وكتب ، وكان هو كاتب الصحيفة .

الإحلال : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطربا فى الحل وكان يصلى فى الحرم ، فلما فرغ من الصلح قدم إلى هَدْيه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه ، وكان الذى حلقه ، فيما بلغنى ، فى ذلك اليوم خِرَاش بن أمية بن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق تواثبوا ينحرون ويحلقون .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصر آخرون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله المحلّقين قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال : يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين يا رسول الله ؟ قال :

---

(١) لجت : تمت .

يرحم الله المحلِّقين ، قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال : والمقصرين ، فقالوا : يارسول الله : فلم ظاهرت[1] الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟قال : لم يَشكّوا .

وقال عبد الله بن أبي نجيح : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية في هداياه جملا لأبي جهل ، في رأسه بُرَة [2] من فضة ، يغيظ بذلك المشركين .

نزول سورة الفتح : قال الزهري في حديثه : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : « إنا فتحنا لك فتحاً مُبيناً ليغفرَ لك اللهُ ماتقدم من ذنبك وما تأخرَ ، ويُتم نعمتَه عليك ويهديَك صراطامستقيما » .

ثم كانت فيه وفى أصحابه ، حتى انتهى من ذكر البيعة ، فقال جل ثناؤه : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون اللهَ ، يدُ اللهِ فوقَ أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكثُ على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه اللهَ ، فسيؤتيه أجراً عظيما » .

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استفزهم للخروج معه فأبطئوا عليه : « سيقولُ لك المخلَّفون من الأعرابِ شغلتنا أموالُنا وأهلونا » . ثم القصة عن خبرهم ، حتى انتهى إلى قوله : « سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذَرونا نتبعكم ، يريدون أن يبدلوا كلامَ اللهِ قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبلُ » . . . ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : فارس . قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن الزهري أنه قال : أولوا البأس الشديد : حَنيفة مع الكذاب .

ثم قال تعالى : « لقد رضىَ اللهُ عن المؤمنين إذا يبايعونك تحتَ الشجرةِ ، فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينةَ عليهم ، وأثابهم فتحا قريباً . ومغانمَ كثيرةً يأخذونها ، وكان الله عزيزا حكيما . وعدكم اللهُ مغانمَ كثيرةً تأخذونها فعجّل لكم هذه ، وكفّ أيدىَ الناسِ عنكم ، ولتكونَ آيةً للمؤمنين ويهديَكم صراطاً مستقيما . وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاطَ اللهُ بها ، وكان اللهُ على كل شيء قديراً » .

---

(١) ظاهرت : قويت وأكدت .

(٢) البرة : حلقة تجعل فى أنف البعير ليذل بها وكانت فى العادة من خشب أو شعر .

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال، بعد الظفر منه بهم، يعني النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه، ثم قال تعالى: «وهو الذى كف أيديَهم عنكم وأيديكم عنهم ببطنِ مكةَ من بعدِ أن أظفركم عليهم، وكان الله بما تعملون بصيراً». ثم قال تعالى: «هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجدِ الحرامِ والهَدْىَ معكوفاً أن يبلغَ محلَّه».

قال ابن هشام المعكوف: المحبوس، قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة:

وكأن السُّموطَ عَكّفَه السلـ ـكُ بِعِطْفَىْ جَيْداءَ أمِّ غزالِ [1]

وهذا البيت فى قصيدة له.

قال ابن إسحاق: «ولولا رجالٌ مؤمنون ونساء مؤمنات لم يعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم مَعَرَّةٌ بغير علم»، والمعرة: الغرم، أى أن تصيبوا منهم معرة بغير علم فتخرجوا ديته، فأما إثم فلم يخشه عليهم.

قال ابن هشام: بلغنى عن مجاهد أنه قال: نزلت هذه الآية فى الوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبى ربيعة، وأبى جندل بن سهيل، وأشباههم.

قال ابن إسحاق: ثم قال تبارك وتعالى: «إذ جعل الذين كفروا فى قلوبهم الحَمِيَّةَ، حميةَ الجاهلية» يعنى سهيل بن عمرو حين حمى أن تكتب بسم الله الرحمن الرحيم، وأن محمداً رسول الله، ثم قال تعالى: «فأنزل اللهُ سَكينتَه على رسولِه وعلى المؤمنين، وألزمهم كلمةَ التقوى»، وكانوا أحقَّ بها وأهلَها» أى التوحيد، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله.

ثم قال تعالى: «لقد صَدَقَ اللهُ رسولَه الرؤيا بالحقِّ لتدخُلنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاء اللهُ آمنين محلِّقين رءوسَكم ومقصرين لا تخافون فعلم مالم تعلموا». أى لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التى رأى، أنه سيدخل مكة آمنا لا يخاف؛ يقول: محلقين رءوسكم، ومقصرين معه «لا تخافون، فعلم» من ذلك «مالم تعلموا، فجعل من دونِ ذلك فتحا قريبا» صلح الحديبية.

يقول الزهرى: فما فتح فى الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة، ووضعت الحرب، وآمن الناس بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا فى الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه ولقد دخل تينك السنتين مثل من كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر.

قال ابن هشام: والدليل على قول الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية

---

(١) السموط: جمع سمط: وهو القلادة.

فى ألف وأربعمائة ، فى قول جابر بن عبدالله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

أمر المستضعفين بمكة بعد الصلح

قصة أبى بصير : قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة[١] بن أسيد بن جارية ، وكان ممن حبس بمكة ، فلما قدم رسول الله ﷺ كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثا رجلا من بنى عامر بن لؤى، ومعه مولى لهم ، فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ،فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا ، فانطلق إلى قومك ، قال يارسول الله ، أتردنى إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ قال : ياأبا بصير ، انطلق فان الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا .

فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذى الحليفة[٢] ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال : نعم ، قال : أنظر إليه ؟ قال: انظر ، إن شئت . قال : فاستله أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعا حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالعا ، قال : إن هذا الرجل قد رأى فزعا ، فلما انتهى إلى الله رسول صلى الله عليه وسلم ، قال ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبى . فوالله مابرح حتى طلع أبو بصير متوشحا بالسيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله ، وفت ذمتك ، وأدى الله عنك ، أسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه ، أو يعبث بى . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل أمه محش حرب[٣] لو كان معه رجال ؟

---

(١) وقيل : عبيد .

(٢) ميقات أهل المدينة . بينها وبين المدينة ستة أميال .

(٣) وفى الصحيح ويل امه مسعر حرب ، ويقال حششت النار ، وأريتها ، وأذكيتها ، وأثقلتها ، وسعرتها بمعنى واحد .

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص ، من ناحية ذى المروة ، على ساحل البحر ، بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتُبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بصير : « ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال » ، فخرجوا إلى أبى بصير بالعيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا قد ضيقوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم : فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : أبو بصير ثقفى .

قال ابن إسحاق : فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبى بصير صاحبهم العامرى ، أسند ظهره إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظهرى عن الكعبة حتى يُودَى هذا الرجل ؛ فقال أبو سفيان ابن حرب : والله إن هذا لهو السفه ، والله لا يودَى فقال فى ذلك مَوْهَب بن رياح أبو أُنَيْس ، حليف بنى زُهرة :

قال ابن هشام : أبو أنيس أشعرى —

أتانى عن سُهيلٍ ذَرْءُ قولٍ ... فأيقظنى وما بى من رُقادِ[1]

فإن تكنِ العتاب تريدُ منى ... فعاتبنى فما بكَ من بِعادِ

أتُوعدنى وعبدُ منافَ حولى ... بمخزومٍ ألهفًا من تُعادى

فإن تغمزْ قناتى لا تجِدْنى ... ضعيفَ العودِ فى الكُرَبِ الشدادِ

أسامى الأكرمين أبًا بقومى ... إذا وطِئَ الضعيفُ بهم أُرَادى[2]

همُ منعوا الظواهرَ غيرَ شكٍّ ... إلى حيثُ البواطنُ فالعَوادى

بكل طِمِرَّةٍ وبكل نَهْدٍ ... سَواهِمَ قد طُوين من الطِّرادِ[3]

لهم بالخَيْفِ قد علمت مَعَدٌّ ... رِواقُ المجدِ رُفِّعَ بالعِمادِ[4]

---

(١) ذرء : طرف .

(٢) أرادى : أرامى .

(٣) الطمرة : الفرس السريعة . النهد : الغليظ . طوين : ضمرن . والطراد : الهجوم .

(٤) الخيف : موضع فى منى . الرواق : بيت كالخيمة يحمل على عمود طويل .

فأجابه عبد الله بن الزِّبَعْرَى ، فقال :

وأمسى مَوْهَبٌ كِحِمارِ سَوْءٍ ... أجاز ببلدةٍ فيها يُنادِى
فإن العبدَ مثلَك لا يُناوِى ... سبيلا ضل سعيُك مَن تُمادى(١)
فأقصِرْ يابنَ قَيْنِ السوءِ عنه ... وعَدِّ عن المقالةِ فى البلادِ
ولا تذكرْ عتابَ أبى يزيدٍ ... فهيهاتَ البحورُ من الثِّمادِ(٢)

أمر المهاجرات بعد الهدنة

قال ابن إسحاق : وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بنت عقبة بن أبى مُعَيط فى تلك المدة ، فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة ، حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش فى الحديبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، قال : دخلت عليه وهو يكتب كتابا إلى ابن أبى هُنَيدة ، صاحب الوليد بن عبد الملك ، وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : « يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمناتُ مهاجراتٍ فامتحِنُوهن ، اللهُ أعلمُ بإيمانِهن ، فإن علمتموهنَّ مؤمناتٍ فلا ترجعوهن إلى الكفارِ ، لاهُنَّ حِلٌّ لهم ، ولا هم يَحِلون لهن ، وآتوهم ما أنفقوا ، ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورَهن ، ولا تُمسكوا بعصم الكوافرِ » .

— قال ابن هشام : واحدة العصم : عصمة ، وهى الحبل والسبب . قال أعشى بنى قيس ابن ثعلبة :

إلى المرءِ قيسٍ نُطيلُ السُّرَى ... ونأخذُ من كلِّ حىٍّ عِصَمْ

وهذا البيت فى قصيدة له .

---

(١) لا يناوى : لا يعادى .

(٢) الثماد : الماء القليل .

« واسئلوا ما أنفقتم ، وليسئلوا ما أنفقوا ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم » .

قال : فكتب إليه عروة بن الزبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشا يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ؛ فلما هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام ، أبى الله أن يُرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام ، فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة فى الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتبسن عنهم ، إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم . فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ورد الرجال ، وسأل الذى أمره الله أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذى يردون عليهم ، إن هم فعلوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ، ولم يردد لهن صداقا ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد .

قال ابن إسحاق : وسألت الزهرى عن هذه الآية ، وقول الله عز وجل فيها : « وإن فاتكم شىءٌ من أزواجكم إلى الكفارِ فعاقبتم ، فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا ، واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » فقال : يقول : إن فات أحداً منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم ، فعوضوهم من فىء إن أصبتموه ؛ فلما نزلت هذه الآية : « يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمناتُ مهاجراتٍ » ... إلى قول الله عز وجل : « ولا تُمسكوا بعصَمِ الكوافر » ، كان ممن طلق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قُرَيبة بنت أبى أمية بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية بن أبى سفيان ، وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت جَرْوَل أم عبيد الله بن عمر الخزاعية ، فتزوجها أبو جَهْم بن حذيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما .

بشرى فتح مكة : قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة : أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمنا ؟ قال : بلى ، أفقلتُ لكم من عامى هذا ؟ قالوا : لا ، قال : فهو كما قال لى جبريل عليه السلام .

ذكر المسير إلى خيبر

بسم الله الرحمن الرحيم

قال: حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام قال حدثنا زياد بن عبدالله البكّائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وولى تلك الحجة المشركون ، ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نُميلة بن عبد الله الليثى ، ودفع الراية إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانت بيضاء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى الهيثم بن نصر بن دُهر الأسلمى أن أباه حدثه : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر ابن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان : أنزل يابن الأكوع ، فخذ لنا من هَنَاتِك(١) ، قال : فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

والله لولا اللهُ ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

إنا إذا قومٌ بَغَوْا علينا وإن أرادوا فتنةً أبَيْنا

فأنزلنْ سكينةً علينا وثبت الأقدامَ إن لاقَيْنا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ؛ فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يا رسول الله ، لو أمتعتنا به ! فقتل يوم خيبر شهيدا ، وكان قتله ، فيما بلغنى ، أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل ، فكَلَمه كَلْما شديداً ، فمات منه ؛ فكان المسلمون قد شكّوا فيه ، وقالوا : إنما

---

(١) هناتك : جمع الهنة : كناية عن كل شىء لا تعرف اسمه ، أو تعرفه ، فتكنى عنه ، وأصل الهنة : هنهة وهنوة . قال الشاعر :

* على هنوات شأنها متتابع *

وفى البخارى : أن رجلا قال لابن الأكوع : ألا تنزل فتسمعنا من هنياتك ، صغره بالهاء ولو صغره على لغة من قال هنوات لقال هنيّاتك ، وإنما أراد — صلى الله عليه وسلم — أن يحدو بهم ، والإبل تستحث بالحداء ، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رجز .

قتله سلاحه ، حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو بن الأكوع رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشهيد ، وصلى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن عطاء بن أبي مَرْوان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي مُعَتِّب بن عمرو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم ربَّ السموات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين فإنا نسألك خيرَ هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرّها وشر أهلها وشر ما فيها ، أقدموا بسم الله . قال : وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها :

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم عن أنس بن مالك ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوما لم يُغِرْ عليهم حتى يصبح ، فإن سمع أذانا أمسك ، وإن لم يسمع أذانا أغار ، فنزلنا خيبر ليلا ، فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذانا ، فركب وركبنا معه ، فركبت خلف أبي طلحة ، وإن قدمى لتمس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واستقبلنا عمال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم(١) ، فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والجيش ، قالوا : محمد والخميس(٢) معه ! فأدبروا هُرّابا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، خَرِبت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المنذَرين .

قال ابن إسحاق : حدثنا هارون عن حميد ، عن أنس بمثله .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عِصْر ، فبنى له فيها مسجد ، ثم على الصهباء ، ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه ، حتى نزل بواد يقال له الرجيع ، فنزل بينهم وبين غَطَفان ، ليحول بينهم وبين أن يُمِدّوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبلغني أن غَطَفان لما سمعت بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا له ، ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا مَنْقَلة(٣) سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حسا ،

---

(١) المساحي : مجارف الحديد . المكاتل : القفف الكبيرة .

(٢) الخميس : الجيش .   (٣) منقلة : مرحلة .

ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا فى أهليهم وأموالهم ، وخلّوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وتدنّى[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتحها حصنا حصنا. فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مَسْلمة ألقيت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القَموص ، حصن بنى أبى الحقيق ، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا ، منهن صفية بنت حيي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، وبنتى عم لها ؛ فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه .

وكان دِحْيَة بن خليفة الكلبي قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنتى عمها ، وفشت السبايا من خيبر فى المسلمين .

أشياء نهى عنها الرسول يوم خيبر : وأكل المسلمون لحوم الحمر الأهلية من حُمُرها ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهى الناس عن أمور سماها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عمرو بن ضَمْرة الفَزَارى عن عبد الله بن أبى سليط ، عن أبيه ، قال : أتانا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الحمر الإنسية ، والقدور تفور بها ، فكفأناها على وجوهها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مكحول : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذ عن إتيان الحَبالى من السبايا ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغانم حتى تُقسم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سلام بن كركرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، ولم يشهد جابر خيبر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر ، أذن لهم فى أكل لحوم الخيل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تُجيب : عن حنش الصنعانى ، قال : غزونا مع رُوَيْفع بن ثابت الأنصارى المغرب ، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جَرْبة ، فقام فينا خطيبا ، فقال : يأيها الناس ، إنى لا أقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله فينا يوم خيبر ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) تدنى : أى أخذ الأدنى فالأدنى .

فقال : لا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسقى ماؤه زرع غيره ، يعنى إتيان الحبالى من السبايا ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنما حتى يُقسَم ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه ؛ ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوبا من فىء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيط ؛ أنه حُدث عن عُبادة بن الصامت ، قال : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن أن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العَين ، وتبر الفضة بالورق العين ، وقال : ابتاعوا تبر الذهب بالورق العين ، وتبر الفضة بالذهب العين .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى الحصون والأموال .

بنى سهم : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدثه بعض أسلم : أن بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : والله يا رسول الله لقد جُهِدنا وما بأيدينا من شىء ، فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يعطيهم إياه ، فقال : اللهم إنك قد عرَفت حالهم وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدى شىء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء ، وأكثرها طعاما ووَدَكا ، فغدا الناس ، ففتح الله عز وجل حصن الصَّعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاما ووَدَكا منه .

مقتل مَرْحَب : قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنيهم الوَطيح والسُّلالم ، وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحا ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليهم بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : يا منصور أمِتْ أمِتْ .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل ؛ أخو بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مَرْحَبٌ اليهودي من حصنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجز وهو يقول :

قد علمت خيبرُ أنى مَرْحَبُ ... شاكى السلاحِ بطلٌ مُجَرَّبُ

أطعنُ أحيانا وحِيناً أضربُ إذا الليوثُ أقبلت تُحَرَّبُ[1]

إن حِمايَ للحمَى لا يُقرَبُ

وهو يقول : من يبارز ؟ فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد علمت خيبرُ أنى كعبُ مُفرِّجُ الغَمَّى جرىءٌ صُلبُ
إذ شُبَّتِ الحربُ تلتها الحربُ معى حسامٌ كالعقيق عَضْبُ
نطؤكم حتى يَذِلَّ الصعبُ نعطِى الجزاءَ أو يَفِىءَ النَّهبُ

بكفّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى :

قد علمتْ خيبرَ أنى كعبُ وأننى متى تُشب الحربُ
ماضٍ على الهولِ جرىءٌ صُلبُ معى حسامٌ كالعقيق عضب
بكفّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ نَدُكُّكم حتى يَذِلَّ الصعبُ

قال ابن هشام : ومرحب من حمير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن سهل ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله ، أنا والله ، الموتور الثائر ، قتل أخى بالأمس ، فقال : فقم إليه ، اللهم أعنه عليه . قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه ، دخلت بينهما شجرة عُمْرِيَّة[2] من شجر العُشَر ، فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه ما دونه منها ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، ما فيها فَنَن ، ثم حمل مَرْحَب على محمد بن مَسلمة ، فضربه ، فاتقاه بالدَّرَقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مَسلمة حتى قتله .

مقتل ياسر : قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز ، فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر ، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب :

---

(١) تحرب : مغضبة . (٢) عمرية : عجوز .

يقتل ابني يا رسول الله ! قال : بل ابنك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير فالتقيا ، فقتله الزبير .

قال ابن إسحاق : فحدثني هشام بن عُروة : أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً عضْباً، قال : والله ما كان صارما ، ولكني أكرهته .

فتح خيبر على يد علي : قال ابن اسحاق : وحدثني بُرَيْدَة بن سفيان بن فَرْوَة الأسلمى ، عن أبيه سفيان ، عن سلمة بن عمرو بن الأكْوَع ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه برايته ، وكانت بيضاء ، فيما قال ابن هشام ، إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جُهِد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غداً رجلا يحب اللهَ ورسولَه ، يفتح الله على يديه ، ليس بفرار . قال : يقول سلمة ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضوان الله عليه ، وهو أرمد ، فتفل فى عينه ، ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأنِحُ[1] يهرول هرولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره ، حتى ركز رايته فى رَضْم[2] من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن ، فقال: من أنت ؟ قال : أنا على بن أبى طالب . قال : يقول اليهودى : علوتم ، وما أُنزل على موسى، أو كما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبدالله بن الحسن ، عن أبى رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرجنا مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته ؛ فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود ، فطاح تُرسه من يده ، فتناول على عليه السلام باباً كان عند الحصن فترَّس به عن نفسه ، فلم يزل فى يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتُنى فى نفر سبعة معى : أنا ثامنهم ، نجهَدُ على أن نقلب ذلك الباب ، فما نقلبه .

حديث أبى اليَسَر : قال ابن إسحاق : وحدثنى بُرَيدة بن سيفان الأسلمى ، عن بعض رجال بنى سلمة عن أبى اليَسَر كعب بن عمرو ، قال والله إنا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشية ، إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ، ونحن محاصروهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَن رجل يطعمنا من هذا الغنم؟ قال أبو اليَسَر : فقلت أنا يارسول الله ؛ قال: فافعل ؛ قال : فخرجت أشتد مثل الظليم[3] ، فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا قال

(١) يأنح : يعلو صوته . (٢) الرضم : الحجارة المجتمعة . (٣) الظليم : ولد النعام .

اللهم أمتعنا به ؛ قال : فأدركت الغنم وقد دخلت أُولاها الحصن ، فأخذت شاتين من أُخراها ، فاحتضنتهما تحت يدى ، ثم أقبلت بهما أشتد ، كأنه ليس معى شىء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليَسَر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاكا ، فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ، ثم قال : أمتعوا بى ، لعَمْرى ، حتى كنت من آخرهم هُلْكا .

صفية رضى الله عنها ، قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القَمُوص ، حصن بنى أبى الحُقَيق ، أُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حُيَى بن أخطب ، وبأخرى معها ، فمر بهما على قتلى من قتلى يهود ؛ فلما رأتهم التى مع صفية صاحت ، وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها ؛ فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعزبوا [1] عنى هذه الشيطانة ، وأمر بصفية فحِيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه ؛ فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغنى : حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنُزعت منك الرحمة يا بلال ، حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفية قد رأت فى المنام وهى عروس بكنانة بن الربيع بن أبى الحُقَيق ، أن قمراً وقع فى حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ؛ فقال : ما هذا إلا أنك تمنَّيْن مَلِكَ الحجاز محمداً ، فلطم وجهها لطمة خَضر عينَها منها . فأُتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه ، فسألها ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

وأُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كَنز بنى النضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأُتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنى رأيت كنانة يُطيف بهذه الخَرِبة كل غداة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة : أرأيت إن وجدناه عندك ، أأقتلك ؟ قال : نعم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخَرِبة فحُفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقى ، فأبى أن يؤديه ، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزَند فى صدره ، حتى أشرف على نفسه ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مَسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

صلح خيبر : وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أهل خيبر فى حصنيهم الوَطيح والسُّلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهَلَكة ، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ، ففعل . وكان

---

(1) أعزبوا : أبعدوا .

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها : الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذينك الحصنين . فلما سمع بهم أهل فَدَك قد صنعوا ما صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يُسيّرهم ، وأن يحقن دماءهم ، ويُخلوا له الأموال ، ففعل . وكان فيمن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم فى ذلك مُحَيِّصة بن مسعود ، أخو بنى حارثة؛ فلما نزل أهل خيبر على ذلك ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم فى الأموال على النصف ، وقالوا : نحن أعلم بها منكم ؛ وأعمر لها ، فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ فصالحه أهل فدك على مثل ذلك ، فكانت خيبر فيئا بين المسلمين ، وكانت فَدَك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنهم لم يُجلبوا عليها بخيل ولا رِكاب .

قصة الشاة المسمومة : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث ، امرأة سَلاّم بن مِشكم ، شاة مَصْلِيَّة[1] ، وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذراع ؛ فأكثرت فيها من السّمّ ، ثم سمت سائر الشاة ، ثم جاءت بها : فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تناول الذراع ، فلاك منها مُضغة . فلم يُسغها ، ومعه بشر بن البَراء بن معرور ، قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأما بشر فأساغها ، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ، ثم دعا بها ، فاعترفت فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت : بلغتَ من قومى مالم يَخْفَ عليك ، فقلت : إن كان ملكا استرحت منه ، وإن كان نبيا فسيُخبر. قال : فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومات بشر من أكلته التى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مَرْوان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلّى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال فى مرضه الذى تُوُفِّىَ فيه . ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده : يا أم بشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى[2] من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر . قال . فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صل الله عليه وسلم مات شهيداً ، مع ما أكرمه الله به من النبوة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى القُرَى ، فحاصر أهله ليالى ، ثم انصرف راجعا إلى المدينة .

---

(١) مصلية : مسمومة .

(٢) الأبهر : عرق من عرقين يخرجان من القلب ومنهما تتشعب الشرايين كلها .

جزاء الغال من الغنيمة : قال ابن إسحاق : فحدثني ثور بن زيد ، عن سالم ، مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبي هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادي القرى نزلنا بها أصيلا مع مغرب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام له ، أهداه له رفاعة بن زيد الجذامي ، ثم الضبيني .

قال ابن هشام : جذام ، أخو لخم .

قال : فوالله إنه ليضع رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه سهم غَرْب[1] فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئا له الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، والذي نفس محمد بيده ؛ إن شملته الآن لتحترق عليه في النار ، كان غلها من فيء المسلمين يوم خيبر . قال : فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبت شراكين لنعلين لي ؛ قال : فقال : يُقد لك مثلهما من النار .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن عبد الله بن مغفل المزني ، قال : أصبت من فيء خيبر جراب شحم ، فاحتملته على عاتقي إلى رحلي وأصحابي . قال : فلقيني صاحب المغانم الذي جعل عليها ، فأخذ بناحيته وقال : هلم هذا نقسمه بين المسلمين ، قال : قلت : لا والله لا أعطيكه ، قال : فجعل يجابذني الجراب . قال : فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك . قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا ، ثم قال لصاحب المغانم : لا أبا لك ، خل بينه وَبَيْنَهُ » قال : فأرسله ، فانطلقت به إلى رحلي وأصحابي فأكلناه

حراسة أبي أيوب للرسول : قال ابن إسحاق : ولما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية ، بخيبر أو ببعض الطريق ، وكانت التي جملتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سُلَيم بنت ملحان ، أم أنس بن مالك . فبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبة له ، وبات أبو أيوب خالد بن زيد ، أخو بني النجار متوشحا سيفه ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويُطيف بالقبة ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يارسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة ، وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتُها عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم احفَظ أبا أيوب كما بات يحفظني .

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، عن سعيد

---

(١) سهم غرب : مجهول الرامي ، لا يعرف من أين أتى .

ابن المسيب ، قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فكان ببعض الطريق قال من آخر الليل : من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام ؟ قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك . فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلى ، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلى . ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفجر يرمقه ، فغلبته عينه ، فنام فلم يوقظهم إلا مس الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هبَّ ، فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ قال : يارسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ؛ قال : صدقت ؛ ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : « إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله تبارك وتعالى يقول : « أقم الصلاة لذكرى » .

شعر ابن لُقيم فى فتح خيبر : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، قد أعطى ابن لُقَيْم العَبسى ، حين افتتح خيبر ، ما بها من دَجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر فى صفر ، فقال ابن لقَيْم العَبسى فى خيبر :

رُميتْ نَطاةُ من الرسولِ بفَيلقٍ	شهباءَ ذاتِ مناكبٍ وفَقارِ[1]
واستيقنتْ بالذلِّ لما شُيِّعَتْ	ورجالُ أسلمَ وسْطَها وغِفار
صبَحَتْ بنى عمرو بنِ زُرعةَ غُدوةً	والشِّقُّ أظلم أهلُه بنهار[2]
جرَّت بأبطحِها الذيولُ فلم تدعْ	إلا الدجاجَ تصيحُ فى الأسحار
ولكلِّ حِصنٍ شاغلٌ من خيلِهم	من عبدِ أشهل أو بنى النجار
ومهاجرين قد اعلَموا سيماهُمُ	فوقَ المغافرِ لم يَنُوا لفِرار[3]
ولقد علمتُ ليغلِبنَّ محمدٌ	وليثوِيَنّ بها إلى أصْفار[4]
فرت يهودُ يوم ذلك فى الوغَى	تحت العَجاجِ غمائمَ الأبصار

قال ابن هشام : فرت : كشفت ، كما تفر الدابة بالكشف عن أسنانها ؛ يريد كشفت عن جفون العيون غمائم الأبصار ، يريد الأنصار .

---

(١) نطاة : حصن بخيبر . الشهباء : كثيرة العتاد : تلمع الأسلحة فيها كالشهب .

(٢) الشق : حصن بخيبر . (٣) المغافر : ما توضع على الرءوس وقاية لها من ضرب السلاح .

(٤) يثوين : يقيمن . وأصفار : جمع صفر وهو شهر من الشهور العربية .

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين ، فرضخ لهن[1] رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفيء ، ولم يضرب لهن بسهم .

قال ابن إسحاق : حدثنى سليمان بن سُحَيم ، عن أمية بن أبى الصلت ، عن امرأة من بنى غفار ، قد سماها لى ، قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة من بنى غفار ، فقلنا يارسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيبر ، فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال : على بركة الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حَدَثة ، فأردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حقيبة رحله . قالت : فوالله لنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح وأناخ ، ونزلت عن حقيبة رحله ، وإذا بها دم منى ، وكانت أول حَيْضة حضتها ، قالت : فتقبضت إلى الناقة واستحييت ؛ فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مابى ورأى الدم ، قال : مالك ؟ لعلك نُفِسْتِ ، قالت : قلت : نعم ، قال : فأصلحى من نفسك ، ثم خذى إناء من ماء ، فاطْرَحى فيه مِلحا ، ثم اغسلى به ماأصاب الحقيبة من الدم ثم عودى لمركبك .

قالت : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، رضخ لنا من الفيء ، وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنقى فأعطانيها ، وعلقها بيده فى عنقى ، فوالله لاتفارقنى أبدا .

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها . قالت : وكانت لاتطهر من حيضة إلا جعلت فى طهورها ملحا ، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت .

شهداء خيبر : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين ، من قريش . ثم من بنى أمية بن عبد شمس ، ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سَخْبَرة بن عمرو بن بكير بن عامر بن غُنم بن دودان بن أسد ، وثقيف بن عمرو ، ورفاعة بن مسروح .

ومن بنى أسد بن عبد العزى : عبدالله الهُبَيْب ، ويقال : ابن الهيب ، فيما قال ابن هشام ، ابن أُهَيْب بن سُحَيم بن غِيَرة ، من بنى سعد بن ليث ، حليف لبنى أسد ، وابن أختهم .

ومن الأنصار ثم من بنى سلمة : بشر بن البَراء بن معرور ، مات من الشاة التى سُم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفُضَيل بن النعمان . رجلان .

ومن بنى زُرَيْق : مسعود بن سعد بن قيس بن خَلَدة بن عامر بن زُرَيق .

---

(1) أرضخ لهن : أعطاهن قليلا أقل من السهم .

ومن الأوس ثم من بنى عبد الأشهل : محمود بن مَسْلمة بن خالد بن عدى بن مجدعة بن حارثة ابن الحارث ، حليف لهم من بنى حارثة .

ومن بنى عمرو بن عوف : أبو ضَيَّاح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثلعبة ابن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مرة بن سُراقة ، وأوس بن القائد ، وأُنيف بن حُبيب ، وثابت بن أَثْلة ، وطلحة [بن يحيى بن مليل بن ضمرة] .

ومن بنى غِفار : عُمارة بن عقبة ، رمى بسهم .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، والأسود الراعى ، وكان اسمه أسلم .

قال ابن هشام : الأسود الراعى من أهل خيبر .

وممن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهرى ، من بنى زُهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة .

ومن الأنصار من بنى عمرو بن عوف : أَوْسُ بن قَتَادة

حديث الأسود الراعى فى خيبر : قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعى، فيما بلغنى : أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له ، كان فيها أجيراً لرجل من يهود ، فقال : يارسول الله ، اعرض على الإسلام ، فعرضه عليه ، فأسلم - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقِر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه - فلما أسلم قال : يارسول الله ، إنى كنت أجيرا لصاحب هذه الغنم ، وهى أمانة عندى ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب فى وجوهها ، فإنها سترجع إلى ربها - أو كما قال - فقال الأسود ، فأخذ حفنة من الحصى ، فرمى بها فى وجوهها ، وقال : ارجعى إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك أبداً ، فخرجت مجتمعة ، كأن سائقا يسوقها حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قط ؛ فأُتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوُضع خلفه ، وسُجّى بشَمْلة كانت عليه فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه نفر من أصحابه ، ثم أعرض عنه ، فقالوا : يارسول الله ، لم أعرضت عنه؟ قال : إن معه الآن زوجته من الحور العين .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عبد الله بن أبى نجيح أنه ذكر له : أن الشهيدَ إذا ما أصيب تدلت له زوجتاه من الحور العين ، عليه تنفضان التراب عن وجهه ، وتقولان : ترّب الله وجهَ من ترّبك ، وقتَل من قتلك .

حديث الحجاج بن عِلاط السلمى : قال ابن إسحاق : ولما فتحت خيبر ، كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحجاج بن عِلَاط السُّلَمى ثم البَهْزِى ، فقال يارسول الله ، إن لى بمكة مالا عند صاحبتى أم شَيْبة بنت أبى طلحة — وكانت عنده ، له منها مُعْرِض بن الحجاج ، ومال متفرق فى تجار أهل مكة ، فأذن لى يارسول الله ؛ فأذن له ، قال: إنه لابد لى يارسول الله من أن أقول ؛ قال : قل . قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بِثَنِيَّةِ البيضاء رجالا من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ، ريفا ومَنْعة ورجالا ، فهم يتحسسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأونى قالوا : الحجاج بن عِلَاط — قال : ولم يكونوا علموا بإسلامى — عنده والله الخبر — أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهى بلد يهود وريف الحجاز ، قال قلت : قد بلغنى ذلك وعندى من الخبر ما يسركم ، قال : فالتبطوا بجنبْى ناقتى [1] يقولون : إيه ياحجاج ؛ قال ؛ قلت : هُزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا: لانقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يُقدَم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال: قلت :أعينونى على جمع مالى بمكة وعلى غرمائى ، فإنى أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من فَلِّ [2] محمد وأصحابه قبل أن يسبقنى التجار إلى ما هنالك .

قال ابن هشام : ويقال : من فىء محمد .

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لى مالى كأحَثِّ [3] جمع سمعت به قال : وجئت صاحبتى فقلت : مالى ، وقد كان لى عندها مال موضوع ، لعلى ألحق بخيبر ، فأصيب من فُرَص البيع قبل أن يسبقنى التجار ؛ قال فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عنى ، أقبل حتى وقف إلى جنبى وأنا فى خيمة من خيام التجار ، فقال : ياحجاج ، ما هذا الخبر الذى جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال: نعم . قال: قلت: فاستأخر عنى حتى ألقاك على خَلاء ، فإنى فى جمع مالى كما ترى ، فانصرف عنى حتى أفرغ . قال : حتى إذا فرَغتُ من جمع كل شىء كان لى بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ

---

(١) التبطوا : ساروا ملازمين لها . (٢) الفل : المنهزمون .
(٣) كأحث : كأسرع .

علىّ حديثى يا أبا الفضل ، فإنى أخشى الطلب ثلاثا ، ثم قل ما شئت ، قال . افعل ؛ قلت : فإنى والله لقد تركت ابن أخيك عروسا على بنت ملكهم . يعنى صفية بنت حُيَىّ ، ولقد افتتح خيبر ، وانتثل [1] ما فيها ، وصارت له ولأصحابه ؛ فقال . ما تقول ياحجاج ؟ قال . قلت . إى والله فاكتم عنى ، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالى ، فرقا من أغلب عليه ، فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو والله على ما تحب ، قال . حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس حلة له وتخلّق [2] ، وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة، فطاف بها ، فلما رأوه قالوا . ياأباالفضل هذا والله التجلد لحر المصيبة ؛ قال . كلا ، والله الذى حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبر وتُرك عروسا على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه ؛ قالوا . من جاءك بهذا الخبر ؟ قال . الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلما ، فأخذ ماله ، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه ، فيكون معه ؛ قالوا . ياالعباد الله ! انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ؛ قال . ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك .

ماقيل من الشعر فى خيبر : قال ابن إسحاق . وكان مما قيل من الشعر فى يوم خيبر قول حسان بن ثابت :

بئسما قاتلتْ خيابرُ [3] عما	جمّعوا من مزارعٍ ونخيلِ
كرِهوا الموتَ فاستبيح حِمَاهم	وأقروا فعلَ اللئيمِ الذليل
أمنَ الموتِ يهربون فإن المو	تَ موتُ الُهزالِ غيرُ جميل

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، وهو يعذر أيمن بن رأم أيمن بن عبيد ، كان قد تخلف عن خيبر ، وهو من بنى عوف بن الخزرج ، وكانت أمه أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى أم أسامة بن زيد ، فكان أخا أسامة لأمه :

على حين أن قالتْ لأيمن أمُّهُ	جَبُنتَ ولم تشهدْ فوارسَ خيبرِ

---

(١) انتثل . استخرج .
(٢) تخلق . تطيب بالخلوق وهو أنواع من الطيب يغلب عليها الزعفران .
(٣) الخيابر : أهل خيبر .

وأيمنُ لم يَجبُنْ ولكن مُهرَه أضرّ به شُربُ المديدِ المُخمَّرِ [1]
ولولا الذى قد كان من شأنِ مُهرِه لقاتلَ فيهمْ فارسا غيرَ أعسَر
ولكنه قد صدّه فعلُ مهرِه وما كان منه عنده غيرُ أيسر

قال ابن هشام: أنشدنى أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك، وأنشدنى:

ولكنه قد صده شأنُ مهرِه وما كان لولا ذاكمُ بمقصِّرِ

قال ابن إسحاق: وقال ناجية بن جُندَب الأسلمى:

يالَعبادِ الله فيم يُرْغَبُ ما هوَ إلا مأكلٌ ومشربُ
وجَنةٌ فيها نعيم مُعجِبُ

وقال ناجية بن جُندَب الأسلمى أيضاً:

أنا لمن أنكرنى ابنُ جُندَبِ يارُبَّ قِرنٍ فى مَكَرِّى أنكبِ
طاحَ بمَغْدَى أنسُرٍ وثعلبِ

قال ابن هشام: وأنشدنى بعض الرواة للشعر قوله: «فى مكرى»، و«طاح بمغدى».

وقال كعب بن مالك فى يوم خيبر، فيما ذكر ابن هشام، عن أبى زيد الأنصارى:

ونحن وردنا خيبراً وفُروضَه بكلّ فتًى عارِى الأشاجعِ مِذْوَدِ [2]
جوادٍ لدَى الغاياتِ لاواهنِ القوَى جرىءٍ على الأعداءِ فى كلِّ مَشهدِ
عظيمِ رَمادِ القِدرِ فى كلِّ شَتوةٍ ضروبٍ بنصلِ المشرَفىِّ المهند
يرى القتلَ مدحا إن أصاب شهادةً من اللهِ يرجوها وفوزا بأحمدِ
يذودُ ويحمى عن ذِمارِ محمدٍ ويدفعُ عنه باللسانِ وباليد
وينصرُه من كلِّ أمرٍ يَرِيبُه يجود بنفسٍ دونَ نفسِ محمد
يُصدِّقُ بالأنباءِ بالغيبِ مُخلِصا يريدُ بذاكَ الفوزَ والعزَّ فى غدِ

تقسيم خيبر وأموالها: قال ابن إسحاق: وكانت المقاسم على أموال خيبر، على الشّق ونَطاة والكتيبة فكانت الشق ونطاة فى سُهمان المسلمين، وكانت الكتيبة خمس الله، وسهم

---

(١) المديد المخمر: دقيق يخلط بالماء ويترك حتى يخمر.

(٢) الفروض: أماكن فى الأنهار يشرب منها. الأشاجع: عروق ظاهر اليد. مذود: مانع.

النبي صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطُعْم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وطُعْم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أهل فَدَك بالصلح : منهم مُحَيِّصة بن مسعود ، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين وَسْقا [1] من شعير ، وثلاثين وَسْقا من تمر ، وقسمت خيبر على أهل الحديبية ، من شهد خيبر ، ومن غاب عنها ، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حَرام ، فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضرها ، وكان وَادِيَاها ، وادى السُّرَيْرة ، ووادى خاص [2] ، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر ، وكانت نَطاة والشق ثمانية عشر سهما ، نَطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشِّقُّ ثلاثة عشر سهما ، وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم ، وثمانمائة سهم .

وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمانمائة سهم ، برجالهم وخيلهم . الرجال أربع عشرة مئة ، والخيل مئتا فارس ، فكان لكل فرس سهمان ، ولفارسه سهم ، وكان لكل راجل سهم ؛ فكان لكل سهم رأسٌ جُمِع إليه مئة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهما جُمع .

قال ابن هشام : وفى يوم خيبر عَرَّب رسول الله صلى الله عليه وسلم العربى من الخيل ، وهجَّن الهجين .

قال ابن إسحاق : فكان على بن أبي طالب رأسا ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى ، أخو بنى العجلان ، وأُسَيد ابن حُضَير ، وسهم الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة ، وسهم بنى عبيد ، وسهم بنى حرام من بنى سلمة ، وعُبَيد السّهام .

قال ابن هشام : وإنما قيل له عبيد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر ، وهو عبيد بن أوس ، أحد بنى حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

قال ابن إسحاق وسهم ساعدة ، وسهم غِفَار وأسلم ، وسهم النجار وسهم حارثة ، وسهم أوس . فكان أول سهم خرج من خيبر بنَطاة سهم الزبير بن العوام ، وهو الخَوْع ، وتابعه السُّرَيْر ،

---

(1) الوسق : يريد به هنا إما حمل البعير أو ستين صاعا . ومن معانيه أيضا حمل النخلة وليس مراد هنا .

(2) قال السهيلى فى الروض الأنف : أنه وادى خلص .

ثم كان الثانى سهم بياضة، ثم كان الثالث سهم أسيد ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج، ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف بن الخزرج ومزينه وشركائهم، وفيه قتل محمود بن مسلمة، فهذه نطاة.

ثم هبطوا إلى الشقّ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى، أخى بنى العجلان، ومعه كان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف، ثم سهم ساعدة، ثم سهم النجار، ثم سهم على بن أبى طالب رضوان الله عليه، ثم سهم طلحة بن عُبيد الله، ثم سهم غفار وأسلم، ثم سهم عمر بن الخطاب، ثم سهم سلمة بن عبيد وبنى حرام، ثم سهم حارثة، ثم سهم عُبيد السهام، ثم سهم أوس، وهو سهم اللفيف، جمعت إليه جُهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب؛ وكان حذوه سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدى.

ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة، وهى وادى خاص [1]، بين قرابته وبين نسائه، وبين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مئتى وسق، ولعلى بن أبى طالب مئة وسق، ولأسامة بن زيد مئتى وسق، وخمسين وسقا من نوى، ولعائشة أم المؤمنين مئتى وسق، ولأبى بكر بن أبى قحافة مئة وسق، ولعقيل بن أبى طالب مئة وسق وأربعين وسقا، ولبنى جعفر خمسين وسقا. ولربيعة بن الحارث مئة وسق، وللصَّلت بن مخرمة وابنيه مئة وسق، للصلت منها أربعون وسقا ولأبى نَبِقة [2] خمسين وسقا، ولرُكانة بن عبد يزيد خمسين وسقا، ولقيس بن مَخرمة ثلاثين وسقا، ولأبى القاسم بن مَخْرمة أربعين وسقا، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنة الحصين بن الحارث مئة وسق، ولبنى عبيد بن عبد يزيد ستين وسقا، ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقا. ولمسطَح بن أثاثة وابن إلياس خمسين وسقا، ولأم رُمَيثة أربعين وسقا، ولنُعَيم بن هند ثلاثين وسقا، ولبُحَينة بنت الحارث

(١) قال السهيلى فى الروض الأنف: وادى خلص.

(٢) هو علقمة بن المطلب، ويقال: عبد الله بن علقمة، وقال أبو عمر: هو مجهول، وقال ابن الفرضى: أبو نبقة بن المطلب بن عبد مناف، واسم أبى نبقة: عبد الله، ومن ولده محمد ابن العلاء بن الحسين بن عبد الله بن أبى نبقة، ومن ولده: أبو الحسين المطلبى إمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يحى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين ابن العلاء بن المغيرة بن أبى نبقة بن المطلب بن عبد مناف.

ثلاثين وسقا ، ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقا ، ولأم الحكم (١) ثلاثين وسقا ، ولجمانة بنت أبى طالب ثلاثين وسقا ، ولابن الأرقم خمسين وسقا ، ولعبد الرحمن بن أبى بكر أربعين وسقا ، ولحمنة بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولأم الزبير أربعين وسقا ، ولضُباعة بنت الزبير أربعين وسقا ، ولابن أبى خنيس ثلاثين وسقا ، ولأم طالب أربعين وسقا ، ولأبى بَصْرَة عشرين وسقا ، ولنُميلة الكلبى خمسين وسقا ، ولعبد الله بن وهب وابنتيه تسعين وسقا ، لابنيه منها أربعين وسقا ، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقا ، ولملكو بن عبدة ثلاثين وسقا ، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبع مئة وسق .

قال ابن هشام : قمح وشعير وتمر ونوى وغير ذلك ، قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى عبد المطلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم
ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم نساءه من قمح خيبر

قسم لهن مئة وَسْق وثمانين وَسقا ، ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وسقا ، ولأسامة بن زيد أربعين وسقا ، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقا ، ولأم رُمَيثة خمسة أوسق . شهد عثمان بن عفان ، وعباس وكتب .

وصية الرسول عند موته : قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال : لم يوص رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بثلاث ، أوصى للرَّهاويين بجاد مئة وسق من خيبر ، وللداريين بجادّ مئة وَسْق ، من خيبر ، وللسبائيين ، وللأشعريين بجادّ مئة وسق من خيبر ، وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة ؛ وألا يُترك بجزيرة العرب دينان .

خيبر فَدَك : قال ابن اسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قذف الله الرعب فى قلوب أهل فَدَك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحونه على النصف من فدك ، فقَدِمَت عليه رسلهم بخيبر ؛ أو بالطائف ، أو بعد ما قدم المدينة ، فقبل ذلك منهم ؛ فكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب .

---

(١) الصحيح أنها أم حكيم وهى بنت الزبير بن عبد المطلب أخت ضباعة ، وكانت تحت ربيعة ابن الحارث ، وأما أم الحكم فهى بنت أبى سفيان . وهى من مسلمة الفتح . ولولا ذلك لقلت إن ابن إسحاق إياها أراد ، لكنها لم تشهد خيبر ولا كانت أسلمت بعد .

تسمية النفر الداريين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر

وهم بنو الدار بن هانىء بن حبيب بن نمارة بن لخم ، الذين ساروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام : تميم بن أوس ونُعيم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعَرْفة بن مالك ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن .

— قال ابن هشام : ويقال : عزة بن مالك : وأخوه مُرّان بن مالك .

قال ابن هشام : مَرْوان بن مالك .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن نُعمان ، وجَبَلَة بن مالك ، وأبو هند بن بر ، وأخوه الطيب بن بر ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصا[1] بين المسلمين ويهود ، فيخرص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ، قال : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السموات والأرض .

وإنما خَرَص عليهم عبد الله بن رواحة عاما واحداً ، ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله ، فكان جبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى سلمة ، هو الذى يَخْرُصُ عليهم بعد عبد الله ابن رواحة .

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأسا فى معاملتهم ، حتى عَدَوْا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل ، أخى بنى حارثة ، فقتلوه ، فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزهرى عن سهل بن أبى حَثْمة ، وحدثنى أيضا بشير بن يسار ، مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبى حَثْمة ، قال : أصيب عبد الله بن سهل بخيبر ، وكان خرج إليها فى أصحاب له يمتار منها تمراً ، فوُجد فى عين قد كُسرت عنقه ، ثم طُرح فيها ؛ قال : فأخذوه فغيبوه ، ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا له شأنه ، فتقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمه حُوَيِّصَة ومُحَيِّصَة ابنا مسعود ،

---

(1) الخارص : الذى يقدر الشىء نظرا بلا وزن ولا كيل ، من الخرص : وهو الظن .

وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنا ، وكان صاحب الدم ، وكان ذا قدم فى القوم ، فلما تكلم قبل ابنى عمه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكُبْرَ الكُبْرَ .

قال ابن هشام : ويقال : كَبِّرْ كَبِّرْ — فيما ذكر مالك بن أنس — فسكت ، فتكلم هو بعد ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل صاحبهم : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتسمُّون قاتلكم ، ثم تحلفون عليه خمسين يمينا فنسلّمه إليكم ؟ قالوا : يارسول الله ، ما كنا لنحلف على مالا نعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يمينا ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يبرءون من دمه ؟ قالوا يارسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، مافيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم . قال : فوداه [١] رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده مائة ناقة .

قال سهل : فوالله ما أنسى بَكْرَة منها حمراء ضربتنى وأنا أحوزها .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، عن عبد الرحمن بن بُجَيْد بن قَيْظِىّ ، أخى بنى حارثة ، قال محمد بن إبراهيم : وايم الله ، ما كان سهل بأكثر علما منه ، ولكنه كان أسن منه ، إنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلا أوهم ، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، احلفوا على مالا علم لكم به ، ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار إنه قد وجد قتيل بين أبياتكم فَدُوه ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ماقتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا ، فَوَدَاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عَمرو بن شُعَيب مثل حديث عبد الرحمن بن بُجَيد ، إلا أنه قال فى حديثه : دوه أو ائذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ، فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

عمر يجلى يهود خيبر : قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهرى : كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نخلهم ، حين أعطاهم النخل على خَرْجها ، أبتّ ذلك لهم حتى قُبض ، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟ .

فأخبرنى ابن شهاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عَنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خمّسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول

---

(١) وداه : أعطاه ديته .

الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأقركم ما أقركم الله ، فقبلوا ، فكانوا يعملونها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة ، فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم فى الخرْص ، فلما توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، أقرها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، على المعاملة التى عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تُوفى ؛ ثم أقرها عمر رضى الله عنه صَدرا من إمارته . ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى وجعه الذى قبضه الله فيه : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ؛ ففحص عمر ذلك ، حتى بلغه الثَّبْت ، فأرسل إلى يهود ، فقال إن الله عز وجل قد أذن فى جلائكم ، قد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ، فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتنى به ، أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود ، فليتجهز للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خرجت أنا والزبير والمقداد بن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا ، قال : فعُدِىَ علىَّ تحت الليل ، وأنا نائم على فراشى ، ففُدِعتْ [1] يداى من مَرْفِقَىَّ ، فلما أصبحت استُصرِخ علىَّ صاحباىَ ، فأتيانى فسألانى : من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ؛ قال : فأصلحا من يَدَىَّ ، ثم قدما بى على عمر رضى الله عنه ؛ فقال : هذا عمل يهود ، ثم قام فى الناس خطيبا فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عَدَوْا على عبد الله بن عمر ففدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عَدْوِهم على الأنصارى قبله ، لا نشك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به ، فإنى مخرج يهود فأخرجهم .

عمر يقسم وادى القرى : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن مُكْنِف ، أخى بنى حارثة ، قال : لما أخرج عمر يهودَ من خيبر ركب فى المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جَبار بن صخر بن أمية بن خنساء ، أخو بنى سلمة ، وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم — ويزيد بن ثابت ، وهما قسَّما خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السُّهمان التى كانت عليها .

(١) الفدع : اعوجاج فى المفاصل ، كأنها أزيلت عن أماكنها .

وكان ما قسم عمر بن الخطاب من وادى القرى ، لعثمان بن عفان خَطَر ، ولعبد الرحمن بن عوف خَطَر ، ولعمر بن أبى سلمة خطر ، ولعامر بن أبى ربيعة خطر ، ولعمرو بن سُراقة خطر ولأشيَم خطر .

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خطر ، ولمُعَيقيب خطر ، ولعبد الله بن الأرقم خطر ، ولعبد الله وعبيد الله خطران ، ولابن عبد الله بن جحش خطر ، ولابن البُكَير خطر ، ولمعتمر خطر ، ولزيد بن ثابت خطر ، ولأبى بن كعب خطر ، ولمعاذ بن عفراء خطر ، ولأبى طلحة وحسن خطر ، ولجبّار بن صخر خطر ، ولجابر بن عبد الله بن رئاب خطر ، ولمالك بن صعصعة وجابر بن عبد الله بن عمرو خطر ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خطر ، ولعبادة ابن طارق خطر .

قال ابن هشام : ويقال : لقتادة .

قال ابن إسحاق : ولجبر بن عَتِيك نصف خطر ، ولابنى الحارث بن قيس نصف خطر ، ولابن حَزَمة والضحاك خطر ، فهذا ما بلغنا من أمر خيبر ووادى القرى ومقاسمها .

قال ابن هشام : الخطر : النصيب . ويقال أخطر لى فلان خطراً .

قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة

والمهاجرين معه

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عُيَينة عن الأجلح ، عن الشعبى : أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه (١) ، والتزمه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أُسَرُّ : بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر ؟ .

---

(١) احتج بهذا الحديث الثورى على مالك بن أنس فى جواز المعانقة ، وذهب مالك إلى أنه مخصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وما ذهب إليه سفيان من حمل الحديث على عمومه أظهر ، وقد التزم النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، حين قدم عليه من مكة . وأما المصافحة باليد عند السلام ففيها أحاديث منها قوله عليه السلام : تمام تحيتكم المصافحة ، ومنها حديث آخر أن أهل اليمن حين قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبى صلى الله عليه =

قال ابن إسحاق : وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشي عمرو بن أمية الضمرى ، فحملهم فى سفينتين ، فقدم بهم عليه وهو بخيبر بعد الحديبية .

من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب ، معه امرأته أسماء بنت عُمَيْس الخثعمية ؛ وابنه عبد الله بن جعفر، وكانت ولدته بأرض الحبشة . قتل جعفر بمؤتة من أرض الشام أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجل .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أُمينة بنت خلف بن أسعد — قال ابن هشام : ويقال : هُمَينة بنت خلف — وابناه سعيد بن خالد ، وأَمَة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة . قتل خالد بمرج الصُّفَّر فى خلافة أبى بكر الصديق بأرض الشام ؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان ابن أمية بن مُحَرِّث الكنانى ، هلكت بأرض الحبشة . قتل عمرو بأجنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن العاص بن أمية أبو أُحَيْحة :

ألا ليت شِعرى عنك يا عمرُو سائلا ... إذا شبَّ واشتدتْ يداه وسُلِّحَا
أتتركُ أمرَ القومِ فيه بلابلٌ ... تُكَشِّفُ غيظا كان فى الصدرِ مُوجَحا[1]

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص ، حين أسلما ، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظُّرَيبَة ، من ناحية الطائف ، هلك فى مال له بها :

ألا ليت مَيْتا بالظُّرَيْبَةِ شاهدٌ ... لما يَفترِى فى الدينِ عمرٌو وخالدُ
أطاعا بنا أمرَ النساءِ فأصبحا ... يُعينان من أعدائنا من نكايد

فأجابه خالد بن سعيد ، فقال :

أخى ما أخى لا شاتمٌ أنا عِرضَه ... ولا هو من سوءِ المقالةِ مُقْصِر

= وسلم: إن أهل اليمن قدسنوا لكم المصافحة، وحديث آخر معناه تنزل على المتصافحين مائة رحمة تسعون منها للبادىء . وعن مالك فيها روايتان : الإباحة والكراهة ، ولا أدرى بما وجه الكراهية فى ذلك .. عن السهيلى فى الروض الأنف .

(١) البلابل : الاضطراب موجحا : مستورا .

يقول إذا اشتدت عليه أمــوره ألا ليت مَيْتا بالظُّرَيْبــة يُنشَرُ

فدع عنك مَيْتا قــد مشى لسبيله وأقبلْ على الأدنَى الذى هو أفقَرُ

ومُعَيْقِيب بن أبى فاطمة، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد ابن العاص؛ وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس، حليف آل عتبة بن ربيعة بن عبد شمس، أربعة نفر.

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى: الأسود بن نَوفل بن خُوَيلد. رجل.

ومن بنى عبد الدار بن قصى: جَهْم بن قيس بن عبد شُرَحبيل، معه ابناه عمرو بن جَهم، وخزيمة بن جهم، وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة، وابناه لها. رجل.

ومن بنى زُهرة بن كلاب: عامر بن أبى وقاص، وعُتبة بن مسعود، حليف لهم من هُذَيل. رجلان.

ومن بنى تَيْم بن مرة بن كعب: الحارث بن خالد بن صخر، وقد كانت معه امرأته رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيلة، هلكت بأرض الحبشة. رجل.

ومن بنى جُمَح بن عمرو بن هُصَيص بن كعب: عثمان بن ربيعة بن أُهْبان. رجل.

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب، مَحْمِيَة بن الجَزْء، حليف لهم من بنى زُبَيد، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعله على خُمُس المسلمين. رجل.

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى: مَعْمَر بن عبد الله بن نَضْلة. رجل.

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب: أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، ومالك بن ربيعة ابن قَيس بن عبد شمس، معه امرأته عَمرة بنت السعدى بن وَقدان بن عبد شمس. رجلان.

ومن بنى الحارث بن فِهر بن مالك: الحارث بن عبد قيس بن لَقيط. رجل. وقد كان حمل معهم فى السفينتين نساء من نساء من هلك هنالك من المسلمين.

فهؤلاء الذين حمل النجاشى مع عمرو بن أمية الضمرى فى السفينتين، فجميع من قدم فى السفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر رجلا.

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة، ولم يقدم إلا بعد بدر، ولم يحمل النجاشى فى السفينتين

إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك بأرض الحبشة ، من مهاجرة الحبشة :

من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عُبيد الله بن جَحْش بن رئاب الأسدى ، أسد خُزيمة ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وكان اسمها رَملة خرج مع المسلمين مهاجرا ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر بها وفارق الإسلام ، ومات هنالك نصرانيا ، فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، قال : خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلما ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر ، قال : فكان إذا مر بالمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فَقَّحنا وصَأْصَأتم ، أى قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلا : أى أنا قد فتحنا أعيننا فأبصرنا ، ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا ، وأنتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق : وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خُزيمة ، وهو أبو أمية بنت قيس التى كانت مع أم حبيبة ؛ وامرأته بَرَكة بنت يسار ، مولاة أبى سفيان بن حرب كانتا ظِئْرَىْ (١) عبيد الله بن جحش ؛ وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العُزّى بن قصى : يزيد بن زَمْعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قتل يوم حنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً ؛ وعمرو بن أمية بن الحارث بن أسد ، هلك بأرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ؛ وفِرَاس بن النضر بن الحارث بن كَلَدَة بن علقَمة بن عبد مناف بن عبد الدار رجلان .

ومن بنى زهرة بن كلاب بن مرة : المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن

(١) الظئر : من ترضع غير ولدها .

زُهرة ، معه امرأته رَمْلة بنت أبى عوف بن ضُبَيْرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، هلك بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عبد الله بن عبد المطلب ، فكان يقال : إن كان لأول رجل ورث أباه فى الإسلام . رجل .

ومن بنى تَيْم بن مرة بن كعب بن لؤى : عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، قتل بالقادسية مع سعد بن أبى وقاص . رجل .

ومن بنى مخزوم بن يَقظة بن مرة بن كعب : هَبّار بن سفيان بن عبد الأسد ، قتل بأجنادين من أرض الشام ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، قتل عام اليرموك بالشام ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يُشك فيه أقتل ثَم أم لا ؟ وهشام [1] بن أبى حذيفة بن المغيرة ، ثلاثة نفر .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المجلل . هلك مسلما ، فقدمت امرأته وابناه ، وهى أمهما ، فى إحدى السفينتين ؛ وأخوه حَطّاب بن الحارث ، معه امرأته فُكَيْهة بنت يسار ، هلك هناك مسلما ، فقدمت امرأته فُكَيْهة فى إحدى السفينتين ، وسفيان بن معمر بن حبيب ، وابناه جُنَادة وجابر وأمهما حَسَنة ، وأخوهما لأمهما شُرَحْبيل ابن حسنة ؛ وهلك سفيان وهلك ابناه جُنَادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ستة نفر .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قَيس بن عدى بن سعد [2] بن سهم الشاعر ، هلك بأرض الحبشة ، وقيس بن حُذَافة بن قيس بن عدى بن سعد

---

(١) هشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم ، واسم أبى حذيفة مهشم ، وذكر الواقدى هشاماً . هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قيل فيه : هاشم ، ولم يذكره موسى بن عقبة ، ولا أبو معشر فى القادمين من الحبشة .

(٢) وقد ذكرت بعض النسخ هنا وفيما سيأتى : « سعيد » وهو تحريف . قال السهيلى فى الروض الأنف : « وحيثما تكرر نسب بنى عدى بن سعد بن سهم يقول فيه ابن إسحاق « سعيد » والناس على خلافه ، إنما هو سعد وإنما سعيد بن سهم أخو سعد ، وهو جد آل عمرو ابن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ؛ وفى سهم سعيد آخر وهو ابن سعيد المذكور ».

ابن سهم ؛ وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم، قُتل يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه، وعبدالله بن حذافة بن قيس بن سعد بن سهم، وهو رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى؛ والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى؛ ومَعمر بن الحارث بن قيس بن عدى؛ وبشر بن الحارث بن قيس بن عدى؛ وأخ له من أمه من بنى تميم، يقال له سعيد بن عمرو، قتل بأجنادين فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه؛ وسعيد ابن الحارث بن قيس، قتل عام اليرموك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه؛ والسائب ابن الحارث بن قيس، جرح بالطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقتل يوم فحل [١] فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ويقال: قتل يوم خيبر، يُشك فيه، وعُمير بن رئاب ابن حذيفة بن مهشم بن سعد بن سهم، قتل بعين التمر مع خالد بن الوليد، منصرفه من اليمامة، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه. أحد عشر رجلا.

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى: عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب، هلك بأرض الحبشة؛ وعدىّ بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان، هلك بأرض الحبشة. رجلان.

وقد كان مع عدى ابنه النعمان بن عدى، فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب، فاستعمله على ميسان، من أرض البَصرة، فقال أبياتا من شعر، وهى:

ألا هل أتى الحسناءَ أن حليلَها ... بِمَيْسانَ يُسْقَى فى زجاجٍ وحَنْتَمِ [٢]
إذا شئتُ غنّتنى دهاقينُ قريةٍ ... ورقّاصةٌ تجذو على كلّ مَنْسِمِ [٣]
فإن كنتَ ندمانى فبالأكبرِ اسقنى ... ولا تسقِنى بالأصغرِ المتثلِّمِ
لعلّ أميرَ المؤمنين يسوءُه ... تنادُمُنا فى الجَوْسَقِ المتهدِّمِ [٤]

فلما بلغت أبياته عمر، قال: نعم والله، إن ذلك ليسوءنى، فمن لقيه فليخبره أنى قد عزلته،

---

(١) فحل: موضع بالشام: كانت فيه وقعة للمسلمين مع الروم.

(٢) الحنتم: جرار مصبوغة بخضرة.

(٣) الدهاقين: رؤساء الأقاليم. تجذو: تبرك على ركبتيها. والمنسم: فى الأصل طرف خف البعير. فاستعاره هنا لطرف قدمها.

(٤) الجوسق: الحصن.

وعزله . فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال . والله ياأمير المؤمنين ، ماصنعت شيئا مما بلغك أنى قلته قط ، ولكنى كنت امرأ شاعراً ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء :فقال له عمر : وايم الله ، لا تعمل لى على عمل ما بقيتُ ، وقد قلتَ ماقلتَ .

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر : سَليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد وُدّ بن نصر ابن مالك بن حِسْل بن عامر . وهو كان رسولَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم إلى هَوْذَة بن على الحنفى باليمامة . رجل .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن غَنْم بن زهير بن أبى شداد ؛ وسعد بن عبد قيس بن لَقيط بن عامر بن أمية بن الحارث بن فِهر ، وعِيَاض بن زهير بن أبى شداد . ثلاثة نفر .

فجميع من تخلف عن بدر ، ولم يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السفينتين ، أربعة وثلاثون رجلا .

الهالكون منهم : وهذه تسمية من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عُبَيد الله بن جحش بن رئاب حليف بنى أمية ، مات نصرانيا .

ومن بنى أسد بن عبد العُزى بن قصى : عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد .

ومن بنى جُمَح : حاطب بن الحارث ؛ وأخوه حَطّاب بن الحارث .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هُصَيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عروة بن عبد العزى بن حُرْثان بن عوف ، وعدى بن نضلة . سبعة نفر

ومن أبنائهم ، من بنى تَيْم بن مرة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر . رجل .

مهاجرات الحبشة : وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ست عشرة امرأة ، سوى بناتهن اللاتى ولدن هنالك ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ، ومن خرج به معهن حين خرجن :

من قريش ، من بنى هاشم : رُقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى أمية : أم حبيبة بنت أبى سفيان ، مع ابنتها حبيبة ، خرجت بها من مكة ، ورجعت بها معها .

ومن بنى مخزوم : أم سلمة بنت أمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سلمة ولدتها هنالك.

ومن بنى تيم بن مرة : رَيْطة بنت الحارث بن جُبَيْلة ، هلكت بالطريق وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك : عائشة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث ، هلكن جميعاً ، وأخوهن موسى بن الحارث ، من ماء شربوه فى الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرها ، يقال لها فاطمة .

ومن بنى سهم بن عمرو : رَمْلة بنت أبى عوف بن ضُبَيْرة .

ومن بنى عدى بن كعب : ليلى بنت أبى حَثْمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤى : سَوْدَة بنت زَمْعة بن قيس ؛ وسهلة بنت سهيل بن عمرو ، وابنة المجلل ، وعمرة بنت السَّعْدى بن وقدان ، وأم كلثوم بنت سُهيل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عُمَيس بن النعمان الخثعمية ، وفاطمة بنت صفوان بن أمية ابن مُحَرِّث الكنانية ، وفُكَيْهة بنت يسار ، وبركة بنت يسار ، وحَسنة ، أم شُرَحبيل بن حسنة .

من ولد من أبنائهم بالحبشة : وهذه تسمية من ولد من أبنائهم بأرض الحبشة .

من بنى عبد شمس : محمد بن أبى حُذَيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أَمَة بنت خالد.

ومن بنى مخزوم : زينب بنت أبى سلمة بن الأسد .

ومن بنى زُهرة : عبدالله بن المطلب بن أزهر .

ومن بنى تَيْم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبى حذيفة ، وسعيد بن خالد ، وعبدالله ابن عبد المطلب ، وموسى بن الحارث .

ومن النساء خمس : أَمَة بنت خالد ، وزينب بنت أبى سلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد بن صخر .

[تم بعون الله وحسن توفيقه الجزء الثالث من سيرة
ابن هشام ويليه الجزء الرابع نرجو من الله أن يعين على تمامه]

فهرست الجزء الثالث

من سيرة ابن هشام

السِّيرَةُ النَّبَوِيَّةُ ﷺ

لابن هشام

أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافرى

المتوفى بمصر سنة ٢١٣ هجرية

قدم لها وعلق عليها وضبطها

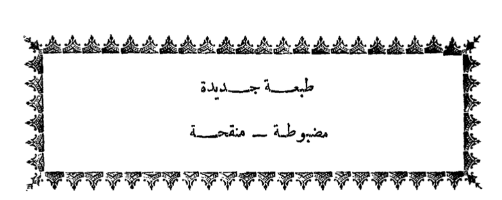
طه عبد الرءوف سعد

الجزء الرابع

الناشر

مكتبة الكليات الأزهرية

٩ ش الصنادقية - الأزهر


طبعـــة جـــديدة

مضبوطـة ـــ منقحـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

عمرة القضاء

فى ذى القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهرى ربيع وجمادين ورجبا وشعبان [وشهر] رمضان وشوالا ، يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم . ثم خرج فى ذى القعدة فى الشهر الذى صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء ، مكان عمرته التى صدوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عُوَيْف بن الأضبط الديلى .

ويقال لها عمرة القصاص (١) ، لأنهم صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة فى الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة ، فى الشهر الحرام الذى صدوه فيه ، من سنة سبع .

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله فى ذلك : « والحرماتُ قِصاصٌ » .

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صُد معه فى عمرته تلك ، وهى سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحدثت قريش بينها أن محمدا وأصحابه فى عُسرة وجهد وشدة .

---

(١) عمرة القصاص : وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص » ، وهذه الآية فيها نزلت ، فهذا الاسم أولى بها ، وسميت عمرة القضاء . لأن النبى صلى الله عليه وسلم قاضى قريشا عليها ، لا لأنه قضى العمرة التى صُد عن البيت فيها ، فإنها لم تك فسدت بصدهم عن البيت ، بل كانت عمرة تامة متقبلة ، حتى إنهم حين حلقوا رءوسهم بالحل احتملها الريح ، فألقتها فى الحرم ، فهى معدودة فى عُمَر النبى — صلى الله عليه وسلم — وهى أربع : عمرة الحديبية . وعمرة القضاء ، وعمرة الجعرانة ، والعمرة التى قرنها مع حجه فى حجة الوداع فهو ، أصح القولين أنه كان قارناً فى تلك الحجة وكانت إحدى عمره عليه السلام فى شوال كذلك . روى عروة عن عائشة وأكثر الروايات أنهن كن كلهن فى ذى القعدة إلا التى قرن مع حجه ، كذلك روى الزهرى ، وانفرد معمر عن الزهرى بأنه عليه السلام كان قارناً ، وأن عُمَره كن أربعاً بعمرة القران .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن ابن عباس ، قال : صَفُّوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ؛ فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع[1] بردائه ، وأخرج عضُده اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرأ أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن ، وخرج يهرول[2] ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم ، واستلم الركن اليماني ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرها . فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم . وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم ، حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها ، فمضت السنة بها .

= وأما حجاته عليه السلام فقد روى الترمذي أنه حج ثلاث حجات ثنتين بمكة ، وواحدة بالمدينة وهي حجة الوداع ، ولا ينبغي أن يضاف إليه في الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإنه كان حج من الناس إذا كان بمكة كما روى الترمذي ، فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج ، وكماله ، لأنه كان مغلوباً على أمره وكان الحج منقولا عن وقته ، كما تقدم في أول الكتاب ، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ، ويؤخرونه في كل سنه أحد عشر يوماً ، هذا هو الذي منع النبي — صلى الله عليه وسلم — أن يحج من المدينة ، حتى كانت مكة دار إسلام ، وقد كان أراد أن يحج مقفله من تبوك ، وذلك بإثر فتح مكة بيسير ، ثم ذكر أن بقايا المشركين يحجون ، ويطوفون عراة فأخر الحج ، حتى نبذ إلى كل ذي عهد عهده ، وذلك في السنة التاسعة ، ثم حج في السنة العاشرة بعد امحاء رسوم الشرك ، وانحسام سير الجاهلية ، ولذلك قال في حجة الوادع : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض.

والعمرة واجبة في قول أكثر العلماء ، وهو قول ابن عمر وابن عباس ، وقال الشعبي : ليست بواجبة ، وذكر عنه أنه كان يقرؤها : « وأتموا الحج والعمرة لله » بالرفع — أي رفع لفظ العمرة على جعل « والعمرةُ لله » كلاما مستأنفا لا يعطفها على الحج ، وقال عطاء : هي واجبة إلا على أهل مكة ، ويكره مالك أن يعتمر الرجل في العام مراراً ، وهو قول الحسن وابن سيرين ، وجمهور العلماء على الإباحة في ذلك ، وهو قول علي وابن عباس وعائشة والقاسم بن محمد . قالوا : يعتمر الرجل في العام ما شاء .

(١) اضطبع : أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن وغطى به الأيسر .

(٢) يهرول : من الهرولة وهي فوق المشي ودون الجرى .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبدالله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام[1] ناقته يقول :

خَلُّوا بني الكفارِ عن سبيلِهِ   خلوا فكلُّ الخيرِ في رسولِهِ
يا رَبِّ إني مؤمنٌ بقيلِهِ   أعرفُ حقَّ اللهِ في قبولِهِ[2]
نحن قتلناكم على تأويلِهِ   كما قتلناكم على تنزيلِهِ[3]
ضَرْبا يُزيلُ الهامَ عن مَقيلِهِ   ويُذهلُ الخليلَ عن خليلِهِ

قال ابن هشام : « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات ، لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم[4] ، والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقروا بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل .

زواج الرسول بميمونة : قال ابن إسحاق : وحدثني أبان بن صالح وعبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح ومجاهد أبي الحجاج ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث[5] في سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذي زوجه إياها العباس ابن عبد المطلب .

قال ابن هشام : وكانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، وكانت أم الفضل تحت العباس ،

---

(١) الخطام : حبل تقاد به الناقة .

(٢) قيله : قوله .

(٣) ويروى : اليوم نضربكم على تأويله بسكون الباء ، وهو جائز في الضرورة نحو قول امرىء القيس :

فاليوم أشربْ غير مستحقب

ولا يبعد أن يكون جائزاً في الكلام إذا اتصل بضمير الجمع ، فقد روى عن ابن عمرو أنه كان يقرأ « يأمرْكم وينصرْكم » .

(٤) قالهما يوم صفين ، وهو اليوم الذي قتل فيه عمار ، قتله أبو الغادية الفزاري وابن جزء اشتركا فيه .

(٥) وأمها : هند بنت عوف الكنانية .

فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثا ، فأتاه حويطب بن عبد العزى ابن أبى قيس بن عبدوُد بن نصر بن مالك بن حسل ، فى نفر من قريش ، فى اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ؛ فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاما فحضرتموه قالوا : لاحاجة لنا فى طعامك ، فاخرج عنا . فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلّف أبا رافع مولاه على ميمونة ، حتى أتاه بها بسَرِف[1] ، فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فى ذى الحجة .

---

(1) مكان قرب التنعيم وبسرف كانت وفاتها رضى الله عنها حين ماتت ، وذلك سنة ثلاث وستين ، وقيل سنة ست وستين ، وصلى عليها ابن عباس ، ويزيد بن الأصم : وكلاهما ابن أخت لها ، ويقال : فيها نزلت « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى » فى أحد الأقوال ، وذلك أن الخاطب جاءها ، وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم . واختلف الناس فى تزويجه إياها أكان محرماً أم حلالا فروى ابن عباس أنه تزوجها محرماً ، واحتج به أهل العراق فى تجويز نكاح المحرم ، وخالفهم أهل الحجاز ، واحتجوا بنهيه عليه السلام عن أن يَنكِح المحرم أو يُنكِح ، وزاد بعضهم فيه : أو يخطب من رواية مالك ، وعارضوا حديث ابن عباس بحديث يزيد بن الأصم أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال ، وخرج الدارقطنى والترمذى أيضا من طريق أبى رافع أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة ، وهو حلال . وروى الدارقطنى من طريق ضعيف عن أبى هريرة أنه تزوجها وهو محرم كرواية ابن عباس وفى مسند البزار من حديث مسروق وعائشة رضى الله عنها ، قالت : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم — وهو محرم ، واحتجم وهو محرم ، وإن لم تذكر فى هذا الحديث ميمونة ، فنكاحها أرادت ، وهو حديث غريب ، وخرج البخارى حديث ابن عباس ، ولم يعلله هو ، ولا غيره ، وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال : غلط ابن عباس أو قال وهم ، ماتزوجها النبى صلى الله عليه وسلم إلا وهو حلال ، ولما أجمعوا عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم — تزوجها محرماً ، ولم ينقل عنه أحد من المحدثين غير ذلك استغربت استغراباً شديداً ما رواه

ما جاء من القرآن في عمرة القضية : قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل عليه ، فيما حدثني أبو عبيدة : « لقد صَدَقَ اللهُ رسولَه الرؤيا بالحقِّ ، لتدخُلُنَّ المسجدَ الحرامَ إن شاءَ اللهُ آمنين محلِّقين رءوسَكم ومقصِّرين لاتخافون ، فعلم ما لم تعلموا ، فجعل من دونِ ذلكَ فتحا قريبا » يعني خيبر .

ذكر غزوة مؤتة[1]

في جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة

قال ابن إسحاق : فأقام بها بقية ذي الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون ، والمحرم وصفرا وشهري ربيع ، وبعث في جمادى الأولى بَعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمُؤْتَة .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بَعثَه إلى مؤتة في جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رَوَاحَة على الناس .

= الدارقطني في السنن من طريق أبي الأسود يتيم عروة ، ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة ، وهو حلال ، فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره ، فقف عليها ، فإنها غريبة عن ابن عباس ، وهناك من يتأول قول ابن عباس : تزوجها محرماً ، أي : في الشهر الحرام ، وفي البلد الحرام ، وذلك أن ابن عباس رجل عربي فصيح ، فتكلم بكلام العرب ، ولم يرد الإحرام بالحج ، وقد قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله مخذولا

وذلك ان قتله كان في أيام التشريق ، والله أعلم أراد ذلك ابن عباس ، أو لا .. عن الروض الأنف.

(١) وهي مهموزة الواو ، وهي قرية من أرض البلقاء . من الشام ، وأما الموتة بلا همزة ، فضرب من الجنون « وفي الحديث أن النبي — صلى الله عليه وسلم — كان يقول في صلاته : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه » وفسره راوي الحديث ، فقال : نفثه : الشعر ، ونفخه : الكبر ، وهمزه الموتة .

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجُهم ودع الناسُ أمراءَ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم . فلما ودع عبد الله بن رواحة من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ؛ فقالوا : مايبكيك يابن رَوَاحَةَ ؟ فقال : أما والله ما بى حب الدنيا ولا صَبَابة بكم ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار « وإن منكم إلا واردُها كان على ربّك حتما مقضيا » ، فلست أدرى كيف لى بالصَّدَر بعد الورود ؛ فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين : فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسألُ الرحمنَ مغفرةً ... وضربةً ذاتَ فَرْغٍ تقذف الزَّبدا[1]

أو طعنةً بيــدَىْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً ... بحربةٍ تُنفذُ الأحشاءَ والكبدا[2]

حتى يقال إذا مروا على جَدَثى ... أرشده اللهُ من غازٍ وقد رَشَدا[3]

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيئوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ، ثم قال :

فثبّتَ اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ ... تثبيت موسى ونصراً كالذى نُصِرَا

إنى تفرست فيك الخيرَ نافلةً ... اللهُ يعلم أنى ثابتُ البصرِ

أنت الرسولُ فمن يُحرَم نوافلَه ... والوجهَ منه فقد أزرى به القدرُ

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات :

أنت الرسولُ فمن يُحرمْ نوافلَه ... والوجهَ منه فقد أزرى به القدرُ

فثبّت اللهُ ما آتاك من حَسَنٍ ... فى المرسلين ونصرا كالذى نُصروا

إنى تفرستُ فيكَ الخيرَ نافلةً ... فراسةً خالفت فيك الذى نظروا

يعنى المشركين ؛ وهذه الأبيات فى قصيدة له .

---

(١) الفرغ : السعة . والزبد فى الأصل الرغوة ، ويراد هنا شدة تدفق الدم .

(٢) المجهزة : التى تجهز عليه ، أى تسرع فى قتله .

(٣) الجدث : القبر .

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رَواحة :

خَلَفَ السلامُ على امرىءٍ ودعتُه ... في النخلِ خــيرِ مُشيِّعٍ وخليلِ

ثم مضوا حتى نزلوا مُعَان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد نزل مآبَ ، من أرض البلقاء ، في مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من لَخْم وجُذام والقَيْن وبهراء وبَلِى مئة ألف منهم ، عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة يقال له : مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون في أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضي له .

قال : فشجع الناسَ عبدُ الله بن رواحة ، وقال : يا قوم ، والله إن التي تكرهون ، للتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة . فمضى الناس ؛ فقال عبدالله بن رواحة في محبسهم ذلك :

جلبنا الخيلَ من أجَإٍ وفرعٍ ... تُغَرُّ من الحشيشِ لها العُكومُ[1]
حذوناها من الصوَّانِ سِبْتاً ... أزلَّ كأن صفحته أديمُ[2]

---

(١) أجأ : أحد جبلي طيء والجبل الآخر سلمى. وفرع : مكان بأجأ . تغر : تطعم مرة بعد أخرى . والعكوم : جمع عكم وهو الجنب .

(٢) أي حذوناها نعالا من حديد جعله سبتاً لها ، مجازاً . وصوان من الصون ، أي : يصون حوافرها ، أو أخفافها ، إن أراد الإبل ، فهو فعال من الصون ، فقد كانوا يحذونها السريح وهو جلد يصون أخفافها ، وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوان يبس الأرض ، أي لا سبت له إلا ذلك ، ووزنه فعلان من قولهم : نخلة صاوية أي يابسة ، وأنشد أبو علي :

قد أويت كل ماء فهي صاوية

ويشهد لمعنى الصوان هنا قول النابغة الذبياني :

يرى وقع الصوان حد نسورها

وعين الفعل في صوان ولامه واو ، وأدخل صاحب العين في الصاد والواو والياء هذا ...

أقامت ليلتين على مُعَانٍ فأُعْقِبَ بعد فترتها جُمُومُ(١)
فَرُحنا والجيادُ مُسَوَّماتٌ تنفَّسُ فى مناخرِها السَّمومُ
فلا وأبى مآبَ لنأتينْها وإن كانت بها عربٌ ورومُ
فعبأنا أعنَّتها فجاءت عوابسَ والغبارُ لها بَرِيمُ(٢)
بذى لَجَبٍ كأن البَيضَ فيه إذا برزت قوانسُها النجومُ(٣)
فَرَاضِيَةُ المعيشةِ طلَّقتها أسنَّتُها فتَنكِحُ أو تَئِيمُ(٤)

قال ابن هشام : « ويروى : جلبنا الخيل من آجام قُرح » ، وقوله : « فعبأنا أعنتها » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ثم مضى الناس ، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حُدث عن زيد بن أرقم ، قال : كنت يتيما لعبد الله بن رواحة فى حجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحله فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

بين النخل ، فقال : صوى يصوى : إذا يبس ، ونخلة صاوية ، ولو كان مما لامه ياء ، لقيل فى صوان صيان ، كما قيل طيان وريان ، ولكن لما انقلبت الواو ياء من أجل الكسرة ظن الحرف من ذوات الياء .

(١) معان بفتح الميم ، وهو اسم موضع ، وذكره البكرى بضم الميم ، وقال : هو اسم جبل ، والمعان أيضا : حيث تحبس الخيل والركاب ، ويجتمع الناس ، ويجوز أن يكون من أمعنت النظر ، أو من الماء المعين ، فيكون وزنه فعالا ، ويجوز أن يكون من العون ، فيكون وزنه مفعلا ، وقد جنس المعرى بهذه الكلمة ، فقال :

مَعان من أحبتنا مُعـان تجيب الصاهلات بها القيان

والفترة : السكون . الجموم : اجتماع القوة .

(٢) البريم فى الأصل : الخيط المفتول الذى فيه لونان مختلطان ، يريد أن لون الخيل اختلط بلون التراب .

(٣) بذى لجب : أى بجيش ذى لجب . واللجب اختلاط الأصوات . البيض ما يوضع على الرأس من الحديد ليحميه . والقوانس : أعالى البيض .

(٤) تئيم : تبقى دون زوج .

إذا أديتني وحملت رحلي ... مسيرة أربع بعد الحساء[١]
فشأنك أنعم وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلي ورائي
وجاء المسلمون وغادروني ... بأرض الشام مشتهى الثواء
وردك كل ذي نسب قريب ... إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالي طلع بعل ... ولا نخل أسافلها رواء[٢]

فلما سمعتهن منه بكيت . قال : فخفقني بالدرة ، وقال : ما عليك يا لكع[٣] أن يرزقني الله شهادة وترجع بين شعبتي الرحل !

قال : ثم قال عبد الله بن رواحة في بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يا زيد زيد اليعملات الذبل ... تطاول الليل هديت فانزل[٤]

لقاء الروم وحلفائهم : قال ابن إسحاق : فمضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم[٥] البلقاء لقيتهم جموع هرقل ، من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، فتعبأ لها المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بني عذرة ، يقال له : قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عباية بن مالك .

قال ابن هشام : ويقال عبادة بن مالك .

مقتل زيد بن حارثة : قال ابن إسحاق : ثم التقى الناس واقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط[٦] في رماح القوم .

---

(١) الحساء . جمع حسي : ماء يختفي في الرمل حتى يجد مكانا صلبا فيستقر .
(٢) البعل : من يشرب بعروقه من الزرع دون ري .
(٣) اللكع : اللئيم أو الأحمق .
(٤) اليعملات : النوق السريعة . والذبل : التي أهزلها السير .
(٥) التخوم : الحدود الفاصلة بين البلاد .
(٦) شاط : توزع .

مقتل جعفر : ثم أخذها جعفر فقاتل بها ، حتى إذا ألحمه[١] القتال اقتحم[٢] عن فرس له شقراء ، فعقرها[٣] ، ثم قاتل القوم حتى قتل . فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام .

وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عبّاد ، قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى وكان أحد بنى مرة بن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول :

يا حبذا الجنةُ واقترابُها طيبةٌ وباردا شرابُها
والرومُ رومٌ قد دنا عـــذابُها كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عَلَىَّ إذ لاقيتُها ضِرابُها

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم : أن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء[٤] . ويقال : أن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة ، فقطعه بنصفين .

---

(١) ألحمه : وقع فيه فلم يجد له مخرجا .

(٢) اقتحم عن فرسه : رمى نفسه من عليها .

(٣) عقرها : ضرب قوائمها بسيفه . ولم يُعب ذلك عليه . فدل على جوازه مخافة أن يأخذها العدو ، فيقاتل عليها المسلمين ، فلم يدخل هذا فى باب النهى عن تعذيب البهائم ، وقتلها عبثاً . غير أن أبا داود خرج هذا الحديث فقال : حدثنا النفيلى قال : حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن ابن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال حدثنى : أبى الذى أرضعنى ، وهو أحد بنى مرة بن عوف ، وكان فى تلك الغزاة غزاة مؤتة ، قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قُتل .

قال : أبو داود : وليس هذا الحديث بالقوى ، وقد جاء فيه نَهْيٌ كثير عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

(٤) وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : دخلت الجنة البارحة ، =

مقتل عبد الله بن رواحة : قال ابن إسحاق: وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى ، وكان أحد بنى مرة بن عوف ، قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنَّهْ لتنــزلنَّ أو لتُكرَهنَّهْ

= فرأيت جعفراً يطير مع الملائكة ، وجناحاه مضرجان بالدم ، وعن سعيد بن المسيب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل لى جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة فى خيمة من در على أسرة ، فرأيت زيداً وعبد الله وفى أعناقهما صدود ، ورأيت جعفراً مستقيماً . فقيل لى : إنهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما ، ومضى جعفر ، فلم يعرض ، وسمع النبى — صلى الله عليه وسلم — فاطمة حين جاء نعى جعفر تقول واعماه ، فقال : على مثل جعفر ، فلتبك البواكى . وكان أبو هريرة يقول : ما احتذى النعال ، ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر . وقال عبد الله بن جعفر : كنت إذا سألت علياً حاجة ، فنعنى أقسم عليه بحق جعفر فيعطينى .

ومما ينبغى الوقوف عليه فى معنى الجناحين أنهما ليسا كما يسبق إلى الوهم على مثل جناحى الطائر وريشه ، لأن الصورة الآدمية أشرف الصور ، وأكملها ، وفى قوله عليه السلام : إن الله خلق آدم على صورته تشريف له عظيم ، وحاشا لله من التشبيه والتمثيل ، ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية ، أعطيها جعفر كما أعطيتها الملائكة ، وقد قال الله تعالى لموسى : « واضمم يدك إلى جناحك » فعبر عن العضد بالجناح توسعاً ، وليس ثم طيران ، فكيف بمن أعطى القوة على الطيران مع الملائكة أخلق به إذاً : أن يوصف بالجناح مع كمال الصورة الآدمية وتمام الجوارح البشرية ، وقد قال أهل العلم فى أجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ، ولكنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة ، واحتجوا بقوله تعالى : « أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا ، ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ، ولا أربعة ، فكيف بستمائة جناح ، كما جاء فى صفة جبريل عليه السلام ، فدل على أنها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر ، ولا ورد أيضاً فى بيانها خبر ، فيجب علينا الإيمان بها ، ولا يفيدنا علماً إعمال الفكر فى كيفيتها ، وكل امرىء قريب من معاينة ذلك . انظر الروض الأنف بتحقيقنا جـ ٤ ص ٨٠ .

إن أجلب الناس وشدوا الرنه   مالى أراك تكرهين الجنه[١]
قد طال مافد كنت مطمئنة   هل أنت إلا نطفة فى شنه[٢]

وقال أيضا :

يانفس إلا تقتلى تموتى   هـذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت   إن تفعلى فعلهما هديت

يريد صاحبيه : زيدا وجعفرا ،ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق[٣] من لحم فقال: شد بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت فى أيامك هذه مالقيت ، فأخذه من يده ثم انتهس[٤] منه نهسة ، ثم سمع الحطمة[٥] فى ناحية الناس ، فقال وأنت فى الدنيا ؟ ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل .

إمارة خالد : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان ، فقال : يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ،قال : ما أنا بفاعل . فاصطلح الناس على خالد بن الوليد فلما اخذ الراية دافع القوم ، وخاشى[٦] بهم ، انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف بالناس .

الرسول يتنبأ بما حدث : قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : اخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل حتى قتل شهيدا ، ثم أخذها جعفر

---

(١) الرنة صوت يشبه البكاء .
(٢) النطفة الماء القليل الصافى . الشنة : السقاء البالى ضرب بذلك مثلا بقصر العمر .
(٣) العرق : عظم عليه بعض اللحم .
(٤) انتهس : أخذ اللحم بمقدم أسنانه ونتشه   (٥) الحطمة كسر الناس لبعضهم .
(٦) والمخاشاة : المحاجزة ، وهى مفاعله من الخشية لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم وقد قيل : كان العدو مائتى ألف من الروم ، وخمسين الفاً من العرب ، ومعهم من الخيول والسلاح ماليس مع المسلمين ، وفى قول ابن إسحاق : وكان العدو مائة ألف وخمسين ألفاً : وقد قيل : إن المسلمين لم يبلغ عددهم فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف ، ومن رواه حاشى بالحاء المهملة ، فهو من الحشى ، وهى الناحية ، وفى رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قتيبه فى المعارف أنه سئل عن قوله (حاشى بهم ، فقال : معناه : انحاز بهم .

فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ قال : ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض مايكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ ثم قال: لقد رفعوا إلىّ فى الجنة ، فيما يرى النائم، على سُرُر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازورارا [١] عن سريرى صاحبيه ، فقلتُ : عمَّ هذا ؟ فقيل لى : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ، ثم مضى .

حزن الرسول على جعفر : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أم عيسى الخُزاعية ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدتها أسماء بنت عُمَيْس، قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد دَبَغْتُ أربعين منا — قال ابن هشام : ويروى أربعين منيئة — وعجنت عجينى ، وغسلت بَنِىَّ ودهنتهم ونظفتهم. قالت : فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتينى ببنى جعفر؛ قالت : فأتيته بهم ، فتشممهم وذرفت عيناه ، فقلت يارسول الله ، بأبى أنت وأمى ، مايبكيك ؟ أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء ؟ قال : نعم ، أصيبوا هذا اليوم . قالت : فقمت أصيح ، واجتمعت إلى النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : لاتغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاما ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم [٢] .

وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم، قالت : لما أتى نعى جعفر عرفنا فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن . قالت : فدخل عليه رجل فقال : يارسول الله ، إن النساء عَنَّيننا وفتننا ؛ قال فارجع إليهن فأسكتهن . قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك — قال : تقول وربما ضَرَّ التكلفُ أهلَه — قالت : قال :

---

(١) الازورار : الميل .

(٢) وهذا أصل فى طعام التعزية وتسمية العرب الوضيمة ، كما تسمى طعام العرس الوليمة، وطعام القادم من السفر ، النقيعة ، وطعام البناء الوكيرة ، وكان الطعام الذى صنع لآل جعفر فيما ذكر الزبير ، فى حديث طويل عن عبد الله بن جعفر قال : فعمدت سلمى مولاة النبى صلى الله عليه وسلم إلى شعير ، فطحنته ، ثم آدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا ، قال عبد الله ، فأكلت منه ، وحبسنى النبى صلى الله عليه وسلم مع إخوتى فى بيته ثلاثة أيام .

فاذهب فأسكتهن ، فإن أبين فاحث فى أفواههن التراب ، قالت : وقلت فى نفسى : أبعدك الله فوالله ما تركت نفسك وما أنت بمطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لايقدر على أن يحثى فى أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قطبة بن قتادة العذرى : الذى كان على ميمنة المسلمين ، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله ، فقال قطبة بن قتادة :

طعنت ابن زافلة بن الإرا ... شى برمح مضى فيه ثم انحطم
ضربت على جيده ضربة ... فمال كما مال غصن السلم[1]
وسقنا نساء بنى عمه ... غداة رقوقين سوق النعم[2]

قال ابن هشام : قوله : « ابن الإراش » عن غير ابن إسحاق .

والبيت الثالث عن خلاد بن قرة ، ويقال : مالك بن رافلة .

ماقالته كاهنة حدس : قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا ، قد قالت لقومها من حدس ، وقومها بطن يقال لهم بنو غنم — أنذركم قوما خزرا[3] ، ينظرون شزرا[4] ، ويقودون الخيل تترى ، ويهريقون دما عكرا ، فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لخم ، فلم تزل بعد أثرى حدس : وكان الذين صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدس ، فلم يزلوا قليلا ، فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا .

الرسول يلتقى بالأبطال : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير قال : لما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فاحملوهم ، وأعطونى ابن جعفر ، فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويقولون يا فرار ، فررتم فى سبيل الله ! قال

---

(١) السلم : شجر العضاة ، نوع من الأشجار تؤخذ منه الصبغة .
(٢) رقوقين : اسم موضع .   (٣) الخزر : من يضيقون عيونهم وينظرون .
(٣) الشزر : نظر العداوة .

فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليسوا بالفُرّار ، ولكنهم الكُرّار إن شاء الله تعالى[١] .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخواله ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العاص بن المغيرة : مالي لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت : والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يا فرار ، فررتم في سبيل الله ، حتى قعد في بيته فما يخرج .

ما قيل من الشعر في غزوة مؤتة : قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومخاشاته بالناس وانصرافه بهم ، قيس بن المسحَّر اليَعمُري ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فوالله لا تنفك نفسي تلومُني	على موقفي والخيلُ قابعةٌ قُبْلُ[٢]
وقفتُ بها لا مستجيرا فنافذاً	ولا مانعا من كان حُمّ له القتل
على أنني آسيت نفسي بخالدٍ	ألا خالدٌ في القوم ليس له مثل
وجاشت إليَّ النفسُ من نحو جعفرٍ	بمؤتةَ إذ لا ينفعُ النابلَ النَّبل
وضمّ إلينا حجزَتَيْهم كِلَيْهما	مُهاجرةٌ لا مشركون ولا عُزْل[٣]

فبين قيس ما اختلف فيه الناس من ذلك في شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت ، وحقق انحياز خالد بمن معه .

قال ابن هشام : فأما الزهري فقال فيما بلغنا عنه : أمّر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى قفل إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) ورواية غير ابن إسحاق أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : نحن الفرارون يا رسول الله ؟ فقال : بل أنتم الكرارون ، وقال لهم : أنا فئتكم ، يريد : أن من فر متحيزاً إلى فئة المسلمين فلا حرج عليه ، وإنما جاء الوعيد فيمن فر عن الإمام ، ولم يتحيز إليه ، أي لم يلجأ إلى حوزته ، فيكون معه ، فالمتحيز متفيعل من الحوز ، ولو كان وزنه متفعلا كما يظن بعض الناس لقيل فيه : متحوز : وروى أن عمر رضي الله عنه حين بلغه قتل أبي عبيد بن مسعود وأصحابه في بعض أيام القادسية ، قال : هلا تحيزوا إلينا ، فإنا فئة لكل مسلم .

(٢) القبل : إقبال نظر كل من العينين على الآخر .

(٣) حجزتيهم : ناحيتهم .

قال ابن إسحاق: وكان مما بُكي به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قول حسان بن ثابت:

تأوبني ليلٌ بيثربَ أعسرُ ... وهمٌّ إذا ما نوّم الناسُ مُسهِرُ
لذكرى حبيبٍ هيجتْ لي عَبرةً ... سَفوحاً وأسبابُ البكاءِ التذكّرُ
بلى إن فقدانَ الحبيبِ بليةٌ ... وكم من كريمٍ يُبتلى ثم يصبر
رأيت خيارَ المؤمنين تواردوا ... شَعُوبَ وخَلْفاً بعدهم يتأخر
فلا يُبعدَنَّ اللهُ قتلى تتابعوا ... بمؤتةَ منهم ذو الجناحين جعفر
وزيدٌ وعبدُ اللهِ حين تتابعوا ... جميعاً وأسبابُ المنيةِ تخطِر
غداةَ مَضَوْا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموتِ ميمونُ النقيبةِ أزهر
أغرُّ كضوءِ البدرِ من آلِ هاشمٍ ... أبِيٌّ إذا سيم الظُّلامةَ مِجْسَر
فطاعن حتى مال غيرَ مُوَسَّدٍ ... لمعترَكٍ فيه قناً مُتكسِّر
فصار مع المستشهدين ثوابُه ... جنانٌ وملتفُّ الحدائقِ أخضرُ
وكنا نرى في جعفرٍ من محمدٍ ... وفاءً وأمراً حازماً حين يأمُر
فما زال في الإسلامِ من آلِ هاشمٍ ... دعائمُ عِزٍّ لا يُزَلْنَ ومفخَر
همُ جبلُ الإسلامِ والناسُ حولَهم ... رِضامٌ إلى طَوْدٍ يروق ويبهر[1]
بهاليلُ منهم جعفرٌ وابنُ أمّه ... عليٌّ ومنهم أحمدُ المتخيَّر[2]
وحمزةُ والعباسُ منهم ومنهمُ ... عقيلٌ وماءُ العودِ من حيث يُعصَر
بهم تُفرَجُ اللأواءُ في كل مأزقٍ ... عَماسٍ إذا ما ضاق بالناسِ مَصدَر[3]
همُ أولياءُ اللهِ أنزل حكمَه ... عليهم، وفيهم ذا الكتابُ المطهَّر

وقال كعب بن مالك:

نام العيونُ ودمعُ عينِك يَهْمُلُ ... سَحّاً كما وكَف الطِّبابُ المُخضِلُ[4]
في ليلةٍ وَرَدت عليّ همومُها ... طوراً أحِنُّ وتارةً أتململ

---

(١) الرضام: الحجارة المرضومة، وهي المجموعة فوق بعضها. الطود: الجبل.

(٢) البهاليل: السادة. (٣) العماس: المظلم.

(٤) الطباب: جمع طبابة، وهي سير بين خرزتين في المزادة، فإذا كان غير محكم وكف منه الماء.

واعتادنى حزنٌ فبتُّ كأننى ... ببناتِ نعشٍ والسماكِ مُوَكَّلُ[1]
وكأنما بينَ الجوانحِ والحشى ... مما تأوّبنى شهابٌ مُدخَلُ
وجداً على النفرِ الذين تتابعوا ... يوماً بمؤتةَ أسندوا لم يُنقلوا
صلى الإلهُ عليهمُ من فتيةٍ ... وسقى عظامَهمُ الغمامُ المسبلُ
صبروا بمؤتةَ للإلهِ نفوسَهم ... حذرَ الردى ومخافةً أن ينكلوا
فمضوا أمامَ المسلمين كأنهم ... فُنُقٌ عليهن الحديدُ المرفَلُ[2]
إذ يهتدون بجعفرٍ ولوائهِ ... قُدامَ أولهم فنعمَ الأولُ
حتى تفرجتِ الصفوفُ وجعفرٌ ... حيثُ التقى وعْثُ الصفوفِ مُجدَّلُ[3]
فتغيرَ القمرُ المنيرُ لفقدِه ... والشمسُ قد كُسفتْ وكادت تأفِلُ
قَرمٌ علا بنيانُه من هاشمٍ ... فَرْعاً أشمَّ وسُؤدداً ما يُنقَلُ[4]
قومٌ بهم عصمَ الإلهُ عبادَه ... وعليهمُ نزلَ الكتابُ المُنزَلُ
فضَلُوا المعاشرَ عزةً وتكرما ... وتغمدت أحلامُهم من يجهلُ
لا يُطلقون إلى السفاهِ حُباهمُ ... وترى خطيبَهم بحقٍّ يَفصِلُ
بيضُ الوجوهِ ترى بطونَ أكفِّهم ... تَندَى إذا اعتذر الزمانُ المُمحِلُ
وبهديهم رضيَ الإلهُ لخلقِه ... وبجدِّهم نُصِرَ النبيُّ المرسَلُ

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

ولقد بَكيْتُ وعَزَّ مَهلِكُ جعفرٍ ... حِبِّ النبيِّ على البريةِ كلِّها
ولقد جَزِعت وقلت حين نُعيت لى ... مَن للجلادِ لدَى العُقابِ وظِلِّها[5]
بالبيضِ حين تُسلُّ من أغمادِها ... ضرباً وإنهالِ الرماحِ وعَلِّها[6]

---

(١) بنات نعش نوعان : الكبرى وهى سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالى . والصغرى : سبعة كواكب قرب بنات نعش الكبرى . والسماك : هما سماكان . نجمان نيران أحدهما فى الشمال ويعرف « بالرامح » والثانى فى الجنوب ويعرف « بالأعزل » . والمعنى أنه من طول سهره بات يرعى النجوم .

(٢) الفنق : فحول الإبل : المرفل : السابغ .

(٣) الوعث : الالتحام . (٤) قرم : سيد .

(٥) العقاب : اسم راية من رايات الرسول عليه السلام

(٦) الإنهال : الشرب الأول . وعلها : شربها الثانى .

يعدَ ابنِ فاطمةَ المبارَكِ جعفرٍ   خيرِ البريةِ كلّها وأجلّها :
رُزءا وأكرمِها جميعا محتِداً   وأعزّها مُتَظلما وأذلّها :
للحقّ حين ينوبُ غيرَ تنحّلٍ   كَذِبا ، وأنداها يداً ، وأقلّها : (١)
فُحْشا ، وأكثرِها إذا ما يُجتدَى   فضلا ، وأبذلها ندًى ، وأبلّها : (٢)
بالعرفِ غيرَ محمدٍ لامثلُه   حيٌّ منَ احياءِ البريةِ كلّها

وقال حسان بن ثابت فى يوم مؤتة يبكى زيد بن حارثة وعبد الله بن رَواحة :

عينُ جودى بدمعِك المنزورِ   واذكرى فى الرخاءِ أهلَ القبورِ (٣)
واذكرى مؤتةَ وماكان فيها   يومَ راحوا فى وقعةِ التغويرِ
حين راحوا وغادروا ثم زيدا   نعمَ مأوى الضَّريكِ والمأسورِ (٤)
حِبَّ خيرِ الأنامِ طُرّاً جميعا   سيدِ الناسِ حُبُّه فى الصدورِ

---

(١) فى هذا البيت والبيتين اللذين قبله والبيت الذى بعده تضمين ، فقوله : وأذلها ، ثم قال فى أول بيت آخر : للحق ، وكذلك قال فى البيت الآخر : وأقلها ، وقال فى الذى بعده فحشاً . .

وذكر قدامة فى كتاب نقد الشعر أنه عيب عند الشعراء ، ولعمرى إن فيه مقالا ، لأن آخر البيت يوقف عليه ، فيوهم الذم فى مثل قوله : وأذلها ، وكذلك . وأقلها ، وقد غلب الزبرقان على المخبل السعدى بكلمة قالها وإن كان المخبل أشعر منه ، ولكنه لما قال يهجوه :

وأبوك بدر كان ينهز الخصى   وأبى الجواد ربيعة بن قتال

وصل الكلام بقوله : وأبى ، فقال له الزبرقان : فلا بأس إذاً ، فضحك من المخبل ، وغلب عليه الزبرقان ، فإذا كان هذا معيباً فى وسط البيت ، فأحرى أن يعاب فى آخره ، إذا كان يوهم الذم ولا يندفع ذلك الوهم إلا بالبيت الثانى ، فليس هذا من التحصين على المعانى والتوقى للاعتراض .

(٢) الاجتداء طلب المعروف .

(٣) النزور : القليل ، ولا يحسن ههنا ذكر القليل ، ولكنه من نزرت الرجل إذا ألححت عليه ، ونزرت الشىء إذا استنفدته ومنه قول عمر ـ رحمه الله ـ نزرت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ والأصح فيه التخفيف .

قال الشاعر :

خذ عفو من تهواه لا تنزرنه   فعنه بلوغ الكدر نق المشارب

(٤) الضريك : الفقير .

ذاكم أحمد الذى لا سواه ... ذاك حزنى له معاً وسرورى
إن زيداً قد كان منا بأمرٍ ... ليس أمرَ المكذِّبِ المغرورِ
ثم جودى للخزرجىّ بدمعٍ ... سيداً كان ثَمّ غيرَ نَزور[1]
قد أتانا من قتلِهم ما كفانا ... فبحزنٍ نبيتُ غيرِ سرور

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة :

كفى حَزَناً أنى رجعت وجعفرٌ ... وزيدٌ وعبدُالله فى رَمْسِ أقبُرِ
قَضَوْا نحبَهم لما مضوا لسبيلهم ... وخُلِّفتُ للبلوى مع المتغبِّر[2]
ثلاثةُ رهطٍ قُدِّموا فتقدَّموا ... إلى وِردِ مكروهٍ من الموتِ أحمرِ

تسمية شهداء مؤتة : وهذه تسمية من استشهد يوم مؤتة .

من قريش ، ثم من بنى هاشم : جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، وزيد بن حارثة رضى الله عنه

ومن بنى عدى بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة .

ومن بنى مالك بن حِسل : وهب بن سعد بن أبى سَرح .

ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخزرج : عبدالله بن رواحة ، وعَبّاد بن قيس .

ومن بنى غَنْم بن مالك بن النجار : الحارث بن النعمان بن أساف بن نَضْلة بن عبد بن عوف بن غَنْم .

ومن بنى مازن بن النجار : سُراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء .

قال ابن هشام : وممن استشهد يوم مؤتة ، فيما ذكر ابن شهاب :

من بنى مازن بن النجار : أبو كُلَيب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول وهما لأب وأم .

ومن بنى مالك بن أفْصَى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر ابن ثعلبة بن مالك بن أفصى .

قال ابن هشام : ويقال أبو كلاب[3] وجابر ، ابنا عمرو

---

(١) النزور : قليل العطاء . (٢) المتغبر : الباقى .

(٣) وهو المعروف عندهم وقيل أبو كليب ، قال أبو عمر : لا يعرف فى الصحابة أحد يقال له : أبو كليب

ذكر الأسباب الموجبة للسير إلى مكة، وذكر فتح مكة

فى شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثه إلى مؤتة جمادى الآخرة ورجبا .

ما وقع بين بنى بكر وخزاعة : ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوتير ، وكان الذى هاج مابين بنى بكر وخزاعة أن رجلا من بنى الحضرمى ، واسمه مالك بن عَبَّاد — وحلف الحضرمى يومئذ إلى الأسود بن رَزْن[1] — خرج تاجرا ، فلما توسط أرض خزاعة ، عَدَوْا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزاعة قبيل الإسلام على بنى الأسود ابن رَزْن الديلى — وهم مَنخَر بنى كنانة وأشرافهم — سلمى وكُلثوم وذؤيب — فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم[2] .

قال ابن إسحاق . وحدثنى رجل من بنى الديل ، قال : كان بنو الأسود بن رَزْن يُودَوْن فى الجاهلية دِيَتيْن ديتين ، ونُودَى دية دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق : فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، كان فيما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط لهم ، كما حدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن المِسْوَر بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه ؛ فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة ، وأرادوا

---

(١) ذكر الشيخ الحافظ أبو بحر أن أبا الوليد أصلحه : رزنا بكسر الراء ، قال : والرزن : نقرة فى حجر يمسك الماء ، وفى كتاب العين : الرزن أكمة تمسك الماء ، والمعنى متقارب ، وذكر أن بنى رزن من بنى بكر ، وقد قيل فيه : الدئل .

(٢) أنصاب الحرم هنا : حجارة توضع بين الحل والحرم للفصل بينهما

أن يصيبوا منهم ثأرا بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود بن رَزْن ، فخرج نَوفل ابن معاوية الديلى فى بنى الديل ، وهو يومئذ قائدهم ، وليس كل بنى بكر تابعه حتى بيَّت خزاعة وهم على الوتير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ، وتحاوزوا واقتتلوا ، ورفدت بنى بكر قريشٌ بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفيا ، حتى حازوا [1] خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : يا نوفل ، إنا قد دخلنا الحرم ، إلهك إلهك ، فقال : كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يابنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتسرقون ؛ فى الحرم أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟! وقد أصابوا منهم ليلة بيتوهم بالوتير رجلا يقال له منبِّه وكان منبه رجلا مفئودا [2] خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، وقال له منبه : ياتميم ، انجُ بنفسك فأما أنا فوالله إنى لميت ، قتلونى أو تركونى ، لقد انبتَّ [3] فؤادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منبها فقتلوه ، فلما دخلت خزاعة مكة ، لجئوا إلى دار بُديل بن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع ؛ فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبه :

لما رأيت بنى نُفاثةَ أقبلوا ... يغشَوْنَ كلَّ وتيرةٍ وحجابِ [4]
صخرا ورَزْنا لاعَريبَ سواهم ... يُزْجُون كل مُقلصٍ خنّابِ [5]
وذكرتُ ذَحْلا عندنا مُتقادما ... فيما مضى من سالفِ الأحقابِ [6]
ونَشيْتُ ريحَ الموتِ من تلقائهم ... ورَهِبتُ وقعَ مُهنَّدٍ قضّابِ [7]
وعرَفتُ أن من يَثْقَفوه يتركوا ... لحما لمُجْرِيَةٍ وشِلْوَ غرابِ [8]
قوّمت رِجلا لاأخافُ عِثارَها ... وطرحت بالمَتْنِ العَراءِ ثيابى [9]
ونجوتُ لاينجو نجائى أحقبٌ ... عِلجٌ أقبُّ مشمّر الأقرابِ [10]

---

(١) حازوا : ساقوا . (٢) مفئودا : ضعيف الفؤاد .
(٣) انبت : انقطع .
(٤) الوتيرة : الأرض الممتدة . الحجاب : ما اطمأن من الأرض .
(٥) لا عريب : لا أحد . المقلص : الفرس طويل القوائم ، منضم البطن . الخناب : واسع المنخرين . (٦) الذحل : طلب الثأر . (٧) نشيت : شممت .
(٨) المجرية : اللبؤة التى لها جراء أى أبناء ، الشلو : بقية الجسد .
(٩) المتن : ظهر الأرض .
(١٠) نجوت : أسرعت . والأحقب : حمار الوحش أبيض العجز . علج : غليظ . أقب : ضامر البطن . مشمر الأقراب : منقبض الخواصر

تلحى ولو شهدت لكان نكيرها ... بَوْلاً يَبُلُّ مشافرَ القَبْقاب(١)

القومُ أعلمُ ما تركتُ قَنِيَّهمْ ... عن طيبِ نفسٍ فاسألى أصحابى

قال ابن هشام : وتروى لحبيب بن عبد الله الأعلم الهذلى . وبيته : «وذكرت ذحلا عندنا متقادما» عن أبى عبيدة ، وقوله «خناب» ، و«علج أقب مشمر الأقراب» عنه أيضا .

قال ابن إسحاق : وقال الأخزر بن لُعْط الديلى ، فيما كان بين كنانة وخزاعة فى تلك الحرب :

ألا هل أتى قُصْوَى الأحابيشِ أننا ... رددنا بنى كعبٍ بأفوقَ ناصِلِ(٢)

حبَسناهم فى دارةِ العبدِ رافعٍ ... وعند بُدَيْلٍ مَحْبِسا غيرَ طائلِ

بدارِ الذليلِ الآخذِ الضيمَ بعدما ... شَفَيْنا النفوسَ منهمُ بالمَناصِلِ

حبسناهمُ حتى إذا طال يومُهم ... نفحنا لهم من كلّ شِعْبٍ بوابِلِ(٣)

نذبحهم ذَبْحَ التيوسِ كأننا ... أُسودٌ تَبارَى فيهمُ بالقواصِلِ

هم ظلمونا واعتدَوْا فى مسيرِهم ... وكانوا لدَى الأنصابِ أولَ قاتلِ

كأنهمُ بالجِزْعِ إذ يطردونهم ... قفا ثور حُفَّانُ النعامِ الجوافِلِ(٤)

---

(١) تلحى : تلوم . المشافر : الجوانب . القبقاب : الفرج .

(٢) الأحابيش : من تعاهدوا مع قريش وليسوا منهم . الأفوق : السهم الذى انكسر طرفه الذى يلى الوتر . والناصل : الذى زال نصله .

(٣) نفحنا : وسعنا . والشعب : ما استوى بين الجبلين . الوابل : فى الأصل المطر الشديد وأراد به هنا الدفعة من الخيل .

(٤) الجزع : ما انعطف من الوادى . قفا ثور ، يعنى : الجبل ، وقفا ظرف الفعل الذى قبله ، وقال : قفا ثور : ولم ينون لأنه اسم علم مع ضرورة الشعر ، قيل ، ولو قال : قفا ثور بنصب الراء ، وجعله غير منصرف ، لم يبعد لأن مالا تنوين فيه ، وهو غير معرف بألف ولام ولا إضافة ، فلا يدخله الخفض لئلا يشبه ما يضيفه المتكلم إلى نفسه ، وقفا ثور بهذا اللفظ تقيد فى الأصل ، وظاهر كلام البرقى فى شرح هذا البيت أنه بفاثور . لأنه قال : الفاثور سبيكة الفضة ، وكأنه شبه المكان بالفضة لنقائه واستوائه ، فإن كانت الرواية كما قال ، فهو اسم موضع ، والفاثور : خوان من فضة ، ويقال : إبريق من فضة . قيل ذلك فى قول جميل :

وصدر كفاثور اللجين وجيد

فأجابه بُدَيل بن عبد مَناة بن سلمة بن عمرو بن الأجَبّ ، وكان يقال له : بُدَيل بن أم أصرم ، فقال :

تفاقدَ قومٌ يَفخرون ولم نَدَعْ … لهم سَيّدا يندوهمُ غيرَ نافِلِ[1]
أمِنْ خِيفَةِ القومِ الأُلى تزدريهمُ … تُجيزُ الوتيرَ خائفا غيرَ آئِلِ[2]
وفى كلّ يومٍ نحن نحبو حِباءنا … لعقلٍ ولا يُحبَى لنا فى المعاقِلِ[3]
ونحن صبَحنا بالتّلاعةِ دارَكم … بأسيافِنا يَسبقن لومَ العواذلِ
ونحن منعنا بين بيضٍ وعِتْوَدٍ … إلى خَيْفِ رَضْوَى من مَجَرِّ القبائلِ[4]
ويومَ الغميمِ قد تَكَفّفتَ ساعيا … عُبَيْسٌ فجعناه بجَلْدٍ حُلاحِلِ[5]
أإن أجمرَتْ فى بيتِها أمُّ بعضكم … بجُعموسِها تنزونَ أن لم نقاتِلِ[6]

= وفى قول لبيد :

حقائبهم راح عتيق ودرمك … ومسك وفاثورية وسلاسل

وكما قال البرقى : ألفيته فى نسخ صحيحة سوى نسخة الشيخ ، وإن صح ما فى نسخة الشيخ فهو كلام حذف منه ومعناه : ففافاثور ، وحسن حذف الفاء الثانية ، كما حسن حذف اللام الثانية فى قولهم : علماء بنى فلان لاسيما مع ضرورة الشعر ، وترك الصرف ، لأنه جعله اسم بقعة ، ومن الشاهد على أن فاثور اسم بقعة قول لبيد :

ويوم طعنتم فاسمعدت وفودكم … بأجماد فاثور كريم مصابر

أى أنا كريم مصابر ، ولذلك قال البكرى ولم يذكر فيه اختلافا . وقال هو اسم جبل يعنى فاثور وقال ابن مقبل :

حى ، محاضرهم شتى وجمعهم … دوم الإياد ، وفاثور إذا انتجعوا

وقال لبيد :

ولدى النعمان منى موطن … بين فاثور أفاق فالدخل

وجفان النعام : صغارها ، وهو مرفوع لأنه خبر كأن عن السهيلى .

(١) يندوهم : يجمعهم فى النادى . (٢) الوتير : ماء لخزاعة . (٣) نحبو : نعطى
(٤) بيض : منازل بنى كنانة . والعتود : ماء لهم . الخيف : ماانحدر من الجبل . رضوى جبل بالمدينة .
(٥) الغميم : مكان بين مكة والمدينة . تكفف : حاد . عبيس : اسم رجل . الحلاحل : السيد .
(٦) الجعموس : العذرة . أجمرت : ضرب من الحدث يسمج وصفه ويقبح .

كذبتم وبيت الله ما إن قتلتم ولكن تركنا أمركم فى بلابل[1]

قال ابن هشام : قوله «غير نافـــل» ، وقوله «إلى خيف رضوى» ،عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت فى ذلك :

لحا الله قوما لم تدع من سراتهم لهم أحدا يندوهم غير ناقب

أخصي حمار مات بالأمس نوفلا متى كنت مفلاحا عدو الحقائب

خزاعة تستنجد بالرسول : قال ابن إسحاق : فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة وأصابو منهم ما أصابوا ، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة ، وكانوا فى عقده وعهده ، خرج عمرو بن سالم الخزاعى ، ثم أحد بنى كعب ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان ذلك مما هاج فتح مكة ، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس ، فقال :

يارب إنى ناشد محمـــدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا

قد كنتم ولدا وكنا والدا ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا[2]

فانصر هداك الله نصرا أعتدا وادع عباد الله يأتوا مددا

فيهم رسول الله قـــد تجردا إن سيم خسفا وجهه تربدا

فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا إن قريشا أخلفوك الموعدا

ونقضوا ميثاقك المؤكـــدا وجعلوا لى فى كداء رصدا

وزعموا أن لست أدعوا أحدا وهم أذل وأقـــل عددا

هم بيتـــونا بالوتير هجدا وقتلونا ركعا وسجدا

يقول : قتلنا وقد أسلمنا .

فانصر هداك الله نصرا أيدا

قال بن هشام . ويروى أيضا :

نحن ولدناك فكنت ولدا

---

(١) البلابل : وساوس الأفكار .

(٢) يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة ، وكذلك قصى أمه : فاطمة بنت سعد الخزاعية ، والولد بمعنى الولد: وقوله : ثمت أسلمنا . هو من السلم لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أنه قال : ركعاً وسجداً ، فدل على أنه كان فيهم من صلى لله ، فقتل ، والله أعلم .

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نُصرت ياعمرُو بن سالم . ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عَنان[1] من السماء ، فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب.

ثم خرج بُدَيل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأخبروه بما أصيب منهم ، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم ، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد، ويزيد فى المدة . ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان بن حرب بعسفان ، قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليشد العقد ، ويزيد فى المدة، وقد رهبوا الذى صنعوا؛ فلما لقى أبو سفيان بديل بن ورقاء ، قال : من أين أقبلت يابديل ؟ وظن أنه قد أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، قال : تسيرتُ فى خزاعة فى هذا الساحل ، وفى بطن هذا الوادى ؛ قال : أو ماجئت محمداً ؟ قال : لا ؛ فلما راح بديل إلى مكة ، قال أبو سفيان : لئن جاء بديل المدينة لقد علف بها النوَى ، فأتى مبرك راحلته ، فأخذ من بعرها ففته ، فرأى فيه النوى ، فقال : أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً .

أبو سفيان يطلب الصلح : ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان ؛ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوَته عنه ، فقال : يابُنَيَّة ، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : والله لقد أصابك يابنية بعدى شر . ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ، فلم يرد عليه شيئا ، ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما أنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه، فقال : أأنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على علىّ بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، وعندها حسن بن على ، غلام يدب بين يديها ، فقال : ياعلى ، إنك أمسُّ القوم بى رحما ، وإنى قد جئت فى حاجة ، فلا أرجعن كما جئتُ خائبا ، فاشفع لى إلى رسول الله ، فقال : ويحك يا أبا سفيان ! والله لقد عزم رسول

(1) عنان : سحاب .

الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه : فالتفت إلى فاطمة فقال : يا ابنة محمد ، هل لك أن تأمري بُنَيَّك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؟ قالت : والله ما بلغ بُنَيّ ذلك أن يجير بين الناس وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] قال : يا أبا الحسن ، إني أرى الأمور قد اشتدت علي ، فانصحني ، قال : والله ما أعلم لك شيئا يغني عنك شيئا ، ولكنك سيد بني كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك ، قال : أو ترى ذلك مغنيا عني شيئا ؟ قال : لا والله ، ما أظنه ، ولكني لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان في المسجد، فقال : أيها الناس ، إني أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش ، قالوا : ما وراءك ؟ قال : جئت محمدا فكلمته ، فوالله ما رد علي شيئا، ثم جئت ابن أبي قحافة، فلم أجد فيه خيرا ، ثم جئت ابن الخطاب ، فوجدته أدنى العدو .

قال ابن هشام : أعدى العدو .

قال ابن إسحاق : ثم جئت عليا فوجدته ألين القوم ، وقد أشار علي بشيء صنعته ، فوالله ما أدري هل يغني ذلك شيئا أم لا ؟ قالوا : وبم أمرك ؟ قال : أمرني أن أجير بين الناس ، ففعلت ، قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال لا ، قالوا . ويلك ! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك فما يغني عنك ما قلت : قال : لا والله ، ما وجدت غير ذلك .

الاستعداد لفتح مكة : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهزوه ، فدخل أبو بكر على ابنته عائشة رضي الله عنها ، وهي تحرك بعض جهاز رسول الله

---

(١) وقد ذكر أبو عبيد هذا محتجاً به على من أجاز أمان الصبي وجواره ، ومن أجاز جوار الصبي إنما أجازه إذا عقل الصبي ، وكان كالمراهق .

وقولها : ولا يجير أحد على رسول الله ، وقد قال عليه السلام : يجير على المسلمين أدناهم ، فمعنى هذا — والله أعلم — كالعبد ونحوه يجوز جواره، فيما قل ، مثل أن يجير واحداً من العدو أو نفرا يسيراً ، وأما أن يجير على الإمام قوماً يريد الإمام غزوهم وحربهم ، فلا يجوز ذلك عليهم ، ولا على الإمام ، وهذا هو الذي أرادت فاطمة — رضي الله عنها — والله أعلم ، وأما جوار المرأة وتأمينها فجائز عند جماعة الفقهاء إلا سحنون وابن الماجشون ، فإنهما قالا : هو موقوف على إجازة الإمام ، وقد قال عليه السلام لأم هانىء : قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء ، وروى معنى قولها عن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد . وأما جوار العبد ، فجائز إلا عند أبي حنيفة ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم : ويجير على المسلمين أدناهم ، يدخل فيه العبد والمرأة.

صلى الله عليه وسلم ، فقال : أى بنية : أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت : نعم ، فتجهز ، قال : فأين ترينه يريد ؟ قالت لا والله ما أدرى ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة : وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها . فتجهز الناس .

فقال حسان بن ثابت يحرض الناس ، ويذكر مصاب رجال خزاعة :

عنانى ولم أشهد ببطحاء مكة	رجال بنى كعب تحز رقابها
بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم	وقتلى كثير لم تجن ثيابها[1]
ألا ليت شعرى هل تنالن نصرتى	سهيل بن عمرو وخزها وعقابها
وصفوان عودحن من شفر واسته	فهذا أوان الحرب شد عصابها
فلا تأمننا يابن أم مجالد	إذا احتلبت صرفا وأعصل نابها[2]
ولا تجزعوا منا فإن سيوفنا	لها وقعة بالموت يفتح بابها

قال ابن هشام : قول حسان : « بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم » يعنى قريشا ، « وابن أم مجالد » يعنى عكرمة بن أبى جهل .

حاطب يحذر أهل مكة : قال ابن إسحاق . وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير وغيره من علمائنا ، قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتابا إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ثم أعطاه امرأة ، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لى غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، ، جعل لها جعلا على أن تبلغه قريشا ، فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها ، ثم خرجت به ، ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب ، فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما فقال: أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ما قد أجمعنا له فى أمرهم ، فخرجا حتى أدركاها بالخليفة ، خليفة بنى أبى أحمد فاستنزلاها ، فالتمساه فى رحلها ، فلم يجدا شيئا ، فقال لها على بن أبى طالب : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله

(١) تجن : تستر ، يريد أنهم قتلوا ولم يستروا بالدفن .

(٢) أعصل : أعوج .

عليه وسلم ولا كذبنا ، ولتخرجِنّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجد منه ، قالت : أعرض ، فأعرض ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها ، فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطبا ، فقال : ياحاطب، ما حملك على هذا ؟ فقال : يارسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله، ماغيرت ولا بدلت ولكنى كنت امرأ ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل . فصانعتهم عليهم . فقال عمر بن الخطاب ، يارسول الله ، دعنى فلأضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك ياعمر ، لعل الله قد اطّلع إلى أصحاب بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم . فأنزل الله تعالى فى حاطب : « يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوّكم أولياءَ تُلقون إليهم بالمودةِ » . . إلى قوله . « لقد كانت لكم أسوةٌ حسنةٌ فى إبراهيمَ والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا بُرَآءُ منكم ومما تعبدون من دونِ اللهِ ، كفرنا بكم وبدَا بيننا وبينكم العداوةُ والبغضاءُ أبداً حتى تؤمنوا باللهِ وحدَه » . إلى آخر القصة.

خروج الرسول إلى مكة . قال ابن إسحاق . وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال . ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رُهْم ، كُلثوم بن حُصَين بن عتبة بن خلف الغفارى ، وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكُدَيْد ، بين عُسْفان وأَمَجَ أفطر .

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مَرَّ الظّهران فى عشرة آلاف من المسلمين ، فسبّعت سُلَيم وبعضهم يقول ألفت سليم ، وألفت مُزَينة [1] ، وفى كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار ، فلم يتخلف عنه منهم أحد ، فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ الظّهران ، وقد عُمّيت الأخبار عن قريش ، فلم يأتهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولايدرون ما هو فاعل ، وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب ، وحكيم بن حزام ، وبُدَيل بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به ، وقد كان العباس بن عبد المطلب لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق.

قال ابن هشام : لقيه بالجُحْفَة مهاجرا بعياله ، وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض ، فيما ذكر ابن شهاب الزهرى .

(١) سبعت : صارت سبعمائة . وألفت : صارت ألفا

إسلام أبي سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية: قال ابن إسحاق: وقد كان أبو سفيان ابن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا بنيق العُقاب، فيما بين مكة والمدينة، فالتمسا الدخول عليه، فكلمته أم سلمة فيهما، فقالت: يارسول الله، ابن عمك وابن عمتك وصهرك، قال: لا حاجة لى بهما، أما ابن عمى فهتك عرضى، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال. قال: فلما خرج الخبر إليهما بذلك، ومع أبي سفيان بُنَى له [1]. فقال: والله ليأذنن لى أو لآخذن بيدى بنى هذا، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشا وجوعا، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما، ثم أذن لهما؛ فدخلا عليه، فأسلما.

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله فى إسلامه، واعتذر إليه مما كان مضى منه، فقال:

لعَمرُك إنى يوم أحملُ رايةً ... لتغلبَ خيلُ اللاتِ خيلَ محمدِ

لكالمدلجِ الحيرانِ أظلمَ ليلُه ... فهذا أوانى حين أُهدَى وأهتدى

هدانىَ هادٍ غيرُ نفسى ونالنى ... مع اللهِ مَن طَردتُ كلَّ مُطَرَّدِ

أصُدُّ وأنأى جاهداً عن محمدٍ ... وأدعَى وإن لم أنتسبْ من محمدِ

همُ ما همُ من لم يقلْ بهواهمُ ... وإن كان ذا رأيٍ يُلَمْ ويُفَنَّدِ [2]

أريد لأرضيهم ولستُ بلائطٍ ... مع القومِ ما لم أُهدَ فى كلِّ مَقعدِ [3]

فقل لثقيفٍ لا أُريدُ قتالَها ... وقل لثقيفٍ تلكَ: غَيرِى أوعِدِى

فما كنتُ فى الجيشِ الذى نال عامراً ... وما كان جَرَّا لسانى ولا يَدِى [4]

قبائلُ جاءت من بلادٍ بعيدةٍ ... نزائعُ جاءت من سِهامٍ وسُرْدُدِ

قال ابن هشام: ويروى «ودلنى على الحق من طردت كل مطرد».

قال ابن إسحاق: فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:

---

(١) لعله يكون جعفرا، فقد كان آنذاك غلاما مدركا وشهد مع أبيه حنينا ومات فى خلافة معاوية.

(٢) يفند: يكذب.

(٣) لاط: لصق.

(٤) جرا: جراء.

« ونالني مع الله من طردت كلَّ مُطَرَّد » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدره ، وقال : أنت طردتني كل مطرد .

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب : فقلت واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر . قال : فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، فخرجت عليها . قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلي أجد بعض الحطّابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة . قال : فوالله إني لأسير عليها ، وألتمس ماخرجت له ، إذ سمعت كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء ، وهما يتراجعان ، وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيرانا قط ولا عسكرا ، قال : يقول بُدَيل : هذه والله خزاعة حَمَشَتْها (١) الحرب . قال : يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها ؛ قال : فعرفت صوته ؛ فقلت : يا أبا حنظلة ، فعرف صوتي ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : مالك ؟ فداك أبي وأمي ؛ قال : قلت : ويحك يا أباسفيان ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس ، واصباح قريش والله . قال : فما الحيلة ؟ فداك أبي وأمي ؛ قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب في عجز هذه البغلة حتى آتي بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك ؛ قال : فركب خلفي ورجع صاحباه ؛ قال : فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها ، قالوا : عمُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إليَّ ؛ فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة ، قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذي أمكن بغير منك عقد ولا عهد ، ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضتُ البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء . قال : فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر ، فقال : يارسول الله ، هذا أبو سفيان أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلأضرب عنقه ، قال : قلت : يارسول الله ، إني قد أجرته ، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لايناجيه الليلة دوني رجل ؛ فلما أكثر عمر في شأنه ، قال : قلت : مَهلا ياعمر ، فوالله أن لو كان من بني عدي بن كعب ماقلت

---

(١) حمشتها : أحرقتها

هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ، فقال : مهلا ياعباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به ياعباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتنى به ، قال : فذهبت به إلى رحلى فبات عندى فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال ، ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، والله قد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئا بعد ، قال : ويحك يا أبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئا . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يارسول الله ، إن أباسفيان رجل يحب الفخر، فاجعل له شيئا، قال : نعم، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعباس ، احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل [1] ، حتى تمر به جنود الله فيراها . قال: فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى، حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه.

عرض الجيش على أبى سفيان : قال : ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالى ولسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول ياعباس ، من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : مالى ولمزينة ، حتى نفدت القبائل ، ما تمر به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالى ولبنى فلان ، حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال الحارث بن حِلِّزة اليشكرى :

ثم حُجْرا أعنى ابنَ أمِّ قَطامٍ وله فارسيّةٌ خضراءُ

يعنى الكتيبة ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال حسان بن ثابت الأنصارى :

---

(١) الخطم : الأنف ، شىء يخرج من الجبل يضيق به الطريق .

لما رأى بدراً تسيلُ جِلاهُه بكتيبةٍ خضراءَ من بَلْخَزْرَجِ

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لا يُرى منهم إلا الحَدَق من الحديد ، فقال : سبحان الله : ياعباس ، من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ، قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيما ، قال : قلت : يا أبا سفيان ، إنها النبوة . قال : فنعم إذن .

قال : قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يا معشر قريش ، هذا محمد جاءكم فيما لاقِبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا الحَمِيت الدَّسِمَ الأحْمَسَ[1] قُبِّح من طليعة قوم[2] قال : ويلكم لاتغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ! وما تغنى عنا دارك ، قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذى طَوًى وقف على راحلته معتجراً بشُقة بُرد حَبِرة حمراء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعا لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عُثنونَه ليكاد يمس واسطة الرحل .

إسلام أبى قحافة : قال ابن إسحاق . وحدثنى يحيى بن عبد بن الزبير ، عن أبيه ، عن جدته أسماء بنت أبى بكر ، قالت . لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذى طَوًى قال أبو قحافة لابنة[3] من أصغر ولده : أى بُنية ، اظهرى بى على أبى قُبيس[4] ، قالت وقد كف بصره ،

(١) الحميت : الزق ، تشبه إلى الضخم والسمن ، والأحمس الذى لاخـير عنده ، من قولهم : عام أحمس إذا لم يكن فيه مطر ، وزاد عبد بن حميد فى حديثه أنها قالت : يا آل غالب اقتلوا الأحمق ، فقال لها أبو سفيان : والله لتسلمن أو لأضربن عنقك ، وفى إسلام أبى سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عدتها ، ثم استقرا على نكاحهما ، وكذلك حكيم بن حزام مع امرأته حجة للشافعى ، فإنه لم يفرق بين أن تسلم قبله أو يسلم قبلها ، مادامت فى العدة . وفرق مالك بين المسألتين على ما فى الموطأ وغيره . (٢) طليعة القوم : الذى يحرسهم .

(٣) واسمها : أم فروة زوجة تميم الدارى ومن بعده الأشعث بن قيس . أو هى قريبة زوجها قيس بن سعد بن عبادة . (٤) أبو قبيس : جبل بمكة .

قالت : فأمرتنى به عليه ، فقال أى بُنية ، ماذا ترين ؟ قالت : أرى سواداً مجتمعا ، قال : تلك الخيل ، قالت ، وأرى رجلا يسعى بين يدى ذلك مقبلا ومدبراً ، قال : أى بُنية ، ذلك الوازع يعنى الذى يأمر الخيل ، ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دُفعت الخيل ، فأسرعى بى إلى بيتى ، فانحطت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفى عنق الجارية طَوق من وَرِق [1] ، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر ، يارسول الله ، هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشىَ إليه أنت . قال : قالت : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ، ثم قال له : أسلم ، فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر وكأن رأسه ثَغامة [2] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غيروا هذا من شعره [3] ، ثم قام

---

(١) الطوق : القلادة تطوق العنق . الورق : الفضة .

(٢) الثغامة . واحدة الثغام ، نبات أبيض الشجر والزهر ، يشدد بياضه إذا يبس .

(٣) هو على الندب ، لا على الوجوب ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يغير شيبه ، وقد روى من طريق أبى هريرة أنه خضب . وقال من جمع بين الحديثين : إنما كانت شيبات يسيرة يغيرها بالطيب . وقال أنس : لم يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم حد الخضاب وفى البخارى عن عثمان بن موهب : قال : أرتنى أم سلمة شعراً من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفيه أيضاً عن ابن موهب قال : بعثنى أهلى بقدح إلى أم سلمة ، وذكر الحديث ، وفيه اطلعت فى الجلجل فرأيت شعرات حمراً ، وهذا كلام مشكل وشرحه فى مسند وكيع بن الجراح قال : كان جلجلا من فضة صنع صيوناً لشعرات كانت عندهم من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فإن قيل فهذا يدل على أنه كان مخضوب الشيب ، وقد صح من حديث أنس وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يخضب إنما كانت شعيرات تعد .

فالجواب : أنه لما توفى خضب من عنده شىء من شعره : تلك الشعرات ليكون أبقى لها ، كذلك قال الدارقطنى فى أسماء رجال الموطأ له ، وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم ، وكان عمر يخضب بالصفرة ، وكذلك عثمان وعبد الله بن عمر .

وبعض أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحاق فى شيب أبى قحافة : وجنبوه السواد =

أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختى ، فلم يجبه أحد ، قالت : فقال : أى أخية ، احتسبى طوقك ، فوالله إن الأمانة فى الناس اليوم لقليل .

دخول مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذى طوى ، أمر الزبير بن العوام أن يدخل فى بعض الناس من كُدًى، وكان الزبير على المُجنِّبة اليسرى ، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل فى بعض الناس من كَداء [1] .

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلا ، قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تُستحل الحرمة ، فسمعها رجل من المهاجرين — قال ابن هشام : هو عمر ابن الخطاب — فقال : يارسول الله : اسمع ما قال سعد بن عبادة ، ما نأمن أن يكون له فى قريش صَوْلة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب : أدركه ، فخذ الراية منه فكن أنت الذى تدخل بها .

= وأكثر العلماء على كراهة الخضاب بالسواد من أجل هذا الحديث ، ومن أجل حديث آخر جاء فيه الوعيد والنهى لمن خضب بالسواد ، وقيل : أول من خضب بالسواد فرعون وقيل : أول من خضب به من العرب عبد المطلب ، وترخص قوم فى الخضاب بالسواد منهم محمد بن على وروى عن عمر أنه قال : أخضبوا بالسواد ، فإنه أنكى للعدو ، وأحب للنساء . وقال ابن بطال فى الشرح : إذا كان الرجل كهلا لم يبلغ الهرم جاز له الخضاب بالسواد ، لأن فى ذلك ما قال عمر رضى الله عنه من الإرهاب على العدو والتحبب إلى النساء ، وأما إذا قوس واحدودب فحينئذ يكره له السواد ، كما قال رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فى أبى قحافة : غيروا شيبه ، وجنبوه السواد .

(1) كداء بفتح الكاف والمد ، وهو بأعلى مكة . وكدى وهو من ناحية عرفة ، وبمكة موضع ثالث يقال : كدا بضم الكاف والقصر ، وأنشدوا فى كداء وكدى :

أقفرت بعد عبد شمس كداء ، فكدى فالركن والبطحـــاء

وبكداء وقف إبراهيم عليه السلام حين دعا لذريته بالحرم . كذلك روى سعيد بن جبير عن ابن عباس . فقال « فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم » فاستجيبت دعوته ، وقيل له : أذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا . ألا تراه يقول «يأتوك » ولم يقل يأتونى . لأنها استجابة لدعوته فمن ثم — والله أعلم — استحب النبى صلى الله عليه وسلم إذا أتى مكة أن يدخلها من كداء لأنه الموضع الذى دعا فيه إبراهيم بأن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى عبد الله بن أبى نجيح فى حديثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد ، فدخل من اللِّيط ، أسفل مكة ، فى بعض الناس ، وكان خالد على المُجَنِّبة اليمنى ، وفيها أسلم وسُلَيم وغِفار ومُزَينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين يَنصَبُّ لمكة بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أَذَاخِر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هنالك قبته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح وعبد الله بن أبى بكر : أن صفوان بن أمية وعِكرِمة بن أبى جهل وسُهَيل بن عمرو كانوا قد جمعوا ناسا بالخَنْدَمة ليقاتلوا ، وقد كان حِمَاسُ ابن قيس بن خالد أخو بنى بكر ، يعد سلاحا قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ما أرى ؟ قال لمحمد وأصحابه ، قالت : والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شىء ، قال : والله إنى لأرجو أن أُخدِمَك بعضهم ، ثم قال :

إن يُقبلوا اليومَ فما لى عِــلَّهْ ... هذا سلاحٌ كاملٌ وأَلَّهْ[1]

وذو غِرارين سريعُ السَّلَّهْ[2]

ثم شهد الخَنْدَمة مع صفوان وسهيل وعِكرمة فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ناوشوهم شيئا من قتال ، فقُتل كُرز بن جابر ، أحد بنى محارب بن فِهر ، وخُنَيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بنى منقذ ، وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقا غير طريقه فقتلا جميعا ، قُتل خُنَيس بن خالد قبل كُرز بن جابر ، فجعله كرز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قتل ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت صفراءُ من بنى فِهِرْ ... نقيةُ الوجهِ نقيةُ الصَّدِرْ[3]

لأضربنَ اليومَ عن أبى صَخِرْ

قال ابن هشام : وكان خُنيس يكنى أبا صخر ، قال ابن هشام : خنيس بن خالد ، من خزاعة .

---

(١) الألة : الحربة ذات السنان الطويلة . (٢) غرارين : حدين .

(٣) قوله : من بنى فهر بكسر الهـاء وأبو صخر : هذا على على مذهب العرب فى الوقف على ما أوسطه ساكن ، فإن منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عين الفعل فى الوقف ، وذلك إذا كان الاسم مرفوعا أو مخفوضاً ، ولا يفعلون ذلك فى النصب وعلله مستقصاة فى النحو .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن بكر ، قالا : وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلا ، أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا ، فخرج حماس منهزما حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقي عليّ بابي ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟ فقال :

إنك لو شهدتِ يومَ الخَنْدَمَهْ ‏ إذ فر صفوانُ وفر عِكرمهْ
وأبُو يزيدَ قائمٌ كالمؤتمـــه ‏ واستقبلتهم بالسيوفِ المُسْلِمه [1]
يقطعن كلَّ ساعـدٍ وجمجمـه ‏ ضربا فلا يُسمعُ إلا غَمغمه
لهم نَهِيتٌ خلفَنـــا وهمهمه ‏ لم تنطقى فى اللومِ أدنى كلمه [2]

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله «كالمؤتمه» وتروى للرعّاش الهذلى .

شعار المسلمين يوم فتح مكة : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحنين والطائف ، شعار المهاجرين : يابنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يابنى عبد الله وشعار الأوس : يابنى عُبيد الله .

من أمر النبي بقتلهم : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلى من قاتلهم ، إلا أنه قد عهد فى نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وُجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بنى عامر بن لؤى .

---

(١) وقوله : وابو يزيد بقلب الهمزة من أبو ألفاً ساكنة ، فيه حجة لعثمان بن سعيد بن عبد الله المصرى المشهور بورش حيث أبدل الهمزة ألفاً ساكنة ، وهى متحركة ، وإنما قياسها عند النحويين أن تكون بين بين ومثل قوله : وابو يزيد ، قول الفرزدق .

فارعى فزار لا هناك المرتع

وإنما هو هنأك بالهمزة وتسهيلها بين بين فقلبها ألفاً على غير القياس المعروف فى النحو ، وكذلك قولهم المنساة وهى العصا ، وأصلها الهمزة ، لأنها مفعلة من نسأت ، وهى فى التنزيل كما ترى فى قوله تعالى : « مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته » .

(٢) النهيت والهمهمة : أصوات .

وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحي ، فارتد مشركا راجعا إلى قريش ، ففر إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له : فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ، ثم قال : نعم ، فلما انصرف عنه عثمان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمتُّ ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إليّ يارسول الله ؟ قال: إن النبي لا يقتل بالإشارة .

قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ، ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

قال ابن إسحاق: وعبد الله بن خَطَل ، رجل من بني تيم بن غالب : إنما أمر بقتله أنه كان مسلما ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مُصَدِّقا ، وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلما ، فنزل منزلا ، وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، فيصنع له طعاما ، فنام ، فاستيقظ ولم يصنع له شيئا ، فعدا عليه فقتله ، ثم ارتد مشركا .

وكانت له قينتان : فَرْتَنى وصاحبتها ، وكانتا تُغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

والحويرث بن نُقَيْذ بن وهب بن عبد بن قصي ، وكان ممن يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام : وكان العباس بن عبد المطلب حمل فاطمة وأم كلثوم ، ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة ، فنخس بهما الحويرث بن نُقَيذ ، فرمى بهما إلى الأرض .

قال ابن إسحاق ومِقْيَس بن حُبابة : وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ، لقتل الأنصاري الذي كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مشركا : وسارة ، مولاة لبعض بني عبد المطلب . وعِكرمة بن أبي جهل . وكانت سارة ممن يؤذيه بمكة ، فأما عِكرمة فهرب إلى اليمن وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمّنه ، فخرجت في طلبه إلى اليمن ، حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم . وأما عبد الله بن خَطَل ، فقتله سعيد بن حُريث المخزومي وأبو برزة الأسلمي ، اشتركا في دمه ، وأما مِقْيَس بن حُبابة فقتله نُميلة بن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مِقْيَس في قتله :

لَعَمري لقد أخزى نُميلةُ رهطه ... وفجّع أضيافَ الشتاءِ بمِقْيَسِ

فللهِ عَينا من رأى مثل مِقْيَسٍ   إذا النفَساءُ أصبحتْ لم تخرَّسِ(١)

وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما ، وهربت الأخرى ، حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمنها . وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرسا فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها . وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن أبى مرة ، مولى عقيل بن أبى طالب ، أن أم هانىء بنت أبى طالب قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فر إلىَّ رجلان من أحمائى ، من بنى مخزوم ، وكانت عند هبيرة بن أبى وهب المخزومى ، قالت : فدخل علىَّ علىٌّ بن أبى طالب أخى ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما باب بيتى ، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جَفنة إن فيها لأثرَ العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلىَّ ، فقال : مرحبا وأهلا يا أم هانىء ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر على ؛ فقال : قد أجرنا من أجرت ، وأمَّنا من أمنت ، فلا يقتلْهما .

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام ، وزهير بن أبى أمية بن المغيرة .

الرسول يدخل الحرم : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبد الله ابن عبد الله بن أبى ثور ، عن صفية بنت شيبة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة ، واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعا على راحلته ، يستلم الركن بمحجن(٢) فى يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها فوجد فيها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكفّ له الناس(٣) فى المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة(٤) أو دم أو مال يُدَّعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة(٥) البيت

(١) التخريس : نوع الطعام يصنع للمرأة بعد ولادتها .
(٢) المحجن : عصا معقفة الرأس .
(٣) استكف : اجتمع   (٤) المأثرة : ما يتحدث به من المكارم .
(٥) السدانة : الخدمة .

وسِقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شِبه العمد بالسَّوط والعصا ،ففيه الدية مغلظة ، مائة من الإبل أربعون منها فى بطونها أولادها : يامعشر قريش : إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ، وتعظمّها بالآباء ، الناس من آدم ،وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية :« يا أيها الناسُ إناخلقناكم من ذكرٍ وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عندَ اللهِ أتقاكم » . . . الآية كلها . ثم قال يامعشر قريش ،ماتَرَوْنَ أنى فاعل فيكم ؟ قالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ؛ قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ؛ فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ؛ فقال ؛ يارسول الله ؛ اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن طلحة ؟ فدُعى له ، فقال : هاك مفتاحك ياعثمان ؛ اليوم يوم بِر ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عُيَينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى : إنما أعطيكم ماتُرْزَءون لاما تَرْزَءونْ .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح ؛ فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ؛ فرأى إبراهيم عليه السلام مصورا فى يده الأزلام [1] يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام «ماكان إبراهيمُ يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ، وماكان من المشركين » . ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

قال ابن هشام : وحدثنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه سلم وتخلف بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى؛ فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قِبل وجهه ، وجعل الباب قِبل ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قدر ثلاث أذرع ثم يصلى ، يتوخى بذلك الموضع الذى قال له بلال .

قال ابن هشام ، وحدثنى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن ، وأبو سفيان بن حرب وعتَّاب بن أسيد والحارث بن هشام

---

(١) الأزلام : السهام التى يستقسم بها .

جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد لقد أكرم الله أسيدا ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه مايغيظه . فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئا ، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى ، فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : قد علمت الذى قلتم ، ثم ذكر ذلك لهم ؛ فقال الحارث وعتاب : نشهد أنك رسول الله والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا ، فنقول أخبرك .

قال ابن إسحاق : حدثنى سعيد بن أبى سَنْدر الاسلمى ، عن رجل من قومه، قال كان معنا رجل يقال له أحمر بأسا ، وكان رجلا شجاعا ، وكان إذا نام غط غطيطا منكرا لايخفى مكانه ، فكان إذا بات فى حيه بات معتنزا [١] ، فإذا بُيت الحى [٢] صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لايقوم لسبيله شىء : فأقبل غَزِىٌّ من هذيل يريدون حاضره [٣] ؛ حتى إذا دنوا من الحاضر قال ابن الأثوع الهذلى : لا تعجلوا علىّ حتى أنظر ، فإن كان فى الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فإن له غطيطا لايخفى ، قال : فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف فى صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ؛ فلما كان عام الفتح ، وكان الغد من يوم الفتح ، أتى ابن الأثوع الهذلى حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شركه ، فرأته خزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جُدُر مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحمر ؟ قال : نعم ، أنا قاتل أحمر فمه؟ قال: إذ أقبل خراش ابن أمية مشتملا على السيف ، فقال هكذا عن الرجل [٤] ، ووالله ما نظن إلا أنه يريد أن يُفرِّج الناس عنه . فلما انفرجنا عنه حمـــل عليه ، فطعنه بالسيف فى بطنه ، فوالله لكأنى أنظر إليه وحِشْوَته [٥] تسيل من بطنه ، وإن عينيه لَتُرَنِّقان [٦] فى رأسه ، وهو يقول : أقد فعلتموها يامعشر خزاعة ؟ حتى انجعف [٧] فوقع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدِيَنَّه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى ، عن سعيد بن المسيِّب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع خِرَاش بن أمية ، قال: إن خراشا لقتَّال ؛ يعيبه بذلك.

---

(١) معتنزا . منفردا .
(٢) بيت : غزى ليلا
(٣) الحاضر : النازلون على الماء
(٤) أى تنحوا عنه .
(٥) حشوته : ما اشتمل عليه جوفه من الأحشاء .
(٦) ترنقان ؛ قربتا على الانغلاق
(٧) انجعف : سقط بكل ثقله .

قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن أبي سعيد المَقْبُري ، عن أبي شريح الخزاعي ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير[1] مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جئته ، فقلت له : ياهذا ، إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فقال: يأيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض ، فهي حرام من حرام إلى يوم القيامة ؛ فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر،أن يسفك فيها دما . ولا يَعْضِد[2] فيها شجراً لم تُحلَل لأحد كان قبلي ، ولا تَحل لأحد يكون بعدي ، ولم تُحلَل لي إلا هذه الساعة ، غضبا على أهلها . ألا ، ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يُحلِلْها لكم ، يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدينه ، فمن قتل بعد مقامي هذا فأهله بخير النظرين . إن شاءوا فدم قاتله ، وإن شاءوا فعقله : ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذي قتلته خزاعة ، فقال عمرو لأبي شريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إني كنتُ شاهدا وكنتَ غائبا ، ولقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتك ، فأنت وشأنك .

قال ابن هشام : وبلغني أن أول قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جُنَيدب ابن الأكوع ، قتلته بنو كعب ، فوداه بمائة ناقة .

تخوف الأنصار من بقاء الرسول بمكة : قال ابن هشام : وبلغني عن يحيى بن سعد : أن النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا : لاشيء يارسول الله؛ فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : معاذ الله ! المحيا محياكم ، والممات مماتكم .

---

(1) هذا وهم من ابن هشام . وصوابه : عمرو بن سعيد بن العـــاص بن أمية ، وهو الأشدق ... وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائي في روايته ، من أجل أن عمرو بن الزبير كان معاديا لأخيه عبد الله ومعينا لبني أمية . هذا ما ذهب إليه السهيلي في الروض الأنف.

(2) يعضد : يقطع .

كسر الأصنام : قال ابن هشام : وحدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له، عن ابن شهاب الزهري، عن عبيدالله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص : فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول « جاء الحقُّ وزَهق الباطلُ إن الباطلَ كان زهوقا » فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع ، فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك :

وفي الأصنامِ معتَــبَرٌ وعلمٌ   لمن يرجو الثوابَ أو العقابا

إسلام فضالة : قال ابن هشام : وحدثني : أن فضالة بن عمير بن الملوح الليثي أراد قتل النبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت عام الفتح ، فلما دنا منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يارسول الله ، قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال : لاشيء ، كنت أذكر الله ، قال : فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استغفر الله ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول والله مارفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحب إلي منه . قال فضالة : فرجعت إلى أهلي ، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها ، فقالت : هلم إلى الحديث ، فقلت : لا : وانبعث فضالة يقول:

قالت هلمَّ إلى الحديثِ فقلتُ لا   يأبَى عليكِ اللهُ والإسلامُ
لومَا رأيتِ محمدا وقبيلَه   بالفتحِ يومَ تكسُّر الأصنامِ
لرأيتِ دينَ اللهِ أضحَى بيِّناً   والشركُ يغشَى وجهَه الإظلامُ

الأمان لصفوان بن أمية : قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير قال : خرج صفوان بن أمية يريد جُدّة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يانبي الله إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هاربا منك ، ليقذف نفسه في البحر ، فأمّنه صلى الله عليك ، قال : هو آمن ، قال : يارسول الله فأعطني آية يعرف بها أمانك ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب في البحر ، فقال : ياصفوان فداك أبي وأمي ، الله الله في نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به ، قال : ويحك ! اغرب عني فلا تكلمني ، قال : أي صفوانُ ، فداك أبي وأمي ، أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ، قال : إني أخافه على نفسي ، قال : هو أحلم من ذاك وأكرم . فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتنى قال : صدق ، قال : فاجعلنى فيه بالخيار شهرين ، قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثنى رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لعمير : ويحك ! اغرب عنى ، فلا تكلمنى ، فإنك كذاب ، لما كان صنع به ، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر .

إسلام رءوس أهل مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى : أن أم حكيم بنت الحارث ابن هشام ، وفاختة بنت الوليد - وكانت فاختة عند صفوان بن أمية ، وأم حكيم عند عكرمة ابن أبى جهل - أسلمتا ، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعكرمة ، فأمنه فلحقت به باليمن ، فجاءت به ، فلما أسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الأول .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : قال : رمى حسان : ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد مازاده عليه :

لاتعدمن رجلا أحلك بغضه نجران فى عيش أحذ لئيم[1]

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، فقال حين أسلم :

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور[2]
إذ أبارى الشيطان فى سنن الغى ومن مال ميله مثبور[3]
آمن اللحم والعظام لربى ثم قلبى الشهيد أنت النذير
إننى عنك زاجر ثم حيا من لؤى وكلهم مغرور

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى أيضا حين أسلم :

منع الرقاد بلابل وهموم والليل معتلج الرواق بهيم[4]
مما أتانى أن أحمد لامنى فيه فبت كأننى محموم

---

(١) الأحذ : القليل .

(٢) الراتق : الساد . بور : هالك . (٣) أبارى : أجارى . مثبور : هالك .

(٤) البلابل : وساوس الأحزان . معتلج : مضطرب . والبهيم شديد الإظلام .

يا خيرَ من حملت على أوصالها عيرانةٌ سُرُحُ اليدين غشومُ[1]
إنى لمعتذرٌ إليك من الذى أسديتُ إذ أنا فى الضلال أهيمُ
أيامَ تأمرُنى بأغوَى خُطةٍ سَهمٌ وتأمرنى بها مخزومُ
وأُمِدُّ أسبابَ الرّدَى ويقودنى أمرُ الغُواةِ وأمرُهم مشئومُ
فاليومَ آمنَ بالنبىِّ محمدٍ قلبى ومخطئُ هذه محرومُ
مضتِ العداوةُ وانقضت أسبابها ودعتْ أواصرُ بيننا وحلومُ
فاغفرْ - فدًى لك والدَاىَ كلاهُما - زَلَلى ، فإنك راحمٌ مرحومُ
وعليك من عِلمِ المليكِ علامةٌ نورٌ أغرُّ وخاتمٌ مختومُ
أعطاك بعد محبةٍ برهانَه شرفا وبرهانُ الإلهِ عظيمُ
ولقد شَهِدتُ بأن دينَك صادقٌ حقٌّ وأنك فى العبادِ جسيمُ
واللهُ يشهدُ أن أحمدَ مُصطَفَى مُستقبَلٌ فى الصالحين كريمُ
قَرمٌ علا بنيانُه من هاشمٍ فَرعٌ تمكن فى الذُّرا وأُرومُ[2]

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

هبيرة يبقى على كفره : قال ابن إسحاق : وأما هُبيرة بن أبى وهب المخزومى فأقام بها حتى مات كافرا ، كانت عنده أم هانىء بنت أبى طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانىء :

أشاقتكَ هندٌ أم أتاك سؤالُها كذاك النوَى أسبابُها وانفتالُها[3]
وقد أرّقتْ فى رأسِ حِصنٍ مُمنّعٍ بنجرانَ يسرِى بعد ليلٍ خيالُها
وعاذلةٍ هبّتْ بليلٍ تلومنى وتعذِلنى بالليلِ ضلّ ضلالُها
وتزعُم أنى إن أطعتُ عشيرتى سأردَى وهل يُردِينِ إلا زيالُها[4]

---

(١) العيرانة : الناقة الشديدة تشبه العير . سرح اليدين : شديدتهما . غشوم : لا ترد عن وجهها .
(٢) قرم : سيد . الأروم : الأصول .
(٣) انفتالها : تقلبها .
(٤) أردى : أهلك . زيالها : ذهابها .

فإنى لمن قومٍ إذا جَدَّ جِدُّهم ... على أىِّ حالٍ أصبحَ اليومَ حالُها
وإنى لَحَامٍ من وراءِ عشيرتى ... إذا كان من تحتِ العوالى مجالُها(١)
وصارت بأيديها السيوفُ كأنها ... مخاريقُ وِلدانٍ ومنها ظِلالُها(٢)
وإنى لأقْلِى الحاسدين وفعلَهم ... على اللهِ رزقى نفسُها وعيالُها
وإن كلامَ المرءِ فى غيرِ كُنْهِه ... لكالنَّبْلِ تهوِى ليس فيها نِصالُها
فإن كُنتِ قد تابعتِ دينَ محمدٍ ... وعطَّفَتِ الأرحامَ منك حبالُها
فكونى على أعلَى سَحيقٍ بهَضْبَةٍ ... مُلَمْلَمَةٍ غبراءَ يَبْسٍ بِلالُها(٣)

قال ابن إسحاق: ويروى: «وقطعت الأرحام منك حبالها».

عدة من فتح مكة: قال ابن إسحاق: وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف. من بنى سُلَيم سبعمائة. ويقول بعضهم: ألف؛ ومن بنى غفار أربعمائة، ومن أسلم أربعمائة؛ ومن مُزَينة ألف وثلاثة نفر، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد.

ما قيل من الشعر فى فتح مكة: وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصارى:

عفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِوَاءُ ... إلى عذراءَ منزلُها خَلاءُ(٤)
ديارٌ من بنى الحَسْحاسِ قَفْرٌ ... تُعفِّيها الروامسُ والسماءُ(٥)

---

(١) العوالى: الرماح.
(٢) المخاريق: ما يلعب به الأطفال من الخرق المفتولة.
(٣) ململمة: مستديرة.
(٤) عفت: تغيرت. ذات الأصابع، والجواء: موضعان بالشام. وبالجواء كان منزل الحارث بن أبى شمر الغسانى. وكان حسان كثيرا ما يرد على ملوك غسان يمدحهم. وعذراء: قرية على بريد من دمشق قتل بها حجر بن عدى وأصحابه.
(٥) بنو الحسحاس: حى من بنى أسد. وقوله الروامس والسماء، يعنى: الرياح والمطر.

وكانت لايزال بها أنيسٌ خِلال مروجها نَعَمٌ وشاءُ[1]

فَدع هذا ، ولكن مَن لِطيْفٍ يؤرقنى إذا ذهب العِشاء

لِشَعْثاءَ التى قد تيمته فليس لقلبه منها شفاءُ[2]

كأن خبيئةً من بيتِ رأسٍ يكون مزاجها عسلٌ وماءُ[3]

إذا ما الأشرِباتُ ذُكرنَ يوما فهن لطيِّبِ الراحِ الفداء

نولِّيها الملامةَ إن أَلَمْنا إذا ما كان مَغْثٌ أو لحاءُ[4]

ونشربها فتتركنا ملوكا وأُسداً ما يُنَهْنِهنا اللقاءُ[5]

عَدِمنا خيلَنا إن لم تَرَوْها تُثِيرُ النقعَ موعدُها كَدَاءُ[6]

ينازعنَ الأعنةَ مُصغياتٍ على أكتافِها الأَسَلُ الظماءُ[7]

تظلُّ جيادُنا مُتَمَطِّراتٍ يُلَطِّمُهُن بالخُمُرِ النساءُ[8]

= والسماء لفظ مشترك يقع على المطر ، وعلى السماء المعروفة ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

لأنه يحتمل أن يريد مطر السماء ، فحذف المضاف ، ولكن إنما عرفناه من قولهم فى جمعه سمى ، وهم يقولون فى جمع السماء : سماوات وأسمية ، فعلمنا أنه اسم مشترك بين شيئين .

(١) النعم : الإبل ، فإذا قيل أنعام دخل فيها الغنم والبقر والإبل ، والشاء والشوى اسم لجميع كالضأن والضنين والإبل والإبيل ، والمعز والمعيز ، وأما الشاة ، فليست من لفظ الشاء لأن لام الفعل منها هاء وأبو الحسحاس : حى من بنى أسد .

(٢) شعثاء : اسم امرأة وهى زوجته ، وبنت كاهن الأسلمية .

(٣) الخبيئة : الخمر المضنون بها ، وبيت رأس : موضع بالأردن .

(٤) نوليها الملامة : نرجع إليها اللوم . المغث : الضرب بالكف . واللحاء : السباب .

(٥) ينهنهنا : يزجرنا . (٦) كداء : موضع بمكة .

(٧) المصغيات : المنحرفة للطعن . الأسل : الرماح .

(٨) متمطرات : متسابقات . يلطمهن : يضربهن . يقول السهيلى فى الروض : قال ابن دريد فى الجمهرة كان الخليل يروى « يطلمن » وينكر « يلطمن » ويجعله بمعنى ينفض النساء بخمرهن ما على الخيل من الغبار . انظر الروض ج ٤ ص ١١٨ .

فإما تعرضوا عنا اعتمرنا ... وكان الفتحُ وانكشف الغطاءُ

وإلا فاصبروا لجلادِ يومٍ ... يُعِينُ اللهُ فيه من يشاء

وجبريلٌ رسولُ اللهِ فينا ... ورُوحُ القدسِ ليس له كِفاء[1]

وقال اللهُ قد أرسلت عبداً ... يقولُ الحقَّ إن نفع البلاء[2]

شهدت به فقوموا صدِّقوه ... فقلتم لانقوم ولا نشاء

وقال اللهُ قد سيرت جنداً ... هم الأنصارُ عُرضتُها اللقاء[3]

لنا فى كلِّ يومٍ من مَعَدّ ... سِبابٌ أو قتالٌ أو هجاء

فنُحكِمُ بالقوافى من هجانا ... ونضربُ حين تختلطُ الدماء[4]

ألا أبلغْ أبا سفيانَ عنى ... مُغلغَلةً فقد برِحَ الخفاء[5]

بأن سيوفَنا تركتك عبداً ... وعبدُ الدارِ سادتُها الإماء

هجوتَ محمداً وأجبتُ عنه ... وعندَ اللهِ فى ذاكَ الجزاء

أتهجُوه ولستَ له بكُفءٍ ... فشرُّكما لخيرِكما الفداء[6]

هجوتَ مباركا برّاً حنيفا ... أمينَ اللهِ شيمتُه الوفاء

أمَن يهجو رسولَ اللهِ منكم ... ويمدحُه وينصرُه سواء؟!

فإن أبى ووالده وعرضى ... لعرضِ محمدٍ منكم وِقاء

لسانى صارمٌ لا عيبَ فيه ... وبحرى لا تُكدِّرُه الدِّلاء

---

(١) كفاء: مثل. (٢) البلاء: الاختبار.

(٣) عرضتها: عادتها. (٤) نحكم: نمنع.

(٥) المغلغلة: الرسالة المكتوبة.

(٦) فشركما لخيركما الفداء: فى ظاهر اللفظ بشاعة. لأن المعروف أن لايقال هو شرهما إلا وفى كليهما شر، وكذلك: شر منك، ولكن سيبويه قال فى كتابه: تقول مررت برجل شر منك: إذا نقص عن أن يكون مثله، وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول، ونحو منه قوله عليه السلام: «شر صفوف الرجال آخرها» يريد: نقصان حظهم عن حظ الأول، كما قال سيبويه، ولايجوز أن يريد التفضيل فى الشر. والله أعلم

قال ابن هشام : قالها حسان يوم الفتح . ويروى : « ولسانى صارم لاعَتْبَ فيه » .
وبلغنى عن الزهرى أنه قال : لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

قال ابن إسحاق : وقال أنس بن زُنَيْم الديلى يعتذر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى :

أأنت الذى تُهدَى مَعَدٌّ بأمره ... بل اللهُ يهديهم وقال لك اشهدِ
وما حملتْ من ناقةٍ فوقَ رحلِها ... أبرَّ وأوفَى ذمةً من محمدِ
أحثَّ على خيرٍ وأسبغَ نائلا ... إذا راح كالسيفِ الصقيلِ المهنَّد
وأكسى لبُردِ الخالِ قبلَ ابتذاله ... وأعطَى لرأسِ السابقِ المتجرد[١]
تَعلَّمْ رسولَ اللهِ أنك مدركى ... وأن وعيداً منك كالأخذ باليد[٢]
تَعلَّمْ رسولَ اللهِ أنك قادرٌ ... على كلِّ صِرمٍ متهمين ومنجد[٣]

(١) الخال : نوع من البرود اليمنية وهو من رفيع الثياب وسمى بالخال الذى بمعنى الخيلاء والسابق : الفرس السابق . والمتجرد : بهذا المعنى أيضاً .

(٢) هذا البيت معناه من أحسن المعانى . وقد أخذه النابغة فقال :

فإنك كالليل الذى هو مدركى ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع
خطاطيف حجن فى جبال متينة ... تمد بها أيد إليك نوازع

فالشطر الأول كالبيت الأول من قول النابغة ، والشطر الثانى كالبيت الثانى ، لكنه أطبع منه ، وأوجز . وقول النابغة كالليل : فيه من حسن التشبيه ما ليس فى قولى الديلى ، إلا أنه يسمج مثل هذا التشبيه فى النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه نور وهدى ، فلا يشبه بالليل ، وإنما حسن فى قول النابغة أن يقول كالليل ، ولم يقل كالصبح ، لأن الليل ترهب غوائله ، ويحذر من إدراكه ما لا يحذر من النهار ، وقد أخذ بعض الأندلسيين هذا المعنى ، فقال فى هربه من ابن عباد :

كأن بلاد الله وهى عريضة ... تشد بأقصاها على الأناملا
فأين مفر المرء عنك بنفسه ... إذا كان يطوى فى يديك المراحلا

(٣) الصرم : البيوت المجتمعة . متهمين ساكنين تهامة . منجد : من سكن فى نجد .

تعلَّمْ بأن الركبَ ركبَ عُوَيمرٍ هم الكاذبون المخلفو كلِّ موعدِ
ونَبَّوْا رسولَ الله أنى هجوته فلا حملت سوطى إلىَّ إذن يدى
سوى أنى قد قلتُ ويلُ امِّ فتيةٍ أصيبوا بنحس لا بطَلْقٍ وأسعد[1]
أصابهمُ من لم يكن لدمائهم كفاءً فعزت عبرتى وتبلدى[2]
فإنك قد أخفرتَ إن كنت ساعيا بعبدِ بنِ عبدِ اللهِ وابنةِ مَهْوَدِ
ذؤيبٌ وكُلثومٌ وسلمَى تتابعوا جميعا فإلا تدمع العينُ أكمد
وسلمى ، وسلمى ليس حىٌّ كمثلِه وإخوتُه وهل ملوكٌ كأعبُد ؟!
فإنى لا دِينًا فتقتُ ولا دما هرقت تبيَّنْ عالمَ الحقِّ واقصد

فأجابه بُدَيل بن عبد مناف بن أم أصرم ، فقال :

بكى أنسٌ رَزْنا فأعوله البكا فألَّا عَدِيًّا إذ تُطَل وتُبعَدُ[3]
بكيت أبا عبسٍ لقُربِ دمائها فتُعذِرَ إذ لا يوقدُ الحربُ موقد
أصابهمُ يومَ الخنادمِ فتيةٌ كرامٌ فسَلْ ، منهم نفيلٌ ومعبد[4]
هنالك إن تسفحْ دموعَك لا تُلَمْ عليهم وإن لم تدمعِ العينُ فاكمدوا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له

قال ابن إسحاق : وقال بُجير بن زهير بن أبى سُلمَى فى يوم الفتح .

نفى أهلَ الحبلَّق كلَّ فجٍّ مُزَينةُ غُدوةً وبنو خُفاف[5]

---

(١) الطلق : الأيام السعيدة . (٢) تبلدى : تحيرى

(٣) تطل : يبطل دمها ويصير هدرا .

(٤) الخنادم : أراد يوم الخندمة . والخندمة : جبل بمكة

(٥) الحبلق : أرض يسكنها قبائل من مزينة ، وقيس ، والحبلق : الغنم الصغار ، ولعله أراد بقوله : أهل الحبلق أصحاب الغنم ، وبنو عثمان هم مزينة وهم بنو عثمان بن لاطم بن أد ابن طابخة ، ومزينة أمهم بنت كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة ، وأختها : الحوأب التى عرف بها ماء الحوأب المذكور فى حديث عائشة حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنسائه ما معناه : من منكن تنبحها كلاب الحوأب . فنبحت الكلاب عائشة رضى الله عنها فى قصة وقعة الجمل ، وأصل الحوأب فى اللغة القدح الضخم الواسع ، وبنو خفاف بطن من سليم .

ضربناهم بمكة يوم فتح النبىّ الخير بالبيض الخفاف
صبحناهم بسبع من سُلَيْم وألفٍ من بنى عثمان واف[1]
نطا أكتافهم ضربا وطعنا ورشقا بالمريَّشة اللطاف[2]
ترى بين الصفوف لها حفيفا كما انصاع الفُوَاقُ من الرِّصاف[3]
فرُحنا والجيادُ تجولُ فيهم بأرماحٍ مُقوَّمةِ الثِّقاف
فأُبنا غانمين بما اشتهينا وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسولَ الله منا مواثقنا على حسنِ التصافى
وقد سمِعوا مقالتنا فهمُّوا غداةَ الرَّوعِ منا بانصراف

قال ابن هشام: وقال عباس بن مرداس السلمى فى فتح مكة:

منا بمكةَ يومَ فتحِ محمدٍ ألفٌ تسيلُ به البطاحُ مُسوَّمُ
نصروا الرسولَ وشاهدوا أيامَه وشعارُهم يومَ اللقاءِ مُقدَّم
فى منزلٍ ثبتت به أقدامُهم ضَنْكٍ كأن الهامَ فيه الحَنْتَم[4]
جرّت سنابكَها بنجدٍ قبلَها حتى استقادَ لها الحجازُ الأدهم
الله مكنــــه له وأذله حكمُ السيوفِ لنا وجدٌّ مِزْحَم[5]
عَوْدُ الرياسةِ شامخٌ عِرنينُه متطلِّعٌ ثُغَرَ المكارمِ خِضْرِم[6]

إسلام عباس بن مرداس: قال ابن هشام: وكان إسلام عباس بن مرداس، فيما حدثنى بعض أهل العلم بالشعر، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبده، وهو حجر كان يقال له ضِمَار، فلما حُضِر مرداس قال لعباس: أى بُنى، اعبد ضمار فإنه ينفعك ويضرك، فبينا عباس يوما عند ضمار، إذ سمع من جوف ضمار مناديا يقول:

(١) بسبع: أى بسبعمائة. (٢) المريشة: السهام ذات الريش وهى أسرع فى الرمى.
(٣) الفواق: الفوق وهو طرف السهم. والرصاف جمع رصفة: ما يلوى على طرف السهم. (٤) الضنك: الضيق. الهام: الرءوس. الحنتم: الحنظل.
(٥) مزحم: كثير المزاحمة، يقصد أن حظهم عظيم.
(٦) العود فى الأصل المسن من الإبل، ويريد به هنا أنه قديم فى المجد مطلقا. العرنين: طرف الأنف. الخضرم: الكريم.

قلْ للقبائلِ من سُلَيمٍ كُلِّها أودَى ضِمارٌ وعاش أهلُ المسجدِ
إن الذى ورِث النبوّةَ والهدَى بعدَ ابنِ مريمَ من قريشٍ مُهتدِين
أودَى ضِمارٌ وكان يُعبدُ مَرةً قبلَ الكتابِ إلى النبىِّ محمد

لحرق عباس ضمار ، ولحق بالنبي صلى الله عليه وسلم فأسلم .

قال ابن هشام : وقال جَعْدَة بن عبد الله الخزاعى يوم فتح مكة :

أكعبَ بنَ عمرٍو دعوةً غيرَ باطلٍ لحَيْنٍ له يومَ الحديدِ مُتاحِ[1]
أُتيحت له من أرضِه وسمائِه لتقتلَه ليلا بغيرِ سلاحِ
ونحن الألى سدت غَزالَ خيولُنا ولِفْتاً سددناه وفجَّ طِلاحِ[2]
خطرنا وراءَ المسلمين بجحفلٍ ذَوِى عَضُدٍ من خيلنا ورِماحِ

وهذه الأبيات فى أبيات له :

وقال بجيد بن عمران الخزاعى .

وقد أنشأ اللهُ السحابَ بنصرِنا رُكامَ سَحابِ الهَيْدَبِ المتراكِبِ[3]
وهجرتُنا فى أرضِنا عندَنا بها كتابٌ أتى من خيرِ مُمْلٍ وكاتبِ
ومن أجلِنا حلّتْ بمكةَ حرمةٌ لندركَ ثأراً بالسيوفِ القواضبِ[4]

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة من كنانة[5]

ومسير على لتلافى خطأ خالد

قال ابن إسحاق : وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حول مكة السرايا تدعو إلى

---

(١) الحين الهلاك . متاح : مقدر .

(٢) غزال اسم موضع ، منعه هنا من التنوين وقد ينون . ولفت : موضع أيضا ، وكذلك فج طلاح .

(٣) الهيدب : القريب من الأرض . المتراكب : الذى يركب بعضه بعضا .

(٤) القواضب : القواطع .

(٥) وتعرف أيضاً بغزوة الغميصاء وهو ماء لبنى جذيمة . كما ذكر السهيلى فى الروض الأنف ج ٤ ص ١٢٠ .

الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطىء بنى جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السُّلمى فى ذلك :

فإن تك قد أمَّرتَ فى القوم خالداً وقدمته فإنه قد تقدما
بجند هداه الله أنت أميرُه نُصيبُ به فى الحقِّ من كان أظلما

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن إسحاق : حدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حُنَيف ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعيا ، ولم يبعثه مقاتلا ، ومعه قبائل من العرب : سُليم بن منصور ، ومُدلج بن مرة ، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جَحْدَم : ويلكم يا بنى جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبدا . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : يا جَحْدَم ، أتريد أن تسفك دماءنا ؟ إن الناس أسلموا ووضعوا السلاح ، ووضعت الحرب ، وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

قال ابن إسحاق . فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكُتِفوا ، ثم عرضهم على السيف ، فقتل من قتل منهم ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد .

الرسول يتبرأ من فعل خالد : قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم ، أنه حُدث عن إبراهيم بن جعفر المحمودى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت كأنى لقمت

لقمة من حَيْس[1] فالتذذت طعمها ، فاعترض فى حلق منها شىء حين ابتلعتها ، فأدخل على يده فنزعه ؛ فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يا رسول الله ، هذه سرية من سراياك تبعثها ، فيأتيك منها بعض ماتحب ، ويكون فى بعضها اعتراض ، فتبعث عليا فيسهله .

قال ابن هشام : وحدثنى أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنكر عليه أحد ؟ فقال : نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض رَبْعة[2] ، فَنهمه[3] خالد ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب ، فراجعه ، فاشتدت مراجعتهما ؛ فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يا رسول الله فابنى عبد الله ، وأما الآخر فسالم ، مولى أبى حذيفة .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم ، عن أبى جعفر محمد بن على قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال : يا على ، اخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر فى أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك؛ فخرج على حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فودَى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى إنه ليدى لهم مِيلَغَة الكلب[4] ، حتى إذا لم يبق شىء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال ، فقال لهم على رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقى لكم بقية من دم أو مال لم يود لكم ؟ قالوا : لا . قال : فإنى أعطيكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما يعلم ولا تعلمون ، ففعل . ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر : فقال أصبت وأحسنت ! قال : ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائما شاهرا يديه ، حتى إنه ليُرى ما تحت منكبيه ، يقول : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد ابن الوليد ، ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعـــذر خالدا إنه قال : ما قاتلت حتى أمرنى بذلك عبد الله بن حذافة السَّهمى ، وقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم من الإسلام .

---

(١) الحيس : تمر يخلط بسمن ودقيق ويعجن .
(٢) الربعة من الرجال : الذى بين الطويل والقصير .
(٣) نهمه : زجره .
(٤) ميلغة وميلغ : مسقاة تصنع من خشب ليلغ فيها الكلب ، والجمع ميالغ وموالغ .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : لما أتاهم خالد ، قالوا : صَبأنا صبأنا[1] .

قال ابن إسحاق : وقد كان جَحْدَم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأى ما يصنع خالد ببنى جذيمة : يا بنى جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم ما وقعتم فيه . قد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغنى ، كلام فى ذلك ، فقال له عبد الرحمن بن عوف : عملت بأمر الجاهلية فى الإسلام . فقال : إنما ثأرت بأبيك . فقال عبد الرحمن : كذبت ، قد قتلتُ قاتل أبى ، ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شر . فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : مهلا يا خالد ، دع عنك أصحابى ، فوالله لو كان لك أُحد ذهبا ثم أنفقته فى سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابى ولا رَوْحته .

ما كان بين قريش وبنى جذيمة فى الجاهلية : وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زُهرة ، وعفان بن أبى العاص بن أمية ابن عبد شمس قد خرجوا تجارا إلى اليمن ، ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بنى جذيمة بن عامر ، كان هلك باليمن ، إلى ورثته ، فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بنى جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه ، فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه ، وقاتلوه ، فقُتل عوف ، والفاكهُ بن المغيرة ونجا عفان بن أبى العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ، ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهمت قريش بغزو بنى جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملإ منا ، إنما عدا عليهم قوم بجهالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال ، فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

وقد قال قائل من بنى جذيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سَلمى :

ولولا مقالُ القومِ للقومِ أسلِموا ... للاقت سُلَيْمٌ يومَ ذلك ناطحَا
لماصَعهم بُسْرٌ وأصحابُ جَحْدَمٍ ... ومُرةُ حتى يتركوا البَرْكَ ضابحا[2]
فكائنْ ترى يوم الغُمَيصاءِ من فتىً ... أُصيب ولم يُجرحْ وقد كان جارحا[3]

---

(1) من معانى صبأ : خرج من دين إلى دين ويقصدون أنهم تركوا دينهم ودخلوا فى الإسلام .

(2) المماصعة : مضاربة بالسيوف . البرك هنا : الإبل البارِكة .

(3) الغميصاء : بلد .

أَلِظْتُ بِخُطَّابِ الأَيَامَى وطَلَّقَتْ غَداتئذٍ منهن من كان ناكحا[1]

قال ابن هشام : قوله « بسر » ، « وألظت بخطاب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : فأجابه عباس بن مرداس ، ويقال بل الجحّاف بن حكيم السُّلمى :

دعى عنكِ تقوالَ الضلالِ كفى بنا لكبشِ الوغى فى اليومِ والأمسِ ناطحا
فخالدُ أولى بالتعذرِ منكمُ غداةَ علا نهجا منَ الأمرِ واضحا
مُعانا بأمرِ اللهِ يُزجى إليكمُ سوانحَ لاتكبو له وبوارحا
نَعَوْا . مالكا بالسهلِ لما هَبَطْنَه عوابسَ فى كابِى الغبارِ كوالحا[2]
فإن نكُ أثكلناكِ سلمَى ، فمالكٌ تركتم عليه نائحاتٍ ونائحا

وقال الجحّاف بن حكيم السُّلَمى :

شهِدنَ مع النبيِّ مُسَوَّماتٍ حُنَيْنا وهْىَ داميةُ الكِلَامِ[3]
وغزوةَ خالدٍ شهِدتْ وجَرَّتْ سنابكُهن بالبلدِ الحرام
نعرِّض للطِّعانِ إذا التقينا وجوها لاتُعَرَّضُ للطام
ولستُ بخالعٍ عنى ثيابى إذا هزَّ الكُماةُ ولا أُرامى
ولكنى يجولُ المهرُ تحتى إلى العَلَواتِ بالعَضْبِ الحسام

خبر ابن أبى حدرد بنى جذيمة : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة ابن الأخنس ، عن الزهرى ، عن ابن أبى حدرد الأسلمى ، قال : كنت يومئذ فى خيل خالد ابن الوليد ، فقال لى فتى من بنى جَذيمة ، وهو فى سنى ، وقد جُمعت يداه إلى عنقه برُمَّة[4] ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يافتى ؛ فقلت : ماتشاء ؟ قال : هل أنت آخذ بهذه الرمة ، فقائدى إلى هؤلاء النسوة حتى أقضى إليهن حاجة ، ثم تردنى بعد ، فتصنعوا بى مابدا لكم ؟ قال : قلت : والله ليسير ماطلبت فأخذت برُمته فقدته بها ، حتى وقف عليهن ، فقال : اسلمى حُبَيْش ، على نفد من العيش[5] :

أَريتُكِ إذ طالبتُكم فوجدتكم بِحَلْيَةَ أو ألفيتكم بالخوانقِ[6]

---

(1) ألظت : لزمت .
(2) كابى : مرتفع . الكوالح : العوابس .
(3) الكلام : الجراح .
(4) الرمة : الحبل البالى .
(5) نفد العيش : فناؤه .
(6) الحلية والخوانق : موضعان .

أَلم يك أهلا أن يُنَوَّلَ عاشقٌ   تكلف إدلاج السُّرى والودائق[1]
فلا ذنبَ لى قد قلتُ إذ أهلُنا معا   أثيبى بوُدٍّ قبل إحدى الصفائق[2]
أثيبى بِوُد قبل أن تشحط النوى   وينأى الأميرُ بالحبيب المفارق
فإنىَ لا ضيعتُ سرَّ أمانةٍ   ولا راقَ عينى عنكِ بعدَكِ رائق
سوى أن ما نالَ العشيرةَ شاغلٌ   عن الوُدِّ إلا أن يكون التوامُق[3]

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الآخرين منها له .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهرى عن ابن أبى حَدْرَد الأسلمى قال : قالت : وأنتَ فحييت سبعا وعشرا ، وترا وثمانيا تترى . قال : ثم انصرفتُ به . فضُربت عنقه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبو فِرَاس بن أبى سُنْبلة الأسلمى ، عن أشياخ منهم ، عمن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنقه ، فأكبت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده .

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بنى جَذِيمة :

جزى الله عنا مُدلجا حيث أصبحت   جَزاءةَ بؤسَى حيث سارت وحلّتِ
أقاموا على أقضاضنا يَقسمونها   وقد نهلت فينا الرماحُ وعلّت
فواللهِ لولا دينُ آلِ محمدٍ   لقد هربَتْ منهم خيولٌ فشُلَّت
وما ضرَّهم أن لايُعينوا كتيبةً   كرِجل جرادٍ أرسلَتْ فاشمعلّتِ[4]
فإما يُنيبوا أو يثوبوا لأمرهم   فلا نحن نُجزيهم بما قد أضلت

فأجابه وهب ، رجل من بنى ليث ، فقال :

دعوْنا إلى الإسلامِ والحقِّ عامراً   فما ذنبُنا فى عامرٍ إذ تولّتِ
وما ذنبُنا فى عامرٍ لا أبا لهم   لأن سَفِهَتْ أحلامُهم ثم ضلّت

وقال رجل من بنى جذيمة :

ليَهْنِئْ بنى كعبٍ مُقَدَّمُ خالدٍ   وأصحابه إذ صبحتنا الكتائبُ

---

(١) الإدلاج : السير ليلا . الوداق : جمع وديقة : شدة الحر .
(٢) الصفائق : النوائب .   (٣) التوامق : شدة الحب
(٤) رجل الجراد : الجماعة منهم . اشمعلت : تفرقت .

فلا تِرَةٌ يسعى بها ابنُ خُوَيْلِدٍ وقد كنتَ مَكفيا لو انك غائبُ[1]
فلا قومُنا يَنْهون عنا غُواتَهم ولا الداءُ من يومِ الغُمَيْصاءِ ذاهب

وقال غلام من بنى جَذيمة ، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب بهن من جيش خالد:

رخّين أذيالَ المُروطِ وارْبَعْنْ مَشْيَ حَيِيّاتٍ كأن لم يُفزَعْنْ[2]
إن تُمنعِ اليومَ نساءٌ تُمنعْنْ

وقال غِلمةٌ من بنى جَذيمة ، يقال لهم بنو مساحق ، يرتجزون حين سمعوا بخالد فقال أحدهم :

قد علمتْ صفراءُ بيضاءُ الإِطِلْ يحوزها ذُو ثَلَّةٍ وذو إبلْ[3]
لأُغْنِيَنَّ اليومَ ما أغنى رجلْ

وقال الآخر :

قد علمت صفراءُ تُلهى العُرْسا لا تملأُ الحيزومَ منها نَهْسا[4]
لأضربن اليومَ ضربا وَعْسَا ضربَ المُحلّينَ مَخاضاً قُعْسا[5]

وقال الآخر :

أقسمتُ ما إن خادرٌ ذو لِبْدَهْ شَثْنُ البَنانِ فى غَداةٍ بَرْدَهْ[6]
جَهْمُ المُحيا ذو سِبالٍ وَرْدَهْ يُرزِمُ بين أيكةٍ وجَحْدَه[7]
ضارٍ بتأكالِ الرجالِ وحدَه بأصدقَ الغَداةَ مِنى نجدَه

---

(١) الترة : طلب الثأر . (٢) المروط : أثواب من خز . وأربعن : أقمن

(٣) الإطل : الخاصرة . ثلة : جماعة الغنم

(٤) الحيزوم : وسط الصدر . النهس : نهش اللحم بمقدم الأسنان .

(٥) الوعس: السريع . المحلين : الخارجين من الحرم إلى الحل . المخاض :الإبل الحوامل القعس : الممتنعة عن السير .

(٦) الخادر : الأسد المختبئ فى خدره . شثن : غليظ .

(٧) السبال : شارب الأسد . يرزم : يصيح ، الأيكة : الشجرة الكثيفة الأغصان والجحدة : قليلة الأغصان .

خالد يهدم العزى : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى وكانت بنخلة ، وكانت بيتا يعظمه هذا الحي من قريش وكنانة ومضر كلها ، وكانت سدنتها وحجابها بنى شيبان من بنى سُليم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السُّلَمى بمسير خالد إليها ، علق عليها سيفه ، وأسند فى الجبل[1] الذى هى فيه وهو يقول :

أيا عُزّ شُدى شدةً لا شَوَى لها — على خالدٍ ألقِى القناعَ وشمرى[2]

ياعز إن لم تَقتلى المرءَ خالدا — فبوئى بإثمٍ عاجلٍ أو تنصَّرِى

فلما انتهى إليها خالد هَدَمها ، ثم رجع إلى رسولِ الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يَقصُر الصلاة

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان

غزوة حُنَيْن فى سنة ثمان — بعد الفتح

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هَوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النصْرِى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت نصر وجُشَم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدها من قيس عَيْلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب ، ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جُشَم دُرَيد بن الصِّمَّة شيخ كبير ، ليس فيه شىء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب وكان شيخا مجربا ، وفى ثقيف سيدان لهم ، فى الأحلاف قارب بن الأسود بن مسعود بن مُعتِّب ، وفى بنى مالك ذو الخمار سُبَيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى . فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حط مع الناس أموالَهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوْطاس[3] اجتمع إليه الناس ،

---

(١) أسند فى الجبل : ارتفع فيه . (٢) لاشوى لها : أى لاتذر شيئا .

(٣) ويقال لها أيضا غزوة أوطاس سميت بالموضع الذى كانت فيه الوقعة وهو من وطست الشىء وطساً إذا كدرته ، وأثرت فيه . والوطيس : نقرة فى حجر توقد حوله النار ، فيطبخ به اللحم ، والوطيس التنور ، وفى غزوة أوطاس قال النبى صلى الله عليه وسلم : الآن حمى الوطيس ، وذلك حين استعرت الحرب ، وهى من الكلم التى لم يُسبق إليها صلى الله عليه وسلم. راجع الروض الأنف وراجع أيضاً المجازات النبوية للشريف الرضى بتحقيقنا. طبعة الحلبى .

وفيهم دُرَيد بن الصّمة فى شجار[1] له يُقاد به ، فلما نزل قال : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس قال : نعم مجال الخيل ! لاحَزْن ضَرِس[2] ، ولا سهل دَهِس[3] ، مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير . وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ودُعى له ، فقال : يامالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له مابعده من الأيام . مالى أسمع رُغاء البعير ، ونُهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويُعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولم ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ، ليقاتل عنهم ، قال : فانقضَّ به[4] . ثم قال : راعى ضأن ، والله ! وهل يرد المنهزم شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فُضِحت فى أهلك ومالك ، ثم قال: مافعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحد والجد ، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف بن عامر ، قال : ذانك الجذَعان[5] من عامر ، لاينفعان ولا يضران ؛ يامالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة[6] هوازن إلى نحور الخيل شيئا ، ارفعهم إلى مُتَمنَّع بلادهم وعُليا قومهم ، ثم الق الصُّبَاء[7] على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك . قال: والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . والله لتُطيعنّنى يامعشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى . وكره أن يكون لدريد بن الصمّة فيها ذكر أو رأى ؛ فقالوا : أطعناك ؛ فقال دريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى :

يا ليتنى فيها جَذَعْ   أخُبُّ فيها وأضع[8]
أقود وطفاءَ الزَّمع   كأنها شاةٌ صَدَع[9]

---

(١) الشجار : مركب أصغر من الهودج مكشوف أعلاه .

(٢) الحزن . المرتفع . ضرس : مافيه حجارة مدببة .

(٣) دهس : لين التراب .   (٤) انقض به : زجره .

(٥) الجذعان : مثنى جذع . الشاب الحدث ، ويريد بهما هنا أنهما ضعيفان خاليان عن التجربة .   (٦) البيضة : الجماعة .   (٧) الصباء : يقصد بهم المسلمون .

(٨) الجذع : الشاب الحدث ، ويريد به هنا قوة الشباب .

(٩) الوطفاء : طويلة الشعر . والشاة : الوعل صدع : متوسط بين العظيم والحقير .

قال ابن هشام : أنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله :

« يا ليتنى فيها جذع »

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدوا شدة رجل واحد .

قال : وحدثنى أمية بن عبد الله بن عمرو بن عثمان أنه حُدث : أن مالك بن عوف بعث عيونا من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ فقالوا : رأينا رجالا بيضا على خيل بُلق ، فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ما ترى ، فوالله ما رده ذلك عن وجهه أن مضى على ما يريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبى الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبدالله بن أبى حدرد الأسلمى ، وأمره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم . فانطلق ابن أبى حدرد ، فدخل فيهم ، فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ماهم عليه ، ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبى حدرد . فقال ابن أبى حدرد : إن كذبتنى فربما كذّبتَ بالحق ياعمر ، فقد كذبت من هو خير منى . فقال عمر : يارسول الله ، ألا تسمع ما يقول ابن أبى حدرد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد كنت ضالا فهداك الله ياعمر .

استعارة أدراع صفوان : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذكر له أن عند صفوان بن أمية أدراعا له وسلاحا ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك فقال : يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غدا ، فقال صفوان : أغصبا يامحمد؟ قال : بل عارية ومضمونة حتى نؤديها إليك ، قال : ليس بهذا بأس ، فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح : فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل .

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفا ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن .

قصيدة ابن مرداس : فقال عباس بن مرداس السُّلَمى :

أصابتِ العامَ رِعْلا غولُ قومِهِمُ ... وسطَ البيوتِ ولونُ الغولِ ألوانُ[1]

يا لهف أمّ كلابٍ إذ تبيّتهــم ... خيلُ ابنِ هَوذةَ لا تُنهَى وإنسانُ[2]

لا تلفظوها وشُدّوا عَقــدَ ذمّتكم ... أن ابنَ عمّكمُ سعــدٌ ودُهمانُ[3]

لن تَرجعوهــا وإن كانت مجلّلةً ... ما دام فى النَّعَمِ المأخوذِ ألبــانُ

شنعاءُ جُلِّــلَ من سوآتها حَضَنٌ ... وسال ذو شوغَرٍ منها وسُلوانُ[4]

ليست بأطيبَ مما يشتوى حَــذَفٌ ... إذ قال : كلُّ شِواءِ العيرِ جَوْفانُ[5]

وفى هوازنَ قومٌ غــيرَ أن بهم ... داءَ اليمانىّ فإن لم يَغدِروا خانوا

فيهم أخٌ لو وفَوْا أو برَّ عهدُهم ... ولو نهكناهم بالطعنِ قــد لانوا

أبلغ هوازنَ أعلاهـا وأسفلَها ... منّى رسالةَ نصحٍ فيــه تِبيانُ

أنى أظنّ رســولَ الله صابحَكم ... جيشاً له فى فضاءِ الأرضِ أركانُ

فيهم أخوكم سُليمٌ غــيرَ تارِكِكم ... والمسلمون عبــادُ اللهِ غسانُ

وفى عِضادتِه اليمنى بنو أســدٍ ... والأجربانِ بنو عَبْسٍ وذُبيانُ[6]

تكادُ ترجفُ منه الأرضُ رهبتَه ... وفى مُقَدِّمِــه أوسٌ وعثمانُ

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان : قبيلا مزينة .

قال ابن هشام : من قوله « أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها » إلى آخرها ، فى هذا اليوم ،

---

(١) رعل : قبيلة من سليم . وفى الحديث قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهراً يدعو على رعل وذكوان وعصية ، وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة ، وقد مضى حديثهم فيما تقدم من السيرة . الغول : الداهية .

(٢) إنسان : قبيلة من قيس ثم من بنى نصر . وقيل هم من بنى جشم بن بكر .

(٣) سعد ودهمان : ابنا نصر بن معاوية بن بكر .

(٤) حضن : جبل فى نجد . ذو شوغر وسلوان : واديان .

(٥) حذف : اسم رجل . العير : حمار الوحش . الجوفان : غرموله .

(٦) سماهما الأجربين تشبيها بالأجرب الذى لا يُقرب .

وهما قبل ذلك فى غير هذا اليوم ، وهما مقصوتان ، ولكن ابن إسحاق جعلهما واحدة .

ذات أنواط : قال ابن إسحــاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان الدؤلى ، عن أبى واقد الليثى ، أن الحارث بن مالك ، قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنَين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال : فسرنا معه إلى حنين ، قال : وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوما . قال فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جنبات الطريق . يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، قلتم ، والذى نفس محمد بيده ، كما قال قوم موسى لموسى : « اجعلْ لنا إلهاً كما لهم آلهةٌ ، قال إنكم قومٌ تجهلون » . إنها السُّنن ، لتركَبُنّ سَنَنَ من كان قبلكم .

ثبات الرسول وبعض الصحابة : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادى حنين انحدرنا فى واد من أودية تهامة أجوف حطوط ، إنما ننحدر فيه انحداراً ، قال : وفى عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادى ، فكمنوا لنا فى شعابه وأحنائه ومضايقه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ماراعنا ونحن منحطون إلا الكتائب ، قد شدوا علينا شدة رجــــل واحد ، وانشمر الناس راجعين ، لا يلوى أحد على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟ هلموا إلىَّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله . قال : فلا شىء ، حملت الإبل بعضها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته على بن أبى طالب والعباس ابن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وابنه ، والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن عبيد ، قتل يومئذ(1) .

---

(1) إن قيل : كيف فر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه حتى لم يبق معه منهم إلا ثمانية ، والفرار من الزحف من الكبائر ، وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل . قلنا : لم يجمع العلماء على أنه من الكبائر إلا فى يوم بدر ، كذلك قال الحسن ونافع مولى عبد الله ابن عمر وظاهر القرآن يدل على هذا ، فإنه قال : « ومن يولهم يومئذ دبره » فيومئذ إشارة إلى =

قال ابن هشام : اسم ابن أبي سفيان بن الحارث جعفر ، واسم أبي سفيان المغيرة ، وبعض الناس يعد فيهم قُثم بن العباس ، ولا يعد ابن أبي سفيان .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل ، أمام هوازن ، وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه .

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ، ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في أنفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام لمعه في كنانته . وصرخ جبلة بن الحنبل — قال ابن هشام : كلدة بن الحنبل — وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألا بطل السحر اليوم ! فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يربّني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن .

حسان يهجو كلدة : قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت يهجو كلدة :

رأيت سواداً من بعيدٍ فراعني ... أبو حنبلٍ ينزو على أمّ حنبلِ
كأن الذي ينزو به فوق بطنها ... ذراعُ قلوصٍ من نتاج ابنِ عزهلِ

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين ، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أمية ، وكان أخا كلدة لأمه .

شيبة بن طلحة يحاول قتل الرسول : قال ابن إسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار : قلت : اليوم أدرك ثأري ، وكان أبوه قتل يوم أحد ، اليوم أقتل محمدا . قال : فأدرت برسول الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع مني .

= يوم بدر ، ثم نزل التحقيق من بعد ذلك في الفارين يوم أحد وهو قوله : « ولقد عفا الله عنهم » وكذلك أنزل يوم حنين : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم » إلى قوله : « غفور رحيم » وفي قول ابن سلام : كان الفرار من الزحف يوم بدر من الكبائر ، وأيضا فإن المنهزمين عنه عليه السلام رجعوا لحينهم ، وقاتلوا معه حتى فتح الله عليهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أهل مكة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فصل من مكة إلى حنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن نُغلب اليوم من قلة .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بنى بكر قالها .

النصر : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إنى لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحَكَمة بغلته البيضاء قد شجرتُها بها ، قال : وكنت امرأ جسيما شديد الصوت ، قال . ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يلوون على شىء ، فقال: ياعباس اصرخ ، يا معشر الأنصار : يا معشر أصحاب السَّمُرة ، قال : فأجابوا : لبيك ، لبيك ! قال فيذهب الرجل ليثنى بعيره ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه ، فيقذفها فى عنقه ، ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ، ويخلى سبيله ، فيؤم الصوت ، حتى ينتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدعوى أول ما كانت : يا للأنصار . ثم خلصت أخيرا : يا للخزرج . وكانوا صُبُرًا عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ركائبه . فنظر إلى مُجتلَد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حَمِىَ الوطيس .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع إذ هوى له على بن أبى طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه على ابن أبى طالب من خلفه ، فضرب عرقوبى الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصارى على الرجل ، فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه ، فانجعف عن رحله ، قال : واجتلد الناس ، فوالله مارجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثفر بغلته[1] ، فقال من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك يارسول الله .

أم سليم فى المعركة : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن رسول الله

---

(١) الثفر : سير من جلد يوضع فى مؤخر السرج .

صلى الله عليه وسلم التفت فرأى أم سُلَيم بنت مِلحان[1] وكانت مع زوجها أبى طلحة[2]، وهى حازمة وسطها بُرد لها، وإنها لحامل بعبد الله بن أبى طلحة، ومعها جمل أبى طلحة، وقد خشيت أن يعزها الجمل، فأدنت رأسه منها، فأدخلت يدها فى خِزامته مع الخطام، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: أم سُلَيم؟ قلت: نعم، بأبى أنت وأمى يارسول الله، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك، فإنهم لذلك أهل؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو يكفى الله يا أم سُليم؟ قال: ومعها خنجر، فقال لها أبو طلحة: ما هذا الخنجر معك يا أم سُلَيم؟ قالت: خنجر أخذته، إن دنا منى أحد من المشركين بعجته به قال: يقول أبو طلحة: ألا تسمع يارسول الله ماتقول أم سليم الرُّمَيْصاء.

قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين توجّه إلى حنين، قد ضم بنى سليم الضحاك بن سفيان الكلابى، فكانوا إليه ومعه، ولما انهزم الناس قال مالك ابن عوف يرتجز بفرسه:

أقدمْ مُحاجُ إنه يومٌ نُكُرْ ... مثلى على مثلك يحمى ويَكُرّْ
إذا أُضيعَ الصفُّ يوما والدُّبُرْ ... ثم احزألت زُمَرٌ بعدَ زُمَرْ[3]
كتائبٌ يكلُّ فيهن البصرْ ... قد أطعنُ الطعنةَ تقذى بالسُّبُرْ[4]
حين يُذمُّ المستكينُ المنجَحِر ... وأطعنُ النجلاءَ تعوى وتَهِر[5]
لها من الجوفِ رَشاشٌ منهمِر ... تَفهَقُ تاراتٍ وحينا تنفجِر[6]
وثعلبُ العاملِ فيها منكسِر ... يازيدُ يابنَ هَمهَمٍ أين تفِر[7]
قد نفِدَ الضربُ وقد طال العُمُرْ ... قد عَلِمَ البيضُ الطويلاتُ الخُمُرْ
أنىَ فى أمثالِها غيرُ غُمُرْ ... إذ تخرجُ الحاضنُ من تحتِ السُّتُرْ

---

(١) واسمها: مليكة. ويقال: رميلة، وقيل سهيلة.

(٢) واسمه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام.

(٣) احزألت: ارتفعت. (٤) السبر: جمع سِبْر وهو الفتيل يسبر به الجرح.

(٥) النجلاء: الطعنة الواسعة. تعوى وتهر: أى يسمع لخروج الدم منها أصوات كالعواء والهرير. (٦) تفهق: تنفتح.

(٧) الثعلب: عصا الرمح الداخلة فى السنان. العامل: أعلى الرمح.

وقال مالك بن عوف أيضا :

أقدم مُحَاجُ إنها الأساوِرةْ ولا تغرنك رِجلٌ نادره[1]

قال ابن هشام : وهذان البيتان لغير مالك بن عوف فى غير هذا اليوم .

من قتل قتيلا فله سلبه : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حُدث عن أبى قتادة الأنصارى قال : وحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بنى غفار أبى محمد عن أبى قتادة ، قالا : قال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان : مسلما ومشركا ، قال: وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأتيته ، فضربت يده فقطعتها ، واعتنقنى بيده الأخرى ، فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الدم — ويروى : ريح الموت ، فيما قال ابن هشام — وكاد يقتلنى ، فلولا أن الدم نزفه لقتلنى ، فسقط ، فضربته فقتلته ، وأجهضنى عنه القتال ، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلا فله سَلَبه ، فقلت : يارسول الله ، والله لقد قتلت قتيلا ذا سلب ، فأجهضنى عنه القتال ، فما أدرى من استلبه ؟ فقال رجلٌ من أهل مكة : صدق يارسول الله ، وسَلَب ذلك القتيل عندى ، فأرضه عنى من سلبه ، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لا والله ، لا يرضيه منه ، تعمد إلى أسد من أُسْد الله ، يقاتل عن دين الله ، تقاسمه سلبه ؟! اردد عليه سلب قتيله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق فاردد عليه سلبه[2] . فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه مَخْرَفا[3] فإنه لأول مال اعتقدته.

---

(١) الأساورة : قادة الفرس . النادرة : أى التى قد ندرت أى انفصلت وبعدت .

(٢) وفى هذا الحديث من الفقه أن السلب للقاتل حكماً شرعياً جعل ذلك الإمام له ، أو لم يجعله ، وهو قول الشافعى . وقال مالك : إنما ذلك إلى الإمام له أن يقول بعد معمعة الحرب : من قتل قتيلا فله سلبه ، ويكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لئلا يخالط النية غرض آخر غير احتساب نفسه لله تعالى .

(٣) مخرف بفتح الراء وكسرها نخلة وأما كسر الميم فإنما هو للمخرف ، وهى الآلة التى تخترف بها الثمرة أى تجتنى . وبفتح الميم معناه البستان من النخل ، هكذا فسروه ، وفسره الحربى ، وأجاد فى تفسيره ، فقال : المخرف : نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر . فما فوق ذلك ، فهو بستان أو حديقة ، ويقوى ماقاله الحربى ماقاله أبو حنيفة الدينورى ، قال : المخرف : مثل المخروفة : هى النخلة يخترفها الرجل لنفسه ولعياله ، وأنشد :

مثل المخارف من خيلان أو هجرا

قال : ويقال للخروفة : خريفة أيضاً .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لا أتهم ، عن أبي سلمة ، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا .

الملائكة تحضر القتال : قال ابن إسحاق : وحدثني أبي إسحاقُ بن يسار ، أنه حُدث عن جبير بن مُطعم ، قال : لقد رأيت ـ قبل هزيمة القوم والناس يقتتلون ـ مثل البجاد[1] الأسود أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مبثوث ، قد ملأ الوادى لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم .

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حنين ، وأمكن رسوله صلى الله عليه وسلم منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلَبت خيلُ اللهِ خيلَ اللاتْ … واللهُ أحــقّ بالثباتْ

قال ابن هشام : أنشدني بعض أهل العلم بالرواية الشعر :

غَلبْتِ خيلَ اللهِ خيلَ اللاتِ … وخيلُه أحــقُّ بالثباتِ

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف في بنى مالك ، فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخمار[2] ، فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله ، فقاتل بها حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله ، قال : أبعده الله ، فإنه كان يبغض قريشا .

قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانى أغرل[3] ، قال : فبينا رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف، إذ كشف العبد يسلبه ، فوجده أغرل . قال : فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب : يعلم الله أن ثقيفا غُرْل . قال المغيرة بن شعبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ، فقلت : لا تقل ذاك ، فداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى . قال ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختنين كما ترى .

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند

---

(١) البجاد : الكساء . (٢) هو عوف بن الربيع .

(٣) الأغرل : غير المختتن .

رايته إلى شجرة ، وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل من غِيَرَة ، يقال له وهب ، وآخر من بنى كبة ، يقال له الجلاح: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح : قتل اليوم سيد شباب ثقيف ، إلا ما كان من ابن هُنَيدة ، يعنى بابن هنيدة الحارث بن أوَيس .

فقال عباس بن مرداس السُّلَمى يذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى أبيه ، وذا الخمار وحبسه قومه للموت :

ألا من مُبلغٌ غيلانَ عنى	وسوف ـ إخالُ ـ يأتيه الخبيرُ[1]
وعروةَ إنما أهدى جوابا	وقولا غير قولِكما يسير
بأن محمداً عبدٌ رسولٌ	لربٍّ لا يَضلُّ ولا يجور
وجدناه نبيا مثلَ موسى	فكلُّ فتًى يخايره مخير
وبئسَ الأمرُ أمرُ بنى قَسِىٍّ	بوَجٍّ إذ تُقسمتِ الأمور[2]
أضاعوا أمرَهم ولكلِّ قومٍ	أميرٌ والدوائرُ قد تدور
فجئنا أُسدَ غاباتٍ إليهم	جنودُ اللهِ ضاحيةً تسير[3]
يؤم الجمعَ جمعَ بنى قَسِىٍّ	على حَنَقٍ نكاد له نطير
وأقسمُ لو همُ مكثوا لسرنا	إليهم بالجنودِ ولم يغوروا[4]
فكنا أُسْدَ لِيَّةَ ثَمَّ حتى	أبحناها وأسلمتِ النُّصور[5]
ويومٌ كان قبلُ لدَى حُنينٍ	فأقلعَ والدماءُ به تمور
من الأيامِ لم تسمعْ كيومٍ	ولم يَسمعْ به قومٌ ذُكور

---

(١) الفعل المستقبل هو : يأتيه ، وإن كان حرف (سوف) داخلا على إخال فى اللفظ فإن ما يدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثانى كما قال :

وما أدرى وسوف إخال أدرى

وذلك أن إخال فى معنى : أظن ، وليس يريد أنه يظن فيما يستقبل ، وإنما يريد أن يخال الآن أن سيكون ذلك .

(٢) قسى : اسم ثقيف . وج : واد بالطائف .

(٣) ضاحية : ظاهرة .

(٤) لم يغوروا : لم يذهبوا .

(٥) لية : موضع قريب من الطائف . النصور : قيل إنها جمع ناصر وقيل : هم بنو نصر من هوازن لأن رهط مالك بن عوف النصرى يقال لهم النصور ، كما يقال لبنى المنذر : المناذرة .

قتلنا فى الغبارِ بنى حُطَيْطٍ ... على راياتِها والخيلُ زورُ[1]
ولم يكُ ذو الخِمارِ رئيسَ قومٍ ... لهم عقلٌ يعاقب أو مكير
أقام بهم على سَنَنِ المنايا ... وقد بانت لمبصرها الأمور
فأفلت من نجا منهم جريضاً ... وقُتِّل منهم بشرٌ كثير[2]
ولا يُغنى الأمور أخو التوانى ... ولا الغَلِقُ الصُّرَيِّرَةُ الحصور[3]
أحانَهمُ وحان ومَلَّكوه ... أمورَهمُ وأفلتت الصقور
بنو عوفٍ تَميحُ بهم جيادٌ ... أهين لها الفصافِصُ والشعير[4]
فلولا قاربٌ وبنو أبيه ... تُقسمتِ المزارعُ والقصور
ولكن الرياسةَ عُمِّموها ... على يُمْنٍ أشار به المشير
أطاعوا قاربا ولهم جُدودٌ ... وأحلامٌ إلى عزٍّ تصير
فإن يُهدَوْا إلى الإسلامِ يُلفَوْا ... أنوفَ الناسِ ما سَمَرَ السمير
وإن لم يُسلموا فهمُ أذانٌ ... بحربِ اللهِ ليس لهم نصير
كما حَكَّتْ بنى سعدٍ وحربٍ ... برهطِ بنى غَزِيَّةَ عَنقفير[5]
كأن بنى معاويةَ بنِ بكرٍ ... إلى الإسلامِ ضائنةٌ تخور
فقلنا أسلموا إنا أخوكم ... وقد برأت من الإحَنِ الصدور
كأن القومَ إذ جاءوا إلينا ... من البغضاءِ بعد السِّلمِ عُور

قال ابن هشام : غيلان : غيلان بن سلمة الثقفى ، وعروة : عروة بن مسعود الثقفى .

مقتل دريد : قال ابن إسحاق : ولما انهزم المشركون ، أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف ، وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غِيَرة من ثقيف ، وتبعت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك فى نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

---

(١) زور : مائلة . (٢) الجريض : من يغص بريقه . والجمع : جرضى .

(٣) الغلق : ضيق الخلق . الصريرة : مصغر الصرورة وهو الذى لم يتزوج ، والحصور : الذى لا يأتى النساء .

(٤) تميح : تمشى مشيا مستويا . الفصافص : جمع فصفصة : النبات الذى تأكله المواشى رطبا . (٥) العنقفير : الداهية .

فأدرك ربيعة بن رُفَيْع بن أُهْبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سَمّال بن عوف بن امرىء القيس ، وكان يقال له ابن الدُّغُنّة وهي أمه ، فغلبت على اسمه ، ويقال : ابن لَذْعة فيما قال ابن هشام ـ دريد بن الصمة ، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه في شِجار له ، فإذا برجل، فأناخ به ، فإذا شيخ كبير . وإذا هو دُرَيد بن الصِّمّة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بي ؟ قال : أقتلك قال : ومن أنت ؟ قال : أنا ربيعة بن رُفَيع السُّلَمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يغن شيئا ، فقال : بئس ما سلحتك أمك ! خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل ، وكان الرحل في الشجار ، ثم اضرب به ، وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فإني كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دُرَيد بن الصمة ، فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوقع تكشف ، فإذا عجانه[1] وبطون فخذيه مثل القرطاس ، من ركوب الخيل أعراء ؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثا .

فقالت عَمْرة بنت دريد في قتل ربيعة دُرَيدا :

لعمرُكَ ما خشيتُ على دُرَيدٍ ... ببطنِ سُمَيْرةٍ جيشَ العَنَاقِ[2]

جزى عنه الإلهُ بنى سُلَيْمٍ ... وعقَّتْهم بما فعلوا عَقَاقِ

وأسقانا إذا قُدنا إليهم ... دماءَ خيارِهم عند التلاقى

فرُبَّ عظيمةٍ دافعتَ عنهم ... وقد بلغتْ نفوسُهُم التراقى

ورُبَّ كريمةٍ أعتقتَ منهم ... وأخرى قد فككتَ من الوَثاقِ

ورُبَّ منوّهٍ بك من سُلَيمٍ ... أجبتَ وقد دعاك بلا رِماقِ[3]

فكان جزاؤُنا منهم عقوقاً ... وهمّاً ماع منه مُخُّ ساقى

عفت آثارُ خيلِك بعد أيْنٍ ... بذى بَقَرٍ إلى فَيفِ النُّهاقِ[4]

وقالت عمرة بنت دُرَيد أيضاً

قالوا قتلنا دُرَيداً قلت قد صدقوا ... فظل دمعى على السِّربالِ ينحدرُ

لولا الذى قهر الأقوامَ كلَّهمُ ... رأت سُلَيمٌ وكعبٌ كيف تأتمر

إذن لصبّحهم غِبّاً وظاهرةً ... حيث استقرت نَواهم جَحْفَلٌ ذَفِرُ[5]

---

(١) العجان : الاست . (٢) سميرة : واد قرب حنين . العناق : الأمر الشديد .
(٣) الرماق : بقية الحياة . (٤) ذو بقر : موضع . فيف : قفر . النهاق : موضع .
(٥) الغب في الأصل: أن ترد الإبل الماء يوما وبعد يوم . وظاهرة : أن ترده كل يوم . ذفر : ذو رائحة كريهة من صدأ الحديد .

قال ابن هشام : ويقال اسم الذى قتل دُرَيدا : عبد الله بن قُنَيْع بن أهْبان بن ثعلبة بن ربيعة .

قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجه قِبَل أوطاس أباعامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال فرُمِىَ أبو عامر بسهم فقُتل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى ، وهو ابن عمه فقاتلهم ، ففتح الله على يديه وهزمهم . فيزعمون أن سَلَمة بن دُرَيد هو الذى رمى أباعامر الأشعرى بسهم : فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال:

إن تسألوا عنى فإنى سَلَمَهْ ابنُ سَمادِيرَ لمن توسَّمَهْ

أضربُ بالسيف رءوسَ المسْلِمَهْ

وسمادير : أمه .

واستحر القتل من بنى نصر فى بنى رئاب ، فزعموا أن عبدالله بن قيس - وهو الذى يقال له ابن العوراء ، وهو أحد بنى وهب بن رئاب - قال : يارسول الله هلكت بنو رئاب . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجبر مصيبتهم .

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف فى فوارس من قومه ، على ثَنِيَّة من الطريق ، وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم ، وتلحق أخراكم . فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من مُنهزِمَة الناس ؛ فقال مالك بن عوف فى ذلك :

ولولا كَرَّتانِ على مُحَاجٍ لضاق على العَضَاريط الطريقُ(١)

ولولا كَرُّ دُهْمانَ بنِ نصرٍ لدى النخْلاتِ مُندَفَعَ الشَّديقِ(٢)

لآبت جعفرٌ وبنو هلالٍ خزَايا مُحْقِبينَ على شُقوقِ(٣)

قال ابن هشام : هذه الأبيات لمالك بن عوف فى غير هذا اليوم . ومايدلك على ذلك قول دُرَيد بن الصمة فى صدر هذا الحديث : مافعلت كعب وكلاب ؟ فقالوا له : لم يشهدها منهم أحد . وجعفر بن كلاب . وقال مالك بن عوف فى هذه الأبيات : « لآبت جعفر وبنو هلال » .

قال ابن هشام : وبلغنى أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثَّنِيَّة ، فقال لأصحابه : ماذا

---

(١) محاج : فرس مالك : العضاريط : الأجراء .

(٢) الشديق : واد من وديان الطائف .

(٣) محقبين : مردفين . شقوق : أى على مشقة .

تَرَوْنَ ؟ فقالوا : نرى قوما واضعى رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلة بَوَادُهُمْ[١] ؛ فقال : هؤلاء بنو سليم ، ولا بأس عليكم منهم ؛ فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى . ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ؛ فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْنَ ؟ قالوا : نرى قوما عارضى رماحهم ، أغفالا[٢] على خيلهم فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم . فلما انتهوا إلى الثَّنِيَّة سلكوا طريق بنى سليم . ثم طلع فارس ؛ فقال لأصحابه : ماذا تَرَوْن ؟ قالوا : نرى فارسا طويل الباد ، واضعا رمحه على عاتقه ، عاصبا رأسه بملاءة حمراء فقال هذا الزبير بن العوام وأحلف باللات ليخالطنّكم ، فاثبُتوا له . فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم ، فصمد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

قال ابن إسحاق : وقال سلمة بن دُرَيد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نَسَّيْتِنِى ماكنتِ غيرَ مصابةٍ ... ولقد عرَفتِ غداةَ نَعْفِ الأظْرُبِ[٣]

أنى منعتُكِ والرُّكوبُ مُحبَّبٌ ... ومشَيتُ خلفَكِ مثلَ مشيِ الأنكَبِ[٤]

إذ فر كلُّ مهذبٍ ذى لِمَّةٍ ... عن أمِّـهِ وخليلِه لم يُعْقِبِ

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم بالشعر، وحديثه : أن أبا عامر الأشعرى لقى يوم أوْطاس عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر : ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ، وبقى العاشر ؛ فحمل على أبى عامر ، وحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه؛ فقال الرجل : اللهم لاتشهد علىّ ، فكف عنه أبو عامر ، فأفلت ؛ ثم أسلم بعد فحسُن إسلامه . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : هذا شريد أبى عامر . ورمى أبا عامر أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث ، من بنى جُشَم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه ، والآخر ركبته ؛ فقتلاه . وولى الناسَ أبو موسى الأشعرى فحمل عليهما فقتلهما ، فقال رجل من بنى جُشَم بن معاوية يرثيهما :

---

(١) بوادهم : جمع باد وهو باطن الفخذ. (٢) أغفالا : غير معلمين بعلامة .

(٣) النعف أسفل الجبل . الأظرب : الجبل الصغير .

(٤) الأنكب : المائل إلى جهة .

إن الرزيّة قتلُ العــلاءِ وأوفى جميعاً ولم يُسنَدا [١]
هما القاتلانِ أبا عامرٍ وقد كان ذا هَبّةٍ أرْبَدا [٢]
هما تركاه لدى معْـترَكٍ كأنّ على عِطْفِه مُجْسَدا [٣]
فلم ترَ فى النـاسِ مثليْهما أقلَّ عِثارا ، وأرمى يَدا

النهى عن قتلهم : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس مُتَقَصِّفون [٤] عليها فقال : ما هذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : أدرك خالداً ، فقل له : إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عَسِيفا [٥] .

الشيماء أخت الرسول : قال ابن إسحاق ، وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : إن قدرتم على بِجاد ، رجل من بنى سعد بن بكر ، فلا يُفلتنّكم ، وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء ، بنت الحارث بن عبد العُزّى أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعَنّفوا عليها فى السياق : فقالت للمسلمين : تعلّموا والله أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة ؛ فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبيد السعدى ، قال : فلما انتُهِىَ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : يارسول الله ، إنى أختك من الرضاعة ، قال : وما علامة ذلك ؟ قالت: عضة عَضَضْتنيها فى ظهرى وأنا مُتَوَرِّكَتُكَ قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه ، وخيرها ، وقال : إن أحببت فعندى مُحَبَّبة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتّعك [٦] وترجعى إلى قومك فعلتُ ، فقالت بل تمتعنى وتردنى إلى قومى فمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردها إلى قومها : فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاما له يقال له مكحول، وجارية ، فزوجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

---

(١) لم يسندا : لم يبق فيهما رمق . (٢) ذا هبة : له سيف ذو هبة : والهبة الاهتزاز .
(٣) المجسد : المصبوغ بالجساد وهو الزعفران .
(٤) متقصفون : مجتمعون فى ازدحام . (٥) العسيف : الأجير .
(٦) أى أعطيك ما يمتعك أى ما يكون فيه متعتك وانتفاعك .

ما أنزل الله في حنين : قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل في يوم حنين : «لقد نصركم الله في مواطنَ كثيرةٍ ويومَ حُنَيْنٍ إذ أعجبتكم كثرتُكم » : . إلى قوله « وذلكَ جزاءُ الكافرين » .

شهداء حنين : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين :

من قريش ثم بني من هاشم : أيمن بن عبيد ،

ومن بني أسد بن عبد العُزَّى : يزيد بن زَمْعَة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جمح به فرس له يقال له الجناح ، فقتل .

ومن الأنصار : سُرَاقة بن الحارث بن عدى ، من بني العجلان .

ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعرى .

سبايا حنين وأموالها : ثم جمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حنين وأموالها ، وكان على المغانم مسعود بن عمرو الغفارى ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال إلى الجعرانة ، فحبست بها .

ماقيل من الشعر يوم حنين : وقال بجير بن زهير بن أبي سُلْمَى في يوم حنين :

لولا الإلهُ وعبدُه وليتمُ ... حين استخف الرعبُ كلَّ جبانِ
بالجِزْعِ يومَ حبا لنا أقرانُنا ... وسوابحٌ يكبُون للأذقانِ[1]
من بين ساعٍ ثوبُه في كفِّه ... ومُقطَّرٍ بسنابكٍ ولَبَانِ[2]
واللهُ أكرمنا وأظهرَ ديننا ... وأعـزنا بعبادةِ الرحمنِ
واللهُ أهلكهم وفرقَ جمعَهم ... وأذلهم بعبادةِ الشيطانِ

قال ابن هشام : ويروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عمُّ نبيِّكم ووليُّه ... يدعون : يا لَكتيبةِ الإيمانِ
أين الذين همُ أجابوا ربَّهم ... يومَ العُرَيْضِ وبيعةِ الرضوانِ

---

(١) الجزع : ما انعطف من الوادى . حبا : اعترض : سوابح : أى خيل سوابح : وهى لسرعة . يكبون : يسقطون .

(٢) مقطر : ملقى على قطره ، أى جنبه . ولبان الفرس : صدره .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مِرْداس فى يوم حنين :

إنى والسوابحِ يومَ جَمْعٍ ... وما يتلو الرسولُ من الكتابِ
لقد أحببتُ مالقيتْ ثقيفٌ ... بجنبِ الشِّعْبِ أمسِ من العذابِ
همُ رأسُ العدوِّ من اهلِ نجدٍ ... فقتلُهمُ ألذُّ منَ الشرابِ
هزمنا الجمعَ جمعَ بنى قَسِيٍّ ... وحكَّتْ بركَها ببنى رِئابِ (١)
وصِرْما من هلالٍ غادرتهم ... بأوْطاسٍ تُعفِّرُ بالترابِ (٢)
ولو لاقينَ جمعَ بنى كلابٍ ... لقام نساؤُهم والنقعُ كابِ
ركضْنا الخيلَ فيهم بينَ بُسٍّ ... إلى الأوْرَالِ تنْحِطُ بالنِّهابِ (٣)
بذى لَجِبٍ رسولُ اللهِ فيهم ... كتيبتُه تعرَّضُ للضِّرابِ

قال ابن هشام : قوله « تعفر بالتراب » : عن غير ابن إسحاق .

فأجابه عطية بن عُفَيْف النصرى ، فيما حدثنا ابن هشام ، فقال :

أفاخرةٌ رفاعةُ فى حُنينٍ ... وعباسُ بنُ راضعةِ اللِّجابِ (٤)
فإنك والفَخارَ كذاتِ مِرْطٍ ... لرَبَّتِها وتَرفُلُ فى الإهابِ

قال ابن إسحاق : قال عطية بن عُفيف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن فى يوم حنين . ورفاعة من جهينة .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

يا خاتمَ النُّبَاءِ إنك مُرسَلٌ ... بالحقِّ كلُّ هدَى السبيلِ هداكا
إن الإلهَ بنى عليك محبةً ... فى خلقِه ومحمداً سماكا
ثم الذين وفَوْا بما عاهدتَهم ... جندٌ بعثتَ عليهمُ الضحَّاكا
رَجُلا به ذَرَبُ السلاحِ كأنه ... لمّا تكنَّفَه العدوُّ يراكا (٥)
يغشَى ذوِى النسبِ القريبِ وإنما ... يبغِى رضا الرحمنِ ثم رِضاكا
أُنبيكَ أنى قد رأيت مَكرَّه ... تحتَ العَجاجةِ يدمَغ الإشراكا
طورا يعانقُ باليدين وتارةً ... يفرى الجماجمَ صارما بتّاكا (٦)

---

(١) البرك : الصدر . ويريد بحكة بركها : شدة وطأة الحرب .
(٢) الصرم : الجماعة من الناس أو البيوت المنقطعة عن الحى .
(٣) بس والأورال : مكانان تنحط : تخرج أنفاسها عالية . (٤) اللجاب : العنز .
(٥) الذرب : الحدة . (٦) بتاك : قاطع .

يغشى به هامَ الكماة ولو ترى ... منه الذى عاينتُ كان شفاكا
وبنو سُلَيْمٍ مُعنِقون أمامه ... ضرباً وطعناً فى العدوّ دِرَاكا[1]
يمشون تحتَ لوائه وكأنهم ... أُسدُ العرينِ أرِدْنَ ثَمّ عِراكا[2]
ما يرتجونَ من القريبِ قرابةً ... إلا لطاعةِ ربّهم وهواكا
هذى مَشاهدُنا التى كانت لنا ... معروفةً ووليُّنا مولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضا :

إما تَرَىْ يا أمّ فروةَ خيلَنا ... منها مُعَطَّلةٌ تُقادُ وظُلَّعُ[3]
أوهَى مُقارَعةُ الأعادى دمَّها ... فيها نوافذُ من جراحٍ تنبَع
فلَرُبَّ قائلةٍ كفاها وقعُنا ... أَزْمَ الحروبِ فَسِرْبُها لايُفزَع[4]
لاوفدَ كالوفدِ الأُولى عقدوا لنا ... سَبَباً بحبلِ محمّدٍ لايُقطع
وفدٌ أبو قَطَنٍ حُزَابةُ منهمُ ... وأبو الغُيوثِ وواسعٌ والمِقْنَع
والقائدُ المائةِ التى وفَّى بها ... تسعَ المِئينَ فتمّ ألفٌ أقرع[5]
جمعت بنو عَوفٍ ورهطُ مُخاشِنٍ ... سِتّاً وأجلبَ من خُفافٍ أربَع
فهناك إذ نُصر النبىُّ بألفِنا ... عَقَدَ النبىُّ لنا لواءً يلمع
فزنا برايتِه وأورثَ عَقدُه ... مجدَ الحياةِ وسُؤدداً لايُنزع
وغداةَ نحن مع النبىّ جَناحُه ... ببطاحِ مكةَ والقَنا يَتهزّع[6]
كانت إجابتُنا لداعى ربِّنا ... بالحقّ منا حاسرٌ ومُقنَّع
فى كلّ سابغةٍ تَخيَّرَ سَرْدَها ... داودُ إذ نسجَ الحديدَ وتُبَّع[7]
ولنا على بِئْرَىْ حُنينٍ موكبٌ ... دمَغَ النفاقَ وهضْبةٌ ماتُقلع
نُصرَ النبىُّ بنا وكنا مَعشراً ... فى كلّ نائبةٍ نَضُرُّ وننفع

---

(١) معنقون : مسرعون . دراك : متتابع .
(٢) العراك : المدافعة .
(٣) الظلع : العرج (٤) الأزم : الشدة .
(٥) ألف أقرع : أى ألف بالتمام . (٦) يتهزع : يضطرب .
(٧) السابغة : الدروع الكاملة . السرد : النسج . تبع : لقب ملوك اليمن القدماء .

ذُدنا غَداتَيئذٍ هوازنَ بالقَنا ... والخيلُ يغمرُها عجاجٌ يسطعُ
إذ خاف حدَّهمُ النبيُّ وأسندوا ... جمعا تكادُ الشمسُ منه تخشع
تدعى بنو جُشَمٍ وتدعى وسطَه ... أفناءُ نصرٍ والأسنةُ شُرَّع (١)
حتى إذا قال الرسولُ محمدٌ ... أبنى سُلَيْمٍ قد وفيتم فارفعوا
رحنا ولولا نحن أجحَفَ بأسُهم ... بالمؤمنين وأحرزوا ماجمّعوا (٢)

وقال عباس بن مرداس أيضا فى يوم حنين :

عفَا مِجْدَلٌ من أهلهِ فُمتالِعُ ... فَطْلاَ أرِيكٍ قد خلا فالمصَانِعُ (٣)
ديارٌ لَنا يا جُمْلُ إذ جُلُّ عيشِنا ... رَخِيٌّ وصرفُ الدارِ للحيِّ جامع
حُبَيِّبَةٌ ألْوَتْ بها غربةُ النوى ... لبَيْنٍ فهل ماضٍ من العيشِ راجع
فإن تبتغى الكفار غيرَ مَلُومَةٍ ... فإنى وزيرٌ للنبيِّ وتابع
دعانى إليهم خيرُ وفدٍ علمتُهم ... خُزيمةُ والمرارُ منهم وواسع
فجئنا بألفٍ من سُلَيْمٍ عليهمُ ... لَبوسٌ لهم من نسجِ داودَ رائع
نبايعه بالأخشبَيْنِ وإنما ... يدَ اللهِ بينَ الأخشبين نبايع (٤)
فجسْنا مع المهدىِّ مكةَ عَنوةً ... بأسيافِنا والنقعُ كابٍ وساطع (٥)
علانيةً والخيلُ يغشَى متونَها ... حميمٌ وآنٍ من دَمِ الجوفِ ناقع (٦)
ويومَ حُنَيْنٍ حين سارت هوازنٌ ... إلينا وضاقت بالنفوسِ الأضالع
صبَرنا مع الضَّحاكِ لايستفزُّنا ... قِراعَ الأعادى منهمُ والوقائع
أمامَ رسولِ اللهِ يخفِقُ فوقَنا ... لِواءٌ كخُذْرُوفِ السحابةِ لامع (٧)

---

(١) الأفناء : الجماعة ليست من أصل واحد . (٢) أجحف : نقص .
(٣) مجدل : مكان : متالع : جبل . المطلاء : الأرض السهلة . أريك : موضع . المصانع : مايجتمع فيها ماء المطر كالأحواض .
(٤) الأخشبان : جبلان بمكة .
(٥) جسنا : وطئنا . المهدى : نبى الهدى محمد صلى الله عليه وسلم . كاب : مرتفع . ساطع : متفرق .
(٦) الحميم هنا : العرق . آن : حار . ناقع : كثير .
(٧) خذروف السحابة : طرفها .

عشية ضحاكُ بنُ سفيانَ مُعتصٍ ... بسيفِ رسولِ اللهِ والموتُ كانعُ (١)
نذودُ أخانا عن أخينا ولو نرى ... مَصالا لكنا الأقربين نُتابع (٢)
ولكن دينَ اللهِ دينَ محمدٍ ... رَضينا به، فيه الهدى والشرائع
أقام به بعدَ الضلالةِ أمرَنا ... وليس لأمرٍ حمَّه اللهُ دافع

وقال عباس بن مرداس أيضا في يوم حنين :

تَقطَّعَ باقي وصلِ أمِّ مُؤمَّلٍ ... بعاقبةٍ واستبدلت نيةً خُلْفا (٣)
وقد حَلَفتْ باللهِ لاتقطعُ القُوَى ... فما صدقتْ فيه ولابرّتِ الحلْفا (٤)
خُفافيةٌ بطنُ العقيقِ مَصيفُها ... وتحتلُّ في البادينَ وجْرَةَ فالعُرْفا (٥)
فإن تتْبَعِ الكفارَ أمُّ مُؤمَّلٍ ... فقد زودت قلبي على نأيِها شَغْفا
وسوف ينبِّيها الخبيرُ بأننا ... أبَيْنا ولم نطلبْ سوى ربِّنا حِلْفا
وأنّا مع الهادي النبيِّ محمدٍ ... وفَيْنا ولم يستوفِها معشَرٌ ألفا
بفتيانِ صِدْقٍ من سُلَيْمٍ أعزةٍ ... أطاعوا فما يعصون من أمرِه حرفا
خُفافٌ وذَكْوانٌ وعوفٌ تخالُهم ... مَصاعِبَ زَافَتْ في طروقتِها كُلْفا (٦)
كأن النسيجَ الشُّهْبَ والبيضَ مُلْبَسٌ ... أسُوداً تلاقت في مراصيدِها غُضْفا (٧)

---

(١) معتص : ضارب . كانع : مقترب .

(٢) يريد أنه من بنى سليم ، وسليم من قيس ، كما أن هوازن من قيس ، كلاهما ابن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس ، فمعنى البيت : نقاتل إخوتنا ونذودهم عن إخوتنا من سليم ، ولو نرى في حكم الدين مصالا مفطلا من الصولة، لكنا مع الأقربين هوازن .

ولكن دين الله دين محمد ... رضينا به فيه الهدى والشرائع

(٣) النية : من النوى وهو البعد . وخلفاً يجوز أن يكون مفعولا من أجله أى : فعلت ذلك من أجل الخلف ، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً للاستبدال ، لأن استبدالها به خلف منها لما وعدته به ، ويقوى هذا البيت البيت الذى بعده .

(٤) القوى : قوى الحبل هنا : وهو العهد ، وهذا هو الخلف المتقدم ذكره .

(٥) خفافية : نسبة إلى بنى خفاف . العقيق : واد بالحجاز . وجرة والعرف : موضعان .

(٦) مصاعب : فحول . زافت : تحركت . الطروق : التى يطرقها الفحول . كلف : سود .

(٧) الشهب التى يخالط بياضها حمرة . غضف : مسترخية الآذان .

بنا عز دينُ اللهِ غيرَ تنحُّلٍ ... وزِدنا على الحقِّ الذى معه ضِعفَا
بمكَّةَ إذ جئنا كأنّ لواءَنا ... عُقابٌ أرادت بعد تحليقِها خَطفا
على شُخَّصِ الأبصارِ تحسِب بينَها ... إذا هى جالت فى مَراودِها عَزفا (١)
غداةَ وطِئنا المشركين ولم نجدْ ... لأمرِ رسولِ اللهِ عَدلا ولا صَرفا
بمعتَرَكٍ لا يسمعُ القومُ وسْطَه ... لنا زَجمةً إلا التذامُرَ والنَّقفا (٢)
ببيضٍ تُطيرُ الهامَ عن مستقَرِّها ... ونَقطِفُ أعناقَ الكُماةِ بها قَطفا
فكائنْ تركنا من قتيلٍ مُلَحَّبٍ ... وأرملةٍ تدعو على بعلِها لَهْفا (٣)
رضا اللهِ ننوى لا رضا الناسِ نبتغى ... وللهِ ما يبدو جميعا وما يَخفَى

وقال عباس بن مرداس أيضا :

ما بالُ عينِك فيها عائرٌ سَهِرُ ... مثلُ الحماطةِ أغضَى فوقَها الشُّفُرُ (٤)
عينٌ تأوَّبَها من شجوِها أرقٌ ... فالماءُ يغمرُها طَوراً وينحدِر
كأنه نظمُ درٍّ عندَ ناظمةٍ ... تَقطَّعَ السِّلكُ منه فهْوَ منتثِر (٥)
يا بُعدَ منزلِ من ترجو مودتَه ... ومن أتى دونَه الصِّمّانُ فالحَفَرُ (٦)
دع ما تقدمَ من عهدِ الشبابِ فقد ... ولّى الشبابُ وزار الشيبُ والزَّعَرُ (٧)
واذكر بلاءَ سُلَيمٍ فى مواطنِها ... وفى سُلَيمٍ لأهلِ الفخرِ مفتخَر
قومٌ همُ نصروا الرحمنَ واتبعوا ... دينَ الرسولِ وأمرُ الناسِ مشتجِر

---

(١) المراود : جمع مرود وهو الوتد . العزف : الصوت .
(٢) الزجمة : الصوت . التذامر : الحض . والنقف فى الأصل : كسر الحنظلة واستخراج حبوبها ، ويريد به هنا كسر رءوس الأعداء .
(٣) ملحب : مقطع اللحم .
(٤) الحماطة : تبن الذرة خاصة . أغضى فوقها : أغمض عليها جفنيه . الشفر : منبت الشعر فى جفن العين .
(٥) منتثر : متفرق .
(٦) الصمان والحفر : موضعان .
(٧) الزعر : قلة الشعر أو تفرق الشعر فوق الرأس .

لايغرِسون فَسيلَ النخلِ وسطَهمُ ... ولا تَخاوَرُ فى مَشتَاهمُ البقرُ (١)
إلا سوابحَ كالعِقبانِ مُقربةً ... فى دارةٍ حولَها الأخطارُ والعَكَر (٢)
تُدعَى خُفافٌ وعوفٌ فى جوانبها ... وحىُّ ذَكوانَ لاميلٌ ولاضُجُر (٣)
الضاربون جنودَ الشركِ ضاحيةً ... ببطنِ مكةَ والأرواحُ تُبتدر
حتى دفعنا وقتلاهم كأنهمُ ... نخلٌ بظاهرةِ البطحاءِ مُنقعِر
ونحن يومَ حُنَينٍ كان مشهدُنا ... للدينِ عزاً وعندَ اللهِ مُدخر
إذ نَركبُ الموتَ مخضراً بطائنُه ... والخيلُ ينجابُ عنها ساطعٌ كَدِر (٤)
تحتَ اللواءِ مع الضحاكِ يقدُمُنا ... كما مشى الليثُ فى غاباتِه الخدِر (٥)
فى مأزقٍ من مَجرّ الحربِ كلكلُها ... تكاد تأفلُ منه الشمسُ والقمر (٦)
وقد صبَرنا بأوطاسٍ أسنّتَنا ... للهِ ننصرُ من شئنا وننتصر
حتى تأوبَ أقوامٌ منازلَهم ... لولا المليكُ ولولا نحن ما صدروا
فما ترى معشراً قلوا ولا كثروا ... إلا قد اصبحَ منا فيهمُ أثر

وقال عباس بن مرداس أيضا :

يأيها الرجلُ الذى تهوِى به ... وجناءُ مُجمَرةُ المناسمِ عِرمِسُ (٧)
إما أتيت على النبىِّ فقل له ... حقا عليكَ إذا اطمأن المجلس
ياخيرَ من ركبَ المطىَّ ومن مشى ... فوقَ الترابِ إذا تُعدُّ الأنفس

---

(١) الفسيل : صغار النخل . أى هم ليسوا أهل زرع ولا رعاة بقر وإنما جل عملهم الحرب .

(٢) السوابح : الخيل السريعة . والعقبان : جمع عقاب . طائر من الجوارح قوى المخالب أعقف المنقار حاد البصر . يطلق على المذكر والمؤنث . مقربة : قريبة من الدور محافظة عليها لكرمها : الدارة : ما أحاط بالشيء . الأخطار : جماعات الإبل . العكر : الإبل الكثيرة .

(٣) الميل : الذين لاسلاح معهم .

(٤) ساطع : أى غبار ساطع وهو المتفرق .

(٥) الخادر : الداخل فى خدره وهو أكمة الأسد .

(٦) الكلكل : الصدر .

(٧) الوجناء : الضخمة . المجمرة . مجتمعة الجسم . المناسم : مقادم خف البعير . العرمس : الشديدة .

إنا وفينا بالذى عاهـدتنا ... والخيل تقدع بالكماة وتضرس[١]

إذ سال من أفناء بهثة كلها ... جمع تظل به المخارم ترجس[٢]

حتى صبحنا أهـل مكة فيلقا ... شهباء يقدمها الهمام الأشوس[٣]

من كل أغلب من سليم فوقه ... بيضاء محكمة الدخال وقونس[٤]

يروى القناة إذا تجاسر فى الوغى ... وتخاله أسـداً إذ مايعبس

يغشى الكتيبة معلما وبكفه ... عضب يقد به ولدن مدعس[٥]

وعلى حنين قد وفى من جمعنا ... ألف أمد به الرسول عرندس[٦]

كانوا أمام المؤمنين دريئة ... والشمس يومئذ عليهم أشمس

نمضى ويحرسنا الإله بحفظه ... والله ليس بضائع من يحرس

ولقد حبسنا بالمناقب محبسا ... رضى الإله به فنعم المحبس

وغداة أوطاس شددنا شدة ... كفت العدو وقيل منها : يا احبسوا

تدعو هـوزان بالإخاوة بيننا ... ثدى تمد به هوازن أيبس

حتى تركنا جمعهم وكأنه ... عير تعاقبه السباع مفرس

قال ابن هشام : أنشدنى خلف الأحمر قوله : « وقيل منها يا احبسوا » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضا :

نصرنا رسول الله من غضب له ... بألف كمى لاتعد حواسره[٧]

حملنا له فى عامل الرمح راية ... يذود بها فى حرمة الموت ناصره

---

(١) تقدع : تكف . تضرس : تجرح .

(٢) بهثة : حى من سليم . المخارم : الطرق الجبلية . ترجس : تتحرك .

(٣) الأشوس : الذى ينظر نظر المتكبر .

(٤) القونس : أعلى بيضة الحديد .

(٥) العضب : السيف القاطع . لدن : لين . مدعس : طعان .

(٦) عرندس : شديدة .

(٧) الحواسر : الذين لادروع عليهم .

ونحن خضبناها دما فهو لونُها	غداةَ حُنَينٍ يومَ صفوانُ شاجِرُهْ[1]
وكنا على الإسلامِ ميمنةً له	وكان لنا عَقدُ اللواءِ وشاهرهْ
وكنا له دونَ الجنودِ بطانةً	يشاورنا فى أمرِه ونشاوره
دعانا فسمّانا الشعارَ مُقدَّما	وكنا له عونا على من يناكره[2]
جزى اللهُ خيرا من نبىّ محمداً	وأيده بالنصرِ واللهُ ناصره

قال ابن هشام: أنشدنى من قوله: «وكنا على الإسلام» إلى آخرها، بعض أهل العلم بالشعر، ولم يعرف البيت الذى أوله: «حملنا له فى عامل الرمح راية». وأنشدنى بعد قوله: «وكان لنا عقد اللواء وشاهره»، «ونحن خضبناه دما فهو لونه».

قال ابن إسحاق: وقال عباس بن مرداس أيضا:

مَن مُبلغُ الأقوامِ أن محمداً	رسولَ الإلهِ راشدٌ حيث يمما
دعا ربّه واستنصر اللهَ وحدَه	فأصبح قد وفّى إليه وأنعما
سَرَيْنا وواعدنا قُديداً محمداً	يؤمُّ بنا أمراً من اللهِ محكما
تماروا بنا فى الفجرِ حتى تبينوا	معَ الفجرِ فتيانا وغابا مُقوَّما[3]
على الخيلِ مشدودا علينا دروعُنا	ورَجْلا كدفّاعِ الأتِىّ عَرَمْرَما[4]
فإن سَراةَ الحىّ إن كنتَ سائلا	سُلَيمٌ وفيهم منهمُ من تَسَلّما[5]
وجندٌ من الأنصارِ لا يخذُلونه	أطاعوا فما يعصونه ما تكلما
فإن تكُ قد أمّرتَ فى القومِ خالداً	وقدمته فإنه قد تقدما
بجندٍ هداه اللهُ أنت أميرُه	تُصيبُ به فى الحقّ من كان أظلما

---

(١) شاجره: خالطه بالرمح.

(٢) أصل الشعار: الثياب التى تلى الجسد. كناية عن القرب.

(٣) تماروا: شكوا. الغاب: الرماح.

(٤) الأتى: السيل. العرمرم: الكثير.

(٥) يريد بمن تسلما: أن فى بنى سليم من اعتزى إليهم من حلفائهم، فتسلم بذلك، كما تقول: تقيس الرجل، إذا اعتزى إلى قيس. أنشد سيبويه:

وقيس عيلان ومن تقيسا

حلفتُ يمينا بَرّةً لمحمدٍ ... فأكملتُها ألفا من الخيل مُلجَما
وقال نبيُّ المؤمنين تقدموا ... وحُبّ إلينا أن نكون المقدَّما
وبتنا نَهْيَ المستدير ولم يكن ... بنا الخوفُ إلا رغبةً وتحزُّما
أطعناك حتى أسلم الناسُ كلُّهم ... وحتى صبّحنا الجمعَ أهلَ يَلَمْلَمَا[1]
يضِلُّ الحصانُ الأبلقُ الوَردُ وسطه ... ولا يطمئنُّ الشيخُ حتى يُسَوَّما[2]
سَمَونا لهم وِرْدَ القَطا زفَّه ضُحًى ... وكلٌّ تراه عن أخيه قد احجَما[3]
لَدُن غُدوةً حتى تركنا عشيةً ... حُنينا وقد سالت دوافعُه دما[4]
إذا شئتَ من كلٍّ رأيتَ طِمِرَّةً ... وفارسَها يهوى ورمحا مُحطَّما[5]
وقد أحرزَتْ مناهوازنَ سَرْبَها ... وحُبّ إليها أن نَخيب ونُحرما[6]

قال ابن إسحاق: وقال ضمضم بن الحارث بن جُشَم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف ابن يقَظة بن عُصَية السلمى فى يوم حنين: وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكم بن خالد بن الشريد، فقتل به مِحْجَنا وابن عم له، وهما من ثقيف:

نحن جلبنا الخيلَ من غيرِ مجلَبٍ ... إلى جُرَشٍ من أهلِ زَيّان والفَمِ
نقتّلُ أشبالَ الأسودِ ونبتغى ... طواغىَ كانت قبلنا لم تُهدَّمِ
فإن تفخروا بابنِ الشَّريدِ فإننى ... تركت بوَجٍّ مأتما بعد مأتمِ
أباأتُهما بابنِ الشريدِ وغَرّه ... جِوارُكم وكان غيرَ مُذمَّمِ
تُصيبُ رجالا من ثقيفٍ رماحُنا ... وأسيافُنا يكلِمْنَهم كلَّ مَكلَمِ

وقال ضمضم بن الحارث أيضاً:

أبلغ لديكَ ذوى الحلائلِ آيةً ... لاتأمَنَنّ الدهرَ ذاتَ خِمارِ
بعد التى قالت لجارةِ بيتِها ... قد كنتِ لو لَبِث الغَزِىُّ بِدَارِ

---

(١) يلملم: ميقات حجاج اليمن ومن أتوا عن طريقها.
(٢) الأبلق: الذى يختلط لونه بالسواد والبياض. الورد: المشرب بالحمرة. يسوم: يعلم.
(٣) القطا: طائر. زفه: أسرع به.
(٤) دوافع: مجارى السيل.
(٥) الطمرة: الفرس السريعة.
(٦) السرب: المال الراعى.

لمّا رأت رجلا تسفّع لونه	وغَبَرُ المصيفةِ والعظامُ عَوارى(١)
مُشُطَ العظام تراه آخرَ ليله	متسربلا فى درعـــه لِغوار(٢)
إذ لا أزال على رحالةِ نَهْدَةٍ	جرداء تُلحِقُ بالنِّجادِ إزارى(٣)
يوما على أثرِ النِّهابِ وتارةً	كُتِبت مجاهدةً مع الأنصار
وزَهاءَ كلِّ خميلةٍ أزهقتُها	مهلا تمهّله وكلَّ خَبار(٤)
كيما أغيِّرَ ما بها من حاجةٍ	وتَودُّ أنى لا أؤوب جَعَارِ(٥)

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، قال : أسر زهير بن العجوة الهذلى يوم حنين ، فكُتِف فرآه جميل بن معمر الجمحى ، فقال له أأنت الماشى لنا بالمغايظ ؟ فضرب عنقه ؛ فقال أبو خراش(٦) الهذلى يرثيه ، وكان ابن عمه :

عجَّف أضيافى جميلُ بنُ مَعمَرٍ	بذى فَجَرٍ تأوى إليه الأراملُ
طويلُ نجادِ السيفِ ليس بجيدَرٍ	إذا اهتز واسترخت عليه الحمائل(٧)
تكاد يداه تُسلمان إزاره	من الجود لما أذلقته الشمائل(٨)
إلى بيته يأوى الضَّريكُ إذا شتا	ومُستنبِحٌ بالى الدريسين عائل(٩)

---

(١) تسفع : تغير إلى السفعة ، وهى سواد مشبع بحمرة . الوغر : شدة الحر . المصيفة : الأرض شديدة الحرارة .

(٢) مشط العظام : قليل اللحم الذى على عظامه . لغوار : للإغارة .

(٣) الرحالة : السرج . نهدة : غليظة . النجاد : حمائل السيف .

(٤) الخميلة : الموضع الكثير الشجر . الخبار : مالان واسترخى من الأرض .

(٥) جعار : تستعمل فى النداء عادة فيقال يا جعار للمرأة الفاجرة .

(٦) واسمه خويلد بن مرة . شاعر إسلامى مات فى خلافة عمر .

(٧) الجيدر : القصير .

(٨) يريد أنه من كثرة سخائه يوشك أن يتجرد من إزاره يعطيه سائله والشمائل : الرياح الباردة التى تأتى من ناحية الشمال . أذلقته : أجهدته .

(٩) الضريك : الفقير . المستنبح : من يطرق ديار القوم ليلا فينبح ، فتجاوبه كلاب الحى ليعرف مكان الحيران . الدريسان : الثوبان الخلقان . عائل : فقير .

رَوَّحَ مقروراً وهبت عشية	لها حَدَبٌ تحتثُّه فيوائِلُ(١)
فما بالُ أهلِ الدارِ لم يتصدعوا	وقد بان منها اللوذعيُّ الحُلاحلُ(٢)
فأقسمُ لو لاقيتَه غيرَ مُوثَقٍ	لآبكَ بالنَّعفِ الضباعُ الجيائِلُ(٣)
وإنك لو واجهتَه إذ لقيتَه	فنازلتَه أو كنتَ ممن ينازِل
لظل جبيلُ أخشَ القومِ صِرعةً	ولكن قِرنَ الظهرِ للمرءِ شاغل
فليس كعهدِ الدارِ ياأمَّ ثابتٍ	ولكن أحاطت بالرقابِ السلاسل
وعاد الفتى كالشيخِ ليس بفاعلٍ	سوى الحقِّ شيئا واستراح العواذل
وأصبح إخوانُ الصفاءِ كأنما	أهال عليهم جانبَ التُّرْبِ هائل
فلا تحسَبي أنى نسيت لياليًا	بمكةَ إذ لم نَعْدُ عما نحاول
إذ الناسُ ناسٌ والبلادُ بغرة	وإذ نحن لا تُثنى علينا المداخل(٤)

قال ابن إسحاق: وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره:

منع الرقادَ فما أغمضُ ساعةً	نَعَمٌ بأجزاعِ الطريقِ مخضرَمُ(٥)
سائلْ هوزانَ هل أضرُ عدوَّها	وأُعينُ غارمَها إذا مايَغرمُ
وكتيبةٍ لبستُها بكتيبةٍ	فتتينِ منها حاسرٌ ومُلأَّم
ومُقدَّمٍ تعيا النفوسُ لضيقِه	قدمتُه وشهودُ قومى أعلم(٦)
فوردتُه وتركت إخوانا له	تردون غمرتَه وغمرتُه الدم
فإذا انجلت غمراتُه أورثنى	مجدَ الحياةِ ومجدَ غُنمٍ يُقسَم
كلفتمونى ذنبَ آلِ محمدٍ	واللهُ أعلمُ من أعقُّ وأظلم
وخذلتمونى إذ أقاتلُ واحداً	وخذلتمونى إذ تقاتلُ خثعم

---

(١) المقرور: الذى أصابه القر وهو البرد. والحدب فى الأصل: انحدار الماء بشدة شبه الريح المضطربة. تحتثه: تسوقه سوقا سريعا. يوائل: يطلب موئلا، أى يطلب ملجأ.

(٢) لم يتصدعوا: لم يتفرقوا. اللوذعى. الفصيح. الحلاحل: السيد

(٣) آبك: رجع إليك. النعف: أسفل الجبل الجيائل: جمع جيئل: الضبع أيضاً.

(٤) بغرة: بغفلة.

(٥) النعم: الإبل: المخضرمة: مقطوعة أطراف الآذان.

(٦) المقدم: الموضع الذى لا يتقدم فيه إلا الأبطال.

وإذا بنيتُ المجدَ يهدمُ بعضُكم … لا يستوى بانٍ وآخرُ يهدمُ
وأقبّ مخماصِ الشتاءِ مسارعٍ … فى المجدِ يُنمَى للعُلا متكرِّمِ(١)
أكرهتُ فيه ألّةً يَزَنيّةً … سحماءَ يقدُمُها سِنانٌ سَلجَمُ(٢)
وتركتُ حَنّته تردُّ وليَّه … وتقول ليس على فلانة مُقدَمُ(٣)
ونصبت نفسى للرماحِ مُدَجَّجاً … مثل الترِيكةِ تُستَحلُّ وتُشرَمُ(٤)

قال ابن إسحاق : وقال قائل فى هوازن أيضا ، يذكر مسيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أذكر مسيرَهمُ للناسِ إذ جمعوا … ومالكٌ فوقه الراياتُ تختفِقُ
ومالكٌ مالكٌ مافوقَه أحدٌ … يومَ حُنينٍ عليه التاجُ يأتلِق
حتى لقُوا الناسَ حين البأسِ يقدُمهم … عليهم البيضُ والأبدانُ والدرق
فضاربوا الناسَ حتى لم يرَوْا أحدا … حولَ النبيِّ وحتى جَنّه الغسق
ثُمّتَ نزل جبريلٌ بنصرِهمُ … من السماءِ فمهزومٌ ومعتنَق(٥)
منا ولو غيرَ جبريلٍ يقاتلُنا … لمنّعَتْنا إذن أسيافُنا العُتُق
وفاتنا عمرُ الفاروقُ إذ هُزموا … بطعنةٍ بلّ منها سَرجَه العلَق(٦)

وقالت امرأة من بنى جشم ترثى أخوين لها أصيبا يوم حنين :

أعينىّ جودا على مالكٍ … معا والعلاءِ ولا تجمُـــدا
هما القاتلان أبا عامرٍ … وقد كان ذا هَبّةٍ أربدا
هما تركاه لدى مَعْرَكٍ … كأن عليه لدى مُجسَـــد … يَنوء نزيفا وما وسّدا(٧)

---

(١) الأقب : ضامر الخصر . والخماص : كذلك .

(٢) ألة : حربة . يزنية : منسوبة إلى ذى يزن الحميرى وهو أحد ملوك حمير . سحماء : سوداء . سلجم : طويل . (٣) حنته : زوجته .

(٤) التريكة : هى الدريئة : حلقة تنصب فيتعلم عليها الطعن .

(٥) المعتنق : الأخير . (٦) العلق : الدم .

(٧) المجسد : المصبوغ بالجساد وهو الزعفران . والمراد أن ثوبه قد صبغ بالدم .

وقال أبو ثواب زيد بن صُحَار، أحد بنى سعد بن بكر :

ألا هل أتاك أن غلبتْ قريشٌ ... هوازنَ والخطوبُ لها شروطُ

وكنا يا قريشُ إذا غضبنا ... يجىء من الغضابِ دمٌ عبيطُ[1]

وكنا يا قريشُ إذا غضبنا ... كأن أنوفَنا فيها سَعوطُ

فأصبحنا تُسَوِّقنا قريشٌ ... سياقَ العيرِ يحدوها النبيطُ[2]

فلا أنا إن سُئلتُ الخسفَ آبٍ ... ولا أنا أن ألينَ لهم نشيطُ

سيُنقلُ لحمُها فى كلِّ فجٍّ ... وتُكتبُ فى مسامعِها القُطوطُ[3]

ويروى «الخطوط»، وهذا البيت فى رواية أبى سعد

قال ابن هشام : ويقـال : أبو ثواب زياد بن ثواب . وأنشدنى خلف الأحمر قوله «يجىء من الغضاب دم عبيط»، وآخرها بيتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بنى تميم، ثم من بنى أُسَيِّد، فقال :

بشرطِ اللهِ نضربُ من لقينا ... كأفضلِ ما رأيتَ من الشُّروطِ

وكنا يا هوازنُ حـين نلقى ... نَبُلُّ الهامَ من عَلَقٍ عبيطِ

بجمعِكم وجمعِ بنى قَسِيٍّ ... نحُكُّ البَرْكَ كالورقِ الخَبيطِ[4]

أصبنا من سَراتِكم وملنا ... بقتلٍ فى المُباينِ والخليطِ

به المُلتاثُ مفـترشٌ يديه ... يمجّ الموتَ كالبَكرِ النحيطِ[5]

فإن تك قيسُ عيـلانٍ غِضابًا ... فلا ينفكُّ يُرغمُهم سَعوطى

(١) العبيط : الطرى .

(٢) النبيط : فى الأصل قوم كانوا يسكنون بين العراق والأردن أقاموا دولة عاصمتها البتراء ثم أطلقت هذه الكلمة على أخلاط الناس وعوامهم .

(٣) القطوط : الكتب التى تجمع فيها الأعمال .

(٤) الكلكل: صدر البعير. الورق الخبيط: الذى ضرب بالعصا ليسقط. شبه شدة الحرب بها. سبق .

(٥) الملتاث : اسم رجل . البكر : الفتى من الإبل . والنحيط : من يردد النفس فى صدره فتسمع له صوتا .

وقال خديج بن العوجاء النصرى :

لما دنونا من حُنينٍ ومائه رأينا سواداً منكرَ اللونِ أخصَفا(١)
بملمومةٍ شهباء لو قذفوا بها شماريخَ من عُزْوَى إذن عاد صَفْصَفا(٢)
ولو أن قومى طاوعتنى سراتُهم إذن ما لَقِينا العارضَ المتكشّفا(٣)
إذن ما لَقِينا جندَ آلِ محمدٍ ثمانين ألفا واستمدوا بخِنْدِفا(٤)

ذكر غزوة الطائف(٥) بعد حنين فى سنة ثمان

ولما قدم فَلُّ(٦) ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال : ولم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ، ولا غَيْلان بن سلمة ، كانا بجُرَش ، يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضُّبور .(٧)

(١) سواداً : أشخاصاً . الأخصف : الملون .

(٢) الململومة: الكتيبة المجتمعة . شهباء : كثيرة السلاح . الشماريخ : أعالى الجبال . صفصفا : مستويا بالأرض .

(٣) العارض : السحاب . المتكشف : الواضح . يشبه به جنود المسلمين .

(٤) خندف : اسم قبيلة .

(٥) وأصل تسميتها كما ذكر بعض أهل النسب أن الدمون بن الصدف ، واسم الصدف : ملك بن مالك بن مرتع بن كندة من حضرموت أصاب دماً من قومه ، فلحق بثقيف ، فأقام فيهم ، وقال لهم : ألا أبنى لكم حائطاً يطيف ببلدكم ، فبناه . فسمى به الطائف ، وذكره البكرى هكذا قال : وإنما هو الدمون بن عبد بن مالك بن دهقل ، وهو من الصدف ، وله ابنان أدركا النبى — صلى الله عليه وسلم — وبايعاه ، اسم أحدهما : الهميل ، والآخر . قبيصة ، ولم يذكرهما أبو عمر فى الصحابة ، وذكرهما غيره .

(٦) الفل : بقية الجيش المنهزم ..

(٧) الدبابة : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها . والمنجنيق : آلة حربية من آلات الحصار ترمى الحجارة وغيرها من القذائف وجمعها مجانق ومجانيق ومنجنيقات . والضبور : مثل رءوس الأسفاط يتقى بها فى الحرب عند الانصراف ، وفى العين : الضبر جلود يغشى بها خشب يتقى بها فى الحرب .

ما قيل من الشعر في غزوة الطائف : ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين ؛ فقال كعب بن مالك ، حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى الطائف :

قضينا من تِهامــةَ كلَّ رَيْبٍ ... وخيبرَ ثم أجمعنا السيوفَا[1]
نخيرهــا ولو نطقت لقــالت ... قواطعُهن : دَوسا أو ثقيفــا
فلستُ لحاضنٍ إن لم ترَوْهــا ... بساحةِ دارِكم منــا ألوفا
ونَنْتزع العروشَ ببطنِ وَجٍّ ... وتُصبح دورُكم منكم خُلوفا
ويأتيكم لنــا سَرَعانُ خَيــلٍ ... يغادر خلفَــه جمعــا كثيفا
إذا نزلوا بساحتِكم سمعــتْم ... لهــا مما أناخ بهــا رجيفا
بأيديهم قواضبُ مرهَفاتٌ ... يُزِرْنَ المصطلين بها الحتوفا
كأمثالِ العقــائق أخلصتها ... قيون الهند لم تضرب كتيفا[2]
تخال جَدِيَّةَ الأبطالِ فيهم ... غداةَ الزحفِ جاديًّا مَدُوفا[3]
أجَدَّهمُ أليس لهم نصيحٌ ... من الأقوام كان بنــا عريفا[4]
يخبرهم بأنا قــد جمعنا ... عتاقَ الخيلِ والنجُبَ الطروفا[5]
وأنا قــد أتيناهم بزحفٍ ... يُحيطُ بسُورِ حصنِهمُ صفوفا
رئيسُهمُ النبيُّ وكان صُلبــا ... نقيَّ القلبِ مصطَبِــراً عَزوفا
رشيدَ الأمرِ ذو حُــكمٍ وعلمٍ ... وحِــلمٍ لم يكن نَزِقا خفيفاً
نطيعُ نبيَّنا ونطيعُ ربّاً ... هو الرحمنُ كان بنــا رءوفا
فإن تلقُوا إلينا السِّلمَ نقبَــلْ ... ونجعلْكم لنا عَضُداً وريفا[6]

---

(١) أجمعنا : أرحناه. (٢) الكتيف : الصفائح الحديد .
(٣) الجدية : الدماء السائلة . الجادى : الزعفران . مدوف : مخلوط
(٤) أجدهم : أجد منهم : عريفا : عارفا .
(٥) الطروف : نجيبة الأصل .
(٦) الريف فى الأصل : الأرض الخصبة للزرعة خارج المدن ، والمراد أن يجعلهم مساعدين لهم مستمدين عيشهم من ريفهم .

وإن تأبَوْا نجاهدكم ونصبرْ ... ولا يك أمرُنا رَعِشا ضعيفا(١)
نجالدُ ما بَقِينا أو تُنِيبوا ... إلى الإسلامِ إذعانا مُضيفا(٢)
نجاهدُ لا نبالى من لَقِينا ... أأهلكنا التلادَ أم الطريفا(٣)
وكم من معشرٍ ألبَوا علينا ... صميمَ الجِذْمِ منهم والحليفا
أتونا لا يرون لهم كِفاءً ... فجدعنا المسامعَ والأنوفا
بكلّ مهنّدٍ لَيْنٍ صقيلٍ ... نَسوقُهمُ بها سوقا عنيفا
لأمرِ اللهِ والإسلامِ حتى ... يقومَ الدينُ معتدلا حنيفا
وتُنْسَى اللاتُ والعزى ووَدٌّ ... ونسلُبُها القلائدَ والشُّنوفا(٤)
فأمسَوْا قد أقروا واطمأنوا ... ومن لا يَمتنعْ يقبلْ خُسوفا

فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير، فقال:

من كان يبغينا يريدُ قتالَنا ... فإنا بدارٍ مَعْلَمٍ لا نَريمُها
وجدنا بها الآباءَ من قبلِ ما ترى ... وكانت لنا أطواؤُها وكرومُها(٥)
وقد جربَتْنا قبلُ عمرُو بنُ عامرٍ ... فأخبَرَها ذو رأيها وحليمُها(٦)

(١) الرعش: المتقلب. (٢) مضيف: ملجىء.
(٣) التلاد: المال الموروث. الطريف: المال المستحدث.
(٤) الشنوف والأشناف جمع شنف: حلية تعلق فى أعلى الأذن.
(٥) الأطواء: جمع طوى وهى البئر، جمعت على غير قياس توهموا سقوط ياء فعيل منها إذ كانت زائدة.

(٦) إنما قال هذا جوابا للأنصار، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمر بن عامر، وعمرو هو مزيقياء، وعامر هو ماء السماء، ولم يرد أن الأنصار جربتهم قبل ذلك، وإنما أراد إخوتهم، وهم خزاعة لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر فى أحد القولين، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة، وقال البكرى فى معنى هذا البيت: إنما أراد بنى عمرو بن عامر بن صعصعة، وكانوا مجاورين لثقيف وأمهم عمرة بنت عامر بن الظرب العدوانى، وأختها زينب كانت تحت ثقيف، وأكثر قبائل ثقيف منها، وكانت ثقيف قد أنزلت بنى عمرو بن عامر فى أرضهم ليعملوا فيها، ويكون لهم النصف فى الزرع والثمر، ثم إن ثقيفاً منعتهم ذلك، وتحصنوا منهم بالحائط الذى بنوه حول حاضرهم، فحاربتهم بنو عمرو بن عامر، فلم يظفروا منهم بشىء، وجلوا عن تلك البلاد.

وقد علمت إن قالت الحقّ أننا … إذا ما أبت صُعْرُ الخدودِ نقيمُها[1]

نقوّمُها حتى يلينَ شريسُها … ويُعرفَ للحقّ المبينِ ظَلومُها

علينا دِلاصٌ من تراثِ محرّقٍ … كلونِ السماءِ زينتها نجومُها[2]

نرفّعها عنا ببيضٍ صوارمٍ … إذا جرت فى غمرةٍ لانَشيمُها[3]

قال ابن إسحاق: وقال شداد بن عارض الجشمى فى مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف:

لاتنصروا اللاتَ إن اللهَ مهلكُها … وكيف يُنصرُ من هو ليسَ ينتصرُ

إن التى حُرِّقتْ بالسُّدِّ فاشتعلت … ولم يقاتلْ لدَى أحجارِها هَدَرُ

إن الرسولَ متى ينزلْ بلادَكم … يَظعَنْ وليس بها من أهلِها بشر

الطريق إلى الطائف: قال ابن إسحاق: فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخلة اليمانية، ثم على قَرْن، ثم على المُلَيْح، ثم على بحرة الرُّغاء من لِية[4]، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عمرو بن شعيب: أنه أقاد يومئذ ببحرة الرغاء، حين نزلها، بدم وهو أول دم أقيد به فى الإسلام، رجل، من بنى ليث قتل رجلا من هذيل، فقتله به: وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو بلِية، بحصن مالك بن عوف فهدم، ثم سلك فى طريق يقال لها الضيقة، فلما توجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها، فقال: ما اسم هذه الطريق؟ فقيل له الضيقة، فقال: بل هى اليسرى، ثم خرج منها على نَخِب، حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة، قريبا من مال رجل من ثقيف، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: إما أن تخرج، وإما أن نخرب عليك حائطك؛ فأبى أن يخرج، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه.

القتال: ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل قريبا من الطائف، فضرب به عسكره، فقتل به ناس من أصحابه بالنبل، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف،

---

(١) صعر خده: أماله إلى جهة تكبرا.

(٢) دلاص: الدروع اللينة. محرق: عمرو بن عامر، لأنه أول من حرق العرب بالنار.

(٣) لانشيمها: لانغمدها

(٤) أسماء أماكن بالطائف.

فكانت النبل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ؛ فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعا وعشرين ليلة .

قال ابن هشام : ويقال سبع عشرة ليلة .

قال ابن إسحاق : ومعه امرأتان من نسائه ، إحداهما أم سلمة بنت أبى أمية ، فضرب لهما قبتين ، ثم صلى بين القبتين . ثم أقام ، فلما أسلمت ثقيف بنى على مُصَلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية بن وهب بن معتب بن مالك مسجدا ، وكانت فى ذلك المسجد سارية ، فيما يزعمون ، لا تطلع الشمس عليها يوما من الدهر إلا سمع لها نقيض (١) ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالا شديداً ، وتراموا بالنبل .

قال ابن هشام : ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق . حدثنى من أثق به أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى فى الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الشدْخة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت دبابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليخرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

أبو سفيان بن حرب والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف : وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة إلى الطائف ، فناديا ثقيفا : أن أمنونا حتى نكلمكم فأمنوهما ، فدعوا نساء من نساء من قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهما ، وهما يخافان عليهن السباء ، فأبين ، منهن آمنة بنت أبى سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود ، له منها داود بن عروة .

قال ابن هشام : ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبى سفيان ، وكانت عند أبى مرة بن عروة ابن مسعود ، فولدت له داود بن مرة .

قال ابن إسحاق ، والفِرَاسية بنت سُوَيد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن بن قارب ، والفُقَيْمية أميمة بنت الناسىء أمية بن قَلْع ؛ فلما أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان ويامغيرة : ألا أدلكما على خير مما جئتما له ، إن مال بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف ، نازلا بواد يقال له العقيق ، ليس بالطائف مال أبعد رشاء ، ولا أشد مؤنة ، ولا أبعد عمارة من مال بنى الأسود ، وإن محمدا إن

---

(١) نقيض : صوت .

قطعه لم يعمر أبدا ، فكلاه فليأخذ لنفسه ، أوليدعه لله والرحم ، فإن بيننا وبينه من القرابة مالا يجهل ؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

أبو بكر يفسر رؤيا للرسول (ص) : وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر الصديق وهو محاصر ثقيفا : ياأبابكر ، إنى رأيت أنى أهديت لى قعْبة مملوءة زبداً ، فنقرها ديك ، فهُرَاق مافيها . فقال أبوبكر : ماأظن أن تدرك منهم يومك هذا ماتريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لاأرى ذلك .

ارتحال المسلمين عن الطائف : ثم إن خُوَيلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السُّلَمية ، وهى امرأة عثمان ، قالت : يارسول الله ، أعطنى إن فتح الله عليك الطائف حُلى بادية بنت غَيلان بن مظعون بن سلمة ، أوحلى الفارعة بنت عَقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف .

فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن لى فى ثقيف ياخُوَيلة ؟ فخرجت خويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله : ماحديث حدثتنيه خويلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ؛ قال أوما أذن لك فيهم يارسول الله ؟ قال : لا ، قال : أفلا أؤذِّن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال فأذن عمر بالرحيل .

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إن الحى مقيم . قال : يقول عيينة بن حصن : أجل ، والله مَجَدَة كراما ؛ فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله ياعيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جئت تنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فقال : إنى والله ما جئت لأقاتل ثقيفا معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أتطِئُها ، لعلها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفا قوم مناكير(١) .

عبيد الطائف ينزلون إلى المسلمين : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبدالله ابن مُكَدَّم ، عن رجال من ثقيف : قالوا : لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العبيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عتقاء الله ؛ وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كَلَدَة .

قال ابن هشام : وقد سمى ابن إسحاق من نزل من أولئك العبيد .

شعر للضحاك بن سفيان وسببه : قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلا

---

(١) المناكير : جمع منكر : داه فطن ذكى .

لمروان بن قيس الدوسى ، وكان قد أسلم ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمروان بن قيس : خذ يامروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه ، فلقى أُبَى بن مالك القُشيرى فأخذه حتى يؤدّوا إليه أهله ، فقام فى ذلك الضحاك بن سفيان الكلابى ، فكلم ثقيفا حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أُبىّ بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان فى شىء كان بينه وبين أبى بن مالك :

أتنسى بلائى يا أُبَىَّ بنَ مالكٍ غَداةَ الرسول معرضٌ عنك أشْوَسُ(١)
يقودك مروانُ بنُ قيسٍ بحبلِهِ ذليلا كما قِيدَ الذلولُ المُخَيَّس(٢)
فعادت عليك من ثقيفٍ عصابةٌ متى يأتهم مُستقبِسُ الشرِّ يُقبِسوا
فكانوا هم المولَى فعادت حلومُهم عليك وقد كادت بك النفسُ تيأس

قال ابن هشام : « يقبسوا » عن غير ابن إسحاق .

الشهداء يوم الطائف : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف .

من قريش ، ثم من بنى أمية بن عبد شمس : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية . وعُرفُطة ابن جَنَّاب ، حليف لهم ، من الأسد بن الغوث .

قال ابن هشام : ويقال : ابن حُباب .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تَيم بن مرة : عبد الله بن أبى بكر الصديق ، رمى بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى مخزوم : عبدالله بن أبى أمية بن المغيرة ، من رمية رُميها يومئذ .

ومن بنى عدى بن كعب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله ابن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جُلَيحة بن عبد الله .

واستشهد من الأنصار : من بنى سلمة : ثابت بن الجذع .

---

(١) الأشوس : من يعرض بنظره إلى جهة أخرى . (٢) المخيس : المذلل .

ومن بنى مازن بن النجار : الحارث بن سهل بن أبى صعصعة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رُقَيْم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لَوْذان بن معاوية .

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا ، سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

قصيدة بجير بن زهير فى حنين والطائف : فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد القتال والحصار ، قال بُجَير بن زهير بن أبى سُلمى يذكر حنينا والطائف :

كانت عُلالةُ يومَ بطنِ حُنَيْنٍ ... وغَداةَ أوطاسٍ ويومَ الأبرقِ (١)

جمعتْ بإغواءٍ هوازنُ جمعَها ... فتبدّدوا كالطائرِ المتمزقِ

لم يمنعوا منا مَقاما واحداً ... إلا جِدارَهمُ وبطنَ الخندقِ

ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا ... فتحصنوا منا بباب مغلقِ

تَرتدُّ حَسْرانا إلى رجراجةٍ ... شهباءَ تلمعُ بالمنايا فَيلَقِ (٢)

ملمومةٍ خضراءَ لو قَذفوا بها ... حِضْنا لظل كأنه لم يُخلَقِ (٣)

مَشْىَ الضِّراءِ على الهِراسِ كأننا ... قُدُرٌ تَفرّقَ فى القِيادِ وتلتقى (٤)

---

(١) العلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال ، يريد : أن هوازن جمعت جمعها علالة فى ذلك اليوم ، وحذف التنوين من علالة ضرورة ، وأضمر فى كانت اسمها ، وهو القصة وإن كانت الرواية بخفض يوم ، فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصب ، ولكن ألفيته فى النسخة المقيدة ، وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جاز فى علالة أن يكون منصوباً على خبر كان ، فيكون اسمها عائداً على شىء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع فى علالة مع إضافتها إلى يوم ، على أن تكون كان تامة مكتفية باسم واحد ، ويجوز أن تجعلها اسماً علماً للمصدر مثل برة وفجار ، وينصب يوم على الظرف كما تقيد فى النسخة . انظر الروض الأنف جـ ٤ ص ١٦٥ .

(٢) حسراناً ، جمع : حسير وهو الكليل . والرجراجة : الكتيبة الضخمة من الرجرجة ، وهى شدة الحركة والاضطراب . وفيلق : من الفلق ، وهى الداهية .

(٣) ملمومة : مجتمعة . خضراء : تظهر كذلك لكثرة ما عليها من الحديد. حضن : اسم جبل .

(٤) الضراء : الكلاب . والهراس : نوع من الشوك ، والكلاب إذا مشت فى الهراس اتقت لأيديها موضعا ثم تضع أرجلها موضع أيديها . شبه الخيل بها . والقدر : الوعول المسنة .

في كلّ سابغةٍ إذا ما استحصنَت كالنِّهي هبت ريحُه المترقرقِ(١)
جَدْلٌ تَمَسُّ فضولُهن نعالَنا من نسج داودٍ وآلِ مُحرّق(٢)

أمر أموال هوازن وسباياها، وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دُحْنَا حتى نزل الجِعْرانة فيمن معه من الناس، ومعه من هوازن سبي كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف: يارسول الله، ادع عليهم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم اهد ثقيفا وأتِ بهم.

ثم أتاه وفد هوازن بالجِعْرانة، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبي هوازن ستة آلاف من الذرارى والنساء، ومن الإبل والشاء ما لايدرى ما عدته.

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو: أن وفد هوازن أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا، فقالوا: يارسول الله، إنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك، فامنن علينا، مَنَّ الله عليك. قال: وقام رجل من هوازن، ثم أحد بني سعد بن بكر، يقال له زهير، يكنى أبا صُرَد، فقال: يارسول الله، إنما في الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك(٣) اللاتي كن يكفلنك، ولو أنا مَلَحْنا(٤) للحارث بن أبي شمر، أو للنعمان بن المنذر، ثم نزل منا بمثل الذي نزلت به، رجونا عطفه وعائدته علينا، وأنت خير المكفولين.

قال ابن هشام: ويروى ولو أنا مالَحْنا الحارث بن أبي شمر، أو النعمان بن المنذر.

قال ابن إسحاق: فحدثني عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده عبد الله بن عمرو، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ فقالوا: يارسول الله، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا، فهو أحب إلينا. فقال لهم: أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس، فقوموا

---

(١) النهي: الغدير سمي بذلك لأنه ماء نهاه ما ارتفع من الأرض من السيلان فوقف.
(٢) الجدل: المنسوجة نسجا محكما. آل محرق: آل عمر بن هند ملك الحيرة.
(٣) يقصد: حليمة السعدية فهي من بني سعد بن بكر. (٤) ملحنا: أرضعنا

فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ؛ فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ، قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقالت الأنصار : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا ، وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : يقول عباس بن مرداس لبنى سليم : وهّنتمونى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبى فله لكل إنسان ست فرائض ، من أول سبى أصيبه . فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى على بن أبى طالب رضى الله عنه جارية ، يقال لها رَيْطة بنت هلال بن حيان بن عُمَيرة ابن هلال بن ناصرة بن قُصَيَّة بن نصر بن سعد بن بكر ، وأعطى عثمان بن عفان جارية ، يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله ابن عمر ابنه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، قال : بعثت بها إلى أخوالى من بنى جمح ، ليصلحوا لى منها ، ويهيئوها ، حتى أطوف بالبيت ، ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال : فخرجت من المسجد حين فرغت ، فإذا الناس يشتدون ؛ فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : رد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءنا ؛ فقلت : تلكم صاحبتكم فى بنى جُمَح ، فاذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها ، فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عيينة بن حصن ، فأخذ عجوزا من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزا إنى لأحسب لها فى الحى نسبا ، وعسى أن يَعظُم فداؤها فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض ، أبى أن يردها ، فقال له زهير أبو صرد : خذها عنك ، فوالله ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد(١) ، ولا درّها بماكد(٢) . فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال ؛ فزعموا أن عيينة لقى

(١) الواجد : الحزين . (٢) الماكد : الغزير .

الأقرع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة ، ولا نَصَفا وثـــيرة[1] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف ما فعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبروا مالكا أنه إن أتانى مسلما رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ؛ فأُتى مالك بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفا على نفسه أن يعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال ، فيحبسوه ، فأمر براحلته فهيئت له ، وأمر بفرس له ، فأُتى به إلى الطائف ، فخرج ليلا ، فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس ، فركبها ، فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجعرانة أو بمكة ، فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل ، وأسلم فحسن إسلامه ؛ فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إنْ رأيتُ ولا سمعت بمثله ... فى الناسِ كلِّهم بمثلِ محمدِ

أوفَى وأعطَى للجزيلِ إذا اجتُدِى ... ومتى تشأْ يخبِرْك عما فى غدِ

وإذا الكتيبةُ عرَّدت أنيابُها ... بالسمهرىِّ وضَرْبِ كلِّ مُهنَّدِ

فكأنه ليثٌ على أشبالِه ... وسْطَ المَباءَةِ خادرٌ فى مَرْصَدِ

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ؛ وتلك القبائل : ثُمالة ، وسَلِمة[2] ، وفَهْم فكان يقاتل بهم ثقيفا ، لا يخرج لهم سَرح إلا أغار عليه ، حتى ضيق عليهم فقال أبو محجن[3] بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى :

هابت الأعداءُ جانبَنا ... ثم تغزونا بنو سَلِمَهْ

وأتانا مالكٌ بهمُ ... ناقضاً للعهدِ والحُرْمَهْ

وأتونا فى منازلِنا ... ولقد كنا أولى نقمَهْ

---

(١) الغريرة متوسطة السن ، وكذلك النصف أيضا . والوثيرة : السمينة .

(٢) قال السهيلى : هكذا تقيد فى النسخة ـ بكسر اللام ـ ؛ والمعروف فى قبائل قيس سلَمة ـ بالفتح ـ .

(٣) اسمه : مالك بن حبيب ، وقيل عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قيس الثقفى .

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين إلى أهلها ، ركب ، واتبعه الناس يقولون : يا رسول الله ، اقسم علينا فيأنا من الإبل والغنم ، حتى ألجئوه إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ؛ فقال : أدوا على ردائي أيها الناس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وبرة من سنامه ، فجعلها بين أصبعيه ، ثم رفعها ، ثم قال : أيها الناس ، والله مالي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ، والخمس مردود عليكم ، فأدوا الخياط والمخيط[1] ، فإن الغُلول[2] يكون على أهله عاراً وناراً وشَناراً[3] يوم القيامة . قال : فجاء رجل من الأنصار بكُبة من خيوط شعر ، فقال : يا رسول الله ، أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لي دبر : فقال أما نصيبي منها فلك قال : أما إذ بلغَتْ هذا فلا حاجة لي بها ، ثم طرحها من يده .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن عقيل بن أبي طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبة بن ربيعة ، وسيفه متلطخ دما . فقالت : إني قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك ، فدفعها إليها ، فسمع منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئاً فليرده ، حتى الخياط والمخيط . فرجع عقيل ، فقال : ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت ، فأخذها ، فألقاها في الغنائم .

قال ابن إسحاق : وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ، وكانوا أشرافاً من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير وأعطى الحارث بن الحارث بن كَلَدة ، أخا بني عبد الدار مائة بعير .

قال ابن هشام : نُصَير بن الحارث بن كلدة ، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضاً .

قال ابن إسحاق : وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى سُهَيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفي ، حليف بني زُهرة مائة بعير ، وأعطى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مائة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمي مائة بعير . وأعطى مالك بن عوف النصري مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

---

(١) الخياط . الخيط : والمخيط آلة الخياطة (الإبرة) .

(٢) الغلول : الخيانة .   (٣) الشنار : الأمر القبيح الشنيع .

وأعطى دون المائة رجالا من قريش ، منهم مَخرَمة بن نوفل الزهرى ، وعمير بن وهب الجمحى ، وهشام بن عمرو أخو بنى عامر بن لؤى ، لا أحفظ ما أعطاهم ، وقد عرفت أنها دون المائة ، وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكشة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السهمى خمسين من الإبل .

قال ابن هشام : واسمه عدى بن قيس .

قال ابن إسحاق : وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها ، فعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كانت نِهابا تلافيتُها ... بِكَرّى على المُهْرِ فى الأجرَعِ
وإيقاظىَ القومَ أن يرقدوا ... إذا هجع الناسُ لم أهجَعِ
فأصبح نهبى ونهبُ العبيـ ... ـدِ بين عُيَينَةَ والأقرعِ[1]
وقد كنتُ فى الحرب ذا تُدرَإٍ ... فلم أُعطَ شيئا ولم أمنعِ
إلا أفائلَ أُعطيتُها ... عديدَ قوائمها الاربعِ[2]
وما كان حِصنٌ ولا حابسٌ ... يفوقان شيخىَ فى المجمعِ[3]
وما كنت دون امرئٍ منهما ... ومن تضعِ اليومَ لا يُرفعِ

قال ابن هشام : أنشدنى يونس النحوى :

فما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداسَ فى المجمع

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به ، فاقطعوا عنى لسانه ، فأعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم : أن عباس بن مرداس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت القائل :

« فأصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة[4] » ؟

فقال أبو بكر الصديق : بين عيينة والأقرع ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما

(١) العبيد : فرس عباس بن مرداس .
(٢) الأفائل : أصاغر الإبل . (٣) شيخى : أبى .
(٤) لم ينطق عليه الصلاة والسلام البيت موزونا لأنه لايقول الشعر وإن كان يسمعه ويستجيده . يقول سبحانه وتعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » .

واحد ؛ فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » .

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم فى إسناد له ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم ، فأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين .

من بنى أمية بن عبد شمس : أبو سفيان بن حرب بن أمية ، وطليق بن سفيان بن أمية ، وخالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : شيبة بن عثمان بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عُمَيلة بن السباق بن عبد الدار ، وعكرمة بن عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : زهير بن أبى أمية بن المغيرة ، والحارث بن هشام بن المغيرة ، وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم ، والسائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى عدى بن كعب : مطيع بن الأسود بن حارثة بن نَضْلة ، وأبو جَهْم بن حذيفة ابن غانم .

ومن بنى جُمَح بن عمرو : صفوان بن أمية بن خلف ، وأُحَيْحة بن أمية بن خلف ، وعمير بن وهب بن خلف .

ومن بنى سَهم : عدى بن قيس بن حُذَافة .

ومن بنى عامر بن لؤى : حُوَيطب بن عبد العُزَّى بن أبى قيس بن عبد وُدّ وهشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب .

ومن أفناء القبائل : من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر ابن رَزْن بن يعمر بن نُفاثة بن عدى بن الدِّيل .

ومن بنى قيس ، ثم من بنى عامر بن صعصعة ، ثم من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة : علقمة بن عُلاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب .

ومن بني عامر بن ربيعة : خالد بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة ، وحرملة بن هَوْذَة بن ربيعة بن عمرو .

ومن بني نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع .

ومن بني سُلَيم بن منصور : عباس بن مرداس بن أبي عامر : أخو بني الحارث بن بُهثة ابن سُلَيم .

ومن بني غَطَفان ، ثم من بني فَزارة : عُيَينة بن حِصن بن حذيفة بن بدر .

ومن بني تميم ثم من بني حنظلة : الأقرع بن حابس بن عِقَال ، من بني مجاشع بن دارم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمي : أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يارسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة ، وتركت جُعَيل بن سُراقة الضَّمْرِي ؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سُراقة خير من طِلَاع الأرض ، كلهم مثل عيينة بن حصن والأقرع بن حابس ، ولكنى تألفتهما ، ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مِقْسَم أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، قال : خرجت أنا وتَليد بن كلاب الليثى ، حتى أتينا عبد الله ابن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلقا نعله بيده ، فقلنا له : هل حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمي يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بني تميم ، يقال له ذو الخُوَيْصِرَة ، فوقف عليه وهو يعطى الناس ، فقال : يامحمد ، قد رأيتُ ماصنعت فى هذا اليوم : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت ؛ قال فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال: ويحك! إذا لم يكن العدل عندى ، فعند من يكون؟! فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، ألا أقتله ؟ فقال لا ، دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرَّمِيَّة يُنظر فى النصل [1] ، فلا يوجد شىء ، ثم فى القِدْح [2] ، فلا يوجد شىء ، ثم فى الفُوق [3] ، فلا يوجد شىء ، سبق الفرثَ ، والدمَ .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن على بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبي عبيدة ، وسماه ذا الخويصرة .

---

(١) النصل : حديد السهم . (٢) القدح : السهم . (٣) الفوق : طرف السهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن أبيه بمثل ذلك .

قال ابن هشام : ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى في قريش وقبائل العرب ولم يعط الأنصار شيئا ، قال حسان بن ثابت يعاتبه في ذلك :

زادت هموم فماء العين منحدر	سحاً إذا حفلته عبرة درر (١)
وجداً بشماء إذ شماء بهكنة	هيفاء لا دنس فيها ولا خور (٢)
دع عنك شماء إذ كانت مودتها	نزراً وشر وصال الواصل النزر (٣)
وأت الرسول فقل يا خير مؤتمن	للمؤمنين إذا ما عدد البشر
علام تدعى سليم وهي نازحة	قدام قوم هم آووا وهم نصروا
سماهم الله أنصاراً بنصرهم	دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وسارعوا في سبيل الله واعترفوا	للنائبات وما خاموا وما ضجروا (٤)
والناس ألب علينا فيك ليس لنا	إلا السيوف وأطراف القنا وزر (٥)
نجالد الناس لا نبقي على أحد	ولا نضيع ما توحي به السور
ولا تهر جناة الحرب نادينا	ونحن حين تلظى نارها سعر (٦)
كما رددنا ببدر دون ما طلبوا	أهل النفاق وفينا ينزل الظفر
ونحن جندك يوم النعف من أحد	إذ حزبت بطراً أحزابها مضر
فما ونينا وما خمنا وما خبروا	منا عثارا وكل الناس قد عثروا (٧)

قال ابن هشام : حدثني زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحاق : قال : وحدثني عاصم ابن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا ، في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار

(١) حفلته : جمعته . درر : سائلة . (٢) بهكنة كثيرة اللحم . هيفاء : ضامرة الخصر .
(٣) النزر : القليل . (٤) اعترفوا : صبروا . ما خاموا : ما جبنوا .
(٥) ألب : مجتمعون . الوزر : الملجأ .
(٦) لا تهر : لا تكره . جناة الحرب : الخائضون غمارها . سعر : الذين يوقدون نارها
(٧) خمنا : جبنا .

منها شيء ، وَجَدَ هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم: لقد لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال : يارسول الله : إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم . لما صنعت في هذا الفيء . الذى أصبت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب . ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ قال : يارسول الله ، ما أنا إلا من قومي . قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة . قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة . فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم . فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : يامعشر الأنصار : ما قالة بلغتني عنكم ، وجِدَةٌ (١) وجدتموها عليّ في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضُلّالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، الله ورسوله أَمَنُّ وأفضل ، ثم قال : ألا تجيبونني يامعشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يارسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل . قال صلى الله عليه وسلم : أما والله لوشئتم لقلتم ، فلصَدَقتم ولصُدِّقتم : أتيتنا مكذَّبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريدا فآويناك ، وعائلا فآسيناك . أوَجَدْتُم يامعشر الأنصار في أنفسكم ، في لُعَاعَة (٢) من الدنيا تألفت بها قوما ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يامعشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرأً من الأنصار ، ولو سلك الناس شِعْبا وسلكت الأنصار شعبا ، لسلكت شِعْبَ الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

قال فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظا . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا .

---

(١) الجدة : مصدر وجد ، أي وجدتم في أنفسكم شيئا .

(٢) اللعاعة : الخصب ، أو شجرة خضراء ، شبه بها نعيم الدنيا .

عمرة الرسول من الجعْرَانة

واستخلافه عَتّاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعْرَانة معتمرا ، وأمر ببقايا الفيء فحُبس بمَجَنَّة ، بناحية مَرِّ الظَّهران، فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعا إلى المدينة ، واستخلف عَتَّاب بن أسيد على مكة ، وخلّف معه معاذ بن جبل ، يفقه الناس فى الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتُّبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفيء .

قال ابن هشام : وبلغنى عن زيد بن أسلم أنه قال : لما استعمل النبي صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فليست بى حاجة إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى بقية ذى القعدة أو ذى الحجة .

قال ابن هشام : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لست ليال بقين من ذى القعدة فيما زعم أبو عمرو المدنى .

قال ابن إسحاق : وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد، وهى سنة ثمان ،وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ما بين ذى القعدة إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه عن الطائف كتب بُجَيْرُ بن زهير بن أبى سُلْمَى إلى أخيه كعب بن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ، ممن كان يهجوه ويؤذيه ، وأن من بقى من شعراء قريش ، ابن الزِّبَعْرَى وهُبَيْرَة بن أبى وهب ، قد هربوا فى كل وجه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة ، فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنه لا يقتل أحدا جاءه تائبا ، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض ؛ وكان كعب ابن زهير قد قال :

ألا أبلغا عنى بُجيرا رسالةً ... فهل لك فيما قلتُ ويحك هل لكا ؟
فبين لنا إن كنتَ لستَ بفاعلٍ ... على أى شىءٍ غيرِ ذلك دَلَّكا
على خُلقٍ لم أُلْفِ يوما أبا له ... عليه وماتُلفِى عليه أبا لكا
فإن أنت لم تفعلْ فلستُ بآسفٍ ... ولاقائل إما عَثَرتَ : لعاً لكا[1]
سقاكَ بها المأمونُ كأسا رَوِية ... فأنهلكَ المأمونُ منها وعَلَّكا[2]

قال ابن هشام : ويروى « المأمور » . وقوله «فبين لنا » : عن غير ابن إسحاق .

وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر وحديثه :

من مُبلغٌ عنى بُجيْراً رسالةً ... فهل لك فيما قلتُ بالخيف هل لكا[3]
شربتَ مع المأمونِ كأسا رَوِيّةً ... فَنَهلَكَ المأمونُ منها وعَلَّكا
وخالفتَ أسبابَ الهدى واتبعته ... على أىِّ شىءٍ وَيْبَ غيرِك دلكا[4]
على خُلقٍ لم تلفَ أمّاً ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخاً لكا
فإن أنت لم تفعلْ فلستُ بآسفٍ ... ولاقائلٍ إما عثرتَ : لعاً لكا

قال : وبعث بها إلى بجير ، فلما أتت بجيرا كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع « سقاك بها المأمون» صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون . ولما سمع : «على خلق لم تلف أما ولا أبا عليه» قال : أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمه .

ثم قال بجير لكعب :

من مُبلغٌ كعبا فهل لك فى التى ... تلومُ عليها باطلا وهْىَ أحزمُ
إلى الله ـ لا العزى ولا اللات ـ وحده ... فتنجو إذا كان النجاءُ وتسلَمَ
لدى يومٍ لاينجو وليس بمفلتٍ ... من الناسِ إلا طاهرُ القلبِ مسلم

---

(١) لعاً لك كلمة تقال للعاثر دعاء له بالإقالة . أنشد أبو عبيد « فلا لعا لبنى فلان إذا عثروا » .

(٢) ويروى : المحمود فى غير رواية ابن إسحاق ، أراد بالمحمود : محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك المأمون والأمين كانت قريش تسمى بهما النبى صلى الله وسلم قبل النبوة . النهل : الشرب الأول . والعلل الشرب الثانى .

(٣) الخيف : خيف منى (٤) ويب : هلاك . أى هلكت هلاك غيرك .

فدينُ زهيرٍ وهْوَ لاشيءَ دينُهُ ودينُ أبي سُلمى عليَّ مُحَرَّمُ

قال ابن إسحاق : وإنما يقول كعب : « المأمون » ، ويقال : « المأمور » في قول ابن هشام لقول قريش الذي كانت تقوله لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

كعب بن زهير وقصيدته : قال ابن إسحاق : فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان في حاضره من عدوه ، فقالوا : هو مقتول . فلما لم يجد من شيء بُدّاً ، قال قصيدته التي يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جهينة ، كما ذُكر لي ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح ، فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه فذُكر لي أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جلس إليه ، فوضع يده في يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايعرفه ، فقال : يارسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ؛ قال : أنا يارسول الله كعب ابن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال يارسول الله ، دعني وعدو الله أضرب عنقه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعه عنك فإنه قد جاء تائبا ، نازعا عما كان عليه . قال فغضب كعب على هذا الحي من الأنصار ، لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير ، فقال في قصيدته التي قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ مَتْبولُ مُتَيَّمٌ إثرَها لم يُفْدَ مَكبولُ (١)
وما سعادُ غداةَ البينِ إذ رحلوا إلا أغنُّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ (٢)
هيفاءُ مقبلةً عجزاءُ مدبرةً لايُشتكى قِصَرٌ منها ولا طولُ (٣)

---

(١) بانت : فارقت فراقا بعيدا . متيم : ذليل مستعبد : متبول : أسقمه الحب وأضناه . لم يفد : لم يخلص من الأسر : مكبول : لايجد فكاكا من القيد .

(٢) غداة البين : صبيحة الفراق . أغن : أي ظبي أغن في صوته حسن . غضيض الطرف : فاتره . مكحول : أسود الجفون .

(٣) هيفاء : ضامرة البطن والخصر . العجزاء : ضخمة العجز . لايشتكى : لايعاب .

تجلو عوارضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتسمت ... كأنه مُنْهَلٌ بالراح معلولُ[١]
شُجَّتْ بذى شَبَمٍ من ماءِ مَحْنِيَةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهْوَ مشمولُ[٢]
تنفى الرياحُ القذَى عنه وأفرطَه ... من صَوْبِ غاديةٍ بيضٌ يعاليلُ[٣]
فيالها خُلَّةً لو أنها صدقَتْ ... بوعدِها أو لو أن النصحَ مقبولُ[٤]
لكنها خُلَّةٌ قد سِيطَ من دَمِها ... فَجْعٌ ووَلْعٌ وإخلافٌ وتبديلُ[٥]
فما تدومُ على حالٍ تكون بها ... كما تَلَوَّنُ فى أثوابها الغولُ[٦]
وما تَمَسَّكُ بالعهدِ الذى زعمت ... إلا كما يُمسِكُ الماءَ الغرابيلُ[٧]
فلا يغرنَّكَ ما مَنَّتْ وما وعدت ... إن الأمانىَّ والأحلامَ تضليلُ[٨]
كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلا ... وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ[٩]

---

(١) تجلو : تصقل وتظهر وتكشف : العوارض : الأسنان التى تظهر عند الضحك : الظلم ماء الأسنان وبريقها ورقتها وهو أيضا الثلج شبهت به الأسنان . النهل : المسقى وهو الشرب الأول . الراح : الخمر . معلول : اسم مفعول من عله ، والعلل الشرب الثانى .

(٢) شجت : مزجت حتى انكسرت سورتها ذى شبم : ماء شديد البرد . محنية : منعطف الوادى . ماؤه أصفى وأبرد وألذ . أبطح : مسيل واسع فيه حصى دقيق . أضحى : أخذ فى وقت الضحى قبل أن يشتد الحر . مشمول : ضربته ريح الشمال حتى برد .

(٣) تنفى : تبعد . القذى : كل غريب يقع فى الماء من تبن ونحوه . أفرطه : سبق إليه وملأه . صوب : مطر سحابة . غادية : مبكرة . بيض يعاليل : حباب يعلو وجه الماء أو الجبال الشديدة البياض ينحدر عليها ماء المطر .

(٤) الخلة : الصديقة والخليلة .

(٥) سيط : خلط . فجع : إصابة . ولع : كذب فى إخفاء المحبة . إخلاف : خلف الوعد . أى أن هذه الصفات قد خلطت بدمها .

(٦) الغول : ساحرة الجن تظهر فى الفلاة بألوان شتى ، تضلل من يتبعها .

(٧) ما تمسك : أى لا تتمسك . (٨) فلا يغرنك : فلا يخدعنك . ما منت : أى ما منتك به من الوصل . الأمانى : مايرجوه الإنسان من الآمال . الأحلام : مايتخيله النائم . تضليل : سبب فى ضلال الإنسان عن وجه الصواب .

(٩) عرقوب : رجل اشتهر بخلف الوعد فضرب به المثل ، قال علقمة :

وعدت وكان الخلف منك سجية ... مواعيد عرقوب أخاه بيثرب

والأباطيل : جمع باطل ، جمعه على غير القياس .

أرجو وآمُلُ أنْ تدنو مودتُها ... وما إخالُ لدينا منكِ تنويلُ(١)
أمست سعادُ بأرضٍ لايُبلّغُها ... إلا العتاقُ النجيباتُ المراسيلُ(٢)
ولن يُبلّغَها إلا عُذافِرَةٌ ... لها على الأينِ إرقالٌ وتبغيلُ(٣)
من كلِّ نضاخةِ الذِّفْرَى إذا عَرِقتْ ... عُرْضَتُها طامسُ الأعلامِ مجهولُ(٤)
ترمِي الغيوبَ بعينَيْ مُفرَدٍ لَهِقٍ ... إذا توقدتِ الحِزّانُ والميلُ(٥)
ضخمٌ مُقلَّدُها فَعْمٌ مقيَّدُها ... في خَلْقِها عن بناتِ الفحلِ تفضيلُ(٦)
غَلباءُ وَجْناءُ عُلكومٌ مُذكَّرةٌ ... في دَفِّها سَعَةٌ قُدامُها مِيلُ(٧)
وَجِلدُها من أُطومٍ ما يؤيِّسُه ... طِلْحٌ بضاحيةِ المتنينِ مهزولُ(٨)

---

(١) تدنو : تظهر ، إخال : بكسر الهمزة لغة تميم بمعنى أظن . تنويل : الوصل والعطاء .

(٢) العتاق : جمع عتيق : الكريم . النجيبات : جمع نجيبة : الخفيفة السريعة . المراسيل جمع مرسال ، السريعة أيضاً .

(٣) العذافرة : الناقة القوية العظيمة . الأين : التعب . إرقال وتبغيل : ضربان من العدو السريع .

(٤) نضاخة : كثيرة رشح العرق . الذفرى : نقرة توجد خلف أذن الناقة . عرضتها : همتها . طامس : دارس . الأعلام : العلامات التي تكون في الطريق ليهتدى بها .

يصف ناقته بالسرعة والنشاط حتى تعرق وهي متعودة على الأسفار تعرف الطرق بلا علامات .

(٥) الغيوب : آثار الطريق التي غابت معالمها عن العيون . مفرد : ثور وحشي تفرد في الصحراء . لهق : أبيض . الحزان : الأمكنة الغليظة الصلبة فيها حصباء كثيرة . الميل : الكثبان الضخمة من الرمال .

(٦) مقلد : موضع القلادة من العنق . فعم : ممتلىء . مقيد : موضع القيد ، أي قوائمها . وبنات الفحل : الإناث من الإبل المنسوبة إلى أبيها .

(٧) غلباء : غليظة العنق . وجناء : عظيمة الوجنتين : علكوم : شديدة . مذكرة : تشبه الذكر في عظم الخلقة : الدف : الجنب . قدامها ميـــل : كناية إما عن سعة الخطو أو طول العنق .

(٨) الأطوم : السلحفاة البحرية أو الزرافة غليظة الجلد . يؤيسه : يؤثر فيه . طلح : حشرة صغيرة تلزق بالجلد وهي ما يعرف بالقراد . الضاحية الناحية الظاهرة للشمس . المتنين : ما اكتنف صلبها عن يمين وشمال . ومهزول : صفة لطلح . أي قراد مهزول ، والمعنى أن جلد هذه الناقة غاية في الملاسة فلا يؤثر فيه القراد ولذلك هو مهزول .

حرفٌ، أخوها أبوها من مُهَجَّنةٍ وعمُّها خالُها قَوْداءُ شِمليلُ(١)
يمشي القُرادُ عليها ثم يُزلِقُه منها لَبانٌ وأقرابٌ زهاليلُ(٢)
عَيرانةٌ قُذفت بالنحضِ عن عُرُضٍ مِرفقُها عن بناتِ الزَّوْرِ مفتولُ(٣)
كأنما فاتَ عينيها ومذبَحها من خَطمِها ومن اللَّحيين بِرطيلُ(٤)
تُمِرُّ مثلَ عسيبِ النخلِ ذا خُصَلٍ في غارزٍ لم تَخوَّنْه الأحاليلُ(٥)
قَنواءُ في حُرَّتيها للبصير بها عِتقٌ مُبينٌ وفي الخدين تسهيلُ(٦)
تَخدي على يَسَراتٍ وهي لاحقةٌ ذوابلٍ مَسُّهُنَّ الأرضَ تحليلُ(٧)

---

(١) حرف : أي هي حرف أو كأنها حرف فعلى الأول يكون الحرف : الضامرة وعلى الثاني يكون شبهها بحرف الجبل وهي القطعة الخارجة منه . أبوها أخوها ، وعمها خالها : أي مداخلة النسب كريمته لم يدخل في نسبها غريب . المهجنة : كريمة الأبوين . قوداء : طويلة الظهر والعنق . شمليل : سريعة في خفة .

(٢) يزلقه : يسقطه . لبان : صدر . أقراب : خواصر . زهاليل : جمع زهلول . أملس . والمعنى : أن هذه الناقة لنعومتها لايثبت القراد على جسدها .

(٣) عيرانة : أي هي ناقة تشبه عير الوحش في قوته وسرعته ونشاطه . النحض : اللحم عرض : جانب . المرفق : موصل الذراع في العضد . بنات الزور : مايتصل به مما حول مرفقها من الأضلاع .

والمعنى : أن مرفق تلك الناقة بعيد عما حوالى الصدر من الأضلاع فتكون محفوظة عن الضغط لأن مرفقها بعيد عن أضلاعها .

(٤) فات : تقدم : مذبحها : مكان الذبح من الرقبة . الخطم : الأنف وما حوله . اللحيان : العظمان اللذان تنبت عليهما الأسنان السفلى . برطيل : حجر مستطيل . أومعول من حديد .

(٥) عسيب النخل : جريده الذى لم ينبت عليه الخوص . ذا خصل : أى ذيل له لفائف من الشعر . الغارز : الضرع . تخونه : تنقصه . الأحاليل : مخارج اللبن مفرده : إحليل .

(٦) القنواء : محدودبة الأنف . الحرتان : الأذنان . عتق : كرم . مبين : واضح . تسهيل : سهولة ، أى لاخشونة فيهما .

(٧) تخدى : تسرع ، يسرات : أي قوائم يسرات واليسرات : الخفاف . لاحقة : سابقة . الزوابل : الرماح الصلبة . تحليل : قليل .

والمعنى ، أن هذه الناقة سريعة لاتمس الأرض إلا مسا سريعا لشدة عدوها .

سُمْرُ العُجَايَاتِ يتركن الحصى زِيَماً … لم يَقِهِنَّ رءوسَ الأُكْمِ تنعيلُ(١)

كأن أَوْبَ ذراعيها وقد عرِقتْ … وقد تلفعَ بالقُورِ العساقيلُ(٢)

يوما يظَلُّ به الحِرباءُ مُصطَخِداً … كأن ضاحِيَهُ بالشمسِ مملولُ(٣)

وقال للقوم حاديهم وقد جعلت … وُرْقُ الجنادبِ يركضن الحصى قيلوا(٤)

شَدَّ النهارِ ذراعاً عَيْطَلٍ نَصَفٍ … قامت فجاوبها نُكْدٌ مثاكيلُ(٥)

نوّاحةٌ رِخوةُ الضَّبعين ليس لها … لما نَعَى بِكرَها الناعونَ معقولُ(٦)

تَفرِي اللَّبانَ بكفيها ومِدرَعُها … مُشقَّقٌ عن تراقيها رعابيلُ(٧)

---

(١) العجايات: الأعصاب المتصلة بالحافر . زيما: متفرقة . الأكم: الأرض المرتفعة . التنعيل: هو شد النعل على ظفر الدابة ليقيها الحجارة .

(٢) الأوب: سرعة تقلب ورجوع ذراعيها . تلفع: التحف . القور: جمع قارة: الجبل الصغير . العساقيل: السراب .

(٣) الحرباء: نوع من الدواب الصغيرة . مصطخدا: محترقا بحرارة الشمس . ضاحيه: ما برز للشمس منه . مملول: محروق .

(٤) الحادى: سائق الإبل . ورق: جمع أورق أو ورقاء . وهو الأخضر الذى يضرب إلى السواد . الجنادب جمع جندب: نوع من الجراد . يركضن: يضربن . قيلوا: خذوا راحتكم وقت القيلولة .

(٥) شد النهار: وسطه . عيطل: طويلة . نصف: متوسطة السن وهو غاية قوتها . نكد: من لا يعيش لهن ولد . مثاكيل: جمع مثكال . كثيرة فقد الأولاد .

والمعنى: يشبه سرعة حركة يدى هذه الناقة بيدى امرأة قوية تلطم خديها فيجاوبها نسوة ثكالى فيشتد لطمها .

(٦) نواحة: كثيرة النوح . صيغة مبالغة من نائحة . رخوة: مسترخية . الضبعين: العضدين . بكر: الولد الأول . الناعون: المخبرون بموته . معقول: عقل .

والمعنى: شبه هذه الناقة بتلك المرأة فى تلك الأحوال فالناقة فى هذه الحالة ليس لها عقل تدرك به التعب والإعياء .

(٧) تفرى: تقطع . اللبان: الصدر . المدرع: القميص . التراقى: جمع ترقوة . عظام الصدر . رعابيل: قطع أى: أن هذه المرأة لذهاب عقلها تقطع قميصها بأناملها . فقميصها

تسعى الغُواةُ جَنابيها وقولُهمُ ... إنك يا بنَ أبي سُلمَى لمقتولُ(١)

وقال كلُّ صديقٍ كنتُ آمُلُه ... لا أُلهينّك إني عنك مشغولُ(٢)

فقلتُ خلّوا سبيلي لا أبا لكمُ ... فكلُّ ما قدّر الرحمنُ مفعولُ(٣)

كلُّ ابنِ أنثى وإن طالت سلامتُه ... يوما على آلةٍ حدباءَ محمولُ(٤)

نُبئتُ أن رسولَ اللهِ أوعدني ... والعفوُ عندَ رسولِ اللهِ مأمولُ(٥)

مهلاً هداك الذي أعطاك نافلةَ الـ ... قرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ(٦)

لا تأخُذَنّي بأقوالِ الوُشاةِ ولم ... أُذنِبْ ولو كثُرتْ فيّ الأقاويلُ(٧)

لقد أقومُ مقاما لو يقومُ به ... أرى وأسمعُ ما لو يسمعُ الفيلُ:(٨)

لظل يُرعَدُ إلا أن يكونَ له ... من الرسولِ بإذنِ اللهِ تنويلُ(٩)

= مشقوق يظهر عظام الصدر يشبه بها الناقة فى ذهاب عقلها فلا تحس بمشقة السير .

وهكذا استقصى كعب أوصاف الناقة فى الأبيات السابقة وانتقل بعد ذلك إلى قول المرجفين به .

(١) الغواة : المفسدون . جنابيها : حواليها . مقتول : متوعد بالقتل .

(٢) آمله : أترجاه وأتمنى إعانته . لاألهينك : أى لاأشغلك عما أنت فيه من الخوف فأعمل لنفسك واتكل عليها .

(٣) خلوا سبيلى : اتركونى لأقف بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم فإنى أعلم أنه يقبل التائب ولن يطالبنى بما كان قبل إسلامى .

(٤) آلة حدباء : نعش .

(٥) نبئت : أخبرت . أوعدنى : تهددنى بالقتل . مأمول : مرجو .

(٦) هداك : هداك ربك للصفح عنى والعفو ، أو زادك هدى . فإنه لايدعو له بالهدى لأنه هو الهادى المهدى . نافلة : زيادة لأن القرآن هدية زائدة عن النبوة ومنحة الرسالة .

(٧) لم أذنب : لم أخطىء فى حقك .

(٨) مقام : مجلس النبى صلى الله عليه وسلم. يقوم : يحضر .

والمعنى . أن الشاعر حضر مجلسه صلى الله عليه وسلم فشعر بالهيبة ولو حضر هذا المجلس الفيل لاضطرب من شدة الأمر .

(٩) يرعد : تأخذه الرعدة بسبب الخوف . تنويل : عطاء .

حتى وضعتُ يمينى ما أنازعه ... فى كفّ ذى نَقِماتٍ قِيلُهُ القيل(١)

فلهْوَ أخوفُ عنــدى إذ أكلمُه ... وقيل إنك منسوبٌ ومسئول(٢)

من ضيغم بضَرَاءِ الأرضِ مُخْدَرُه ... فى بطنِ عثّرَ غِيلٌ دونَه غِيل(٣)

يغدو فيلحمُ ضرغامين عيشُهما ... لحمٌ من الناسِ معفورٌ خراديل(٤)

إذا يساورُ قِرنا لا يحلُّ له ... أن يتركَ القِرنَ إلا وهْوَ مفلول(٥)

منه تظلُّ سباعُ الجوِّ نافرةً ... ولا تمشّى بواديه الأراجيل(٦)

ولاه يزالُ بواديه أخو ثقةٍ ... مضرّجُ البَزِّ والدِّرْسانِ مأكول(٧)

إن الرسولَ لنورٌ يُستضاءُ به ... مُهنّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلول(٨)

فى عُصبةٍ من قريشٍ قال قائلُهم ... ببطنِ مكةَ لما أسلموا زولوا(٩)

---

(١) لا أنازعه : أى أطيعه . نقمات : جمع نقمة : السطوة . قيله القيل : قوله النافذ .

(٢) أخوف : أى هو صلى الله عليه وسلم أشد إخافة وإرهابا . منسوب ومسئول : أى منسوب إلى أشياء قلتها ومسئول عنها .

(٣) الضيغم : الأسد . ضراء الأرض : الأرض التى بها شجر . مخدر : غابة الأسد . عثر : مكان تكثر فيه السباع . والغيل : الأجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف .

(٤) يغدو : يخرج أول النهار للصيد . يلحم : يطعم لحما : ضرغامين : مثنى ضرغام : شبل الأسد . معفور : ملقى فى التراب . خراديل : مقطع قطعا صغيرة .

(٥) يساور : يواثب ويصارع . القرن : المماثل فى الشجاعة . مفلول : المكسور المهزوم .

(٦) الجو : ما بين السماء والأرض : نافرة : بعيدة . الأراجل : جماعات من الرجال . جمع أرجال . التى هى جماعة الرجال .

(٧) أخو ثقة : الواثق بنفسه . مضرج : مخضب بالدماء . البز : السلاح . الدرسان : مفرده دريس : الخلق من الثياب .

(٨) يستضاء به : يهتدى به إلى نور الحق . مهند : سيف طبع فى الهند . مسلول : مخرج من غمده .

(٩) العصبة : الجماعة ما بين العشرة إلى الأربعين . زولوا : فعل أمر من زال التامة أى التى لها فاعل . أى تحولوا وانتقلوا .

زالوا فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللقاء ولا ميلٌ معازيلُ[1]

شُمُّ العرانين أبطالٌ لبوسُهُمُ ... من نسج داودَ في الهيجا سرابيلُ[2]

بيضٌ سوابغُ قد شُكَّت لها حَلَقٌ ... كأنها حَلَقُ القَفْعاءِ مجدولُ[3]

ليسوا مفاريحَ إن نالت رماحُهُمُ ... قوما وليسوا مجازيعا إذا نِيلوا[4]

يمشون مشيَ الجمالِ الزُّهرِ يعصمُهم ... ضربٌ إذا عرَّد السودُ التنابيلُ[5]

لا يقعُ الطعنُ إلا في نحورِهِمُ ... وما لهم عن حياضِ الموتِ تهليلُ[6]

قال ابن هشام : قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة . وبيته : « حرف أخوها أبوها » ، وبيته : « يمشي القراد » ، وبيته : « عيرانة قذفت» ، وبيته : « تمر مثل عسيب النخل » ، وبيته : « تفرى اللبان » ، وبيته : « إذا يساور قرنا » ، وبيته : « ولا يزال بواديه » : عن غير ابن إسحاق .

كعب يسترضي الأنصار بمدحهم : قال ابن إسحاق : وقال عاصم بن عمر بن قتادة : فلما قال كعب : « إذا عرد السود التنابيل » ، وإنما يريدنا معشر الأنصار ، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع ، وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدحته ، غضبت عليه الأنصار ؛ فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار ، ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وموضعهم من اليمن :

---

(١) الأنكاس : المهانون . ولا كشف : أي لا ينكشفون في الحرب بمعنى لا ينهزمون . الميل : الذين لا يحسنون الركوب . معازيل : لا سلاح معهم .

(٢) شم : جمع أشم ، وهو من في قصبة أنفه علو مع استواء أعلاه ، علامة العزة والسيادة . اللبوس : ما يلبس من السلاح . من نسج داود : أي منسوجه وهي الدروع . الهيجا : الحرب . سرابيل : دروع .

(٣) بيض : مجلوة . سوابغ : طويلة ضافية . شكت : أدخل بعضها في بعض . القفعاء : نبات يشبه الحسك يتفرع على سطح الأرض له شوك تشبه به حلق الدرع ، مجدول : محكم صنعه .

(٤) مفاريح : كثيرو الفرح . والمفرد مفراح . نالت : أصابت . مجازيع : كثيرو الجزع . والمفرد مجزاع . نيلوا : أصيبوا .

(٥) الزهر : البيض . يعصمهم : يمنعهم . عرد : أعرض عن خصمه . التنابيل : القصار .

(٦) حياض الموت : موارد الهلاك ، ويقصد به ساحات القتال . تهليل : تأخر .

من سره كرمُ الحيـــاةِ فلا يزلْ ... في مِقْنَبٍ من صالحي الأنصارِ⁽¹⁾
ورثوا المكارمَ كابراً عن كابرٍ ... إن الخيارَ همُ بنو الأخيارِ
المكرهـــين السّمهريّ بأذرعٍ ... كسوالفِ الهنديّ غـــيرِ قصارِ⁽²⁾
والناظرين بأعـــينٍ محْمرةٍ ... كالجمرِ غـــيرِ كليلةِ الأبصارِ⁽³⁾
والبائعـين نفوسَهم لنبيّهـم ... للموتِ يومَ تعانقٍ وكرّارِ⁽⁴⁾
والذائدين الناسَ عن أديانِهم ... بالمشرَفيّ وبالقَنا الخطّارِ⁽⁵⁾
يتطهرون يرَوْنه نُسُكاً لهـــم ... بدماءِ من عَلِقوا من الكفارِ⁽⁶⁾
دَربوا كما دَربَتْ ببطنِ خَفيّـــةٍ ... غُلْبُ الرقابِ من الأسودِ ضواري⁽⁷⁾
وإذا حللتَ ليمنعوكَ إليهم ... أصبحتَ عندَ معاقلِ الأعفارِ⁽⁸⁾
ضربوا علياً يومَ بدرٍ ضربةً ... دانت لوقعتِها جميعُ نزارِ⁽⁹⁾
لو يعلمُ الأقوامُ علميَ كلّه ... فيهم لصدقني الذين أُماري⁽¹⁰⁾
قوم إذا خوت النجومُ فإنهم ... للطارقين النازلين مَقاري⁽¹¹⁾
في الغُرّ من غسانَ من جرثومةٍ ... أعيت محافرُها على المعيارِ⁽¹²⁾

قال ابن هشام: ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده: «بانت سعاد فقلبي اليوم متبولُ»: لولا ذكرت الأنصار بخير، فإنهم لذلك أهل، فقال كعب هذه الأبيات، وهي في قصيدة له.

---

(١) المقنب: جماعة الخيل. والمراد به هنا الأنصار على ظهور خيلهم.
(٢) السمهري: الرمح. سوالف: حواشي. الهندي: السيف المنسوب إلى الهند.
(٣) بأعين محمرة: يريد أن الشجاع إذا غضب احمرت عيناه.
(٤) تعانق: يريد به التحام الشجعان في ميدان القتال.
(٥) المشرفي: السيف. القنا: الرماح. الخطار: المهتز.
(٦) يرونه: يعتقدونه. نسكا: عبادة.
(٧) دربوا: تعودوا. خفية: مكان تكثر فيه الأسود. غلب: غلاظ.
(٨) الأعفار: الوعول الصغيرة يضرب بها المثل لامتناعها في قمم الجبال.
(٩) ضربوا عليا: يريد به عليا بن مسعود بن مازن الغساني.
(١٠) أماري: أجادل.
(١١) خوت: سقطت ولم تمطر. مقاري. المقاري: الجفان التي يصنع فيها الطعام.
(١٢) وتروى: النقار.

قال ابن هشام : وذكر لى عن على بن زيد بن جُدعان أنه قال : أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد :

« بانت سعاد فقلبى اليوم متبول »

غزوة تبوك

فى رجب سنة تسع

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكّائى ، عن محمد بن إسحاق المطّلبى ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم . وقد ذكر لنا الزهرى ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كلٌّ حدث فى غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث ما لا يحدث بعض : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمان من عُسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد . وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة إلا كنّى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يصمد له [1] ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بينها للناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبته ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

ائذن لى ولا تفتنى : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجَدّ بن قيس أحد بنى سلمة : يا جد ، هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر [2] ؟ فقال : يارسول الله ، أو تأذن لى ولا تفتنى ؟ فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل بأشد عُجباً بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : قد أذنت لك . ففى الجد بن قيس نزلت هذه الآية : « ومنهم من يقول ائذنْ لى ولا تَفتنى ، ألا فى الفتنةِ سقطوا ، وإن جهنمَ لمحيطةٌ بالكافرين » . أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر ، وليس ذلك به ، فما سقط فيه من الفتنة أكبر ، بتخلفه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والرغبة بنفسه عن نفسه ، يقول تعالى : وإن جهنمَ لمن ورائه

---

(١) يصمد له : يقصده .　　(٢) بنو الأصفر : يريد بهم الروم .

شأن المنافقين : وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض : لا تنفروا فى الحر ، زهادة فى الجهاد وشكا فى الحق ، وإرجافا برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم « وقالوا لا تَنفروا فى الحرِّ ، قل نارُ جَهنمَ أشدُّ حرّاً لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً ، جزاءً بما كانوا يكسبون » .

قال ابن هشام : وحدثنى الثقة عمن حدثه ، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق ابن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة ، عن أبيه ، عن جده ، قال : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن ناسا من المنافقين يجتمعون فى بيت سُوَيلم اليهودى ، وكان بيته عند جاسوم ، يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، فبعث إليهم النبى صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله فى نفر من أصحابه ، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم ، ففعل طلحة . فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت ، فانكسرت رجله ، واقتحم أصحابه ، فأفلتوا . فقال الضحاك فى ذلك :

كادت وبيتِ اللهِ نارُ محمدٍ ... يشيطُ بها الضحاكُ وابنُ أُبَيْرِقِ

وظَلْتُ وقد طَبَّقْتُ كِبْسَ سويلمٍ ... أنوءُ على رجلى كسيراً ومرفقى[1]

سلامٌ عليكم لا أعودُ لمثلها ... أخافُ ومن تشملْ به النارُ يُحرقِ

حض الأغنياء على النفقة : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جد فى سفره ، وأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله ، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا[2] ، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة ، لم ينفق أحد مثلها .

ما أنفقه عثمان : قال ابن هشام : حدثنى من أثق به : أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العسرة فى غزوة تبوك ألف دينار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم ارض عن عثمان فإنى عنه راض .

البكاءون والمعذرون والمتخلفون : قال ابن إسحاق : ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم البكاءون ، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف : سالم بن عمير ، وعُلبة بن زيد ، أخو بنى حارثة ، وأبو ليلى عبد الرحمن ابن كعب ، أخو بنى مازن بن النجار ، وعمرو بن حُمام بن الجموح ، أخو بنى سلمة ، وعبد الله

---

(١) طبقت : علوت . كبس : بيت صغير . (٢) احتسبوا الأجر عند الله .

ابن المُغَفَّل المُزنى — وبعض الناس يقول: بل هو عبدالله بن عمرو المزنى — وهَرَمِيّ بن عبدالله ، أخو بنى واقف ، وعِرباض بن سارية الفزارى . فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا أهل حاجة ، فقال : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون .

قال ابن إسحاق : فبلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضرى لقىَ أبا ليلى عبد الرحمن ابن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان ، فقال : ما يبكيكما ؟ قالا : جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه ؛ فأعطاهما ناضحاً[١] له ، فارتحلاه ؛ وزودهما شيئاً من تمر ، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وجاءه المعَذرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى . وقد ذُكر لى أنهم نفر من بنى غِفار .

ثم استتب[٢] برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمع السير ، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تخلفوا عنه ، عن غير شك ولا ارتياب ؛ منهم : كعب بن مالك بن أبى كعب ، أخو بنى سلمة ومُرارة بن الربيع ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية ، أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بنى سالم بن عوف وكانوا نفر صدق ، لا يُتهمون فى إسلامهم .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثَنِيَّة الوداع .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مَسْلمة الأنصارى .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة ، مخرجه إلى تبوك ، سِبَاع بن عُرْفُطَة .

قال ابن إسحاق : وضرب عبد الله بن أُبَىّ معه على حدة عسكره أسفل منه ، نحو ذُباب[٣] ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين . فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى ، فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب .

---

(١) الناضح : الجمل الذى يستقى عليه الماء .
(٢) استتب : انتظم وتتابع .
(٣) ذباب : جبل بالمدينة .

المنافقون يرجفون بعلى : وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، رضوان الله عليه ، على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استثقالا له ، وتخففا منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ على بن أبى طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف[1] ، فقال : يانبى الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتنى أنك استثقلتنى وتخففت منى ؛ فقال : كذبوا ، ولكنى خلفتك لما تركت ورائى ، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى يا على أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لانبى بعدى ، فرجع على إلى المدينة ؛ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى هذه المقالة .

قال ابن إسحاق : ثم رجع على إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

أبو خيثمة وعمير بن وهب يلحقان بالرسول : ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياما إلى أهله فى يوم حار ، فوجد امرأتين له فى عريشين[2] لهما فى حائطه[3] قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء ، وهيأت له فيه طعاما . فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضِّحّ[4] والريح والحر ، وأبو خيثمة فى ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء ، فى ماله مقيم ، ما هذا بالنَّصَفِ ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيئا لى زادا ، ففعلتا . ثم قدم ناضحه فارتحله ، ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل بتبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحى فى الطريق ، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دنَوَا من تبوك . قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنبا ، فلا عليك أن تخلف عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففعل حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مُقبل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ؛ فقالوا يا رسول الله هو والله أبو خيثمة . فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) الجرف : مكان بينه وبين المدينة ثلاثة أميال .

(٢) العريش : ما يستظل به . (٣) الحائط : البستان .

(٤) الضح : الشمس .

فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولى لك(١) يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ودعا له بخير .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة فى ذلك شعرا ، واسمه مالك بن قيس :

لما رأيتُ الناسَ فى الدينِ نافقوا أتيتُ التى كانت أعفَّ وأكرما
وبايعتُ باليمنى يدى لمحمدٍ فلم أكتسبْ إثما ولم أغشَ محرَما
تركتُ خضيبا فى العريشِ وصِرْمةً صفايا كِراما بُسرها قد تحمما(٢)
وكنتُ إذا شكَّ المنافقُ أسمحتْ إلى الدينِ نفسى شَطرَه حيث يَمّما

ما حدث بالحجر : قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر نزلها ، واستقى الناس من بئرها . فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تشربوا من مائها شيئا ، ولا تتوضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئا ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له . ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خُنق على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلَىْ طيء . فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ! ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذى أصيب على مذهبه فشفى ؛ وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيء ، فإن طيئا أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدى ، وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن قد سمى له العباس الرجلين ، ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى .

قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه قال : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحِجْر سجى ثوبه على وجهه ، واستحث راحلته ، ثم قال : لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفا أن يصيبكم مثل ما أصابهم .

---

(١) أولى لك : كلمة تهديد معناها الويل لك .

(٢) الصرمة : جماعة النخل . البسر : التمر : قبل نضجه . وتحمما : قارب أن يطيب .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لَبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته ، ثم يلبّس بعضهم بعضا على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجال من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، قالوا : أقبلنا عليه نقول : ويحك ، هل بعد هذا شيء ؟! قال : سحابة مارة .

تقول ابن اللصيت : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج أصحابه فى طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، يقال له عُمارة بن حزم ، وكان عَقَبيا بدريا ، وهو عم بنى عمرو بن حزم ، وكان فى رحله زيد بن اللصيت القَيْنُقاعى ، وكان منافقا .

قال ابن هشام : ويقال : ابن لُصَيْب (بالباء) .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قالوا : فقال زيد بن اللصَيْت ، وهو فى رحل عمارة وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبى ، ويخبركم عن خبر السماء ، وهو لايدرى أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم أنه نبى ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لايدرى أين ناقته ، وإنى والله ما أعلم إلا ما علمنى الله وقد دلنى الله عليها ، وهى فى هذا الوادى ، فى شِعْب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ، فانطلقوا حتى تأتونى بها ، فذهبوا ، فجاءوا بها . فرجع عمارة بن حزم إلى رحله ، فقال : والله لعَجَب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفا ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، للذى قال زيد بن لُصَيْت ؛ فقال رجل ممن كان فى رحل عمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتى . فأقبل عمارة على زيد يجأ[1] فى عنقه ويقول إلىَّ عباد الله ، إن فى رحلى لداهية وما أشعر ! أخرج أى عدو الله من رحلى ، فلا تصحبنى .

---

(١) يجأ : يطعن .

خبر أبي ذر . قال ابن إسحاق : فزعم بعض الناس أن زيدا تاب بعد ذلك ؛ وقال بعض الناس لم يزل متهما بشر حتى هلك .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائرا ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يارسول الله ، تخلف فلان : فيقول دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل : يارسول الله ، قد تخلف أبو ذر(١) ، وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ وتلوم(٢) أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه ، أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا . ونزل رسول الله في بعض منازله ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يارسول الله ، إن هذا الرجل يمشي على الطريق وحده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا ذر(٣) . فلما تأمله القوم قالوا : يارسول الله هو والله أبو ذر ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله أبا ذر ، يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده .

وقال ابن إسحاق : فحدثني بريدة بن سفيان الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبدالله بن مسعود ، قال : لما نفى عثمان أبا ذر إلى الرّبذة ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن اغسلاني وكفناني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به . ثم وضعاه على قارعة الطريق ؛ وأقبل عبدالله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمار ، فلم يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق ، قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام . فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهل عبدالله بن مسعود يبكي ويقول : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمشي وحدك ، وتموت وحدك ، وتبعث وحدك . ثم نزل هو وأصحابه فواروه ، ثم حدثهم عبدالله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى تبوك .

تخويف المنافقين للمسلمين : قال ابن إسحاق : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم وديعة ابن ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع ، حليف لبني سلمة ، يقال له :

---

(١) أبو ذر : اسمه جندب بن جنادة . وقيل برير بن عشرقة . وقيل جندب بن عبدالله . وقيل جندب بن السكن .

(٢) تلوم : تمهل .

(٣) كن أبا ذر : لفظه الأمر ، ومعناه الدعاء : كما تقول : أسلم سلمك الله .

مُخَشّن بن حُمَير - قال ابن هشام : ويقال مَخْشِى - يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بنى الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضا ؟! والله لكأنا بكم غدا مُقرنين فى الحبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين ، فقال مخشن بن حمير : والله لوددت أنى أقاضى على أن يُضرب كل رجل منا مائة جلدة ، وإنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغنى — لعمار بن ياسر أدرك القوم ، فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ، قلتم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ، فقال وديعة بن ثابت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبها[1] : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عز وجل : « ولئن سألتهم ليقولُنّ إنما كنا نخوضُ ونلعب » ، وقال مخشن بن حُمَيّر : يا رسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ؛ وكأن الذى عفى عنه فى هذه الآية مخشن بن حمير ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيدا لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر .

الصلح مع صاحب أيلة : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يُحَنّة ابن رُؤْبة ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذْرُح ، فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتابا ، فهو عندهم .

فكتب ليحنة بن رؤبة :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أَمَنَةٌ من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة ، سفنهم وسيّارتهم فى البر والبحر : لهم ذمة الله ، وذمة محمد النبى ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن ، وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثا ، فإنه لا يحُول مالُه دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ، ولا طريقا يريدونه ، من بر أو بحر .

خالد وأكيدر دومة : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من كِنْدة كان ملكا عليها ، وكان نصرانيا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد البقر . فخرج خالد ، حتى إذا كان

---

(١) الحقب : حزام يشد به على حقو الجمل .

من حصنه بمنظر العين ، وفى ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته ، فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا والله ! قالت: فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ يقال له حسان . فركب ، وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذته ، وقتلوا أخاه ؛ وقد كان عليه قباء من ديباج مخوّص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا ؟ فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا .

قال ابن إسحاق : ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ؛ فقال رجل من طيء : يقال له بُجَير بن بَجْرة ، يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد البقر ، وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تباركَ سائقُ البقراتِ إنى رأيتُ اللهَ يهدى كلَّ هادِ
فمن يكُ حائداً عن ذى تبوكٍ فإنا قد أُمرنا بالجهادِ

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك بضع عشرة ليلة ، لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة .

وادى المشقق وماؤه : وكان فى الطريق ماء يخرج من وَشَل[1] ، ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة ، بواد يقال له وادى المشقّق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيئا حتى نأتيه . قال : فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه ، فلم ير فيه شيئا . فقال : من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يارسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : أو لم أنههم أن يستقوا منه شيئا حتى آتيه ! ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل

---

(١) الوشل : الماء القليل يسيل من صخر أو جبل .

يصب فى يده ما شاء الله أن يصب ، ثم نضحه به ، ومسحه بيده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعوَ به ، فانخرق من الماء — كما يقول من سمعه — ما إن له حسا كحس الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعن بهذا الوادى ، وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه .

ذو البجادين ودفنه وتسميته : قال : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التَّيمى ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث ، قال : قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شعلة من نار فى ناحية العسكر ، قال : فاتبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات ، وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يدليانه إليه ، وهو يقول : أدنيا إلىّ أخاكما ، فدلياه إليه ، فلما هيأه لشقه قال : اللهم إنى أمسيت راضيا عنه ، فارض عنه . قال : يقول عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحفرة .

قال ابن هشام : وإنما سمى ذا البجادين ، لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه من ذلك ، ويضيقون عليه ، حتى تركوه فى بجاد ليس عليه غيره ، والبجاد : الكساء الغليظ الجافى ، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريبا منه ، شق بجاده باثنين ، فاتزر بواحد ، واشتمل بالآخر ، ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : ذو البجادين لذلك ، والبجاد أيضا : المِسْح ، قال ابن هشام : قال امرؤ القيس :

كأن أبانا فى عرانينِ وَدْقِه كبيرُ أناسٍ فى بِجادٍ مُزَمَّلِ

حديث أبى رهم فى تبوك : قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى ، عن ابن أُكَيْمَة الليثى ، عن ابن أخى أبى رُهْم الغِفَارى ، أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقى الله علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيفزعنى دنوها منه ، مخافة أن أصيب رجله فى الغَرْز ، فطفقت أحُوز[1] راحلتى عنه ، حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق ، ونحن فى بعض الليل ، فزاحمتْ راحلتى راحلة رسوله

---

(١) أحوز : أبعد .

الله صلى الله عليه وسلم ورجله فى الغرز ، فما استيقظت إلا بقوله : حَسِّ[1] ، فقلت : يارسول الله ، استغفر لى . فقال : سر ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمن تخلف من بنى غفار ، فأخبره به ؛ فقال وهو يسألنى : مافعل النفر الحمر الطوال الثطاط[2] فحدثته بتخلفهم . قال : فما فعل النفر السود الجعاد القصار ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا . قال : بلى ، الذين لهم نعم بشبكة شدخ[3] ؛ فتذكرتهم فى بنى غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أنهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يا رسول الله ، أولئك رهط من أسلم ، حلفاء فينا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرأ نشيطا فى سبيل الله ؟ إن أعز أهلى على أن يتخلف عنى المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا : يا رسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا ، فتصلى لنا فيه ؛ فقال : إنى على جناح سفر ، وحال شغل ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولو قد قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

فلما نزل بذى أوان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم ، أخا بنى سالم بن عوف ، ومعن بن عدى ، أو أخاه عاصم بن عدى ، أخا بنى العجلان

---

(١) حس : كلمة تقال عند وجود الألم ، فهى كلمة تخرج من الصوت كالأنين ليست اسما أو اسم فعل مثل : صه ومه .

(٢) الثطاط ، مفرده ثط : صغير نبات شعر اللحية . قال الشاعر :

كهامة الشيخ اليمانى الثط

(٣) شبكة شدخ : موضع من بلاد غفار .

فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرقاه . فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم ابن عوف ، وهم رهط مالك بن الدُّخْشُم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سعفا من النخل ، فأشعل فيه نارا ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : « والذين اتخذوا مسجداً ضِرَاراً وكفرا وتفريقا بين المؤمنين » . . إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خِذَام بن خالد ، من بنى عبيد بن زيد ، أحد بنى عمرو ابن عوف ، ومن داره أُخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد ، ومعتّب ابن قُشَير ، من بنى ضُبَيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وعَبَّاد بن حُنيف ، أخو سهل بن حنيف ، من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر ، وابناه مُجمِّع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحارث ، من بنى ضبيعة ، وبحزج ، من بنى ضبيعة ، وبجاد بن عثمان ، من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت ، وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبى لبابة بن عبد المنذر .

مساجد الرسول : وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة : مسجد بتبوك ، ومسجد بثنية مِدْران ، ومسجد بذات الزِّرَاب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخِطْمى ، ومسجد بألاء ، ومسجد بطرف البَتْراء من ذَنَب كواكب ، ومسجد بالشِّق ، شق تارَا ، ومسجد بذى الجيفة ، ومسجد بصَدْر حَوْضَى ومسجد بالحِجْر ، ومسجد بالصعيد ، ومسجد بالوادى ، اليوم ، وادى القرى ، ومسجد بالرُّقعة من الشُّقة ، شقة بنى عُذْرة ، ومسجد بذى المروة ، ومسجد بالفَيْفاء ، ومسجد بذى خُشُب .

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومُرَارة بن الربيع وهلال بن أمية ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا تُكَلِّمُنَّ أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعذرهم الله ولا رسوله . واعتزل المسلمون كلام أولئك النفر الثلاثة .

قال ابن إسحاق : فذكر الزهرى محمد بن مسلم بن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب ابن مالك : أن أباه عبد الله ، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره ، قال : سمعت أبى كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحدا تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، وحين تواثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لى بها مشهد بدر ، وإن كانت غزوة بدر هى أذكر فى الناس منها . قال : كان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورّى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا ، واستقبل غزو عدو كثير ، فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد ، والمسلمون مَنْ تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، لا يجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول : لا يجمعهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فقلّ رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيُخفى له ذلك ، مالم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأُحبت الظلال ، فالناس إليها صُعْر(١) ؛ فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتجهز المسلمون معه ، وجعلت أغدو لأتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى ، أنا قادر على ذلك إذا أردت ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمر الناس بالجد ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا ، والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازى شيئا ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا ، وتفرط(٢) الغزو ، فهممت أن أرتحل ، فأدركهم وليتنى فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فطفت فيهم ، يحزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصا(٣) عليه فى النفاق ، أو رجلا ممن

---

(١) صعر : مفرده . أصعر وهو المائل . (٢) تفرط : فات . (٣) مغموصا : مطعونا

عذر الله من الضعفاء ، ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، والنظر فى عطفيه ؛ فقال له معاذ بن جبل : بئس ماقلت ! والله يارسول الله ماعلمنا منه إلا خيراً ؛ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك ، حضرنى بثى (١) ، فجعلت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطة رسول الله صلى الله عليه وسلم غدا وأستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى ؛ فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل (٢) قادما زاح (٣) عنى الباطل ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق ، فأجمعت أن أصدقه ، وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وإيمانهم ، ويستغفر لهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلمت عليه ، فتبسم تبسم المغضب ، ثم قال لى : تعاله فجئت أمشى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ما خلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إنى يارسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ، لكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثا كذبا لترضين عنى ، وليوشكن الله أن يسخطك على ، ولئن حدثتك حديثا صدقا تجد على فيه ، إنى لأرجو عقباى من الله فيه ، ولا والله ماكان لى عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضى الله فيك . فقمت ، وثار معى رجال من بنى سلمة ، فاتبعونى فقالوا لى : والله ماعلمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر به إليه المخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك فوالله ما زالوا بى حتى أردت أن أرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما مثل ما قيل لك ، قلت : من هما ؟ قالوا : مُرَارة بن الربيع العَمْرى ، من بنى عمرو بن عوف ، وهلال ابن أبى أمية الواقفى ؛ فذكروا لى رجلين صالحين ، فيهما أسوة ، فصمت حين ذكروهما لى ،

---

(١) بثى : حزنى . (٢) أظل : أشرف .

(٣) يقال زاح وانزاح : إذا ذهب ، والمصدر زيوحا وزيحانا .

ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ، من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لى نفسى والأرض ، فما هي بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا ، وقعدا فى بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى ، هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه ، فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عنى حتى إذ طال ذلك على من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة . وهو ابن عمى ، وأحب الناس إلى ، فسلمت عليه فوالله ما رد على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووثبت فتسورت الحائط . ثم غدوت إلى السوق ، فبينا أنا أمشى بالسوق ، إذا نبطى(١) يسأل عنى من نبط الشام ، ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يشيرون له إلى ، حتى جاءنى ، فدفع إلى كتابا من ملك غسان ، وكتب كتابا فى سرقة(٢) من حرير ، فإذا فيه : « أما بعد فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة . فالحق بنا نواسك(٣) » . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضا ، قد بلغ بى ما وقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك . قال : فعمدت بها إلى تنور ، فسجرته(٤) بها . فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله يأتينى ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك ، قال : قلت : أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبى بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك ، فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض . قال : وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالت : يارسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له ، أفتكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربنك ؛ قالت : والله يارسول الله ما به من حركة إلى ، والله

---

(١) النبطى واحد النبط ، قوم كانوا يسكنون بين العراق والأردن عاصمتهم (البتراء) .
(٢) السرقة : الشقة .
(٣) نواسك : أى يكون فينا المواساة لك .
(٤) سجرته : أحرقته بلهب النار .

مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره . قال : فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ؛ قال : فقلت : والله لا أستأذنه فيها ما أدرى ما يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب . قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال ، فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح ، صبح خمسين ليلة ، على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منا ، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت علىّ نفسى ، وقد كنت ابتنيت خيمة فى ظهر سَلْع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سَلْع يقول بأعلى صوته : ياكعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء الفرج .

قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبىّ مبشّرون ، وركض رجل إلىّ فرسا ، وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت أسرع من الفرس ؛ فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى ، نزعت ثوبىّ ، فكسوتهما إياه بشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقانى الناس يبشروننى بالتوبة ، يقولون : ليهنك توبة الله عليك ، حتى دخلت المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله ، فحيانى وهنأنى ، ووالله ماقام إلى رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب بن مالك لا ينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى ، ووجهه يبرق من السرور أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قال : قلت : أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنا نعرف ذلك منه . قال : فلما جلست بين يديه قلت : يارسول الله ، إن من توبتى إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالى ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال : قلت : إنى ممسك سهمى الذى بخيبر ؛ وقلت : يارسول الله ، إن الله قد نجانى بالصدق ، وإن من توبتى إلى الله أن لا أحدث إلا صدقا ما حييت ، والله ما أعلم أحدا من الناس أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرتُ ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضل مما أبلانى الله ، والله ماتعمدت من كذبة منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومى هذا ، وإنى لأرجو أن يحفظنى الله فيما بقى .

وأنزل الله تعالى : « لَقَدْ تابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ والمُهاجِرِينَ والأَنْصارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي ساعَةِ العُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ ما كادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ، وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا » ... إلى قوله : « وكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ » .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله على نعمة قط بعد أن هدانى للإسلام كانت أعظم فى نفسى من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تبارك وتعالى قال فى الذين كذبوه حين أنزل الوحى شر ما قال لأحد ، قال : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم ، إنهم رجسٌ ومأواهم جهنمُ جزاءً بما كانوا يكسبون . يحلفون لكم لترضَوْا عنهم . فإن ترضَوْا عنهم فإن اللهَ لا يرضَى عن القومِ الفاسقين » .

قال : وكنا خُلِّفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حلفوا له ليعذرهم ، واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ، حتى قضى الله فيه ماقضى ، فبذلك قال الله تعالى : « وعلى الثلاثةِ الذين خُلِّفوا » .

وليس الذى ذكر الله من تخليفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا . وإرجائه أمرنا عمن حلف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه [1] .

---

(١) وإنما اشتد غضبه على من تخلف عنه ونزل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثلاثة منهم ، وإن كان الجهاد من فروض الكفاية ، لكنه فى حق الأنصار خاصة كان فرض عين ، وعليه بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم ، ألا تراهم يقولون يوم الخندق ، وهم يتجهزون :

نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما بقينا أبدا

ومن تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف ، لأنهم خرجوا لأخذ عير ، ولم يظنوا أن سيكون قتال ، فلذلك كان التخلف عن رسول الله صلى الله وسلم فى هذه الغزاة كبيرة لأنها كالنكث لبيعتهم .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

فى شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك فى رمضان ، وقدم عليه فى ذلك الشهر وفد ثقيف .

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم ، اتبع أثره عروة ابن مسعود الثقفى ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما يتحدث قومه ـ إنهم قاتلوك ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يارسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم .

قال ابن هشام : ويقال : من أبصارهم .

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محببا مطاعا : فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لايخالفوه ، لمنزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على عِلّيّة له . وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنّبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم : يقال له أوس بن عوف ، أخو بنى سالم بن مالك . وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بنى عتّاب بن مالك . يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعروة : ما ترى فى دمك ؟ قال : كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلىّ ، فليس فىّ إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثله فى قومه لكمثل صاحب ياسين فى قومه [1] .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهرا ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لاطاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

---

(١) يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور فى سورة ياسين ، الذى قال لقومه « اتبعوا المرسلين » فقتله قومه ، واسمه حبيب بن مرى ، ويحتمل أن يريد صاحب الياس ، وهو اليسع ، فإن الياس يقال فى اسمه : ياسين أيضا ، وقال الطبرى وهو الياس بن ياسين ، وفيه قال تبارك وتعالى « سلام على إلْ ياسين » .

حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن عمرو بن أمية ، أخا بنى عِلاَج ، كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو ، الذى بينهما شىء ، وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب ، فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو ، حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك : أخرج إلى قال : فقال عبد ياليل للرسول: ويلك ! أعمرو أرسلك إلىّ ؟ قال نعم ، وهاهو ذا واقفاً فى دارك ، فقال : إن هذا الشىء ما كنت أظنه ، لعمرو كان أمنع فى نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحب به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت ، قد أسلمت العرب كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم . فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سِرْب[1] ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتُطع ، فأتمروا بينهم ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ، كما أرسلوا عروة ، فكلموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، وكان سِن عروة ابن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يُصنع به إذا رجع كما صنع بعروة . فقال : لست فاعلا حتى ترسلوا معى رجالا ، فأجمعوا أن يبعثوا معـــه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بنى مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل: الحكم بن عمرو بن وهب ابن مُعَتِّب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص ابن بشر بن عبد دُهمان ، أخا بنى يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بنى سالم بن عوف ونُمير بن خَرَشَة بن ربيعة ، أخا بنى الحارث . فخرج بهم عبد ياليل ، وهو ناب القوم[2] وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صُنع بعروة بن مسعود ، لكى يَشغَل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه .

فلما دنوا من المدينة ، ونزلوا قناة ، ألفوا بهـــا المغيرة بن شعبة ، يرعى فى نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رِعْيتها نُوَباً على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين ، وضبر[3] يشتد ، ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام ، بأن يشرط لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شروطا ، ويكتتبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فى قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمغـــيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله صلى الله عليه

---

(١) السرب . القطيع من الحيوان أو الفريق من النساء أو جماعة النخل وهو أيضا الطريق والقلب والصدر .

(٢) ناب القوم : سيدهم .   (٣) ضبر : وثب .

وسلم ، حتى أكون أنا أحدثه ؛ ففعل المغيرة . فدخـــل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة إلى أصحابه ، فروّح الظهر معهم ، وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية . ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد ابن العاص ، هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية ، وهى اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله صلى عليه وسلم ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم حتى سألوا شهرا واحدا بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئا مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم ويكرهون أن يروّعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ؛ فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة ابن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة ، فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد ، فسنؤتيكها ، وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ، أمّر عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سنا ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه فى الإسلام وتعلم القرآن . فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، إنى قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام ، وتعلم القرآن .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى ، عن بعض وفدهم . قال : كان بلال يأتينا ـ حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقى من رمضان ـ بفطرنا وسحورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيأتينا بالسحور ، وإنا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع ، فيقول : قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر ، لتأخير السحور ، ويأتينا بفطرنا ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد . فيقول : ما جئتكم حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يضع يده فى الجفنة ، فيلتقم منها .

قال ابن هشام : بفطورنا وسحورنا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن مُطرِّف بن عبد الله بن الشِّخِّير ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثنى

على ثقيف أن قال : ياعثمان ، تجاوز فى الصلاة ، واقدُر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير ، والصغير ، والضعيف ، وذا الحاجة .

هدم اللات : قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم ، وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معها أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، فى هدم الطاغية . فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : أدخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهدم فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمِعْوَل ، وقام قومه دونه ، بنو مُعَتِّب ، خشية أن يُرمى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حُسّراً يبكين عليها ويقلن :

لَتُبْكَيَنَّ دُفّاعْ أسلمها الرُّضّاعْ[1]

لم يُحسنوا المِصاعْ[2]

قال ابن هشام : « لتبكين » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : يقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهاً لك ! آهاً لك ! فلما هدمها المغيرة ، وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبى سفيان وحليها مجموع ، وما لها من الذهب والجزع .

وكان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف ، حين قتل عروة يريدان فراق ثقيف ، وأن لا يجامعاهم على شىء أبداً ، فأسلما ؛ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخالكما أبا سفيان بن حرب ، فقالا : وخالنا أبا سفيان بن حرب .

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أبو مليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، فقال له قارب بن الأسود ، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الأسود مات مشركا . فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم يارسول الله ، لكن تصل مسلما ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدَّين علىَّ ، وإنما أنا الذى أُطلب

---

(١) الرضاع : اللئام . (٢) المصاع : القتال بالسيوف .

به ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية ؛ فلما جمع المغيرة مالها قال لأبي سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما ، فقضى عنهما .

كتابه عليه السلام لثقيف : وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبي ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إن عِضَاهَ [1] وَجٍّ وصيده لا يُعْضَد [2] ، من وُجد يفعل شيئا من ذلك ، فإنه يجلد وتنزع ثيابه ، فإن تعدى ذلك يؤخذ فيُبلغ به إلى النبي محمد ، وإن هذا أمر النبي محمد رسول الله .

وكتب خالد بن سعيد: بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعدّه أحد ، فيظلم نفسه فيما أمره به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حج أبي بكر بالناس سنة تسع

واختصاص النبي صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضوان الله عليه بتأدية أول براءة عنه

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ، ليقيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم . فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين .

ونزلت براءة فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد ، الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يُصد عن البيت أحدٌ جاءه ، ولا يُخاف أحد فى الشهر الحرام . وكان ذلك عهدا عاما بينه وبين الناس من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل العرب خصائص ، إلى آجال مسماة، فنزلت فيه وفيمن

(١) العضاه : شجر له شوك .

(٢) لا يعضد : لا يقطع أى أنه حرام على غير أهله كتحريم مكة والمدينة ، وقيل وج : هى الطائف وقيل إنها واد بها .

تخلف من المنافقين عنه فى تبوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون ، منهم من سمى لنا ومنهم من لم يسم لنا ، فقال عز وجل : « براءةٌ من اللهِ ورسولِه إلى الذين عاهدتم من المشركين » : أى لأهل العهد العام من أهل الشرك « فسيحوا فى الأرضِ أربعةَ أشهرٍ ، واعلموا أنكم غيرُ معجزى الله ، وأن اللهَ مخزى الكافرين . وأذانٌ من اللهِ ورسولِه إلى الناسِ يومَ الحجِّ الأكبرِ أن اللهَ برىءٌ من المشركين ورسوله » : أى بعد هذه الحجة « فإن تبتم فهوَ خيرٌ لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غيرُ معجزى اللهِ ، وبشر الذين كفروا بعذابٍ أليم . إلا الذين عاهدتم من المشركين » : أى العهد الخاص إلى الأجل المسمى « ثم لم ينقصوكم شيئا ، ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدَهم إلى مدتِهم إن اللهَ يحبُّ المتقين ، فإذا انسلخ الأشهرُ الحرمُ » : يعنى الأربعة التى ضرب لهم أجلا « فاقتلوا المشركين حيثُ وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلَّ مرصدٍ ، فإن تابوا وأقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ ، فخلُّوا سبيلَهم إن اللهَ غفورٌ رحيم . وإن أحدٌ من المشركين » : أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم « استجارك فأجِرْه حتى يسمعَ كلامَ اللهِ ، ثم أبلغْه مأمنَه ، ذلك بأنهم قومٌ لا يعلمون » .

ثم قال : « كيف يكونُ للمشركين » الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا تخيفوهم فى الحرمة ، ولا فى الشهر الحرام « عهدٌ عندَ اللهِ وعندَ رسولِه ، إلا الذين عاهدتم عندَ المسجدِ الحرامِ » ، وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش ، وهى الديل من بنى بكر بن وائل ، الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم ، فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن اللهَ يحبُّ المتقين » .

ثم قال تعالى : « كيف وإن يظهروا عليكم » : أى المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام « لا يرقُبوا فيكم إلاًّ ولا ذمة » .

قال ابن هشام : الإل : الحلف . قال أوس بن حجر ، أحد بنى أسيِّد بن عمرو بن تميم :

لولا بنو مالكٍ والإلُّ مَرْقَبَةٌ ... ومالكٌ فيهم الآلاءُ والشرفُ

وهذا البيت فى قصيدة له . وجمعه : آلال ، قال الشاعر :

فلا إلٌّ من الآلالِ بيني ٭ وبينكم فلا تألُنَّ جَهْدَا

والذمة: العهد. قال الأجدع بن مالك الهمدانى، وهو أبو مسروق الأجدع الفقيه:

وكان علينا ذمةٌ أن تُجاوِزوا ٭ من الأرضِ معروفا إلينا ومُنكراً

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له، وجمعها: ذمم.

« يرضونكم بأفواهِهم وتأبى قلوبُهم وأكثرُهم فاسقون. اشترَوْا بآياتِ اللهِ ثمنا قليلا، فصدوا عن سبيلِه، إنهم ساء ما كانوا يعملون. لا يرقُبون فى مؤمنٍ إلًّا ولا ذِمةً، وأولئك هم المعتدون » أى قد اعتدوا عليكم « فإن تابوا وأقاموا الصلاةَ وآتوا الزكاةَ فإخوانُكم فى الدينِ، ونفصلُ الآياتِ لقومٍ يعلمون ».

اختصاص على بتأدية براءة: قال ابن إسحاق: وحدثنى حكيم بن حكيم بن عبّاد بن حُنيف، عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه، أنه قال: لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج، قيل له: يارسولَ الله لو بعثت بها إلى أبى بكر، فقال: لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى، ثم دعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه، فقال له: اخرج بهذه القصة من صدر براءة، وأذن فى الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنى، أنه لايدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته، فخرج على بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء، حتى أدرك أبا بكر بالطريق فلما رآه أبو بكر بالطريق قال: أأمير أم مأمور؟ فقال: بل مأمور، ثم مضيا. فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج، التى كانوا عليها فى الجاهلية، حتى إذا كان يوم النحر، قام على بن أبى طالب رضى الله عنه، فأذن فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أيها الناس، إنه لايدخل الجنة كافر، ولايحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته: وأجلَ الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم، ثم لاعهد لمشرك ولا ذمة، إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة، فهو له إلى مدته. فلم يحج بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان.

ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام، وأهل المدة إلى الأجل المسمى.

الأمر بجهاد المشركين : قال ابن إسحاق : ثم أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك ، ممن نقض من أهل العهد الخاص ، ومن كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلا إلا أن يعْدُوَ فيها عاد منهم ، فيقتل بعدائه ، فقال : « ألَا تقاتلون قوما نكثوا أيمانَهم وهمّوا بإخراجِ الرسولِ وهم بدءوكم أولَ مرةٍ ، أتخشونَهم فاللهُ أحقُّ أن تخشَوْه إن كنتم مؤمنين . قاتلوهم يعذّبهم اللهُ بأيديكم ويُخزِهم وينصرْكم عليهم ويشفِ صدورَ قوم مؤمنين ، ويُذهبْ غيظَ قلوبِهم ويتوبَ اللهُ » : أي من بعد ذلك « على من يشاءُ ، واللهُ عليمٌ حكيم . أم حسبتم أن تُتركوا ولمّا يعلمِ اللهُ الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دونِ اللهِ ولا رسولِه ولا المؤمنين وليجةً ، واللهُ خبيرٌ بما تعملون » .

قال ابن هشام : وليجة : دخيل ، وجمعها : ولائج ؛ وهو من ولج يلج : أي دخل يدخل ؛ وفي كتاب الله عز وجل : « حتى يلجَ الجملُ في سَمِّ الخِياطِ » : أي يدخل ، يقول : لم يتخذوا دخيلا من دونه يُسرون إليه غير ما يظهرون ، نحو ما يصنع المنافقون ، يظهرون الإيمان للذين آمنوا « وإذا خلَوْا إلى شياطينِهم قالوا إنا معكم » قال الشاعر :

واعلمْ بأنك قد جُعلتَ وليجةً ساقوا إليك الحتفَ غيرَ مَشُوبِ

القرآن يرد على قريش ادعاءهم عمارة البيت : قال ابن إسحاق : ثم ذكر قول قريش : إنا أهل الحرم ، وسقاة الحاج ، وعُمّار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا ؛ فقال : « إنما يعمرُ مساجدَ اللهِ من آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ » : أي أن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يعمر مساجد الله أي من يعمرها بحقها « من آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ ، وأقامَ الصلاةَ وآتَى الزكاةَ ولم يخشَ إلا الله » : أي فأولئك عمارها « فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » . وعسى من الله : حق .

قال تعالى : « أجعلتم سقايةَ الحاجِّ وعمارةَ المسجدِ الحرامِ كمنْ آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وجاهدَ في سبيلِ اللهِ لا يستوونَ عندَ اللهِ » .

ثم القصة عن عدوهم ، وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى : « إنما المشركون نَجَسٌ فلا يَقربوا المسجدَ الحرامَ بعدَ عامِهم هذا ، وإن خِفتم عَيْلةً » وذلك أن الناس قالوا : لتنقطعن عنا الأسواق ، فلتهلكن التجارة ، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عز وجل : « وإن خفتم عَيْلةً فسوف يغنيكم اللهُ من فضلِه » : أي من وجه غير ذلك « إن شاءَ ، إن اللهَ عليمٌ حكيمٌ ، قاتلوا الذين لا يؤمنون باللهِ ولا باليومِ الآخِرِ ، ولا يحرّمون ما حرّمَ اللهُ ورسولُه ولا يدينون دينَ الحقِّ من الذين أوتوا الكتابَ حتى يُعطوا الجزيةَ عن يدٍ وهم

صاغرون » : أى فى هذا عوض مما تخوفتم من قطع الأسواق ، فعوضهم الله بما قطع عنهم بأمر الشرك ، ما أعطاهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجزية .

ما نزل فى أهل الكتابين : ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى : « إن كثيرا من الأحبارِ والرهبانِ ليأكلون أموالَ الناسِ بالباطلِ ويصدون عن سبيلِ الله ، والذين يكنزون الذهبَ والفضةَ ولا ينفقونها فى سبيلِ اللهِ فبشرْهم بعذابٍ أليم » .

ما نزل فى النسىء : ثم ذكر النسىء ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسىء ما كان يحل مما حرم الله تعالى من الشهور ، ويحرم مما أحل الله منها : فقال : « إن عدةَ الشهورِ عندَ اللهِ اثنا عشرَ شهراً فى كتابِ اللهِ يومَ خلق السمواتِ والأرض . منها أربعةٌ حُرُمٌ ، ذلك الدين القيِّمُ فلا تظلموا فيهن أنفسَكم » : أى لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراما : أى كما فعل أهل الشرك « إنما النسىءُ » الذى كانوا يصنعون « زيادةٌ فى الكفرِ ، يُضلُّ به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدةَ ما حرَّمَ اللهُ ، فيُحلوا ما حرمَ اللهُ ، زُيِّنَ لهم سوءُ أعمالِهم ، واللهُ لا يهدى القومَ الكافرين » .

ما نزل فى تبوك : ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزو الروم ، حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونفاق من نافق من المنافقين ، حين دُعوا إلى مادعوا إليه من الجهاد ، ثم مانَعَى عليهم من إحداثهم فى الإسلام ، فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفِروا فى سبيلِ اللهِ اثَّاقلتم إلى الأرضِ » ، ثم القصة إلى قوله تعالى : « يعذبْكم عذابا أليما ويستبدلْ قوما غيرَكم » إلى قوله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره اللهُ إذ أخرجه الذين كفروا ثانىَ اثنينِ إذ هما فى الغارِ » .

ما نزل فى أهل النفاق : ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل النفاق : « لو كان عَرَضا قريبا وسفراً قاصِدا لاتبعوك ، ولكن بعُدَتْ عليهم الشُّقَّةُ ، وسيحلفون باللهِ لو استطعنا لخرجنا معكم ، يُهلكون أنفسَهم ، واللهُ يعلمُ إنهم لكاذبون » : أى إنهم يستطيعون « عفا اللهُ عنك ، لِمَ أذِنتَ لهم حتى يتبين لك الذين صدَقوا وتعلمَ الكاذبين » ؟ . . . إلى قوله : « لو خرجوا فيكم مازادوكم إلا خبَالا ، ولأَوْضَعوا خلالَكم ، يبغُونَكم الفتنةَ وفيكم سمَّاعون لهم » .

قال ابن هشام : أوضعوا خلالكم : ساروا بين أضعافكم ، فالإيضاع : ضرب من السير أسرع من المشى ؛ قال الأجدع بن مالك الهمدانى :

يصطادُك الوَحَدُ المدِلُّ بشأوِهِ بشَريجِ بينَ الشدِّ والإيضاعِ[1]

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى ، منهم : عبد الله بن أبىّ بن سلول ، والجدُّ بن قيس ؛ وكانوا أشرافا فى قومهم ، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه ، فيفسدوا عليه جنده ، وكان فى جنده قوم أهل محبة لهم ، وطاعة فيما يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم . فقال تعالى : « وفيكم سمّاعون لهم ، واللهُ عليمٌ بالظالمين ، لقد ابتغَوُا الفتنةَ من قبلُ » : أى من قبل أن يستأذنوك ، « وقلّبوا لك الأمورَ » : أى ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك « حتى جاء الحقُّ وظهر أمرُ اللهِ وهم كارهونَ ومنهم من يقول ائذنْ لى ولاتفتِنّى ألا فى الفتنةِ سقطوا » ، وكان الذى قال ذلك ، فيما سُمى لنا ، الجدُّ بن قيس ، أخو بنى سَلِمة ، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم . ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : « لو يجدون ملجأً أو مغاراتٍ أو مُدَّخَلاً لوَلَّوْا إليه وهم يَجمَحون . ومنهم من يلمِزُك فى الصدقاتِ ، فإن أُعطوا منها رَضُوا ، وإن لم يُعطَوْا منها إذا هم يَسخَطون » : أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

ما نزل فى أصحاب الصدقات : ثم بين الصدقات لمن هى ، وسمى أهلها ، فقال : « إنما الصدقاتُ للفقراءِ والمساكينِ والعاملين عليها ، والمؤلفةِ قلوبُهم ، وفى الرقابِ ، والغارمين وفى سبيلِ اللهِ ، وابنِ السبيلِ ، فريضةً من اللهِ ، واللهُ عليمٌ حكيمٌ » .

ما نزل فيمن آذوا الرسول : ثم ذكر غشهم وأذاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ومنهم الذين يُؤذون النبىَّ ويقولون هو أُذُنٌ ، قل أُذُنُ خيرٍ لكم ، يؤمنُ باللهِ ويؤمنُ للمؤمنين ، ورحمةٌ للذين آمنوا منكم ، والذين يُؤذون رسولَ اللهِ لهم عذابٌ أليم » . وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، نَبْتَل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أُذُنٌ ، من حدثه شيئا صدقه . يقول الله تعالى : « قل أُذُنُ خيرٍ لكم » : أى يسمع الخير ويصدق به .

ثم قال تعالى : « يحلفون باللهِ لكم ليُرضوكم واللهُ ورسولُه أحقُّ أن يُرضُوه إن كانوا مؤمنين » .

---

(١) يريد بالوحد : الفرس الواحد . شأوه : سبقه . الشريج : النوع . الشد والإيضاع نوعان من الجرى .

ثم قال : « ولئن سألتهم ليقولُنّ إنما كنا نخوضُ ونلعبُ ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون » . . . إلى قوله تعالى : « إن نعفُ عن طائفةٍ منكم نعذبْ طائفةً » ، وكان الذى قال هذه المقالة وديعة بن ثابت ، أخوبنى أمية بن زيد ، من بنى عمرو بن عوف ، وكان الذى عفى عنسه ، فيما بلغنى : مَخْشِىّ بن حُميِّر الأشجعى ، حليف بنى سلمة . وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : « يأيها النبىُّ جاهدِ الكفارَ والمنافقين واغلُظْ عليهم ومأواهم جهنمُ وبئس المصير . يحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا كلمةَ الكفرِ وكفروا بعد إسلامهم وهمُّوا بما لم ينالوا ، وما نقَموا إلا أن أغناهم اللهُ ورسولُه من فضله » . . . إلى قوله : « من ولىّ ولا نصير » . وكان الذى قال تلك المقالة الجُلاس بن سُوَيد بن صامت ، فرفعها عليه رجل كان فى حجره ، يقال له عمير بن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته ، فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : « ومنهم من عاهدَ اللهَ لئن آتانا من فضله لنصَّدَّقنّ ولنكونَنّ من الصالحين » وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومُعتِّب بن قُشَير ، وهما من بنى عمر بن عوف .

ثم قال : « الذين يلمزون المطَّوِّعين من المؤمنين فى الصدقاتِ ، والذين لا يجدون إلا جهدَهم ، فيسخَرون منهم ، سخِر اللهُ منهم ولهم عذابٌ أليمٌ » وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى أخا بنى العَجْلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغَّب فى الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى ، فتصدق بمائة وسق من تمر ، فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء ، وكان الذى تصدق بجهده أبو عَقيل أخو بنى أُنَيف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنى عن صاع أبى عَقيل .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ، وأمر بالسير إلى تبوك ، على شدة الحر وجدب البلاد ، فقال تعالى : « وقالوا لا تنفروا فى الحرِّ ؛ قلْ نارُ جهنمَ أشدُّ حرا لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً » . إلى قوله : ولا تعجبْك أموالُهم وأولادُهم » .

ما نزل بسبب الصلاة على ابن أبى : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفى عبد الله ابن أبى ، دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد

الصلاة ، تحولت حتى قمت فى صدره ، فقلت : يارسول الله ، أتصلى على عدو الله عبد الله بن أبى ابن سلول ؟ القائل كذا يوم كذا ، والقائل كذا يوم كذا ؟ أعدد أيامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت قال : يا عمر ، أخِّر عنى ، إنى قد خيرت فاخترت ، قد قيل لى : « استغفرْ لهم أو لا تستغفرْ لهم ، إن تستغفرْ لهم سبعين مرة فلن يغفرَ اللهُ لهم » ، فلو أعلم أنى إن زدت على السبعين غفر له ، لزدت . قال : ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه قال : فعجبت لى ولجرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . فوالله ما كان إلا يسيرا حتى نزلت هاتان الآيتان : « ولا تصلِّ على أحدٍ منهم ماتَ أبدا ولا تقمْ على قبرِه ، إنهم كفروا باللهِ ورسولِه وماتوا وهم فاسقون » فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

ما نزل فى المستأذنين والمعذرين والبكائين ومنافقى الأعراب: قال ابن إسحاق: ثم قال تعالى : « وإذا أنزلت سورةٌ أن آمنوا باللهِ وجاهدوا مع رسولِه استأذنَك أولوا الطَّوْلِ منهم » . وكان ابن أبى من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : « لكنِ الرسولُ والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالِهم وأنفسِهم ، وأولئك لهم الخيراتُ وأولئك هم المفلحون . أعد اللهُ لهم جناتٍ تجرى من تحتِها الأنهارُ خالدين فيها . ذلك الفوزُ العظيمُ . وجاء المعذِّرون من الأعرابِ ليؤذَنَ لهم ، وقعد الذين كذَبوا اللهَ ورسولَه » . . . إلى آخر القصة . وكان المعذرون ، فيما بلغنى نفراً من بنى غفار ، منهم خُفاف بن أيْماء بن رَحَضة ، ثم كانت القصة لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : « ولا على الذين إذا ما أتَوْك لتحملَهم ، قلت لا أجــدُ ما أحملُكم عليه تولَّوْا وأعينُهم تفيضُ من الدمعِ حَزَناً ألا يجدوا ما ينفقون » وهم البكاءون .

ثم قال تعالى : « إنما السبيلُ على الذين يستأذنونك وهم أغنياءُ ، رَضُوا بأن يكونوا مع الخوالِفِ ، وطبع اللهُ على قلوبِهم فهم لا يعلمون » الخوالف : النساء . ثم ذكر حلفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال : « فأعرِضُوا عنهم » ، إلى قوله تعالى : « فإن تَرْضَوْا عنهم فإنّ اللهَ لا يرضَى عن القومِ الفاسقين » .

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فقال : « ومن الأعرابِ من يتخذُ ما ينفقُ » : أى من صدقة أو نفقة فى سبيل الله « مَغرَما ويتربصُ بكمُ الدوائرَ ، عليهم دائرةُ السَّوْءِ ، والله سميع عليم » .

ما نزل فى المخلصين من الأعراب : ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ،

فقال : « وَمِنَ الأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ ، أَلا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ » .

ما نزل فى السابقين من المهاجرين والأنصار : ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان فقال : « رضِىَ اللهُ عنهم ورضوا عنه » ، ثم قال تعالى : « وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ » : أى لجوا فيه ، وأبوا غيره « سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ » ، والعذاب الذى أوعده الله تعالى مرتين ، فيما بلغنى غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذا صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يردون إليه ، عذاب النار والخلد فيه . ثم قال تعالى : « وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ ، خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا ، عَسَى اللهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ، إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

ثم قال تعالى : « خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا » إلى آخر القصة . ثم قال تعالى : « وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللهِ ، إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ » ، وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم . ثم قال تعالى : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا » . . . إلى آخر القصة ثم قال تعالى « إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ » ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة :

وكانت براءة تسمى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وبعده المبعثرة ، لما كشفت من سرائر الناس . وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حسان يعدد مغازيه صلى الله عليه وسلم شعراً

وقال حسان بن ثابت يعدد أيام الأنصار مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه :

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

ألست خيرَ مَعَدٍّ كلِّها نفراً ومعشراً إن همُ عُمُّوا وإن حُصِلوا(١)
قومٌ همُ شهدوا بدراً بأجمعهم مع الرسولِ فما ألَوْا وما خذَلوا(٢)
وبايعوه فلم ينكُثْ به أحدٌ منهم ولم يكُ في إيمانهم دَخَلُ(٣)
ويومَ صبَّحهم في الشِّعبِ من أُحُدٍ ضربٌ رصينٌ كحرِّ النارِ مشتعلُ(٤)
ويوم ذي قَرَدٍ يومَ استثارَ بهم على الجيادِ فما خاموا وما نَكَلوا(٥)
وذا العشيرةِ جاسوها بخيلِهمُ مع الرسولِ عليها البيضُ والأسَلُ(٦)
ويومَ وَدَّانَ أجلَوْا أهلَه رَقَصاً بالخيلِ حتى نهانا الحَزْنُ والجبلُ(٧)
وليلةً طلبوا فيها عدوَّهمُ للهِ واللهُ يجزيهم بما عَمِلوا
وغزوة يومَ نجدٍ ثم كان لهم مع الرسولِ بها الأسلابُ والنَّفَلُ
وليلة بحُنينٍ جالدوا معه فيها يَعُلُّهمُ بالحربِ إذ نَهِلوا(٨)
وغزوة القاعِ فرَّقنا العدوَّ به كما تفرَّقَ دونَ المشربِ الرَّسَلُ(٩)
ويوم بويع كانوا أهلَ بيعتِه على الجِلادِ فآسَوْه وماعدَلوا
وغزوةَ الفتحِ كانوا في سريتِه مرابطين فما طاشوا وما عَجِلوا
ويومَ خيبرَ كانوا في كتيبتِه يمشون كلُّهمُ مستبسلٌ بَطَلُ

---

(١) حصلوا : أصلها بتشديد الصاد وخففها لضرورة الشعر . ومعنى حصلوا : جمعوا .

(٢) ألوا : قصروا . (٣) دخل : فساد

(٤) رصين : ثابت . (٥) خام : جبن وتراجع .

(٦) جاسوها : وطئوها . البيض : السيوف . الأسل : الرماح .

(٧) الرقص : نوع من المشي . الحزن : الأرض الغليظة المرتفعة .

(٨) يعلهم : يكرر عليهم، من العلل وهو الشرب الثاني . نهلوا : شربوا الشرب الأول .

(٩) الرسل : الإبل .

بالبيضِ تُرْعَشُ فى الأَيمانِ عاريةً تعوَجُّ فى الضربِ أحيانا وتعتدلُ
ويومَ سار رسولُ اللهِ محتسبا إلى تَبوكَ وهم راياتُه الأُوَل
وساسةُ الحربِ إن حربٌ بدت لهمُ حتى بدا لهم الإقبالُ والقَفَل(١)
أولئك القومُ أنصارُ النبىِّ وهم قومى أصيرُ إليهم حين أتصلُ
ماتوا كِراما ولم تُنكَثْ عهودُهمُ وقتلُهم فى سبيلِ اللهِ إذ قُتلوا

قال ابن هشام : عجز آخرها بيتا عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

كنا ملوكَ الناسِ قبلَ محمدٍ فلما أتى الإسلامُ كان لنا الفضلُ
وأكرمنا اللهُ الذى ليسَ غيرَه إلهٌ بأيامٍ مضت ما لها شَكْل
بنصرِ الإلهِ والرسولِ ودينِه وألبسناه اسماً مضى ماله مِثْل
أولئك قومى خيرُ قومٍ بأسرِهم فما عُدَّ من خيرٍ فقومى له أهل
يَرُبُّون بالمعروفِ معروفَ من مضى وليس عليهم دونَ معروفِهم قُفل (٢)
إذا اختُبطوا لم يُفحِشوا فى نديِّهم وليس على سُؤّالِهم عندَهم بخل(٣)
وإنْ حاربوا أو سالموا لم يُشبَّهوا فحربُهم حتفٌ وسلمهمُ سهــــل
وجارُهم موفٍ بعلياءَ بيتــه له ـ ماثوى فينا ـ الكرامةُ والبَذل
وحاملُهم مُـوفٍ بكلِّ حمالةٍ تحمّلَ لا غرمٌ عليها ولا خَـذْل
وقائلُهم بالحقِّ إن قال قائلٌ وحلمُهمُ عَوْدٌ وحكمُهمُ عدل (٤)
ومنـا أميرُ المسـلمين حياتَه ومن غسّلته من جنابتِه الرُّسْلُ (٥)

قال ابن هشام : وقوله : « وألبسناه اسما » عن غير ابن إسحاق :

---

(١) القفل : الرجوع . (٢) يربون : يصلحون .
(٣) اختبطوا : قصدوا . (٤) عود : متكرر .
(٥) أمير المسلمين : هو سعد بن معاذ فإن الأنصار تزعم أن الرسول قال للمسلمين جميعا مهاجرين وأنصار قوموا إلى سيدكم . أما من غسلته الملائكة . هو حنظلة المدعو غسيل الملائكة وهو أنصارى .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضا :

قومى أولئك إن تسألى … كرامٌ إذا الضيفُ يوما ألمّ

عظامُ القُدورِ لأيسارِهم … يكُبّونَ فيها المسِنَّ السَّنِمْ (١)

يؤاسون جارَهم فى الغنى … ويحمون مولاهم إن ظُلِم

فكانوا ملوكا بأرضيهمُ … يُنادون غُضْبا بأمرٍ غَشَم

ملوكا على الناسِ ، لم يُملَكوا … من الدهرِ يوما كَحِلِّ القَسَم (٢)

فأنبُوا بعادٍ وأشياعِهم … ثمودَ وبعضِ بقايا إرَم (٣)

بيثربَ قد شيدوا فى النخيلِ … حصونا ودُجِّن فيها النَّعَم (٤)

نواضحَ قد علّمتها اليهو … دُ : عَلْ — إليك وقولا هَلُم (٥)

وفيما اشتَهَوا من عصيرِ القِطَا … فِ والعيشِ رِخْوا على غيرِهِم

فسِرنا إليهم بأثقالنا … على كلِّ فحلٍ هِجانٍ قِطَم (٦)

جَنبنا بهن جيادَ الخيو … لِ قد جللوها جِلالَ الأَدَم (٧)

فلما أناخوا بجنبَىْ صِرارٍ … وشدوا السروجَ بلَيِّ الحزم

فما راعهم غيرُ مَعْجِ الخيو … لِ والزحفُ من خلفِهم قد دَهِم (٨)

فطاروا سراعا وقد أُفزعوا … وجئنا إليهم كأُسْدِ الأَجَم

على كلِّ سَلْهَبةٍ فى الصِّيا … نِ لايشتكين نُحولَ السأم (٩)

وكلِّ كُمَيْتٍ مُطارِ الفؤادِ … أمينِ الفُصوصِ كمثل الزُّلَم (١٠)

عليها فوارسُ قد عُوِّدوا … قِراعَ الكُماةِ وضربَ البُهَم (١١)

ملوكٌ إذا غشَموا فى البلادِ … لاينكُلون ولكن قُدُم (١٢)

---

(١) الأيسار : من يدخلون فى الميسر . السنم : عظيم السنام .

(٢) حل القسم : يراد بها المدة القصيرة .

(٣) أنبوا : أنبئوا . (٤) دجن : اتخذت فى البيوت .

(٥) النواضح : الإبل التى يستقى عليها الماء . عل : كلمة تزجر بها الإبل .

(٦) الهجان : الأبيض . قطم : المشتهى الضراب .

(٧) جنبنا : قدنا إلى جنبنا . جللوها : غطوها . الأدم : الجلد .

(٨) معج : سرعة . (٩) السلهبة : الفرس السريعة .

(١٠) مطار : ذكى . أمين الفصوص : ماقوى من العظام . الزلم : القدح .

(١١) البهم : الأبطال الشجعان . (١٢) غشموا : اشتد ظلمهم .

فـأُبنا بساداتِهم والنساءِ ... وأولادُهم فيهـمُ تُقتَسم
ورثنـا مساكنَهم بعـدَهم ... وكنـا ملوكا بهـا لم نَرِم
فلمـا أتانا الرسولُ الرشيـ ... ـدُ بالحقِّ والنـورِ بعـدَ الظُلَم
قلنـا صدقتَ رسولَ المليكِ ... هـلم إلينـا وفينا أقِم
فنشهـدُ أنك عبـدُ الإلـ ... ـهِ أُرسلتَ نوراً بدينٍ قِيَمْ
فإنا وأولادَنا جُنـةٌ ... نَقيك وفى مالِنا فاحتكِم
فنحن أولئك إن كذبوك ... فنـادِ نداءً ولا تحتشِم
ونـادِ بما كنتَ أخفيتَه ... نداءً جهـاراً ولا تكتتِم
فسارَ الغـواةُ بأسيافِهم ... إليـه يظنون أن يُخترَم (١)
فقمنا إليهم بأسيـافِنا ... نُجالِدُ عنه بُغاةَ الأمم
بكلِّ صقيـلٍ له ميعـةٌ ... رقيقِ الذبابِ عَضوضٍ خَذِم (٢)
إذا ما يُصادِفُ صُمَّ العِظا ... مِ لم يَنْبُ عنها ولم ينثلِم
فذلك ما ورَّثَتنا القرو ... مُ مجداً تليداً وعِزاً أشَم (٣)
إذا مر نسلٌ كفى نسلَه ... وغادر نسلا إذا ما انفصَم (٤)
فما إنْ من الناسِ إلا لنا ... عليه وإن خاسَ فضلُ النِّعَم (٥)

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته :

فكانوا ملوكاً بأرضيهمُ ... ينادون غُضْبـا بأمرٍ غَشَمْ

وأنشدنى :

بيثربَ قد شيـدوا فى النخيلِ ... حصـونا ودُجِّن فيها النَّعَم

وبيته . . . « وكلُّ كُمَيْتٍ مُطارِ الفؤادِ » عنه .

---

(١) يخترم : يهلك .

(٢) له ميعة أى مصقول يشبه المائعات فى بريقه وصفائه . الذباب حـد السيف .
خذم : قاطع .

(٣) القروم : السادة . التليد : القديم . الأشم : العالى .

(٤) انفصم : انقرض. (٥) خاس : غدر .

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : لما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة :أن ذلك فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب تَرَبَّص بالإسلام أمر هذا الحى من قريش وأمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لاينكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتُتحت مكة ، ودانت له قريش ، ودوخها الإسلام وعرَفت العرب أنه لاطاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عز وجل : أفواجا ، يضربون إليه من كل وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : « إذا جاء نصرُ اللهِ والفتحُ ورأيتَ الناسَ يدخلون فى دينِ اللهِ أفواجا ، فسبحْ بحمدِ ربِّك واستغفرْه إنه كان توابا » : أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفرهُ إنه كان توابا .

قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات

رجال الوفد : فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب ، فقدِم عليه عُطارد ابن حاجب بن زُرارة بن عُدُس التميمى ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمى والزِّبرِقان بن بدر التميمى ، أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم ، والحبحاب بن يزيد .

الحتات : قال ابن هشام : الحتات وهو الذى آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن أبى سفيان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين ، بين أبى بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف ، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وبين أبى ذر الغفارى والمقداد بن عمرو البهرانى ، وبين معاوية بن أبى سفيان والحتات بن يزيد المجاشعى فمات الحتات عند معاوية فى خلافته ، فأخذ معاوية ماترك وراثة بهذه الأخوة ، فقال الفرزدق لمعاوية .

أبوك وعمى يامعاوى أورثا ... تراثا فيحتاز التراث أقاربه

فما بالُ ميراثِ الحُتاتِ أكلته ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ومِيراثُ حربٍ جامدٌ لك ذائبه

قال ابن إسحاق : وفى وفد بنى تميم نُعَيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم ، أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن هشام : وعُطارد بن حاجب ، أحد بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم ، والأقرع بن حابس ، أحد بنى دارم بن مالك ، والحُتات بن يزيد ، أحد بنى دارم بن مالك ، والزِّبْرقان بن بدر ، أحد بنى بهدلة بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن الأهتم ، أحد بنى مِنْقَر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقيس بن عاصم ، أحد بنى مِنْقَر بن عبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق : ومعهم عُيَيْنة بن حِصن بن حذيفة بن بدر الفَزارى ، وقد كان الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنينا والطائف .

أصحاب الحجرات : فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم ، فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذَنْ لشاعرنا وخطيبنا ؛ قال: قد أذنت لخطيبكم فليقل .

كلمة عطارد : فقام عُطارد بن حاجب ، فقال :

الحمد لله الذى له علينا الفضل والمنّ ، وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عددا ، وأيسره عُدة ، فمن مثلنا فى الناس وألسنا برءوس الناس وأولى فضلهم ؟! فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا ، ولو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نُعرف بذلك .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس .

ثابت بن قيس يرد على عطارد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس بن الشماس ، أخى بنى الحارث بن الخزرج : قم ، فأجب الرجل فى خطبته . فقام ثابت ، فقال :

الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيَّه علمه ، ولم يك شىء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسبا ، وأصدقه حديثا ، وأفضله حسبا ، فأنزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه ، فكان خيرة

الله من العالمين ، ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس حسبا ، وأحسن الناس وجوها ، وخير الناس فعالا . ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبدا ، وكان قتله علينا يسيرا . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات ، والسلام عليكم .

الزبرقان يفتخر بقومه : فقام الزبرقان بن بدر ، فقال :

نحن الكرامُ فلا حىٌّ يعــادلُنا ... منا الملوكُ وفينا تُنصبُ البِيَعُ[1]

وكم قسرنا من الأحياءِ كلِّهم ... عندَ النِّهابِ وفضلُ العزِّ يُتبع

ونحن يُطعمُ عندَ القحطِ مطعمُنا ... من الشِّواءِ إذا لم يُؤنَسِ القزَعُ[2]

بما ترى الناسَ تأتينا سَراتُهمُ ... من كلِّ أرضٍ هُوِيّاً ثم تصطنِعُ[3]

فننحرُ الكُومَ عُبطا فى أرومتِنا ... للنازلين إذا ما أُنزلوا شبعوا[4]

فلا ترانا إلى حىٍّ نفاخرهم ... إلا استفادوا فكانوا الرأسَ يُقتطع

فمن يفــاخرُنا فى ذاك نعرفُه ... فيرجعُ القومُ والأخبارُ تُستمع

إنا أبينا ولا يأبى لنــا أحدٌ ... إنا كذلك عند الفخر نرتفع

قال ابن هشام : ويروى :

منا الملوك وفينا تقسم الرُّبَعُ[5]

ويروى : من كل أرض هوانا ثم تُتَّبَعُ

رواه لى بعض بنى تميم ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها للزبرقان .

حسان يرد على الزبرقان : قال ابن إسحاق : وكان حسان غائبا ، فبعث إليه رسول الله

---

(١) البيع : أماكن العبادة . (٢) القزع : السحاب ليس فيه مطر

(٣) هويا : سراعا .

(٤) الكوم : النوق عظام الأسنمة . عبطا : بلا سبب . الأرومة : الكرم .

(٥) الربع والمرباع : ربع الغنيمة الذى كان يأخذه الرئيس فى الجاهلية .

صلى الله عليه وسلم قال حسان : جاءنى رسوله ، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم ، فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

منعنا رسولَ الله إذ حل وسطَنا ... على أنفِ راضٍ من مَعَدٍّ وراغِمِ
منعناه لما حلّ بينَ بيوتِنا ... بأسيافِنا من كلّ باغٍ وظالمِ
ببيتٍ حَريدٍ عزُّه وثَراؤُه ... بجابيةِ الجَوْلانِ وسطَ الأعاجم(١)
هل المجدُ إلا السُّؤددُ العَوْدُ والندَى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائم(٢)

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ، عرضت فى قوله ، وقلت على نحو ما قال . قال : فلما فرغ الزبرقان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال . فقام حسان ، فقال :

إن الذوائبَ من فِهرٍ وإخوتِهم ... قد بينوا سُنةً للناس تُتبعُ(٣)
يرضى بهم كلُّ من كانت سريرتُه ... تقوى الإلهِ وكلَّ الخيرَ يَصطنِع
قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوَّهم ... أو حاولوا النفعَ فى أشياعِهم نفعوا
سجيةٌ تلك منهم غيرُ مُحدَثةٍ ... إن الخلائقَ فاعلم شرُّها البِدع(٤)
إن كان فى الناسِ سباقون بعدَهم ... فكلُّ سَبقٍ لأدنى سبقِهم تَبَع
لا يَرقَعُ الناسُ ما أوهت أكفُّهم ... عندَ الدفاع ولا يُوهونَ مارَقعوا(٥)
إن سابقوا الناسَ يوما فاز سَبقُهمُ ... أو وازنوا أهلَ مجدٍ بالندَى مَتَعوا(٦)
أعفةٌ ذُكرت فى الوحيِ عفتُهم ... لا يَطبعون ولا يُرديهمُ طمعُ(٧)
لا يبخلون على جارٍ بفضلِهمُ ... ولا يَمسهمُ من مطمعٍ طَبَعُ(٨)

---

(١) الحريد : الفريد فى العز . الجولان : بلد بسوريا والمراد أن عزهم قديم متصل بحضارة الغساسنة فى الشام .

(٢) السودد : المجد . والعود : المتكرر . (٣) الذوائب : السادة الأشراف .

(٤) السجية : الطبيعة . (٥) أوهت : هدمت .

(٦) متعوا : زادوا وارتفعوا . (٧) لا يطبعون : لا يتدنسون .

(٨) طبع : دنس .

إذا نصبنا لحيٍّ لم نَدِبَّ لهم ... كما يَدِبُّ إلى الوحشيةِ الذَّرَع[1]

نسمو إذا الحربُ نالتنا مخالبُها ... إذا الزعانفُ من أظفارِها خشَعوا[2]

لا يفخرون إذا نالوا عدوَّهم ... وإن أصيبوا فلا خُورٌ ولا هُلُع[3]

كأنهم في الوغى والموتُ مكتنِعٌ ... أُسْدٌ بحَلْيةَ في أرساغِها فَدَع[4]

خذ منهمُ ما أتى عفواً إذا غضبوا ... ولا يكن همُّك الأمرَ الذي منعوا

فإن في حربهم — فاترك عداوتهم — ... شرا يُخاضُ عليه السُّمُّ والسَّلَع[5]

أكرِم بقومٍ رسولُ اللهِ شيعتُهم ... إذا تفاوتت الأهواءُ والشيع

أهدى لهم مدحتي قلبٌ يؤازرُه ... فيما أُحبُّ لسانٌ حائكٌ صَنَع

فإنهم أفضلُ الأحياءِ كلِّهم ... إن جدَّ بالناس جِدُّ القولِ أو شَمَعوا[6]

قال ابن هشام : أنشدني أبو زيد :

يرضى بها كل من كانت سريرته ... تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا

شعر آخر للزبرقان بن بدر : وقال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم بالشعر من بني تميم : أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد بني تميم قام فقال :

أتيناك كيما يعلمُ الناسُ فضلَنا ... إذا احتفلوا عند احتضارِ المواسم

بأنا فروعُ الناسِ في كلِّ موطنٍ ... وأن ليس في أرضِ الحجازِ كَدارِم

وأنا نذودُ المعلَّمين إذا انتخَوْا ... ونضربُ رأسَ الأصيدِ المتفاقِم[7]

---

(١) نصبنا : أظهرنا العداوة . الذرع : ولد بقرة الوحش .

(٢) نسمو : ننهض . الزعانف : يريد بها : أطراف الناس . خشعوا : تذللوا .

(٣) الخور : الضعفاء .

(٤) مكتنع : قريب . حلية مكان باليمن كانت تكثر فيه الأسود . الأرساغ جمع رسغ : مفصل ما بين الساق والقدم . فدع : اعوجاج .

(٥) السلع : نبات سام .   (٦) شمعوا : هزلوا .

(٧) المعلمون : الشجعان الذين يضعون عليهم علامة يعرفون بها . الأصيد : المتكبر . المتفاقم : المتعاظم .

وأن لنا المرباعَ فى كلّ غارةٍ ... نُغير بنجدٍ أو بأرضِ الأعاجمِ

شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان : فقام حسان بن ثابت فأجابه ، فقال :

هل المجدُ إلا السؤددُ العَودُ والندى ... وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ

نَصرنا وآوينـــا النبيَّ محمداً ... على أنفِ راضٍ من مَعدٍّ وراغمِ

بحىٍّ حريدٍ أصلُه وثراؤُه ... بجابيةِ الجولانِ وسطَ الأعاجمِ

نصرناه لما حل وسطَ ديارِنا ... بأسيافِنا من كلِّ باغٍ وظالمِ[1]

جعلنا بنينا دونَه وبناتِنا ... وطِبنا له نفسا بفىءِ المغانمِ

ونحن ضربنا الناسَ حتى تتابعوا ... على دينِه بالمرهفاتِ الصوارمِ

ونحن ولدنا من قريشٍ عظيمَها ... ولدنا نبيَّ الخيرِ من آلِ هاشمِ[2]

بنى دارمٍ لاتفخروا إن فخرَكم ... يعودُ وَبالاً عندَ ذكرِ المكارمِ

هَبِلتم علينا تفخَرون وأنتم ... لنا خَوَلٌ ما بينَ ظِئْرٍ وخادمِ ؟[3]

فإن كنتمُ جئتم لحقنِ دمائِكم ... وأموالِكم أن تُقسموا فى المقاسمِ

فلا تجعلوا للهِ نِدًّا وأسلِموا ... ولا تلبَسوا زِيًّا كزِىِّ الأعاجمِ

إسلام الوفد : قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبى ، إن هذا الرجل لَمُؤتّى له[4] ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلما فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

شعر ابن الأهتم فى هجاء قيس : وكان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم فى ظهرهم(٥) ، وكان أصغرهم سنا ، فقال قيس بن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهتم : يا رسول الله ، إنه قد

---

(١) انظر شرح الأبيات السابقة فى هامش ص ١٥٥ .

(٢) ذلك أن أم عبد المطلب . من أهل يثرب .

(٣) هبلتم : ثكلتم . الخول : العبيد والخدم . الظئر : المرضعة غير ولدها .

(٤) مؤتى له : أى موفق .

(٥) ظهرهم : إبلهم .

كان رجل منا فى رحالنا ، وهو غلام حدث ، وأزرى به ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيسا قال ذلك يهجوه :

ظلِلتَ مفترِشَ الهلباءِ تشتمنى   عندَ الرسولِ فلم تَصدقْ ولم تُصِبِ[١]
سُدْناكمُ سُؤدَداً رَهْواً وسؤددُكم   بادٍ نواجذُه مُقْعٍ على الذَنَبِ[٢]

قال ابن هشام : بقى بيت واحد تركناه ، لأنه أقذع فيه .

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : « إن الذينَ ينادونَكَ من وراءِ الحجراتِ أكثرُهم لايعقلون » .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

فى الوفادة عن بنى عامر

رؤساء الوفد : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى عامر ، فيهم عامر بن الطُّفَيْل وأربد بن قيس بن جَزء بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سَلْمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

عامر يدبر الغدر بالرسول : فقدم عامر بن الطفيل عدو الله ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يريد الغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تتبع العرب عَقِبى ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش؟ ثم قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل ، فإنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعلُه بالسيف؛ فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر بن الطفيل : يا محمد ، خالِّنى[٣] ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يا محمد خالنى . وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به ، فجعل أربد لا يحير شيئا ؛ قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال : يا محمد خالنى قال :

---

(١) الهلباء فى الأصل: شعر الذنب ويريد به هنا مؤخرته .

(٢) رهوا : متسعا . النواجذ : الأسنان . مقع : جالس على الذنب : يريد به هنا مؤخرته

(٣) خالنى : أى اتخذنى خليلا .

لا ، حتى تؤمن بالله وحده لاشريك له . فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا : فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اللهم اكفنى عامر بن الطفيل . فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك . وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا . قال : لا أبالك ؛ لاتعجل علىّ ، والله ما هممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلتَ بينى وبين الرجل ، حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه: وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سلول ، فجعل يقول : يابنى عامر ، أغدة كغدة البكر[1] فى بيت امرأة من بنى سلول ؟ !

قال ابن هشام : ويقال أغدة كغدة الإبل ، وموتا فى بيت سلولية .

موت أربد بصاعقة : قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين واروه ، حين قدموا أرض بنى عامر شاتين ؛ فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال : لا شىء والله ، لقد دعانا إلى عبادة شىء لوددت أنه عندى الآن ، فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة ، فأحرقتهما . وكان أربد ابن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه .

مانزل فى عامر وأربد : قال ابن هشام وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس قال : وأنزل الله عز وجل فى عامر وأربد : « اللهُ يعلمُ ما تحمِلُ كل أنثى وما تغيضُ الأرحامُ وما تزداد » . إلى قوله « ومالهم من دونِه من وَالٍ »

قال : المعقبات : هى من أمر الله يحفظون محمدا ، ثم ذكر أربد وما قتله الله به ، فقال : « ويرسلُ الصواعقَ فيصيبُ بها من يشاءُ » إلى قوله : « شديدُ المِحَالِ » .

شعر لبيد فى بكاء أربد : قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكى أربد :

ما إن تُعَدِّى المنونُ من أحـــدٍ ... لا والدٍ مشفقٍ ولا ولَدِ
أخشى على أربدَ الحتوفَ ولا ... أرهبُ نوْءَ السِّماكِ والأسَدِ

---

(١) الغدة : مرض يصيب الإبل تموت منه . البكر : الفتى من الإبل .

فعينِ هـــلاَّ بكيتِ أربدَ إذ ... قمنا وقام النساءُ فى كَبَدِ[1]

إن يشغَبوا لا يبالِ شغبَهمُ ... أو يَقصدوا فى الحكومِ يقتصدِ

حُلوٌ أريبٌ وفى حلاوته ... مُرٌّ لطيفُ الأحشاءِ والكَبِدِ

وعينِ هـــلاَّ بكيتِ أربدَ إذ ... ألوَتْ رياحُ الشتاءِ بالعضُـــدِ

وأصبحتْ لاقحـا مُصرَّمـةً ... حتى تجلتْ غوابرُ المُـــددِ[2]

أشجعُ من ليثِ غابةٍ لَحِمٍ ... ذو نَهمةٍ فى العـــلا ومنتقَدِ[3]

لا تبلغُ العينُ كلَّ نَهمتِهــا ... ليلةَ تُمسى الجيادُ كالقِـــدَدِ[4]

الباعث النوْحَ فى مآتِمِــهِ ... مثلَ الظباءِ الأبكارِ بالجَرَدِ[5]

فجعنى البرقُ والصواعقُ بالـــ ... ـفارسِ يومَ الكريهةِ النَّجُدِ

والحاربِ الجـــابرِ الحَريبِ إذا ... جاء نَكيبا وإن يَعُدْ يَعُدِ[6]

يعفو على الجهدِ والسؤالِ كما ... يَنبتُ غيثُ الربيعِ ذو الرَّصدِ[7]

كلُّ بنى حرةٍ مصيرُهمُ ... قُلٌّ وإن أكثرتْ من العـــددِ

إن يُغبَطوا يَهبِطوا وإن أَمِروا ... يوما فهم للهَـــلاكِ والنَّفَدِ

قال ابن هشام: بيته: «والحارب الجابر الحريب» عن أبى عبيدة، وبيته: «يعفو على الجهد»: عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لبيد أيضا يبكى أربد:

ألا ذهبَ المحافظُ والمحـــامى ... ومانعُ ضيمِها يومَ الخصـــامِ

وأيقنتُ التفرقَ يومَ قالوا ... تُقُسِّمَ مالُ أربدَ بالسِّهامِ

تطيرُ عدائدُ الأشراكِ شَفعا ... ووَترا والزعامةُ للغلامِ[8]

---

(١) الكبد: المشقة.

(٢) مصرمة: لا لبن فيها. الغوابر: البقايا.

(٣) لحم: كثير أكل اللحم. منتقد: بصير بالأمور.

(٤) القدد: السيور تصنع من الجلد.

(٥) النوح: جماعة النساء النائحة. الجرد: الأراضى القاحلة.

(٦) الحارب: السالب. والنكيب: المصاب.

(٧) يعفو: يعطى. الرصد: الكلأ القليل.

(٨) العدائد: الأنصباء. الأشراك: الشركاء.

فودع بالسلام أبا حريز وقل وداع أربد بالسلام
وكنت إمامنا ولنا نظاما وكان الجزع يحفظ بالنظام(١)
وأربد فارس الهيجاء إذ ما تقعرت المشاجر بالفئام(٢)
إذا بكر النساء مردفات حواسر لايجئن على الخدام(٣)
فواءل يوم ذلك من أتاه كما وأل المحل إلى الحرام(٤)
ويحمد قدر أربد من عراها إذا ما ذم أرباب اللحام
وجارته إذا حلت لديه لها نفل وحظ من سنام
فإن تقعد فمكرمة حصان وإن تظعن فمحسنة الكلام
وهل حدثت عن أخوين داما على الأيام إلا ابنى شمام(٥)
وإلا الفرقدين وآل نعش خوالد ماتحدث بانهدام(٦)

قال ابن هشام: وهى فى قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال لبيد أيضا يبكى أربد:

انع الكريم للكريم أربدا انع الرئيس واللطيف كبدا
يحذى ويعطى ماله ليحمدا أدما يشبهن صورا أبدا(٧)
السابل الفضل إذا ما عددا ويملأ الجفنة ملئا مددا(٨)
رفها إذا يأتى ضريك وردا مثل الذى فى الغيل يقرو جمدا(٩)
يزداد قربا منهم أن يوعدا أورثتنا تراث غير أنكدا

(١) الجزع: الخرز اليمانى.
(٢) المشاجر: نوع من الهوادج. الفئام: ما يفرش فى الهودج.
(٣) يجئن: يعطين الخدام مفردها خدمة، الساق.
(٤) وأل: ألجأ. (٥) ابنا شمام: جبلان.
(٦) الفرقدان: نجمان نيران. وآل نعش يقصد بنات نعش الكبرى والصغرى: مجموعات من النجوم.
(٧) يحذى: يعطى. الأدم: الإبل البيض. الصور: القطيع من بقر الوحش. أبدا: نافرة. (٨) الجفنة: وعاء يصنع من خشب الأبنوس (٩) رفها: متكررا. الضريك: الفقير. الغيل: أكمة الأسد. يقرو: يتتبع. جمد اسم جبل.

غبا ومالا طارفا وولدا شرخا صقوراً يافعاً وأمردا[١]

وقال لبيد أيضا :

لن تفنيا خيرات أر بد فابكيا حتى يعودا
قولا هو البطل المحا مى حين يكسون الحديدا
ويصد عنا الظالمي ن إذا لقينا القوم صيدا[٢]
فاعتاقه رب البرية إذا رأى أن لا خلودا[٣]
فثوى ولم يوجع ولم يوصب وكان هو الفقيدا

وقال لبيد أيضا :

يذكرنى بأربد كل خصم ألد تخال خطته ضرارا[٤]
إذا اقتصدوا فمقتصد كريم وإن جاروا سواء الحق جارا
ويهدى القوم مطلعا إذا ما دليل القوم بالموماة حارا[٥]

قال ابن هشام : آخرها بيتا عن ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضا :

أصبحت أمشى بعد سلمى بن مالك وبعد أبى قيس وعروة كالأجب[٦]
إذا ما رأى ظل الغراب أضجه حذاراً على باقى السناسن والعصب[٧]

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى أبيات له .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بنى سعد بن بكر

قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم ، يقال له ضمام بن ثعلبة .

---

(١) شرخا : شبابا : اليافع : الغلام قارب البلوغ والأمرد الذى لما تنبت لحيته .
(٢) الصيد : المتكبرون (٣) اعتاقه : أعاقه من أن يبلغ غايته .
(٤) ألد : قوى الخصومة (٥) الموماة : الصحراء (٦) الأجب : مقطوع السنام .
(٧) أضجه : صاح عليه السناسن : فقار الظهر .

إسلامه : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نُوَيْفع عن كُرَيْب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضِمَام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ؛ وكان ضمام رجلا جَلْداً أشعر ذا غديرتين[1] ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . قال : أمحمد ؛ قال : نعم ؛ قال : يابن عبد المطلب ، إنى سائلك ومغلظ عليك فى المسئلة ، فلاتَجِدَنَّ فى نفسك ، قال : لاأجد فى نفسى ، فسل عما بدالك ، قال : أنشدك الله إلهَك وإلهَ من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدَك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لانشرك به شيئا ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آله أمرك أن نصلى هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ، قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة . الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، يتشده عند كل فريضة منها ، كما ينشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لاإله إلاالله وأشهد أن محمدا رسول الله ؛ وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب مانهيتنى عنه ، ثم لاأزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيره راجعا . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة .

دعوة قومه للإسلام : قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه فكان أول ماتكلم به أن قال : بئست اللات والعزى ! قالوا : مه ياضمام اتق البرص ، اتق الجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لايضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لاإله إلاالله وحده لاشريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ، ومانهاكم عنه . قال : فوالله ماأمسى من ذلك اليوم فى حاضره رجل ولا امرأة إلامسلما .

قال يقول عبدالله بن عباس : فما سمعنا بوافد قدم كان أفضل من ضِمَام بن ثعلبة .

---

(١) غديرتين : ذؤابتين من شعر .

قدوم الجارود فى وفد عبد القيس

قال ابن إسحاق: وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حَنَش أخو عبد القيس.

قال ابن هشام: الجارود بن بشر بن المعلى فى وفد عبد القيس وكان نصرانيا.

إسلامه: قال ابن إسحاق: حدثنى من لا أتهم، عن الحسن، قال: لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه؛ فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام، ودعاه إليه، ورغبه فيه، فقال: يامحمد، إنى قد كنت على دين، وإنى تارك دينى لدينك، أفتضمن لى دينى؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نعم أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ماهو خير منه. قال: فأسلم وأسلم أصحابه، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحُملان، فقال: والله ماعندى ماأحملكم عليه. قال: يارسول الله، فإن بيننا وبين بلادنا ضوالّ من ضوالّ الناس: أفنتبلغ عليها إلى بلادنا؟ قال: لا، إياك وإياها، فإنما تلك حرق النار.

موقفه من ردة قومه: فخرج من عنده الجارود راجعا إلى قومه، وكان حسن الإسلام، صُلبا على دينه، حتى هلك وقد أدرك الردة، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغَرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر [1]، قام الجارود فتكلم، فتشهد شهادة الحق، ودعا إلى الإسلام فقال: أيها الناس، إنى أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأكفّر من لم يشهد.

قال ابن هشام: ويروى: وأكفى من لم يشهد.

إسلام المنذر بن ساوى: قال ابن إسحاق: وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدى، فأسلم فحسن إسلامه، ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البحرين، والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين.

قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حنيفة، فيهم مُسَيْلَمة بن حبيب الحنفى الكذاب.

قال ابن هشام: مسيلمة بن ثمامة، ويكنى أبا ثمامة.

---

(١) اسمه المنذر: وسمى الغرور لأنه غر قومه يوم حرب الردة.

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الأنصار ، ثم من بنى النجار ، فحدثنى بعض علمائنا من المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ، معه عسيب من سعف النخل ، فى رأسه خُوصات ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا ، زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفوا مسيلمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يارسول الله إنا قد خلفنا صاحبا لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر به للقوم ، وقال : أما إنه ليس بشركم مكانا ؛ أى لحفظه ضيعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تنبؤ مسيلمة : قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إنى قد أشركت فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له : أما إنه ليس بشركم مكانا ، ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت فى الأمر معه ، ثم جعل يَسْجَع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة[1] للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صِفاقٍ[2] وحَشى » . وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبى ، فأصفقت[3] معه حنيفة على ذلك ، فالله أعلم أى ذلك كان .

قدوم زيد الخيل فى وفد طيىء

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيىء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه ، وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحسن إسلامهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى من لا أتهم من

---

(١) مضاهاة : مشابهة . (٢) الصفاق ما رقّ من البطن .

(٣) أصفقت : اجتمعت .

رجال طيء ؛ ما ذُكر لى رجل من العرب بفضل ، ثم جاءنى ، إلا رأيته دونه ما يقال فيه ، إلا زيد الخيل : فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه ، ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، وقطع له فَيْدا وأرَضِين معه ؛ وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا إلى قومه ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن ينج زيد من حمى المدينة فإنه» قال : قد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى ، وغير أم مَلْدَم[1] فلم يُثْبِته — فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فَرْدَة ، أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد بالموت قال :

أمرتحلٌ قومى المشارقَ غُدوةً ... وأُترَكُ فى بيتٍ بفَردةَ مُنجِدِ
ألا رُبَّ يومٍ لو مَرِضتُ لعادنى ... عوائدُ مَن لم يَبْرَ منهن يَجْهَدِ[2]

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه ، التى قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحرقتها بالنار .

قدوم عدى بن حاتم

وأما عدى بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : ما من رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرأً شريفا وكنت نصرانيا ، وكنت أسير فى قومى بالمِرْباع[3] فكنت فى نفسى على دين وكنت ملكا فى قومى ، لما كان يصنع بى . فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربى ، راعيا لإبلى : لا أبا لك ، أعدد لى من إبلى أجمالا ذُلُلا[4] سِمانا ، فاحتبسها قريبا منى ، فإذا سمعت بجيش

---

(١) والاسم الذى ذهب عن الراوى من أسماء الحمى ، هو أم كلبة ، قاله أبو عبيدة فى مقاتل الفرسان ، ولم أره ، ولكن رأيت البكرى ذكره فى باب أفرده من أسماء البلاد ، ولها أيضاً اسم سوى هذه الأسماء ذكره ابن دريد فى الجمهرة ، قال : سباط ، من أسماء الحمى على وزن رَقَاش ، وأما أم ملدم ، فيقال بالدال ، وبالذال وبكسر الميم وفتحها ، وهو من اللدم وهو شدة الضرب ، ويحتمل أن يكون أم كلبة هذا الاسم مغيراً من كلبة بضم الكاف ، والكلبة شدة الرعدة ، وكلب البرد شدائده ، انظر الروض ج ٤ ص ٢٢٧ .

(٢) يبرى : يجهد . (٣) أى آخذ ربع الغنيمة وكذلك كان يفعل الرؤساء فى الجاهلية

(٤) الذلل : السهلة .

محمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى ، ففعل ، ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : يا عدى . ما كنت صانعا إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرب إلى أجمالى ، فقربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت: ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام ؛فسلكت الجوشية ، ويقال : الحوشية فيما قال ابن هشام ـ وخلفت بنتا(١) لحاتم فى الحاضر ؛ فلما قدمت الشام أقمت بها .

أسر الرسول ابنة حاتم : وتُخالِفُنى خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيىء وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام ، قال : فجعلت بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يُحبَسن فيها ، فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جَزْلة ، فقالت : يا رسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد فامنن على منّ الله عليك . قال : ومن وافدك ؟ قالت : عدى بن حاتم . قال : الفار من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنى ، حتى إذا كان من الغد مر بى ، فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس . قالت : حتى إذا كان بعد الغد مر بى وقد يئست منه ، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومى فكلميه ، قالت : فقمت إليه ، فقلت : يا رسول الله هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن على من الله عليك ؛ فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلت ، فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة ،حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذنينى . فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن أكلمه ، فقيل : على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بَلِىّ أو قُضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتى أخى بالشام . قالت:فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله ، قدقدم رهط من قومى ، لى فيهم ثقة وبلاغ . قالت : فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملنى ، وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدى: فوالله إنى لقاعد فى أهلى ، إذ نظرت إلى ظعينة(٢) تصوب إلىّ تؤمنا ، قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت على انسحلت(٣) تقول : القاطع الظالم ، احتملت

---

(١) يقول السهيلى : اسمها سفانة ، لأنى وجدت فى خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه من سخائه قالت : فأخذ حاتم عديا يعلله من الجوع ، وأخذت أنا سفانة ، ولا يعرف لعدى ولد ، انقرض عقبه ، ولحاتم عقب من قبل عبد الله بن حاتم ، ذكره القتبى ، ولا يعرف له بنت إلا سفانة ، فهى إذاً هذه المذكورة فى السيرة.والله أعلم .

(١) الظعينة : المرأة فى الهودج .　　(٢) انسحلت : أخذت تلوم .

بأهلك وولدك ، وتركت بقية والدك عورتك ، قال : قلت : أى أُخية ، لا تقولى إلا خيرا ، فوالله مالى من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت . قال : ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعا ، فإن يكن الرجل نبيا فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكا فلن تذل فى عز اليمن ، وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا الرأى

قال : فخرجت حتى أقدَمَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم ؛ فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بى بيته ، تناول وسادة من أدم محشوة ليفا ، فقذفها إلىّ ؛ فقال : اجلس على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها . فقال : بل أنت ، فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه يا عدى بن حاتم ! ألم تك رَكُوسيّاً ؟ قال : قلت : بلى ، قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع ؟ قال : قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك ؛ قال قلت : أجل والله ، وقال : وعرفت أنه نبى مرسل ، يعلم ما يُجهل ؛ ثم قال : لعلك يا عدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ؛ قال : فأسلمت .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، وايم الله لتكونن الثالثة ، ليفيض المال حتى لا يوجد من يؤخذه .

قدوم فروة بن مُسَيك المرادى

قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مُسَيك المرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً لملوك كندة ، ومباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهَمْدان وقعة ؛ أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا ؛ حتى أثخنوهم في يوم كان يقال له : يوم الرَّدْم ، فكان الذى قاد همدان إلى مراد : الأجدع ابن مالك في ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذى قاد همدان في ذلك اليوم مالك بن حَرِيم الهمدانى .

قال ابن إسحاق : وفى ذلك اليوم يقول فروة بن مُسَيْك :

مررنا على لِفاة وهُنَّ خُوصٌ ... ينازعن الأعنة ينتحينا(١)
فإن نَغلِب فغلاّبون قِدْما ... وإن نُغلَب فغيرُ مُغلَّبينا(٢)
وما إن طِبُّنا جبنٌ ولكن ... منايانا وطُعمةُ آخرينا(٣)
كذاك الدهرُ دولتُه سِجالٌ ... تَكُرُّ صروفُه حينا فحينا
فبينا ما نُسَرُّ به ونرضى ... ولو لُبِسَت غضارتُه سنينا
إذ انقلبت به كَرّاتُ دهرٍ ... فألفيت الألى غُبِطوا طَحينا
فمن يُغبَطْ بريب الدهر منهم ... يجدْ ريبَ الزمانِ له خَئونا
فلو خَلَدَ الملوكُ إذن خَلَدْنا ... ولو بقِيَ الكرامُ إذن بَقِينا
فأفنى ذلكم سَرَواتِ قومى ... كما أفنى القرونَ الأولينا

قال ابن هشام : أول بيت منها ، وقوله : « فإن نغلب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مُسَيْك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقا لملوك كِنْدة ، قال :

لما رأيتُ ملوكَ كِندةَ أعرضتْ ... كالرِّجلِ خانَ الرِّجلَ عِرقُ نَسَائِها(١)
قرَّبتُ راحلتى أؤمُّ محمداً ... أرجو فواضلَها وحسنَ ثرائها

---

(١) لفاة : موضع . خوص : غائرات العيون .

(٢) معنى البيت : أن نغلب الناس فهذا من طبيعتنا وما تعودنا عليه منذ القدم أما وقد انهزمنا مرة فلن تتكرر .

(٣) طبنا : شأننا وعادتنا .

(٤) النَّسا : عرق يمتد من الورك إلى الكعب ، ومده لضرورة الشعر والأصح أنه لا يقال عرق النساء لأن الشىء لا يضاف إلى نفسه .

قال ابن هشام : أنشدني أبو عبيدة : « أرجو فواضله وحسن ثنائها » .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني : يا فروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الرَّدْم ؟ قال : يارسول الله ، من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومي يوم الردم لا يسوءه ذلك ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيراً .

واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على مراد وزُبَيد ومَذحِج كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد ابن العاص على الصدقة ، فكان معه في بلاده حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زُبَيد

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معد يكرب في أناس من بني زُبَيْد ، فأسلم ؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ياقيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبي ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبياً كما يقول ، فإنه لن يخفى عليك ، وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفه رأيه ، فركب عمرو بن معد يكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصدقه ، وآمن به .

فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمراً ، وتحطم عليه[1] ، وقال : خالفني وترك رأيي فقال عمرو بن معديكرب في ذلك :

أمرتك يومَ ذي صَنْعَا ... ءَ أمراً باديا رَشَدُهْ
أمرتك باتقاءِ اللهِ ... والمعروف تَتَّعِدُه
خرجتَ من المُنَى مثلَ الـ ... حميرِ غره وَتِدُه
تمناني على فرسٍ ... عليه جالسا أَسَدُه
عليّ مُفاضةٌ كالنهـ ... ـي أخلصَ ماءَه جَدَدُه[2]
تردُّ الرُّمحَ منثنيَ السِّـ ... ـنانِ عوائرا قِصَدُه[3]

(١) تحطم عليه : اشتد عليه .

(٢) مفاضة : أي درع مفاضة ، وهي الواسعة . النهى : غدير الماء . الجدد : الأرض الصلبة .

(٣) عوائر : متطايرة . القصد : القطع المتطايرة من الرمح .

فلو لاقيتنى للقيـ ـت لَيْثاً فوقَه لِبَدُهْ(١)
تلاقى شَنْبَثاً شَثْنَ الـ ـبراثِنِ ناشزاً كَتَدُه(٢)
يسامى القِرنَ إن قِرنٌ تيممه فيعتضده(٣)
فيأخذه فيرفعه فيخفضه فيقتصده(٤)
فيدمغه فيحطمه فيخضمه فيزدرده(٥)
ظلومُ الشِّركِ فيما أحـ ـرزَتْ أنيابُه ويدُهْ

قال ابن هشام: أنشدنى أبو عبيدة:

أمرتك يومَ ذى صنعا ءَ أمراً بيِّنا رشَدُهْ
أمرتك باتِّقاءِ اللهِ تأتيه وتتعده
فكنت كذى الحميرِ غرَّ ه مما به وتِدُه

ارتداد عمرو بعد موت الرسول: قال ابن إسحاق: فأقام عمرو بن معديكرب فى قومه من بنى زبيد وعليهم فروة بن مسيك فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو بن معد يكرب وقال حين ارتد:

وجدنا مُلكَ فروةَ شرَّ ملكٍ حماراً ساف مَنْخِرُه بِثَفْرِ(٦)
وكنتَ إذا رأيتَ أبا عميرٍ ترى الحُوَلاءَ من خُبْثٍ وغَدْرِ(٧)

قال ابن هشام: قوله شفر، عن أبى عبيدة.

---

(١) اللبد: الشعر الذى على أكتاف ورءوس الأسود. المفرد لبدة.

(٢) الشنبث: الذى لا يزايل خصمه. الشثن: غليظ الأصابع: البراثن: مخالب الأسد. ناشز: مرتفع. الكتد: ما بين الكتفين.

(٣) يعتضده: يضعه تحت عضده فيصرعه. (٤) يقتصده: يصرعه.

(٥) يدمغه: يشج رأسه حتى يصل الجرح إلى أم دماغه. يحطمه: يكسره. يخضمه: يأكله. يزدرده: يبتلعه.

(٦) ساف: شم. الثفر للبهائم كالرحم للنساء.

(٧) الحولاء: ما يخرج من الأخلاط مع الولد ساعة الولادة، يشبه من يهجوه أنه فى الخبث والقذارة مثل الحولاء.

قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كِندة

قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس ، فى وفد كندة فحدثنى الزهرى بن شهاب أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمانين راكبا من كندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده ، وقد رَجّلوا(١) جُمَمَهم (٢) وتكحلوا ، وعليهم جبب الحبَرة ، وقد كففوها (٣) بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألم تسلموا ؟ قالوا . بلى ،قال :فما بال هذا الحرير فى أعناقكم ، قال : فشقوه منها، فألقوه.

ثم قال له الأشعث بن قيس : يارسول الله : نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار، قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعة بن الحارث ، وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا فى بعض العرب ، فسئلا ممن هما ، قالا : نحن بنو آكل المرار ، يتعززان بذلك ، وذلك أن كِندة كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النضر بن كِنانة ، لانقفو (٤) أمنا ، ولا ننتفى من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يامعشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قِبل النساء ، وآكل المرار : الحارث بن عمرو بن حُجْر بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مُرَتّع بن معاوية بن كِندى ، ويقال كِندة ، وإنما سمى آكل المرار ، لأن عمرو بن الهَبُولة الغسانى أغار عليهم ، وكان الحارث غائبا ، فغنم وسبى ، وكان فيمن سبى أم أناس بنت عوف بن مُحَلِّم الشيبانى ، امرأة الحارث بن عمرو فقالت لعمرو فى مسيره : لكأنى برجل أدلم (١) أسود ، كأن مشافره مشافر

(١) رجلوا: مشطوا . (٢) الجمم جمع: جمة .مجتمع شعر مقدم الرأس .

(٣) كففوا : طرزوا حروفها .

(٤) لانقفو أمنا : لانتبع نسب أمنا . وقد أصاب الأشعث فى بعض قوله فقد كان من جدات الرسول صلى الله عليه وسلم من هى من ذلك القبيل ، منهن دعد بنت سرير بن ثعلبة ابن الحارث الكندى ، وهى أم كلاب بن مرة ، وقيل : بل هى جدة كلاب ، أم أمه هند .

(٥) الأدلم : مسترخى الشفتين .

بعير آكل مُرَار (١) قد أخذ برقبتك ، تعني الحارث ، فسمي آكل المرار ، والمرار : شجر .
ثم تبعه الحارث في بني بكر بن وائل، فأدركه ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب . فقال
الحارث بن حِلِّزة اليشكري لعمرو بن المنذر ، وهو عمرو بن هند اللخمي :

وأقدناكَ رَبَّ غسانَ بالمنـ ـذِرِ كَرْهاً إذ لا تُكالُ الدماءُ

لأن الحارث الأعرج الغساني قتل المنذر أباه ، وهذا البيت في قصيدة له . وهذا الحديث
أطول مما ذكرت ، وإنما منعني من استقصائه ما ذكرت من القطع (٢) : ويقال بل آكل المرار :
حُجْر بن عمرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ، وإنما سمي آكل المرار ، لأنه أكل
هو وأصحابه في تلك الغزوة شجرا يقال له المُرَار .

قدوم صُرَد بن عبدالله الأزدي مسلما

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صُرَد بن عبد الله الأزدي ، فأسلم ، وحسن إسلامه
في وفد من الأزد ، فأمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه . وأمره
أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبل اليمن .

قتاله أهل جرش : فخرج صرد بن عبدالله يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى
نزل بجُرَش ، وهي يومئذ مدينة مغلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضَوَت (٣) إليهم
خثعم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريبا من شهر ، وامتنعوا
فيها منه ثم رجع عنهم قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شَكَر ، ظن أهل جرش أنه
إنما ولى عنهم منهزما ، فخرجوا في طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف عليهم ، فقتلهم قتلا شديدا .

إخبار الرسول بما حدث : وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ، فبينما هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية بعد
صلاة العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأي بلاد الله شَكَر ؟ فقام إليه الجرشيان
فقالا : يارسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كَشَر ؛ وكذلك يسميه أهل جرش ، فقال : إنه
ليس بكشر ، ولكنه شكر ؛ قالا : فما شأنه يارسول الله ؟ قال : إن بُدْن الله لتنحر عنده الآن ،

---

(١) المرار : نبات شديد المرورة إذا أكله البعير تقبضت شفتاه من المرارة .
(٢) أي قطع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم .
(٣) ضوت : لجأت .

قال : فجلس الرجلان إلى أبى بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لينعى لكما قومكما فقوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما ؛ فقاما إليه فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما ، فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبدالله ، فى اليوم الذى قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ماقال ، وفى الساعة التى ذكر فيها ماذكر .

إسلام أهل جرش : وخرج وفد جُرَش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا ، وحمى لهم حمًى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمُثيرة ، وبقرة الحرث ، فمن رعاه من الناس فمالهم سحت : فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزْد . وكانت خثعم تصيب من الأزد فى الجاهلية ، وكانوا يَعْدُون فى الشهر الحرام :

ياغزوةً ماغزونا غـــيرَ خائبةٍ ... فيها البغالُ وفيها الخيلُ والحُمُرُ
حتى أتينا حُمَيْراً فى مصانعها ... وجمع خثعمَ قد شاعت لها النُّذُر[١]
إذا وضعتُ غليلا كنتُ أحملُهُ ... فما أبالى أدانوا بعدُ أم كفروا[٢]

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حِمْيَر ، مَقْدَمَه من تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كُلَال ونُعَيم بن عبد كلال . والنعمان قَيْل[٣] ذى رُعَيْن ومَعَافر وهمْدان ؛ وبعث إليه زُرعَة ذو يزن مالك بن مرة الرَّهاوى بإسلامهم ، ومفارقتهم الشرك وأهله .

كتاب الرسول إليهم : فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبى ، إلى الحارث بن عبد كلال ، وإلى نُعيم بن عبد كلال ، وإلى النعمان ، قيل ذى رُعَيْن ومَعافر وهمدان . أما بعد ذلكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لاإله إلاهو ، أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبَنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ماأرسلتم به ، وخبرنا ماقِبَلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم

---

(١) المصانع : القرى . (٢) الغليل : حرارة الجوف .
(٣) القيل : ملك إقليم .

خمس الله ، وسهم الرسول وصفيه[1]، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار[2] ، عشر ماسقت العين وسقت السماء ، وعلى ماسقى الغرب[3] نصف العشر ، وأن فى الإبل الأربعين ابنة لبون ، وفى ثلاثين من الإبل شاتان ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة . وأنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم ، وعليه ماعليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وإنه من أسلم من يهودى أو نصرانى ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم ، وعليه ماعليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها ، وعليه الجزية ، على كل ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف ، من قيمة المعافر[4] أو عوضه ثيابا ، أدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منه فإنه عدو لله ولرسوله.

أما بعد ، فإن رسول الله محمدا النبى أرسل إلى زرعه ذى زن أن إذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيرا : معاذ بن جبل ، وعبدالله بن زيد ، ومالك بن عبادة ، وعقبة بن نمر ، ومالك بن مرة وأصحابهم . وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم ، وأبلغوها رسلى ، وأن أميرهم معاذ بن جبل ، فلا ينقلبن إلا راضيا .

أما بعد . فان محمدا يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مرة الرهاوى قد حدثنى أنك أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين فأبشر بخير وآمرك بحمير خيرا ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإن رسول الله هـــو ولى غنيـكم وفقيركم ، وأن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل . وأن مالكا قد بلغ الخبر ، وحفظ الغيب ، وآمركم به خيرا : وإنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى واولى دينهم واولى علمهم ، وآمرك بهم خيراً ، فانهم مظور إليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصية الرسول معاذا حين بعثه إلى اليمن : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدالله بن ابى بكر انه حدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذا ، أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : يسر ولا تعسر وبشر ولا تنفر ، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب ، يسئلونك مامفتاح الجنة ، فقل شهادة أن لا إله إلا وحده لاشريك له ، فخرج معاذ ، حتى إذا قدم اليمن

---

(١) اصل الصفى : مايصطفيه القائد من الغنيمة قبل القسمة .

(٢) العقار : الأرض . (٣) الغرب الدلو .

(٤) المعافر : نوع من ثياب اليمن .

قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : يا صاحب رسول الله ، ما حق زوج المرأة عليها ؟ قال : ويحك إن المرأة لا تقدر على أن تؤدى حق زوجها فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتعلم ما حق الزوج على المرأة قال : ويحك ؟ لو رجعت إليه فوجدته تنثعب (١) منخراه قيحا ودما ، فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أديت حقه .

إسلام فروة بن عمرو الجذامى

قال ابن إسحاق : وبعث فروة بن عمرو النافرة الجذامى ، ثم النفاثى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام .

حبس الرم له وشعره ومقتله : فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال فى محبسه ذلك :

طرقت سليمى موهنا أصحابى ... والروم بين الباب والقروان (٢)

صد الخيال وساءه ما قد رأى ... وهممت أن أغفى وقد أبكانى

لا تكحلن العين بعدى إثمداً ... سلمى ولا تدين للإتيان

ولقد علمت أبا كبيشة أننى ... وسط الأعزه ولا يحص لسانى (٣)

فلئن هلكت لتفقدن أخاكم ... ولئن بقيت لتعرفن مكانى

ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى ... من جودة وشجاعة وبيان

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم : يقال له عفراء فلسطين ، قال :

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها ... على ماء عفرا فوق إحدى الرواحل

على ناقة لم ضرب الفحل أمها ... مشذبة أطرافها بالمناجل (٤)

---

(١) تنثعب : تسيل :

(٢) الموهن : نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه . قروان : مثل صفوان : حويض من خشب تسقى فيه الدواب وتلغ فيه الكلاب وفى المثل ما فيها لاغى قرو : أى لاعق قرو :

(٣) لا يحص : لا يقطع

(٤) المشذبة : التى أزيلت غصانها .

فزعم الزهرى بن شهاب، أنهم لما قدموه ليقتلوه. قال:

بلغ سراة المسلمين بأننى ... سِلْمٌ لربى أعظمى ومَقامى

ثم ضربوا عنقه، وصلبوه على ذلك الماء، يرحمه الله تعالى.

إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار إليهم

قال ابن إسحاق: ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد، فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأولى، سنة عشر، إلى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثا، فإن استجابوا فاقبل منهم، وإن لم يفعلوا فقاتلهم، فخرج خالد حتى قدم عليهم، فبعث الركبان يضربون فى كل وجه، ويدعون إلى الإسلام، ويقولون: أيها الناس، أسلموا. فأسلم الناس، ودخلوا فيما دُعوا إليه، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ولم يقاتِلوا.

ثم كتب خالد بن الوليد: إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، من خالد بن الوليد، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو، أما بعد: يا رسول الله صلى الله عليك، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب، وأمرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام، وأن أدعوهم إلى الإسلام، فإن أسلموا أقمت فيهم، وقبلت منهم، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه، وإن لم يسلموا قاتلتهم. وإنى قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام، كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعثت فيهم ركبانا قالوا: يا بنى الحارث، أسلموا تسلموا، فأسلموا ولم يقاتلوا، وأنا مقيم بين أظهرهم، آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبى صلى الله عليه وسلم حتى يكتب إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم:

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد النبى رسول الله، إلى خالد بن الوليد. سلام عليك، فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو. أما بعد: فإن كتابك جاءنى مع رسولك تخبر أن بنى الحارث ابن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام، وشهدوا أن

لا إله إلا الله . وأن محمدا عبد الله ورسوله ، وان قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قدوم خالد مع وفدهم على الرسول : فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفد بنى الحارث بن كعب ، منهم قيس بن الحُصَين ذى الغصة[1] ، ويزيد بن عبد المَدَان ، ويزيد ابن المحجَّل وعبد الله بن قُرَاد الزيادى ، وشداد بن عبد الله القَنانى ، وعمرو بن عبد الله الضِّبابى[2] .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم . قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ، قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب ؛ فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم الذين إذا زُجروا استقدموا ، فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المَدَان : نعم ، يا رسول الله ، نحن الذين إذا زُجروا استقدموا ، قالها أربع مِرار ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن خالداً لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ؛ فقال يزيد بن عبد المدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالدا ، قال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله ؛ قال : صدقتم . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية؟ قالوا : لم نكن نغلب أحدا ؛ قال : بلى ، قد كنتم تغلبون من قاتلكم ؛ قالوا : كنا نغلب من قاتلنا ؛ يا رسول الله إنا كنا نجتمع ولا نفترق ، ولا نبدأ أحدا بظلم ، قال : صدقتم . وأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحصين .

---

(١) ذو الغصة : سمى بذلك لغصة فى حلقه لا يكاد يبين منها ، واسمه الحصين بن يزيد بن شداد الحارثى . ذكره عمر بن الخطاب يوما فقال : لا تزاد امرأة فى صداقها عن كذا وكذا ولو كانت بنت ذى الغصة .

(٢) الضبابى من ضِباب بكسر الضاد فى بنى الحارث بن كعب بن مذحج ، وضباب أيضاً فى قريش وهو ابن حجير بن عبد بن معيص بن عامر أخو حجر بن عبد . والضباب فى بنى عامر ابن صعصعة ، وهم ضباب ومضب وحسل وحسيل بنو معاوية بن كلاب ، وأما الضباب بالفتح فنى نسب النابغة الذبيانى ضباب بن يربوع بن غيظ ؛ وأما الضباب بالضم فزيد ومنجا ابنا ضباب من بنى بكر ، ذكره الدارقطنى .

فرجع وفد بنى الحارث إلى قومهم فى بقية من شوال ؛ أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورحم وبارك ، ورضى وأنعم .

الرسول يبعث عمرو بن حزم بعهده إليهم : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ، ليفقههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتابا عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره : بسم الله الرحمن الرحيم هذا بيان من الله ورسوله ، يأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله فى أمره كله فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه وينهى الناس ، فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلين للناس فى الحق ، ويشتد عليهم فى الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : « ألا لعنة الله على الظالمين » ، ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا فى الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر : هو العمرة ؛ وينهى الناس أن يصلى أحد فى ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقيه وينهى الناس أن يحتبى أحد فى ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لا شريك له ؛ فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل والعشائر فليقطفوا بالسيف ؛ حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لا شريك له ؛ ويأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله : وأمر بالصلاة لوقتها ؛ وإتمام الركوع والسجود والخشوع ؛ ويغلس بالصبح ، ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مدبرة ؛ والمغرب حين يقبل الليل ؛ لا يؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء ؛ والعشاء أول الليل ؛ وأمر بالسعي إلى الجمعة إذا نودى لها ؛ والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله : وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، وفى كل عشر من الإبل شاتان ، وفى كل عشرين أربع شياه وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة . فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة . فمن زاد خيرا فهو خير له ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاما خالصا من نفسه ، ودان بدين الإسلام . فإنه من المؤمنين ، له مثل ما لهم ، وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فإنه لا يرد عنها ، وعلى كل حالم : ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف أو عوضه ثيابا .

فمن أدى ذلك ، فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك ، فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا، صلوات الله على محمد ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

قدوم رِفاعة بن زيد الجُذامي

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هدنة الحديبية ، قبل خيبر ، رفاعة بن زيد الجذامى ثم الضُّبَيْبى ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما ، وأسلم ، فحسن إسلامه ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا إلى قومه . وفى كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إنى بعثته إلى قومه عامة ، ومن دخل فيهم ، يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ، ومن أدبر فله أمان شهرين .

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة : حرة الرَّجْلاء ، ونزلوها .

قدوم وفد هَمْدان

قال ابن هشام : وقدم وفد هَمْدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنى من أثق به ، عن عمرو بن عبد الله بن أُذَيْنة العبدى ، عن أبى إسحاق السبيعى ، قال : قدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم مالك بن نمط ، وأبو ثور ، وهو ذو المِشْعار ، ومالك بن أيفع وضِمام بن مالك السَّلْمانى وعَميرة بن مالك الخارِفىّ ، فلقُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجِعَه من تَبُوك وعليهم مُقطَّعات الحبرات [١] ، والعمائم العدنية ، برحال المَيْس [٢] على المَهْرية [٣] والأرحَبية [٤] ومالك بن نَمَط ورجل آخر يرتجزان بالقوم ، يقول أحدهما :

هَمْدانُ خيرُ سُوقَةٍ وأقيالْ ليس لها فى العالمينَ أمثالْ [٥]
محلُّها الهضْبُ ومنها الأبطالْ لها إطاباتٌ بها وآكالْ [٦]

---

(١) المقطعات : المخيطة . الحبرات : برود يمنية .
(٢) الميس : خشب متين تصنع منه الرحال .
(٣) المهرية : إبل نجيبة تنسب إلى مهرة قبيلة باليمن .
(٤) الأرحبية : تنسب إلى أرحب : مكان .
(٥) السوقة : الشعب . والأقيال : رؤساء الأقاليم .
(٦) الإطابات : ما طاب من الأموال . والآكال : ما يأخذه الملك من الشعب كالضرائب .

ويقول الآخر :

إليكَ جاوزنَ سوادَ الريفِ في هَبَواتِ الصيفِ والخريفِ[1]
مُخَطَّماتٍ بحبالِ الليفِ

فقام مالك بن نمط بين يديه ، فقال : يارسول الله ، نَصِيَّة[2] من همْدان ، من كل حاضر وباد ، أتوك على قُلُصٍ نَوَاجٍ[3] ، متصلة بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم في الله لومة لائم ، من مخلاف خارف ويام وشاكر[4] أهل السود والقود ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا الإلهات والأنصاب ، وعهدهم لا ينقض ما أقامت لَعْلَع ، وما جرى اليعفور بصلع[5] .

فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من رسول الله محمد ، لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل ، مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ، ومن أسلم من قومه ، على أن لهم فِراعها ووِهاطها[6] ، ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عافيها[7] ، لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله ، وشاهدهم المهاجرون والأنصار . فقال فى ذلك مالك بن نمط :

ذكرتُ رسولَ اللهِ فى فحمةِ الدجى ونحن بأعلى رَحْرَحانَ وصَلْدَدِ[8]
وهُن بنا خُوصٌ طَلائحُ تغتلى بركبانها فى لَاحِبٍ متمدِّدِ[9]
على كلِّ فتلاءِ الذراعين جَسْرةٍ تمرُّ بنا مرَّ الهِجَفِّ الخَفَيْدَدِ[10]

(١) السواد : القرى . الهبوات : الغبار . (٢) النصية : خيار القوم .

(٣) القلص : الإبل الشابة . نواج : مسرعة .

(٤) المخلاف المدينة ، وما بعدها أسماء قبائل .

(٥) لعلع : مجموعة من الجبال . اليعفور ولد الظبية . صلع : مكان .

(٦) فراعها . أعاليها . وهاطها : أسافلها .

(٧) العلاف : ثمر الطلح . عافيها : ما كثر من نباتها .

(٨) حرحان وصلدد : موضعان .

(٩) الخوص : غائرات العيون . طلائح متعبة . تغتلى : تنشط فى سيرها . اللاحب : الطريق الواضح .

(١٠) الجسرة : الناقة القوية على السير . الهجف : ذكر النعام القوى وكذلك الخفيدد .

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى ... صوادرَ بالركبانِ من هَضْبِ قَرْدَدِ (١)
بأن رســـولَ اللهِ فينا مُصــدَّقٌ ... رسولٌ أتى من عندِ ذى العرشِ مهتدِى
فما حملتْ من ناقةٍ فوقَ رحلِهـا ... أشدَّ على أعـدائِه من محمـدِ
وأعطَى إذا ما طالبُ العرفِ جاءه ... وأمضَى بحدِّ المَشْرَفِىِّ المهنَّـدِ

ذكر الكذابين: مسيلمة الحنفى والأسود العنسى

قال ابن إسحاق: وقد كان تكلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابان مسيلمة ابن حبيب باليمامة فى بنى حنيفة، والأسود بن كعب العَنْسى بصنعاء.

قال ابن إسحاق: حدثنى يزيد بن عبد الله بن قُسَيط، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار، عن أبى سعيد الخدرى، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على منبره، وهو يقول: أيها الناس، إنى قد رأيت ليلة القدر، ثم أُنسيتها، ورأيت فى ذراعىَّ سوارين من ذهب، فكرهتهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن، وصاحب اليمامة.

الرسول يتحدث عن الدجالين: قال ابن إسحاق: وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا، كلهم يدعى النبوة.

خروج الأمراء والعمال على الصدقات

قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البُلدان؛ فبعث المهاجرَ بنَ أبى أمية بن المغيرة إلى صنعاء، فخرج عليه العَنْسى وهو بها، وبعث زياد بن لبيد، أخا بنى بَيَاضة الأنصارى، إلى حضرموت وعلى صدقاتها؛ وبعث عدى بن حاتم على طيىء وصدقاتها، وعلى بنى أسد؛ وبعث مالك بن نُوَيرة — قال ابن هشام: اليربوعى — على صدقات بنى حنظلة، وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم، فبعث الزِّبْرِقان بن بدر على ناحية منها، وقيس بن عاصم على ناحية، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمى على البحرين، وبعث علىَّ بنَ أبى طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران، ليجمع صدقتهم ويقدم عليه بجزيتهم.

(١) الراقصات: الإبل الراقصات، والرقص: ضرب من السير. الصوادر: الرواجع. والقردد: الأرض المرتفعة.

كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه

وقد كان مُسَيلمة بن حبيب ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : سلام عليك ؛ أما بعد ، فإنى قد أشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ، ولكن قريشا قوم يعتدون .

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نُعيم بن مسعود الأشجعى ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما .

ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى . أما بعد ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين .

وذلك فى آخر سنة عشر .

حجة الوداع

تجهز الرسول : قال ابن إسحاق : فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذى القعدة .

استعماله على المدينة أبا دجانة : قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دُجانة الساعدى ويقال : سِباع بن عُرفُطة الغفارى .

حكم الحائض فى الحج : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم ابن محمد ، عن عائشة ، قالت : لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج ، حتى إذا كان بِسَرِف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدى ، وأشراف من أشراف الناس ، أمر الناس أن يحلوا بعمرة ،

إلا من ساق الهدى ؛ قالت : وحِضتُ ذلك اليوم ، فدخل على وأنا أبكى ؛ فقال : مالك ياعائشة؟ املك نُفِسْتِ ؟ قالت : قلت : نعم ، والله لوددت أنى لم أخرج معكم عامى فى هذا السفر ؛ فقال : لاتقولن ذلك ، فإنك تقضين كل ما يقضى الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت . قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، فحل كل من كان لاهدى معه ، وحل نساؤه بعمرة ، فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير ، فطرح فى بيتى ، فقلت : ماهذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الحصبة ، بعث بى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخى عبد الرحمن بن أبى بكر فأعمرنى من التنعيم ، مكان عمرتى التى فاتتنى .

قال ابن إسحاق : وحدثنى نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن حفصة بنت عمر ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يحللن بعمرة ، قلن : فما يمنعك يارسول الله أن تحل معنا ؟ فقال : إنى أهديت ولبدت [١] ، فلا أحل حتى أنحر هديى .

موافاة على فى قفوله من اليمن رسول الله فى الحج : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نَجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث عليا رضى الله عنه إلى نجران ، فلقيه بمكة وقد أحرم ، فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنها ، فوجدها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يابنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحل بعمرة فحللنا . ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انطلق فطف بالبيت ، وحل كما حل أصحابك ؟ قال : يارسول الله إنى أهللتُ كما أهللتَ ؛ فقال : ارجع فاحلل كما حل أصحابك ؛ قال : يارسول الله ، إنى قلت حين أحرمت : اللهم إنى أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم ؛ قال : فهل معك من هَدْى ؟ قال : لا . فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هديه ، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغا من الحج ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى عنهما .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبى عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة ، قال : لما أقبل على رضى الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حُلة من البز الذى كان مع على رضى الله عنه . فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم ، فإذا عليهم الحلل ؛ قال : ويلك ! ما هذا ؟ قال : كسوته

---

(١) جعل فى رأسه صلى الله عليه وسلم صمغاً لئلا يتشعث .

القوم ليتجملوا به إذ قدموا فى الناس ؛ قال : ويلك ! انزع قبل أن تنتهى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فانتزع الحلل من الناس ، فردها فى البز ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حزم بن معمر بن حزم ، عن سليمان بن محمد ابن كعب بن عُجْرَة عن عمته زينب بنت كعب ، وكانت عند أبى سعيد الخُدْرِيّ ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : اشتكى الناس عليا رضوان الله عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيبا ، فسمعته يقول : أيها الناس ، لاتشكوا عليا ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، أو فى سبيل الله ، من أن يُشكى .

خطبة الوداع : قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التى بيّن فيها ما بين ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً ، أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلّغتُ ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لاتَظلِمون ولاتُظلَمون قضى الله أنه لاربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث ابن عبد المطلب ، وكان مسترضعا فى بنى ليث ، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يُعبد بأرضكم هذه أبدا ، ولكنه إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النسىء زيادة فى الكفر ، يُضَل به الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرّمونه عاما ، ليواطئوا عدة ما حرّم الله ، فيحلوا ماحرم الله ، ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر [1] ، الذى بين جمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا ؛ ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لايأتين

(١) رجب مضر ، إنما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم شهر رمضان ، وتسميه : رجباً من رجبت الرجل ورجبته إذا عظمته ، ورجبت النخلة إذا دعمتها ، فبين عليه السلام أنه رجب مضر لارجب ربيعة ، وأنه الذى بين جمادى وشعبان .

بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضربا غير مُبَرِّح(١) ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عَوَان (٢) لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى ، فإنى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه ، أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلَّمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم ، اللهم هل بلغت ؟

فذُكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه عباد قال: كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ، ربيعة بن أمية بن خلف قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل يأيها الناس ،إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هلا تدرون أى شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا، ثم يقول : قل يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ، قال : فيقولون البلد الحرام ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا ، قال : ثم يقول : قل : يأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم فيقولون : يوم الحج الأكبر ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا .

قال ابن إسحاق : حدثنى ليث بن أبى سليم عن شهر بن حَوْشب الأشعرى ، عن عمرو ابن خارجة قال : بعثنى عتَّاب بن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، فبلغته ، ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن لُغامها (٣) ليقع على رأسى ، فسمعته وهو يقول : أيها الناس ، إن الله أدى إلى كل ذى حق حقه ، وإنه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه

---

(١) غير مبرح : غير شديد .
(٢) عوان : أسيرات ، مفردها : عانية .
(٣) اللغام : الرغوة التى تخرج من فم الناقة

أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا.

تعاليم الرسول عليه السلام للحاج : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبل الذى هو عليه وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قُزَح (١) صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بالمنحر بمنى قال هذا المنحر ، وكل منى منحر . فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم ما فرض الله عليهم من حجهم : من الموقف ، ورمى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجهم ، وما حرم عليهم ، فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بعدها .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين .

قال ابن إسحاق : ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثا إلى الشام ، وأمّر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه وأمره أن يوطىء الخيل تُخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب (٢) مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

قال ابن هشام : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به عن أبى بكر الهُذَلى قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التى صد عنها يوم الحديبية ، فقال : أيها الناس إن الله قد بعثنى رحمة وكافة ، فلا تختلفوا علىّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم ، فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يارسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مبعثا قريبا فرضى وسَلم ، وأما من بعثه مبعثا بعيدا فكره وجهه وتثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التى بعث إليها .

---

(١) قزح : جبل بالمزدلفة .

(٢) أوعب : اجتمع .

أسماء الرسل وأسماء من أرسل إليهم : فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتبا إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دِحْيَة بن خليفة الكلبي إلى قيصر ، ملك الروم ، وبعث عبد الله بن حُذافة السَّهمي إلى كسرَى ، ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضَّمْري إلى النجاشي ، ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبي بَلْتَعة إلى المقوقس ، ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السهمي إلى جَيْفَر وعياذ ابني الجُلَندى الأزديين ، مَلِكَيْ عُمَان ، وبعث سَليط بن عمرو ، أحد بني عامر بن لؤي ، إلى ثُمامة بن أُثال ، وهَوْذة بن على الحنفيين ، مَلِكَيْ اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوَى العبدى ، ملك البحرين ، وبعث شُجَاع بن وهب الأسدى إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ، ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شجاع بن وهب إلى جَبَلَة بن الأيهم الغساني ، وبعث المهاجر بن أبي أمية المخزومي إلى الحارث بن عبد كُلَال الحِمْيرى ، ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نَسيتُ سَليطا وثُمامة وهَوْذة والمنذر .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصرى : أنه وجد كتابا فيه ذكر من بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهرى فعرفه ، وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثني رحمة وكافة ، فأدوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا عليَّ كما اختلف الحواريون على عيسى ابن مريم ، قالوا : وكيف يارسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل مادعوتكم له ، فأما من قَرُب به فأحب وسلم ، وأما من بَعُد به فكرهه وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم .

أسماء رسل عيسى : قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع ، الذين كانوا بعدهم في الأرض : بطرس الحَوَارِى ، ومعه بُولُس ، وكان بولس من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين إلى رومية ، وأنْدَرائس ومَنْتا إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس ، وتوماس إلى أرض بابل ، من أرض المشرق ، وفيلبس إلى أرض قرطاجَنَّة وهي إفريقية ، ويُحنَّس ، إلى أفسُوس ، قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبُس إلى أورشليم وهي إيلياء ، قرية بيت المقدس ، وابن ثَلْماء إلى الأعرابية ، وهي أرض الحجاز ، وسَيمُن إلى أرض البربر ، ويهوذا ، ولم يكن من الحواريين ، جعل مكان يُودِس .

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد ابن إسحاق المطلبى : وكان جميع ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين غزوة منها ، غزوة وَدَّان ، وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بُوَاط ، من ناحية رَضْوَى ، ثم غزوة العُشَيْرة ، من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كُرْز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التى قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بنى سُلَيم ، حتى بلغ الكُدْر ، ثم غزوة السويق ، يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غَطَفَان ، وهى غزوة ذى أَمَرّ ، ثم غزوة بحران ، معدن بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بنى النضير ، ثم غزوة ذات الرِّقاع من نَخْل ، ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دُومَة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بنى قريظة ، ثم غزوة بنى لَحْيان ، من هُذَيل ، ثم غزوة ذى قَرَد ، ثم غزوة بنى المصطلق من خزاعة ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالا ، فصده المشركون ، ثم غزوة خَيْبر ، ثم غزوة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ثم غزوة تَبوك . قاتل منها فى تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانيا وثلاثين ، من بين بعث وسَرِيَّة : غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذى المروة ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر ، من ناحية العيص ؛ وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة ؛ وغزوة سعد بن أبى وقاص الخَرَّار ، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القَرَدَة ، وغزوة محمد بن مسلمة : كعب بن الأشرف ، وغزوة مَرْثد بن أبى مرثد الغَنَوى الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة ، وغزوة أبى عبيدة بن الجراح ذا القَصَّة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تُربة من أرض بنى عامر ، وغزوة على بن أبى طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى ، كلب ليث ، الكَدِيد ، فأصاب بنى الملوَّح .

غزوة غالب بن عبد الله الليثى بنى الملوح : وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثنى عن مسلم بن عبد الله بن خُبَيْب الجهنى ، عن المنذر ، عن جندب بن مُكَيْث الجهنى ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبى ، كلب بن عوف بن ليث ، فى سَرِيَّة كنت فيها ، وأمره أن يشن الغارة على بنى الملوح ، وهم بالكَدِيد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثى ، فأخذناه ، فقال: إنى جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقلنا له : إن تك مسلما فلن يضيرك رباط ليلة ، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشددناه رباطا ، ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازَّك[1] فاحتز رأسه .

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ، فكنا فى ناحية الوادى ، وبعثنى أصحابى ربيئة[2] لهم ، فخرجت حتى آتى تلا مشرفا على الحاضر[3] ، فأسندت فيه[4] ، فعلوت على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إنى لمنبطح على التل ، إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إنى لأرى على التل سوادا ما رأيته فى أول يومى ، فانظرى إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئا ، لاتكون الكلاب جرت بعضها ؛ قال : فنظرت ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئا ؛ قال : فناولينى قوسى وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهما ، فوالله ما أخطأ جنبى ، فأنزعه ، فأضعه ، وثَبَتُّ مكانى ، قال : ثم أرسل الآخر ، فوضعه فى منكبى ، فأنزعه فأضعه ، وثبت مكانى ، فقال لامرأته : لو كان ربيئة لقوم لقد تحرك ، لقد خالطه سهماى لا أبا لك ، إذا أصبحت فابتغيهما ، فخذيهما ، لا يمضغهما علىَّ الكلاب . قال : ثم دخل .

قال : وأمهلناهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان فى وجه السحر ، شننا عليهم الغارة ، قال : فقتلنا ، واستقنا النعم ، وخرج صريخ القوم ، فجاءنا دَهْم[5] لاقبل لنا به ، ومضينا بالنَّعم ، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ؛ قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال : فما بيننا وبينهم إلا وادى قديد ، فأرسل الله الوادى بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من

---

(١) عازك : غالبك .

(٢) الربيئة : الطليعة الذى يتجسس الأخبار .

(٣) الحاضر : من ينزلون على الماء . (٤) أسندت : ارتفعت .

(٥) الدهم : الجماعة الكثيرة .

غير سحابة نراها ، ولا مطر ، لجاء بشيء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يجاوزه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنا لنسوق نعمهم ، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ، ونحن نحـــدوها سراعا ، حتى فُتْناهم ، فلم يقدروا على طلبنا .

قال : فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من أسلم ، عن رجل منهم : أن شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة : أمِت أمِت . فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها :

أبى أبو القاسم أن تَعَزَّبِى في خَضِلٍ نباتُه مُغْلَوْلِبِ[٢]

صفرٍ أعاليه كلونِ المُذْهَبِ

قال ابن هشام : ويروى : « كلون الذهب » .

تم خبر الغزاة ، وعدت إلى ذكر تفاصيل السرايا والبعوث .

تعريف ببعض الغزوات : قال ابن إسحاق : وغزوة على بن أبى طالب رضى الله عنه بنى عبدالله بن سعد من أهل فَدَك ؛ وغزوة أبى العوجاء السلمى أرض بنى سُليم ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا ؛ وغزوة عُكّاشة بن مِحْصَن الغَمْرَة ؛ وغزوة أبى سلمة بن عبد الأسد قَطَنًا ، ماء من مياه بنى أسد ، من ناحية نجد ، قتل بها مسعود بن عروة ، وغزوة محمد بن مَسلمة ، أخى بنى حارثة ، القُرَطاء من هوازن ؛ وغزوة بشير بن سعد بنى مرة بفَدَك ، وغزوة بشير بن سعد ناحية خيبر ، وغزوة زيد بن حارثة الجَموم من أرض بنى سُليم ، وغزوة زيد بن حارثة جُذام ، من أرض خُشَيْن .

قال ابن هشام : عن نفســه ، والشافعى عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق : من أرض حِسْمَى .

غزوة زيد بن حارثة إلى جذام : قال ابن إسحاق : وكان من حديثها كما حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُذَام كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجذامى ، لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن قدم دِحْية ابن خليفة الكلبى من عند قيصر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه

(٢) تعزبى : تغيبى فى المرعى . الخضل : الأخضر المبتل . المغلولب : الكثير .

ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بواد من أوديتهم يقال له شِنَار ، أغار على دحية بن خليفة الهُنَيد ابن عُوص ، وابنه عوص بن الهنيد الضُّلَعِيَّان - والضُّلَيْع : بطن من جُذام - ، فأصابا كل شيء كان معه ، فبلغ ذلك قوما من الضُّبَيْب ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بنى الضبيب النعمان بن أبى جعال ، حتى لقوهم ، فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قُرَّة بن أشقر الضُّفاوى ثم الضلعى ، فقال : أنا ابن لبنى ، ورمى النعمان بن أبى جعال بسهم ، فأصاب ركبته ؛ فقال حين أصابه : خذها وأنا ابن لبنى ، وكانت له أم تدعى لبنى ، وقد كان حسان بن مِلة الضبيبى قد صحب دِحية بن خليفة قبل ذلك ، فعلمه أم الكتاب .

قال ابن هشام : ويقال : قرة بن أشقر الضفارى ، وحيان بن ملة .

قال ابن إسحاق : حدثنى من لا أتهم ، عن رجال من جُذام ، قال : فاستنقذوا ما كان فى يد الهنيد وابنه ، فردوه على دِحية ، فخرج دِحية ، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره خبره ، واستسقاه دم الهنيد وابنه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذى هاج غزوة زيدٍ جُذامَ ، وبعث معه جيشا ، وقد وجهت غطفان من جذام ووائل ومن كان من سَلامان وسعد بن هُذيم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزلوا الحرة ؛ حرة الرجلاء ، ورفاعة بن زيد بكراع رِبَّة ، لم يعلم ومعه ناس من بنى الضبيب ، وسائر بنى الضبيب بوادى مدان ، من ناحية الحَرَّة ، مما يسيل مشرقا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأوْلاج ، فأغار بالماقِص من قِبل الحرة ، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بنى الأخيف .

قال ابن هشام : من بنى الأحنف .

قال ابن إسحاق فى حديثه : ورجلا من بنى الخَصِيب . فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بفَيْفاء مدانٍ ركب نفر منهم ، وكان فيمن ركب معهم حسان بن مِلة ، على فرس لسويد بن زيد ، يقال لها العَجَاجة ، وأُنيف بن ملة على فرس لملة يقال لها : رِغال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال له لها شَمِر ، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد وحسان لأنيف بن ملة : كف عنا وانصرف ، فإنا نخشى لسانك ، فوقف عنهما ، فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثب ، فقال : لأنا أضن بالرجلين منك بالفرسين ، فأرخى لها ، حتى أدركهما ، فقالا له : أما إذا فعلت ما فعلت فكف عنا لسانك ، ولا تشأمنا اليوم ، فتواصوا أن لا يتكلم منهم إلا حسان بن ملة ، وكانت بينهم كلمة فى الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد

أحدهم أن يضرب بسيفه قال : بورى أو ثورى ؛ فلما برزوا على الجيش ، أقبل القوم يبتدرونهم فقال لهم حسان : إنا قوم مسلمون ، وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدهم ، فأقبل يسوقهم ، فقال أنيف : بورى ، فقال حسان : مهلا . فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد فاقرءوا أم الكتاب ، فقرأها حسان ، فقال زيد بن حارثة : نادوا في الجيش أن الله قد حرم علينا ثُغْرَة(١) القوم التي جاءوا منها إلا من ختر(٢) .

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حسان بن ملة ، وهي امرأة أبي وبر بن عدى بن أمية بن الضبيب في الأسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأخذت بحقويه(٣) فقالت أم الفزر الضّلَعية : أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم ؟ فقال أحد بنى الخصيب : إنها بنو الضبيب وسحر ألسنتهم سائر اليوم ، فسمعها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، ففكت يداها من حقويه ، وقال لها : اجلسى مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه ، فرجعوا ، ونهى الجيش أن يهبطوا إلى واديهم الذى جاءوا منه ؛ فأمسوا في أهليهم ، واستعتموا ذَوْدا(٤) لسويد ابن زيد ، فلما شربوا عتمتهم(٥) ركبوا إلى رفاعة بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلة : أبو زيد بن عمرو ، وأبو شماس بن عمرو ، وسُوَيد بن زيد ، وبعجة بن زيد ، وبرذع ابن زيد ، وثعلبة بن زيد ، ومُخرِّبة بن عدى ، وأنيف بن ملة ، وحسان بن ملة ، حتى صبّحوا رفاعة بن زيد بكُراع ربّة ، بظهر الحرة ، على بئر هنالك من حرة ليلى ، فقال له حسان بن ملة : إنك لجالس تحلب المعزَى ونساء جُذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به ، فدعا رفاعة ابن زيد بجمل له ، فجعل يشد عليه رحله وهو يقول :

هل أنت حيّ أو تنادى حيا

ثم غدا وهم معه بأمية بن ضفارة أخى الخصيبى المقتول ، مبكرين من ظهر الحرة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ، فلما دخلوا المدينة ، وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لا تنيخوا إبلكم ، فتقطع أيديهن ، فنزلوا عنهن وهن قيام ، فلما دخلوا على

---

(١) الثغرة : ما يحمونه من جانبهم . (٢) ختر : نقض العهد .

(٣) حقويه : خصريه . (٤) استعتموا : انتظروا إلى العتمة . الذود : جماعة الإبل ما بين الثلاثة إلى العشرة .

(٥) عتمتهم : لبنهم الذى يشربونه في العتمة .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ألاح[1] إليهم بيده : أن تعالوا من وراء الناس ، فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق ، قام رجل من الناس فقال : يارسول الله ، إن هؤلاء قوم سحرة. فرددها مرتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يحذُنا[2] فى يومه هذا إلا خيرا . ثم دفع رفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان كتبه له . فقال : دونك يا رسول الله قديما كتابُه ، حديثا غَدْره . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأه ياغلام ، وأعلن ، فلما قرأ كتابه استخبره ، فأخبروهم الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع بالقتلى ؟ — ثلاث مرات — . فقال رفاعة : أنت يا رسول الله أعلم ، لا نحرم عليك حلالا ، ولا نحلل لك حراما ، فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يا رسول الله من كان حيا ، ومن قتل فهو تحت قدمى هذه؛فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق أبو زيد ، اركب معهم يا على ، فقال له على رضى الله عنه : إن زيدا لن يطيعنى يا رسول الله ، قال : فخذ سيفى هذا ، فأعطاه سيفه ، فقال على : ليس لى يا رسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثعلبة ابن عمرو ، يقال له مِكحال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وبر ، يقال لها : الشَّمِر ، فأنزلوه عنها ، فقال : يا على ، ما شأنى ؟ فقال : مالهم عرفوه فأخذوه ، ثم ساروا فلقوا الجيش بفيْفاء الفحلتين ، فأخذوا ما فى أيديهم ، حتى كانوا ينزعون لُبَيْد المرأة من تحت الرحل ، فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم :

وعاذلةٍ ولم تَعْذِلْ بِطِبٍّ ... ولولا نحن حُشَّ بها السعير[3]
تدافعُ فى الأسارَى بابنتيها ... ولا يُرجَى لها عِتقٌ يسير
ولو وُكِلَتْ إلى عُوصٍ وأوسٍ ... لحارَ بها عن العتقِ الأمور[4]
ولو شهِدتْ ركائبَنا بمصرٍ ... تحاذِرُ أن يُعَلَّ بها المسير[5]
وردنا ماءَ يثربَ عن حِفاظٍ ... لرِبْعٍ إنه قَرَبٌ ضرير[6]
بكلِّ مُجرَّبٍ كالسِّيدِ نَهْدٍ ... على أقتادِ ناجيةٍ صبور[7]

---

(١) ألاح : أشار . (٢) لم يحذنا : لم يعطنا .
(٣) بطب : برفق . (٤) حار : رجع .
(٥) يعل : يكرر . (٦) الربع : ورود الإبل إلى الماء لأربعة أيام . القرب : السير فى طلب الماء . ضرير : مضر .
(٧) السيد : الذئب . النهد : الغليظ . أقتاد : أدوات الرحل . الناجية : أى ناقة صبور .

فِدًى لأبى سُلَيْمَى كلُّ جيشٍ بيثربَ إذ تناطحت النحورُ
غداةَ ترى المجرَّبَ مستكينا خلافَ القومِ هامتُه تدور

قال ابن هشام : قوله : « ولا يرجى لها عتق يسير » . وقوله : « عن العتق الأمور » عن غير ابن إسحاق .

تمت الغزاة ، وعدنا إلى تفصيل ذكر السرايا والبعوث .

غزوة زيد الطرف : قال ابن اسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضا الطَّرَف من ناحية نخل من طريق العراق .

غزوة زيد بن حارثة بنى فزارة : وغزوة زيد بن حارثة أيضا وادى القرى ؛ لقى به بنى فزارة ، فأصيب بها ناس من أصحابه ، وارتُثّ[1] زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مَدَاش ، وكان أحد بنى سعد بن هذيل ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن هشام : سعد بن هُذَيم .

قال ابن إسحاق : فلما قدم زيد بن حارثة آلى أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فَزَارة ، فلما استبلّ من جراحته بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة فى جيش ، فقتلهم بوادى القرى ، وأصاب فيهم ، وقتل قيسُ بن المسَحّر اليَعْمُرى مَسْعَدةَ بن حَكَمة بن مالك ابن حذيفه بن بدر ، وأسرت أم قِرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، كانت عجوزا كبيرة عند مالك بن حذيفة بن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مَسْعَدة . فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة ، فقتلها قتلا عنيفا ، ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة وبابن مَسْعدة .

وكانت بنت أم قرفة لسَلَمة بن عمرو بن الأكوع ، كان هو الذى أصابها ، وكانت فى بيت شرف من قومها ، كانت العرب تقول : « لو كنت أعز من أم قرفة ما زدت » . فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة ، فوهبها له ، فأهداها لخاله حَزْن بن أبى وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حَزْن .

فقال قيس بن المسحّر فى قتل مَسْعَدة :

سَعَيتُ بوَرْدٍ مثـلَ سعي ابن أمّه وإنى بوَرْدٍ فى الحياةِ لثائرُ[2]

---

(١) ارتث : حمل جريحا من المعركة وبه رمق . (٢) الثائر : الآخذ بثأره .

كررتُ عليه المهرَ لما رأيتُه ... على بطلٍ من آلِ بدرٍ مُغاوِرِ
فركّبتُ فيه قَعْضَبِيا كأنه ... شهابٌ بمَعراةٍ يُذَكّى لناظرِ(١)

غزوة عبدالله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام: وغزوة عبد الله بن رَوَاحة خيبر مرتين : إحداهما التى أصاب فيها اليُسَيْر بن رِزَام . قال ابن هشام : ويقال بن رازم .

وكان من حديث اليسير بن رِزَام أنه كان بخيبر يجمع غَطَفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رَوَاحة فى نفر من أصحابه، منهم عبد الله بن أُنيس ، حليف بنى سلمة ؛ فلما قدموا عليه كلموه ، وقربوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به ، حتى خرج معهم فى نفر من يهود ، فحمله عبدالله بن أنيس على بعيره ، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر، على ستة أميال، ندم اليُسَير بن رزام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطن به عبدالله ابن أنيس، وهو يريد السيف ، فاقتحم به ، ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليُسَير بمِخْرش(٢) فى يده من شَوْحَط(٣) ، فأمّه(٤) ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحدا أفلت على رجليه ، فلما قدم عبد الله ابن أُنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل على شجته ، فلم تَقِح ولم تؤذه .

غزوة بن عتيك خيبر: وغزوة عبدالله بن عتيك خيبر ، فأصاب بها أبا رافع بن أبى الحقيق .

غزوة عبدالله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى : وغزوة عبدالله بن أُنيس خالد بن سفيان بن نُبَيح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلة أو بعُرَنة ، يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ليغزوه ، فقتله .

---

(١) قعضبيا : سنانا منسوبا إلى قعضب ، رجل كان يصنعها . معراة : مكان لا يستره شىء . يذكى: يشعل .

(٢) المخرش : عصا معقوفة . (٣) الشوحط : نوع من الشجر .

(٤) أمه : أصاب أم رأسه .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال عبدالله بن أنيس : دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه قد بلغني أن ابن سفيان بن نُبَيح الهُذلي يجمع لي الناس ليغزوني ، وهو بنخلة ، أو بعُرَنة ، فأته فاقتله . قلت : يارسول الله ، انعته لي حتى أعرفه . قال إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة . قال : فخرجت متوشحا سيفي ، حتى دفعت إليه وهو في ظعن[1] يرتاد لهن منزلا ، وحيث كان وقت العصر ؛ فلما رأيته وجدت ماقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بيني وبينه مجاولة تشغلني عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشي نحوه ، أومىء برأسي ، فلما انتهيت إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، لجاءك لذلك . قال : أجل ، إني لفي ذلك . قال : فمشيت معه شيئا ، حتى إذا أمكنني حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظعائنه منكبات عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآني ، قال : أفلح الوجه ؛ قلت : قد قتلته يارسول الله . قال : صدقت .

ثم قام بي ، فأدخلني بيته ، فأعطاني عصا ، فقال : أمسك هذه العصا عندك ياعبدالله بن أنيس . قال: فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرني أن أمسكها عندي . قالوا : أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله لم ذلك؟ قال ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت : يارسول الله ،لم أعطيتني هذه العصا ؟ قال : آية بيني وبينك يوم القيامة . إن أقلّ الناس المتخصّرون[2] يومئذ ، قال : فقرنها عبدالله بن أنيس بسيفه،فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمت في كفنه، ثم دفنا جميعا .

قال ابن هشام : وقال عبدالله بن أنيس في ذلك :

تركت ابنَ ثورٍ كالحُوارِ وحولَه ... نوائحُ تفري كلَّ جيبٍ مُقدَّدِ[3]
تناولتُه والظُّعنُ خلفي وخلفَه ... بأبيضَ من ماءِ الحديدِ مهنَّدِ[4]

---

(١) الظعن : النساء في الهوادج .

(٢) المتخصرون : المتكئون على المخاصر . والمخاصر . مفردها مخصرة العصا .

(٣) الحوار : ولد الناقة . تفري : تقطع .

(٤) الظعن : الهوادج ، فيها النساء .

عجوم لهام الدارعين كأنه ... شهابُ غضًى من مُلهَبٍ متوقد[1]
أقول له والسيف يعجم رأسه ... أنا ابن أنيس فارسا غير قعدد[2]
أنا ابن الذى لم يُنزلِ الدهرُ قدرَه ... رحيبُ فِناءِ الدارِ غيرُ مزنَّد[3]
وقلت له خذها بضربةِ ماجدٍ ... حنيفٍ على دينِ النبىِّ محمد
وكنتُ إذا همَّ النبىُّ بكافرٍ ... سبقتُ إليه باللسانِ وباليد

تمت الغزاة ، وعدنا إلى خبر البعوث .

بعض غزوات أخر : قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبدالله بن رواحة مؤتة من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعا ، وغزوة كعب بن عمير الغفارى ذات أطلاح ، إلى أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعا ، وغزوة عُيَينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بنى العنبر من بنى تميم .

غزوة عيينة بن حصن بنى تميم : وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناسا ، وسبى منهم أناسا .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إن علىَّ رقبة من ولد إسماعيل . قال : هذا سبى بنى العنبر يقدم الآن ، فنعطيك منهم إنسانا فتعتقينه .

قال ابن إسحاق . فلما قُدم بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ركب فيهم وفد من بنى تميم ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم ربيعة بن رُفَيع ، وسَبْرة بن عمرو والقعقاع بن مَعْبَد ، ووَرْدان بن مُحرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وفِرَاس بن حابس ؛ فكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ؛ فأعتق بعضا ، وأفدى بعضا ، وكان ممن قتل يومئذ من بنى العنبر : عبدالله وأخوان له ، بنو وهب ، وشداد ابن فِراس ، وحنظلة بن دارم ، وكان ممن سبى من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكأس بنت أرىّ ، ونجوة بنت نَهد ، وجُميعة بنت قيس ، وعَمرة بنت مطر . فقالت فى ذلك اليوم سلمى بنت عتّاب :

---

(١) عجوم : عضوض . الغضى : شجر سريع الالتهاب .
(٢) غير قعدد : غير لئيم .
(٣) المزند : البخيل .

لعمرى لقد لاقت عدىُّ بنُ جُندَب ... من الشرِّ مَهواةً شديداً كَئُودُها (١)
تكنَّفها الأعداءُ من كلِّ جانبٍ ... وغُيِّب عنها عزُّها وجُدودُها (٢)

قال ابن هشام : وقال الفرزدق فى ذلك :

وعندَ رسولِ اللهِ قام ابنُ حابسٍ ... بخُطةِ سَوَّارٍ إلى المجدِ حازمِ (٣)
له أطلق الأسرى التى فى حبالِه ... مغلَّلةً أعناقُها فى الشكائمِ
كفى أمّهاتِ الخالفين عليهمُ ... غِلاءَ المُفادِى أوسهامَ المَقاسِمِ (٤)

وهذه الأبيات فى قصيدة له . وعدى بن جُندَب من بنى العنبر ، والعنبر بن عمرو بن تميم .

غزوة غالب بن عبدالله أرض بنى مرة : قال ابن اسحاق : وغزوة غالب بن عبدالله الكلبى كلب ليث ـ أرض بنى مرة ، فأصاب بها مِرداس بن نَهيك ، حليفا لهم من الحُرَقة ، من جُهَينة ، قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن هشام : الحُرَقة ، فيما حدثنى أبو عبيدة .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال . أدركته أنا ورجل من الأنصار فلما شهرنا عليه السلاح ، قال أشهد أن لاإله إلاالله . قال : فلم ننزع عنه حتى قتلناه ؛ فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره ؛ فقال : ياأسامة ، من لك بلاإله إلاالله ؟ قال : قلت : يارسول الله ، إنه إنما قالها تعوذا بها من القتل . قال : فمن لك بها ياأسامة ؟ قال : فوالذى بعثه بالحق مازال يرددها علىَّ حتى لوددت أن ما مضى من إسلامى لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ؛ قال : قلت : أنظرنى يارسول الله ، إنى أعاهد الله أن لاأقتل رجلا يقول لاإله إلاالله أبدا ، قال: تقول بعدى ياأسامة ؛ قال: قلتُ بعدك .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل : وغزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عُذرة . وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه يستنفر العرب إلى الشام . وذلك أن أم العاص ابن وائل كانت امرأة من بَلِىٍّ ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جُذام يقال له السلْسَل ، وبذلك سميت تلك الغزوة غزوة ذات السلاسل ؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمده ،

---

(١) المهواة : المكان المنخفض بين جبلين . الكئود : الصعبة .
(٢) الجدود : الحظوظ . (٣) الخطة : الخصلة . السوار : الوثاب
(٤) الخالفين : المتخلفين .

فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أباعبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر ؛ وقال لأبى عبيدة حين وجهه : لاتختلفا ، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو إنما جئت مددا لى ؛ قال أبو عبيدة : لا ، ولكنى على ماأنا عليه ، وأنت على ماأنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلا لينا سهلا، هينا عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لى ؛ فقال أبو عبيدة ياعمرو ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى لاتختلفا ، وإنك إن عصيتنى أطعتك ؛ قال : فإنى الأمير عليك ، وأنت مدد لى ، قال : فدونك . فصلى عمرو بالناس .

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رافع بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرأ نصرانيا ، وسميت سَرْجِس، فكنت أدلّ الناس وأهداهم بهذا الرمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أغير على إبل الناس ، فإذا أدخلتها الرمل غلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمر بذلك الماء الذى خبأت فى بيض النعام فأستخرجه ، فأشرب منه ؛ فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فقلت : والله لأختارن لنفسى صاحبا ، قال : فصحبت أبابكر ، قال : فكنت معه فى رحله ، قال : وكانت عليه عباءة له فدكية ، فكان إذا نزلنا بسطها وإذا ركبنا لبسها ، ثم شكها عليه بخلال له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفارا : نحن نبايع ذا العباءة ؟! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال قلت : ياأبابكر ، إنما صحبتك لينفعنى الله بك ، فانصحنى وعلمنى ، قال :لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال آمرك أن توحد الله ولاتشرك به شيئا ، وأن تقيم الصلاة ، وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولاتتأمر على رجل من المسلمين أبدا . قال : قلت : ياأبابكر ، أما أنا والله فإنى أرجو أن لا أشرك بالله أحدا أبدا ، وأما الصلاة فلن أتركها أبدا إن شاء الله ، وأما الزكاة فإن يك لى مال أؤدها إن شاء الله ، وأما رمضان فلن أتركه أبدا إن شاء الله ، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى ، وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فإنى رأيت الناس يا أبا بكر لايشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلم تنهانى عنها؟ قال : إنك إنما استجهدتنى لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك : إن الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعا وكرها ، فلما دخلوا فيه كانوا عُوّاذ الله وجيرانه ، وفى ذمته فإياك لاتُخْفِر الله (١) فى جيرانه فيتبعك الله فى خُفرته ، فإن أحدكم

(١) لاتخفر الله : لا تنقض عهده .

مخفَّر فى جاره ، فيظل ناتئا عَضَلَهُ غضبا لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير ، فالله أشد غضبا لجاره .
قال : ففارقته على ذلك .

قال : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأُمِّر أبو بكر على الناس ، قال : قدمت عليه ، فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتنى عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ؛ قال : فقلت له : فما حملك على أن تلى أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بُدا ، خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة

قال ابن إسحاق : أخبرنى يزيد بن أبى حبيب أنه حدث عن عوف بن مالك الأشجعى ، قال : كنت فى الغزاة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فصحبت أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها ، وهم لا يقدرون على أن يُعَضُّوها (١) ، وقال : وكنت امرأً لبقا جازرا ، قال ؛ فقلت : أتعطونى منها عشيرا (٢) على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشفرتين ، فجزأتها مكانى ، وأخذت منها جزءا ، فحملته إلى أصحابى ، فاطبخناه فأكلناه . فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما : أنَّى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ؛ فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيآن ما فى بطونهما من ذلك ؛ قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فجئته وهو يصلى فى بيته ؛ قال فقلت : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ؛ قال : أعوف بن مالك ؟ قال : قلت نعم ، بأبى أنت وأمى ؛ قال : أصاحب الجزور ؟ ولم يزدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك شيئا .

غزوة ابن أبى حدرد بطن إضم وقتل عامر بن الأضبط الأشجعى : قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن القعقاع بن عبد الله بن أبى حدرد ، عن أبيه عبد الله بن أبى حدرد ، قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم فى نفر من المسلمين ، فيهم أبو قَتادة الحارث بن رِبعى ، ومُحَلِّم بن جثَّامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم ، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعى ، على قعود له ومعه مُتَيِّع (٣) له ، ووطب من لبن (٤) . قال : فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جَثَّامة ، فقتله لشىء كان بينه وبينه ،

---

(١) يعضوها : يقتسموها أجزاء . (٢) العشير : جزء من عشرة أجزاء .
(٣) المتيع : تصغير متاع . (٤) الوطب : وعاء اللبن .

وأخذ بعيره ، وأخذ متيعه . قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر ، نزل فينا : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السَّلَم لست مؤمنا ، تبتغون عرض الحياة الدنيا » . . . إلى آخر الآية .

قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلامَ لست مؤمنا ». لهذا الحديث .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد بن ضُمَيرة بن سعد السُّلَمى يحدث عن عروة بن الزبير عن أبيه ، عن جده ، وكانا شهدا حُنينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم عمد إلى ظل شجرة ، فجلس تحتها ، وهو بحنين ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، يختصمان فى عامر بن أضبط الأشجعى : عيينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غَطفان ، والأقرع بن حابس يدفع عن مُحلِّم بن جَثَّامة ، لمكانه من خِندِف ، فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نسمع ، فسمعنا عيينة بن حصن وهو يقول : والله يارسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرقة مثل ما أذاق نسائى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا وخمسين إذا رجعنا، وهو يأبى عليه ، إذ قام رجل من بنى ليث ، يقال له : مُكيتر ، قصير مجموع — قال ابن هشام : مكيتل — فقال : والله يارسول الله ماوجدت لهذا القتيل شبها فى غرة الإسلام (١) إلا كغنم وردت فرميت أولاها ، فنفرت أخراها ، اسْنُن اليوم ، وغيِّر غدا قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده . فقال : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال فقبلوا الدية . قال ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فقام رجل آدم (٢) ضَرْب (٣) طويل ، عليه حلة له ، قد كان تهيأ للقتل فيها ، حتى جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا مُحلِّم بن جثَّامة ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم قال : اللهم لاتغفر لمحلم بن جثامة ثلاثا . فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه . قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له ، وأما ما ظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا .

---

(١) غرة الإسلام : أوله .

(٢) الآدم : الأسمر . (٣) ضَرْب : خفيف اللحم .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم عن الحسن البصري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : أمّنته بالله ثم قتلته !؟ ثم قال له المقالة التي قال . قال : فوالله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعا حتى مات ، فلفظته ـ والذي نفس الحسن بيده ـ الأرض ثم عادوا له فلفظته الأرض ، ثم عادوا فلفظته فلما غُلب قومه عمدوا إلى صُدَّين [1] فسطحوه بينهما ، ثم رضَموا عليه الحجارة حتى واروه . قال . فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم في حُرَم ما بينكم بما أراكم منه .

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حُدث : أن عيينة بن حصن وقيسا حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم ، يا معشر قيس ، منعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتيلا يستصلح به الناس ، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيلعنكم الله بلعنته ، أو أن يغضب عليكم فيغضب الله عليكم بغضبه ؟ والله الذي نفس الأقرع بيده لتسلمنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصنعن فيه ما أراد ، أو لآتين بخمسين رجلا من بني تميم يشهدون بالله كلهم ، لقُتل صاحبكم كافرا ؟ ما صلى قط ، فلأطلن دمه [2] فلما سمعوا ذلك ، قبلوا الدية .

قال ابن هشام : محلم في هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق ، وهو مُحَلّم بن جَثّامة بن قيس الليثي .

وقال ابن إسحاق : ملجّم ، فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبي حدرد لقتل رفاعة بن قيس الجشمي : قال ابن إسحاق : وغزوة ابن أبي حدرد الأسلمي الغابة .

وكان من حديثها فيما بلغني ، عمن لا أتهم ، عن ابن أبي حدرد ، قال : تزوجتُ امرأة من قومي ؟ وأصدقتها مائتي درهم ، قال : فجئت رسول الله صلى الله وسلم أستعينه على نكاحي ؛ فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مائتي درهم يارسول الله ، قال : سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد مازدتم . والله ماعندي ما أعينك به : قال : فلبثت أياما ، وأقبل رجل من بني جُشَم ، يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة ، في بطن عظيم من بني جشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيسا على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) صدين : جبلين .

(٢) أطلن دمه : أجعل دمه باطلا فلا يؤخذ بثأره .

وكان ذا اسم فى جشم وشرف . قال : فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معى من المسلمين ، فقال: اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدم لنا شارفا[١] عجفاء فحمل عليها أحدنا ، فوالله ما قامت به ضعفا حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وما كادت ثم قال : تبلّغوا عليها واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النّبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريبا من الحاضر عُشَيْشِيَة[٢] مع غروب الشمس . قال : كمنت فى ناحية ، وأمرت صاحبىّ ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم ؛ وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبرت وشددت فى ناحية العسكر فكبرا وشدا معى . قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر غِرة[٣] القوم ، أو أن نصيب منهم شيئا . قال : وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح فى هذا البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه . قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله فى عنقه ، ثم قال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا ، ولقد أصابه شر ؛ فقال له نفر ممن معه : والله لا تذهبْ ، نحن نكفيك؛ قال : والله لايذهب إلا أنا ، قالوا : فنحن معك، قال : والله لايتبعنى أحد منكم. قال : وخرج حتى يمر بى . قال : فلما أمكننى نفحته بسهمىّ ، فوضعته فى فؤاده . قال : فوالله ما تكلم ، ووثبت إليه ، فاحتززت رأسه . قال : وشددت فى ناحية العسكر ، وكبرت ، وشد صاحباى وكبرا . قال : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه ، عندك ، عندك ، بكل ما قدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وما خف معهم من أموالهم . قال : واستقنا إبلا عظيمة ، وغنما كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وجئت برأسه أحمله معى . قال : فأعاننى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيرا فى صداق ، فجمعتُ إلىّ أهلى .

غزوة عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ،

---

(١) الشارف : الناقة المسنة .
(٢) عشيشية : تصغير عشية على غير القياس .
(٣) الغرة : الغفلة .

وحذيفة بن اليمان ، وأبو سعيد الخدرى ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل فتى من الأنصار ، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس ، فقال : يارسول الله ، صلى الله عليك ، أى المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقا ؛ قال : فأى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكرا للموت ، وأحسنهم استعدادا له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكت الفتى ، وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يامعشر المهاجرين ، خمس خصال إذا نزلن بكم-وأعوذ بالله أن تدركوهن - إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يُعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع ، التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ؛ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين [1] وشدة المؤنة وجَور السلطان ؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، فلولا البهائم ما مطروا ؛ وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم ، فأخذ بعض ما كان فى أيديهم ، وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم .

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس [2] سوداء ، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ثم نقضها ، ثم عممه بها ، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحوا من ذلك ، ثم قال : هكذا يابن عوف فاعتم ، فإنه أحسن وأعرف ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء . فدفعه إليه ، فحمد الله تعالى . وصلى على نفسه ، ثم قال : خذه يابن عوف ، اغزوا جميعا فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لاتَغُلوا [3] ولا تغدروا ، ولا تُمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم . فأخذ عبد الرحمن ابن عوف اللواء .

قال ابن هشام : فخرج إلى دُومَة الجندل .

غزوة أبى عبيدة بن الجراح إلى سيف البحر [4] : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه ، عن جده عبادة بن الصامت ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سَرِيّة إلى سيف البحر ، عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، وزودهم جرابا من تمر ، فجعل يقوتهم إياه ، حتى صار إلى أن يعده عليهم عددا ، قال : ثم نفد التمر حتى كان يعطى كل

---

(١) السنين : الجدب . (٢) الكرابيس : الأقطان . واحده كربوس .
(٣) لا تغلوا : لا تخونوا فى المغنم . (٤) سيف البحر : جانبه وساحله .

رجل منهم كل يوم تمرة . قال : نقسمها يوما بيننا . قال : قال فنقصت تمرة عن رجل ، فوجدنا فقدها ذلك اليوم . قال : فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر ، فأصبنا من لحمها وودكها [1] ، وأقمنا عليها عشرين ليلة ، حتى سمنا وابتللنا [2] ، وأخذ أميرنا ضلعا من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا ؛ قال : فجلس عليه ، قال : فخرج من تحتها وما مست رأسه . قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صنعنا فى ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رِزق رَزَقَكُمُوه الله .

بعث عمرو بن أمية الضمرى لقتال أبى سفيان بن حرب وما صنع فى طريقه : قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحاق [3] من بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه بعث عمرو بن أمية الضمرى ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنى من أثق به من أهل العلم بعد مقتل خُبَيْب بن عدى وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان بن حرب ، وبعث معه جبَّار بن صخر الأنصارى فخرجا حتى قدما مكة ، وحبسا جمليهما بشِعْب [4] من شعاب يأجج [5] ، ثم دخلا مكة ليلا ؛ فقال جبار لعمرو : لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم ؛ فقال : كلا ، إن شاء الله ؛ فقال عمرو : فطفنا بالبيت ، وصلينا ، ثم خرجنا نريد أبا سفيان ، فوالله إنا لنمشى بمكة إذ نظر إلىَّ رجل من أهل مكة فعرفنى ، فقال عمرو بن أمية : والله إن قدمها إلا لشر ؛ فقلت لصاحبى : النجاء ، فخرجنا نشتد ، حتى أصعدنا فى جبل ، وخرجوا فى طلبنا ، حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا ، فرجعنا ،

---

(1) الودك : الشحم. (2) ابتللنا : أخذنا الراحة .

(3) يقول السهيلى فى الروض الأنف جـ ٤ ص ٢٥٣ وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر سفيان ابن العاصى رحمه الله فى هذا الموضع قال : نقلت من حاشية نسخة من كتاب السير منسوبة بسماع أبى سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخويه محمد وأحمد ابنى عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه : وجدت بخط أخى قول ابن هشام : هذا مما لم يذكره ابن إسحاق (هو غلط منه) قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمر بن أمية فيما حدث أسد عن يحيى بن زكريا عن ابن إسحاق ، والقائل فى الحاشية : وجدت بخط أخى هو : أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم . وفى الكتاب المذكور قول أبى بكر المذكور فى غزوة الطائف بعد قوله : فولدت له داود بن أبى مرة . إلى ها هنا ، انتهى سماعى من أخى ، وما بقى من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه .

(4) الشعب : الطريق بين جبلين . (5) يأجج : جبل بمكة .

فدخلنا كهفا فى الجبل ، فبتنا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا ؛ فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرسا له ، ويُخلى عليها [١] ، فغشينا ونحن فى الغار . فقلت ؛ إن رآنا صاح بنا ، فأخذنا فقتلنا .

قال : ومعى خنجر قد أعددته لأبى سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على ثديه ضربة ، وصاح صيحة أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل مكانى ، وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق فقالوا : من ضربك ؟ فقال :عمرو بن أمية ، وغلبه الموت ، فمات مكانه، ولم يدلل على مكاننا ، فاحتملوه . فقلت لصاحبى ، لما أمسينا : النجاء ؛ فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة ، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خُبيب بن عدى ؛ فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية ، لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ، قال : فلما حاذى الخشبة شد عليها ، فأخذها فاحتملها ، وخرجا شدا ، وخرجوا وراءه ، حتى أتى جرفا بمهبط مسيل يأجج ، فرمى بالخشبة فى الجرف ، فغيبه الله عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبى : النجاء النجاء ، حتى تأتى بعيرك فتقعد عليه ، فإنى سأشغل عنك القوم ، وكان الأنصارى لارُجْلَة له [٢] .

قال : ومضيت حتى أخرج على ضَجْنان ، ثم أويت إلى جبل ، فأدخل كهفا، فبينا أنا فيه ، إذ دخل علىّ شيخ من بنى الديل أعور ، فى غنيمة له ، فقال :من الرجل ؟ فقلت : من بنى بكر ، فمن أنت ؟ قال : من بنى بكر . فقلت : مرحبا ، فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

ولستُ بمسلمٍ مادمتُ حيـــا ولا دانٍ لدينِ المســـلمينا

فقلت فى نفسى : ستعلم ، فأمهلته ، حتى إذا نام أخذت قوسى ، فجعلت سِيَتَها [٣] فى عينه الصحيحة ، ثم تحاملت عليه حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النجاء ، حتى جئت العَرْج [٤] ، ثم سلكت رَكُوبَة [٥] ، حتى إذا هبطت النقيع [٦] ، إذا رجـلان من قريش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عينا إلى المدينة ينظران ويتحسسان ، فقلت استأسرا ، فأبيا، فأرمى أحدهما بسهم فأقتله ، وأستأسر الآخر ، فأوثقه رباطا ، وقدمت به المدينة .

---

(١) يخلى: يجمع الخلى . وهو ما ينبته الربيع .
(٢) لا رجلة له : ضعيف المشى على رجليه .
(٣) سيتها : طرفها . (٤) العرج : واد بالحجاز .
(٥) ركوبة : ثنية بين الحرمين . (٦) النقيع : موضع ببلاد مزينة .

سرية زيد بن حارثة إلى مَدْيَن : قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مَدْيَن . ذكر ذلك عبد الله بن حسن بن حسن ، عن أمه فاطمة بنت الحسين بن على عليهم رضوان الله، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضُمَيرة مولى على بن أبى طالب رضوانُ الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سَبْيا من أهل مِيناء ، وهى السواحل ، وفيها جُمّاع من الناس ، فبيعوا ، ففُرّق بينهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقال ما لهم ؟ فقيل : يا رسول الله ، فرق بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تبيعوهم إلا جميعا .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبى عَفَك : قال ابن إسحاق ، وغزوة سالم بن عمير لقتل أبى عَفَك ، أحد بنى عمرو بن عوف ثم من بنى عُبَيدة ، وكان قد نجم[1] نفاقه ، حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن سويد بن صامت ، فقال :

لقد عشتُ دهراً وما إن أرى ... من الناسِ دارا ولا مَجْمَعا
أبرَّ عهوداً وأوفَى لمن ... يعاقدُ فيهم إذا ما دَعا
من أولادِ قَيْلةَ فى جمعِهم ... يَهُدُّ الجبالَ ولم يخضَعا[2]
فصَدَّعَهم راكبٌ جاءهم ... حلالٌ حرامٌ لشَتَّى معا[3]
فلو أن بالعزِّ صدَّقتم ... أو الملكِ تابعتم تُبَّعا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الخبيث ، فخرج سالم بن عمير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكائين ، فقتله ؟ فقالت أمامة المُزَيْرِيّة فى ذلك :

تكذبُ دينَ اللهِ والمرءَ أحمدا ... لعَمْرُ الذى أمناك أن بئسَ ما يُمْنِى[4]
حباك حنيفٌ آخرَ الليلِ طعنةً ... أبا عَفَكٍ خذْها على كِبَرِ السِّنِّ

---

(١) نجم : وضح .
(٢) قيلة : أم الأوس والخزرج .
(٣) صدعهم : فرقهم .
(٤) أمناك : أنساك .

غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان : وغزوة عمير بن عدى الخطمى عصماء بنت مروان ، وهى من بنى أمية بن زيد ، فلما قتل أبو عَفَك نافقت ، فذكر عبد الله ابن الحارث بن الفُضَيل عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خَطْمة ، ويقال له يزيد بن زيد فقالت ، تعيب الإسلام وأهله :

باسْتِ بنى مالكٍ والنَّبيتِ　　وعوفٍ وباسْتِ بنى الخزرجِ
أطعتم أتاوىَّ من غيركم　　فلا من مرادٍ ولا مَذْحِجِ[1]
ترجُّونه بعدَ قتلِ الرءوسِ　　كما يرتجى مرقُ المنضَجِ
ألا أَنِفٌ يبتغى غِرةً　　فيقطعَ من أملِ المرتجى[2]

قال : فأجابها حسان بن ثابت ، فقال :

بنو وائلٍ وبنو واقفٍ　　وخَطْمةَ دونَ بنى الخزرجِ
متى ما دعت سَفَها ويحها　　بعَوْلتِها والمنايا تَجِى
فهزت فتىً ماجداً عِرقُه　　كريمَ المداخلِ والمخرَجِ
فضرَّجها من نجيعِ الدما　　ءِ بعدَ الهُدُوِّ فلم يَحرَجِ[3]

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك ، ألا آخذ لى من ابنة مروان ؟ فسمع ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن عدى الخطمى ، وهو عنده ؛ فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها فى بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنى قد قتلتها . فقال نصرتَ الله ورسوله يا عمير ، فقال : هل علىَّ شىء من شأنها يارسول الله ؟ فقال : لا ينتطح فيها عنزان .

فرجع عمير إلى قومه ، وبنو خطمة يومئذ كثير موجهم[4] فى شأن بنت مروان ، ولها

---

(١) الأتاوى : الغريب .
(٢) الأنف : المترفع . الغرة : الغفلة .
(٣) الهدو : منتصف الليل ؛ أو بعد ساعة منه . يحرج : يأثم
(٤) موجهم : اختلاطهم واختلافهم .

يومئذ بنون خمسة رجال ، فلما جاءهم عمير بن عدى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : يا بنى خطمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدونى جميعا ثم لا تُنظرونِ . فذلك اليوم أول ما عز الإسلام فى دار بنى خطمة ، وكان يستخفى بإسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أول من أسلم من بنى خطمة عمير بن عدى ، وهو الذى يدعى القارىء ، وعبد الله بن أوس ، وخزيمة بن ثابت ، وأسلم يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خطمة ، لما رأوا من عز الإسلام .

أسر ثمامة بن أثال الحنفى وإسلامه : بلغنى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه قال : خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت رجلا من بنى حنيفة ، لا يشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أتدرون من أخذتم ؛ هذا ثمامة بن أثال الحنفى ، أحسنوا إساره . ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ؛ فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به إليه ، وأمر بلقحته[1] أن يغدى عليه بها ويراح ؛ فجعل لا يقع من ثمامة موقعا ويأتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أسلم يا ثمامة ، فيقول : إيهاً[2] يا محمد ، إن تقتُلْ تقتل ذا دم وإن تُرِد الفداء فسل ما شئت ، فمكث ما شاء الله أن يمكث ؛ ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يوما : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع ، فتطهر فأحسن طهوره ، ثم أقبل فبايع النبى صلى الله عليه وسلم على الإسلام ؛ فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ، فلم ينل منه إلا قليلا ، وباللقحة فلم يصب من حلابها إلا يسيرا فعجب المسلمون من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : مم تعجبون ؟ أمن رجل أكل أول النهار فى معى كافر ، وأكل آخر النهار فى مِعَى مسلم ! إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل فى معًى واحد[3] .

قال ابن هشام : فبلغنى أنه خرج معتمرا ، حتى إذا كان ببطن مكة لبى ، فكان أول من دخل مكة يلبى ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اخترت علينا ، فلما قدموه ليضربوا عنقه ؛ قال قائل منهم : دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم ، فخلوه ، فقال الحنفى فى ذلك :

ومنا الذى لبى بمكة مُعلِنا　　برغم أبى سفيان فى الأشهرِ الحُرُمْ

وحدثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغض الوجوه إلى ، ولقد أصبح وهو أحب الوجوه إلى . وقال فى الدين والبلاد مثل ذلك .

---

(١) اللقحة : الناقة التى لها لبن .
(٢) إيها : حسبك .
(٣) انظر ما فى هذا الحديث من البلاغة ، فى كتاب المجازات النبوية بتحقيقنا . ط الحلبى .

ثم خرج معتمرا ، فلما قدم مكة ، قالوا : أصبوت يا ثمام ؟ فقال : لا ، ولكنى اتبعت خير الدين ، دين محمد ، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى اليمامة ، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئا ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يخلى بينهم وبين الحمل .

سرية علقمة بن مجزز : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مُجَزّز .

لما قُتل وقاص بن مجزز المدلجى يوم ذى قرد ، سأل علقمة بن مجزز رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه فى آثار القوم ، ليدرك ثأره فيهم .

فذكر عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزز — قال أبو سعيد الخدرى : وأنا فيهم — حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق ، أذن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبد الله بن حُذافة السَّهمى ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت فيه دعابة ، فلما كان ببعض الطريق أوقد نارا ، ثم قال للقوم : أليس لى عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ؛ قال : أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار ؛ قال : فقام بعض القوم يحتجز[1] ، حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا ، فإنما كنت أضحك معكم ، فذُكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدموا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيدا .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يسارا : حدثنى بعض أهل العلم ، عمن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة محارب وبنى ثعلبة عبدا يقال له يسار ، فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لقاح له كانت ترعى فى ناحية الجَمَّاء ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيس كبة

---

(١) يحتجز : يشد ثوبه على خصره .

من بَجيلة ، فاستوبَئوا ، وطُحِلوا[1] ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

فلما صحوا وانطوت بطونهم ، عدَوْا على راعي رسول الله صلى الله عليه وسلم يسار ، فذبحوه وغرزوا الشوْك في عينيه ، واستاقوا اللقاح . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في آثارهم كُرْز بن جابر ، فلحقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة ذي قرد ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم .

غزوة علي بن أبي طالب إلى اليمن : وغزوة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى اليمن ، غزاها مرتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدني : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد في جند آخر ، وقال : إن التقيتما فالأمير علي بن أبي طالب .

وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد بن الوليد في حديثه ، ولم يذكره في عدة البعوث والسرايا فينبغي أن تكون العدة في قوله تسعة وثلاثين .

بعث أسامة بن زيد إلى أرض فلسطين وهو آخر البعوث : قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البَلْقاء والدارُوم ، من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فبينا الناس على ذلك ابتُدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكواه الذي قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، في ليال بقين من صفر ، أو في أول شهر ربيع الأول ، فكان أول ما ابتدىء به من ذلك ، فيما ذكر لي ، أنه خرج إلى بقيع الغرقد ،

---

(١) استوبئوا : أصيبوا بالأوبئة . طحلوا : أصيبوا بداء الطحال .

من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتُـدِئ بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبدالله بن عمر ، عن عُبيد بن جبير ، مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، عن أبى مُوَيْهِبة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : يا أبا مويهبة ، إنى قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معى ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم ياأهل المقابر ، ليهنِء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ؛ ثم أقبل علىّ ، فقال : يا أبا مويهبة ، إنى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى والجنة قال : فقلت : بأبى أنت وأمى ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ؛ قال : لاوالله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربى والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذى قبضه الله فيه .

تمريضه فى بيت عائشة : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ؛ عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدنى وأنا أجد صداعا فى رأسى ، وأنا أقول : وارأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه . قالت : ثم قال : وما ضرك لو مُت قبلى ، فقمت عليكِ وكفنتك ، وصليت عليك ودفنتك ؟ قالت : قلت : والله لكأنى بك لو قد فعلتَ ذلك ، لقد رجعت إلى بيتى ، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتتام به وجعه ، وهو يدور على نسائه ، حتى استعز به[1] ، وهو فى بيت ميمونة ، فدعا نساءه ، فاستأذنهن فى أن يمرض فى بيتى ، فأذنَّ له .

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : وكن تسعا : عائشة بنت أبى بكر ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب ، وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة ، وسَوْدة بنت زَمعة بن قيس ،

---

(١) استعز به : غلبه .

وزينب بنت جحش بن رئاب ، وميمونة بنت الحارث بن حزن ، وجويرية بنت الحارث ابن أبى ضرار ، وصفية بنت حيى بن أخطب ، فيما حدثنى غير واحد من أهل العلم.

خديجة : وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة : خديجة بنت خويلد ، وهى أول من تزوج ، زوجه إياها أبوها خويلد بن أسد ، ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبى هالة بن مالك ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم ، حليف بنى عبد الدار ، فولدت له هند بن أبى هالة ، وزينب بنت أبى هالة ، وكانت قبل أبى هالة عند عتيق بن عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فولدت له عبد الله ، وجارية .

قال ابن هشام : جارية من الجوارى ، تزوجها صيفى بن أبى رفاعة .

عائشة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبى بكر الصديق بمكة ، وهى بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة ، وهى بنت تسع سنين أو عشر ، ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكرا غيرها ، زوجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم .

سودة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، زوجه إياها سليط بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم .

قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة فى هذا الوقت .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل .

زينب بنت جحش : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية . زوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها » .

أم سلمة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومية واسمها هند ؛ زوجه إياها سلمة بن أبى سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فراشا حشوه ليف ، وقدحا ، وصحفة ، ومجشة (١) ؛ وكانت قبله عند أبى سلمة بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية .

حفصة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند خُنَيْس بن حذافة السَّهْمى .

أم حبيبة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ، واسمها رملة بنت أبى سفيان ابن حرب ، زوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة دينار ، وهو الذى كان خطبها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدى .

جويرية بنت الحارث : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبى ضِرَار الخزاعية ، كانت فى سبايا بنى المصطلق من خزاعة ، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس ابن الشماس الأنصارى ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها . فقال لها : هل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فقالت : نعم ، فتزوجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البَكَّائى ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شِعْب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ،

---

(١) المجشة : الرحى .

أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبت بالعقيق في شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، صلى الله عليك ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عم لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس ، فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها أربعمائة درهم .

صفية بنت حيي : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حُيَيّ بن أخطب ، سباها من خيبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمة ، مافيها شحم ولالحم ، كان سويقا وتمرا ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحُقَيْق .

ميمونة بنت الحارث : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَيْر بن هُزَم بن رُوَيْبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند أبي رُهْم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد وُد بن نصر بن مالك بن حِسل ابن عامر بن لؤى ؛ ويقال : إنها التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهي على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله ؛ فأنزل الله تبارك وتعالى : « وامرأةً مؤمنةً إن وهبت نفسها للنبيّ » .

ويقال : إن التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، ويقال أم شريك ، غَزِيّة بنت جابر بن وهب من بني منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى ، ويقال : بل هي امرأة من بني سامة بن لؤى ، فأرجأها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

زينب بنت خزيمة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أم المساكين ؛ لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، زوجه إياها قبيصة بن عمرو الهلالي ، وأصدقها رسول الله صلى

الله عليه وسلم أربعمائة درهم . وكانت قبله عند عُبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عبيدة عند جَهْم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمها

فهؤلاء اللاتى بنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ، فمات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة . وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها فوجد بها بياضا فمتّعها [1] وردها إلى أهلها ، وعمرة بنت يزيد الكلابية وكانت حديثة عهد بكفر ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : منيعٌ عائذُ اللهِ ، فردها إلى أهلها ، ويقال : إن التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كِنْدية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها ، فقالت : إنا قوم نؤتَى ولا نأتى ؛ فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

القرشيات منهن : القرشيات من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ست : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نُفَيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قُرْط بن رياح بن رزاح ابن عدى بن كعب بن لؤى ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى ، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى .

العربيات وغيرهن : العربيات وغيرهن سبع : زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صَبِرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، وميمونة بنت الحارث بن حَزْن ابن بَجير بن هُزَم بن رُوَيبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ، وزينب بنت خزيمة بن الحارث ابن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ، وجويرية بنت

---

(١) متعها : أعطاها ماتتمتع به .

الحارث بن أبى ضِرار الخزاعية ، ثم المصطَلقية ، وأسماء بنت النعمان الكِندية ، وعمرة بنت يزيد الكلابية .

ومن غير العربيات : صفية بنت حُيَىّ بن أخطب ، من بنى النضير[١]

تمريض رسول الله فى بيت عائشة

قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس . ورجل آخر ، عاصبا رأسه ، تخط قدماه حتى دخل بيتى .

قال عبيد الله فحدثت هذا الحديث عبد الله بن العباس ، فقال : هل تدرى من الرجل الآخر قال : قلت : لا ؟ قال : على بن أبى طالب .

اشتداد المرض : ثم غُمِر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجعه ، فقال هريقوا علىّ سبع قرب من آبار شتى ، حتى أخرج إلى الناس فأعهد إليهم ، قالت : فأقعدناه فى مِخضَب[٢] لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم حسبكم .

خطبة للنبى وتفضيله أبا بكر : قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أيوب بن بشير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول

---

(١) لم يذكر ابن إسحاق فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم شراف بنت خليفة أخت دِحية بن خليفة الكلبى ، وذكرها غيره ، ولم تقم عنده إلا يسيراً حتى ماتت ، وكذلك العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف ، ذكرها غيره فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك وسنى بنت الصلت تزوجها ثم خلى سبيلها ، ويقال فيها : سنا بنت أسماء بنت الصلت . ومنهن أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية ، اتفقوا على تزويج النبى صلى الله عليه وسلم إياها ، واختلفوا فى سبب فراق النبى صلى الله عليه وسلم لها . وكذلك قيل فى شراف بنت خليفة : إنها هلكت قبل أن يدخل بها ، والله أعلم .

(٢) المخضب : إناء يغتسل فيه .

ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبدا من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله . قال : ففهمها أبو بكر وعرف أن نفسه يريدُ ، فبكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : عَلَى رِسْلِكَ يا أبا بكر ، ثم قال : انظروا هذه الأبواب اللافظة[1] فى المسجد ، فسدوها إلا بيت أبى بكر ، فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصحبة عندى يدا منه .

قال ابن هشام . ويروى : إلا باب أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبى سعيد بن المعلى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ فى كلامه هذا : فإنى لو كنت متخذا من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

أمره بإنفاذ بعث أسامة : وقال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة ابن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس فى بعث أسامة ابن زيد ، وهو فى وجعه ، فخرج عاصبا رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا فى إمرة أسامة : أمّر غلاما حدثا على جلة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقا لها .

قال : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكمش[2] الناس فى جهازهم ، واستعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجُرْف ، من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتامَّ إليه الناس ، وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصايته بالأنصار : وقال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ : يا معشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيرا ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وأنهم كانوا عَيْبَتِى[3] التى أويت إليها ، فأحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم .

---

(1) اللافظة : النافذة . (2) انكمش الناس فى جهازهم : أسرعوا فيه .

(3) عيبة الرجل : مكمن سره .

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتام به وجعه ، حتى غُمِر .

اللدود (١) : قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نسائه : أم سلمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عُمَيْس ، وعنده العباس عمه ، فأجمعوا أن يَلُدُّوه ، وقال العباس : لأَلُدنّه . قال : فلدوه ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من صنع هذا بي ؟ قالوا : يارسول الله ، عمك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمه العباس : خشينا يارسول الله أن يكون بك ذات الجَنْب ، فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقذفني به ، لايبقى في البيت أحد إلا لُدَّ إلا عمي ، فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة ، لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لهم بما صنعوا به .

دعاؤه لأسامة بالإشارة : قال ابن إسحاق : وحدثني سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معي إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصمت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها عليّ ، فأعرف أنه يدعو لي .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهري : حدثني عبيد بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما أسمعه يقول : إن الله لم يقبض نبياً حتى يخيره ، قالت : فلما حُضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول : بل الرفيق الأعلى (٢) من الجنة ، قالت : فقلت : إذاً والله لايختارنا ، وعرفت أنه الذي كان يقول لنا : إن نبيا لم يُقبض حتى يُخَيَّر .

---

(١) اللدود : مجموعة من سبعة أدوية مخلوطة يجعل في جانب الفم في داخله ويحك بالأصبع قليلا.

(٢) اللهم الرفيق الأعلى : وهذا منتزع من قوله تبارك وتعالى : « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين » إلى قوله سبحانه : « وحسن أولئك رفيقاً » .فهذا هو الرفيق الأعلى ، ولم يقل الرفقاء لأن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد ، وهي تتضمن معنى التوحيد الذي يجب أن يكون آخر كلام المؤمن ، فإنه قال : « مع الذين أنعم الله عليهم » ، وهم أصحاب الصراط المستقيم ، وهم أهل لا إله إلا الله ، قال الله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » ثم بين في الآية المتقدمة من الذين أنعم الله عليهم فذكرهم ، وكلم الرفيق —

أبو بكر يصلي بالناس : قال الزهري : وحدثني حمزة بن عبد الله بن عمر، أن عائشة قالت: لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم قال مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت : قلت : يانبي الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن . قال : مروه فليصل بالناس . قالت : فعدت بمثل قولي ، فقال : إنكن صواحبُ يوسف ، فمروه فليصل بالناس ، قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أني كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبدا ، وأن الناس سيتشاءمون به في كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبي بكر .

قال ابن إسحاق: وقال ابن شهاب: حدثني عبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث ابن هشام ، عن أبيه ، عن عبد الله بن زَمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قال : لما استُعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده في نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا من يصلي بالناس . قال : فخرجت فإذا عمر في الناس . وكان أبو بكر غائبا ؛ فقلت: قم ياعمر فصل بالناس قال : فقام ، فلما كبر ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر رجلا مُجهراً ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون ، يأبى الله ذلك والمسلمون : قال : فبعث إلى أبي بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس . قال : قال عبد الله بن زَمْعة . قال لي عمر: ويحك ، ماذا صنعت بي يا بن زمعة ، والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ماصليت بالناس . قال : قلت والله ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

= الأعلى الذين ذكرهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين خُيِّر فاختار ، وبعض الرواة يقول عن عائشة في هذا الحديث . فأشار بأصبعه ، وقال . في الرفيق ، وفي رواية أخرى أنه قال اللهم الرفيق ، وأشار بالسبابة، يريد التوحيد، فقد دخل بهذه الإشارة في عموم قوله عليه السلام من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، ولا شك أنه عليه السلام في أعلى درجات الجنة ولو لم يشر ، ولكن ذكرنا هذا لئلا يقول القائل . لم لم يكن آخر كلامه : لا إله إلا الله .
وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مسترجع عند حليمة أن قال : الله أكبر قاله الواقدي .
وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بأن قال : الصلاة وما ملكت أيمانكم ، حرك بها لسانه وما يكاد يبين ، وفي قوله . ملكت أيمانكم قولان . قيل : أراد الرق بالمملوك ، وقيل : أراد الزكاة ، لأنها في القرآن مقرونة بالصلاة ، وهي من ملك اليمين ، قاله الخطابي .

اليوم الذى قبض الله فيه رسوله

صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أنس بن مالك . أنه لما كان يوم الاثنين الذى قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الناس ، وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم ، فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحا به ، وتفرجوا ، فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ؛ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سرورا لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم ، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفرق من وجعه فرجع أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين سمع تكبير عمر فى الصلاة : أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته، لم يشك المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى ، فعرف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحدا ، وكان عمر غير متهم على أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مُلَيكة ، قال : لما كان يوم الاثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصبا رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكص عن مصلاه ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظهره ، وقال : صل بالناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فصلى قاعداً عن يمين أبى بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فكلمهم رافعا صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس ، سعرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإنى والله ما تمسكون علىّ بشىء ؛ إنى لم أحل إلا ما أحل القرآن ؛ ولم أحرم إلا ما حرم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر : يا نبى الله إنى أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفآتيها ؟ قال : نعم ؛ ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسُّنْح .

شأن على والعباس قبل وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب ابن مالك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : خرج يومئذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس : يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال أصبح بحمد الله بارئا ، قال : فأخذ العباس بيده ، ثم قال: يا على ، أنت والله عبد العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ؛ فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه ، وإن كان فى غيرنا ، أمرناه فأوصى بنا الناس . قال فقال له على إنى والله لا أفعل ؛ والله لئن مُنعناه لا يؤتيناه أحد بعده .

فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضُّحاء من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبل وفاته : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة ، عن الزهرى ، عن عروة ، عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع فى حجرى ، فدخل على رجل من آل أبى بكر ، وفى يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فى يده نظراً عرفت أنه يريده قالت : فقلت : يارسول الله ، أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى لينته ، ثم أعطيته إياه : قالت : فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط ، ثم وضعه [1] ، ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل فى حجرى ، فذهبت أنظر فى وجهه ، فإذا بصره قد شخص، وهو يقول: بل الرفيق الأعلى من الجنة: قالت : فقلت : خُيرت فاخترت والذى بعثك بالحق . قالت : وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : سمعت عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سَحرى ونحرى وفى دولتى لم أظلم فيه أحدا

---

(١) فيه من الفقه : التنظف والتطهر للموت ، ولذلك يستحب الاستحداد لمن استشعر القتل أو الموت كما فعل خُبَيب أحد أصحابه صلى الله عليه وسلم حينما أراد المشركون قتله وقصته موجودة فيما سبق من السيرة — لأن الميت قادم على ربه كما أن المصلى مناج لربه ؛ فالنظافة من شأنهما . وكان السواك المذكور فى هذا الحديث من عسيب نخل فيما روى بعضهم ، والعرب تستاك بالعسيب ، وكان أحب السواك إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صرع الأراك .

فمن سفهي وحداثة سني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو في حجري ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت ألتدم (١) مع النساء ، وأضرب وجهي .

مقالة عمر بعد وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهري ، وحدثني سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة ، قال : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ؛ ووالله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

شأن أبي بكر بعد وفاته : قال وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى في ناحية البيت ، عليه برد حبرة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبي أنت وأمي ، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبدا . قال : ثم رد البرد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : على رسلك يا عمر ، أنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : « وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبلِهِ الرسلُ ، أفإن مات أو قُتل انقلبتم على أعقابِكم ، ومن ينقلبْ على عَقِبيْه فلن يضرَّ اللهَ شيئا ، وسيجزي اللهُ الشاكرين » .

قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ ؛ قال : وأخذها الناس عن أبي بكر ، فإنما هي في أفواههم ؛ وقال : فقال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعُقرت (٢) حتى وقعت إلى الأرض ما تحملني رجلاي ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

---

(١) ألتدم : أضرب صدري .

(٢) عقرت : دهشت فلم أستطع التقدم أو التأخر .

أمر سقيفة بنى ساعدة

قال ابن إسحاق : ولما قُبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن عُبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة ، وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أسيد بن حضير ، فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آت إلى أبى بكر وعمر ؛ فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله . قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ما هم عليه .

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن عبد الله بن أبى بكر ، حدثنى عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال : أخبرنى عبد الرحمن بن عوف ، قال : وكنت فى منزله بمنى أنتظره ، وهو عند عمر فى آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدنى فى منزله بمنى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن ، قال ابن عباس ، فقال لى عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك فى فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، والله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فلتة فتمت ، قال : فغضب عمر ، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشية فى الناس ، فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، وإنهم هم الذين يغلبون على قُربك ، حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مَطير ، ولا يَعُوها ولا يضعوها على موضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة ، وتخلص بأهل الفقه وأشراف الناس ، فتقول ما قلت بالمدينة متمكنا ، فيعى أهل الفقه مقالتك ، ويضعوها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

عمر يذكر البيعة لأبى بكر : قال ابن عباس : فقدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل جالسا إلى ركن المنبر فجلست حذوه تمس ركبتى ركبته ، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب ،

فلما رأيته مقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استُخلف ، قال : فأنكر علىّ سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ما عسى أن يقول ما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون ، قام فأثنى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فإنى قائل لكم اليوم مقالة قد قُدر لى أن أقولها ، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب على ؛ إن الله بعث محمدا ، وأنزل عليه الكتاب ، فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعلمناها ووعيناها ، ورَجم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان يقول قائل : والله ما نجد الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أُحصن من الرجال والنساء ، وإذا قامت البينة ، أو كان الحبل أو الاعتراف ، ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : « لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم » إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطرونى كما أطرى عيسى ابن مريم ، وقولوا : عبد الله ورسوله » ؛ ثم إنه قد بلغنى أن فلانا قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلانا ، فلا يغرن امرأً أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فلتة فتمت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بيعة له هو ولا الذى بايعه تَغِرّة أن يُقتلا ، إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سقيفة بنى ساعدة ، وتخلف عنا على بن أبى طالب والزبير بن العوام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان ، فذكرا لنا ما تمالأ عليه القوم ، وقالا : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فلا عليكم ألا تقربوهم يامعشر المهاجرين ، اقضوا أمركم . قال : قلت : والله لنأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم رجل مُزَمَّل فقلت : من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ماله ؟ فقالوا : وَجِعٌ . فلما جلسنا تشهد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ، ثم قال : أما بعد ، فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دَفّت دَافّة[1] من قومكم ، قال : وإذا هم يريدون أن يختازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكت

---

(١) الدافة : الجماعة من الناس تأتى من بلد إلى بلد .

أردت أن أتكلم ، وقد زورت [1] فى نفسى مقالة قد أعجبتنى ، أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحد [2] ، فقال أبو بكر : على رِسْلِك ياعمر ، فكرهت أن أغضبه ، فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر ، فوالله ما ترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديهته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت ؛ قال : أما ما ذكرتم فيكم من خير ، فأنتم له أهل ، ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسبا ودارا ، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ؛ فبايعوا أيهما شئتم ، وأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئا مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى ، لا يقربنى ذلك إلى إثم ، أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر .

قال قائل من الأنصار : أنا جُذَيْلها [3] المحكَّك وعُذَيْقها المرجَّب [4] ، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش . قال : فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتى تخوفت الاختلاف ، فقلت : ابسط يدك يا أبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ، ونزونا [5] على سعد بن عبادة ، فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة . قال فقلت . قتل الله سعد بن عبادة .

قال ابن إسحاق : قال الزهرى أخبرنى عروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عُوَيم بن ساعدة ، والآخر مَعْن بن عدى ، أخو بنى العجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله عز وجل لهم : « فيه رجالٌ يحبون أن يتطهروا والله يحبُّ المطهرين » ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : : نعم المرء منهم عويم بن ساعدة . وأما معن بن عدى ، فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجل ، وقالوا : والله لوددنا أنا متنا قبله إنا نخشى أن نفتتن بعده . قال معن بن عدى : لكنى والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتا كما صدقته حيا ؛ فقتل معن يوم اليمامة شهيدا فى خلافة أبى بكر ، يوم مسيلمة الكذاب .

---

(١) زورت : أعددت .   (٢) الحد : الحدة التى كان يتصف بها عمر .

(٣) الجذيل : تصغير جذل : عود من الحطب فى مبرك الإبل تحتك به فتستريح .

(٤) العذيق : تصغير عذق النخلة : والمرجب من الترجيب وهو بناء يساعده لكثرة حمله

(٥) نزونا : وثبنا .

خطبة عمر بعد البيعة لأبى بكر : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، قال : حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إنى كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله ، ولا كانت عهدا عهده إلىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا ؛ يقول : يكون آخرنا وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثانى اثنين إذ هما فى الغار ، فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبى بكر بعد البيعة : فتكلم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ؛ وإن أسأت فقومونى ؛ الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لا يدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامد إلى حاجة له ، وفى يده الدرة ، وما معه غيرى ، قال وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشى(١) قدمه بدرته ، قال : إذ التفت إلىّ ، فقال : يابن عباس هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلت حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لا أدرى يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ، قال فإنه والله ، إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ، فوالله ، إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذى حملنى على أن قلت ما قلت .

---

(١) وحشى : خارج .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

من تولى غسله : قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس ، وقُثَم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم الذين وَلُوا غسله ، وأن أوس بن خَوْلى ، أحد بنى عوف بن الخزرج ، قال لعلي بن أبي طالب : أنشدك الله ياعلي وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر ، قال : ادخل ، فدخل فجلس ، وحضر غُسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقُثَم يقلبونه معه ، وكان أسامة بن زيد وشُقْران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعلي يغسله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يدلكه به من ورائه ، لا يفضى بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي يقول : بأبي أنت وأمي ، ما أطيبك حياً وميتاً . ولم يُرَ من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء مما يرى من الميت .

كيفية غسله : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه . فقالوا : والله ما ندرى ، أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم ، حتى ما منهم رجل إلا ذقنه فى صدره ، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لايدرون من هو : أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم .

تكفينه : قال ابن إسحاق : فلما فُرغ من غَسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كُفن فى ثلاثة أثواب ، ثوبين صُحارِيَّين [1] وبُرْد حِبَرَة ، أدرج فيها إدراجا ، كما حدثني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده علي بن الحسين والزهرى ، عن علي بن الحسين .

القبر : قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال :

---

(١) صحاريين : نسبة إلى صحار . مدينة باليمن .

لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرّح (١) كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهيل هو الذى يحفر لأهل المدينة ، يلحد ، فدعا العباس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبى عبيدة بن الجراح ، وللآخر اذهب إلى أبى طلحة ، اللهم خر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد صاحب أبى طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

الصلاة عليه ودفنه : فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وضع فى سريره فى بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه . فقال قائل : ندفنه فى مسجده وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ماقبض نبى إلا دفن حيث يقبض : فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى توفى عليه ، فحفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون عليه أرسالا ، دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان . ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عمارة ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة ، عن عائشة رضى الله عنها : جوف الليل من ليلة الأربعاء .

من تولى دفنه : وكان الذين نزلوا فى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، والفضل بن عباس ، وقُثَم بن عباس ، وشُقْران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أوس بن خَوْلى لعلى بن أبى طالب : يا على ، أنشدك الله ، وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها ، فدفنها فى القبر ، وقال : والله لايلبسها أحد بعدك أبدا .

قال : فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحدث الناس عهداً به : وقد كان المغيرة بن شعبة يدعى أنه أحدث الناس عهدا برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أخذت خاتمى ، فألقيته فى القبر ، وقلت : إن خاتمى سقط منى ،

---

(١) يضرح : يشق الأرض ليجعلها ضريحا .

وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهداً به صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثني أبي إسحاق بن يسار ، عن مِقْسَم أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه في زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانىء بنت أبي طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فسُكب له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا الحسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه ؟ قال : أظن المغيرة ابن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : أجل ، عن ذلك جئنا نسألك ؛ قال : كذب ؛ قال : أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قُثَم بن عباس .

خميصة الرسول السوداء : قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، أن عائشة حدثته ، قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خَمِيصَة سوداء حين اشتد به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق : وحدثني صالح بن كيسان ، عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : لا يترك بجزيرة العرب دينان .

افتتان المسلمين بعد موته : قال ابن إسحاق : ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغني ، تقول : لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبي بكر .

قال ابن هشام : حدثني أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك ، حتى خافهم عَتّاب بن أَسِيد [1] ، فتوارى فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة فمن رابنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفوا عما هَمُّوا به ، وظهر عتاب بن أسيد .

(١) كان عتاب والي مكة .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطاب : إنه عسى أن يقوم مقاما لا تذمه .

حسان بن ثابت يرثى الرسول : وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما حدثنا ابن هشام ، عن أبى زيد الأنصارى :

بطيبةَ رسمٌ للرسولِ ومعهدُ ... منيرٌ وقد تعفو الرسومُ وتهمُدُ(١)

ولا تمتحى الآياتُ من دارِ حرمةٍ ... بها منبرُ الهادى الذى كان يصعد

وواضحُ آثارٍ وباقى معالمٍ ... ورَبعٌ له فيه مُصلًّى ومسجد

بها حجراتٌ كان ينزل وسْطَها ... من الله نورٌ يُستضاءُ ويوقَد

معارفُ لم تُطمسْ على العهدِ آيُها ... أتاها البِلَى فالآىُ منها تجدد

عرَفتُ بها رسمَ الرسولِ وعهدَه ... وقبراً بها واراه فى التُّرْب مُلحِد

ظللتُ بها أبكى الرسولَ فأسعدتْ ... عيونٌ ومثلاها من الجفن تُسعد(٢)

يُذَكِّرنَ آلاءَ الرسولِ وما أرى ... لها مُحصيا نفسى فنفسى تَبَلَّدُ

مُفَجَّعةٌ قد شفها فقدُ أحمدٍ ... فظلتْ لِآلاءِ الرسولِ تُعدد(٣)

وما بلغتْ من كلِّ أمرٍ عشيرَه ... ولكن لنفسى بعدُ ماقد تَوَجَّد(٤)

أطالت وقوفا تذرفُ العينُ جَهدَها ... على طللِ القبرِ الذى فيه أحمد

فبوركت ياقبرَ الرسولِ وبوركت ... بلادٌ ثوى فيها الرشيدُ المسدد

وبُورك لحدٌ منك ضُمِّن طيبا ... عليه بناءٌ من صفيحٍ مُنضَّد(٥)

تهيل عليه التربَ أيدٍ وأعيُنٌ ... عليه وقد غارت بذلك أسعد

لقد غيبوا حلما وعلما ورحمةً ... عشيةَ علَّوْه الثرى لا يُوَسَّد

وراحوا بحزنٍ ليس فيهم نبيهم ... وقد وهَنت منهم ظهورٌ وأعضُد

---

(١) الرسم : ما بقى من آثار الديار . تعفو : تدرس . تهمد : تبلى .

(٢) أسعدت : أعانت .

(٣) شفها : أضعفها . (٤) عشيره : عشره . توجد : من الوجد وهو الحزن .

(٥) الصفيح : الحجارة . منضد : بعضه فوق بعض .

يُبكّون من تبكي السمواتُ يومَه   ومن قد بكته الأرضُ فالناسُ أكمدُ

وهل عدلتْ يوماً رزيةُ هالكٍ   رزيةَ يومٍ مات فيه محمدُ؟!

تقطّع فيه منزلُ الوحيِ عنهمُ   وقد كان ذا نور يَغورُ ويُنجِدُ(١)

يدلُّ على الرحمن من يقتدي به   ويُنقِذُ من هولِ الخزايا ويُرشِد

إمامٌ لهم يهديهمُ الحقَّ جاهداً   معلمُ صدقٍ إن يطيعوه يسعدوا

عفوٌّ عن الزلاتِ يقبلُ عذرَهم   وإن يحسنوا فاللهُ بالخيرِ أجود

وإن نابَ أمرٌ لم يقوموا بحمله   فمن عنده تيسيرُ ما يتشدد

فبينا همُ في نعمةِ اللهِ بينهم   دليلٌ به نهجُ الطريقةِ يُقصد

عزيزٌ عليه أن يجوروا عن الهدى   حريصٌ على أن يستقيموا ويهتدوا

عطوفٌ عليهم لا يُثنّي جناحَه   إلى كَنَفٍ يحنو عليهم ويَمْهد(٢)

فبينا همُ في ذلك النورِ إذ غدا   إلى نورِهم سهمٌ من الموتِ مُقصِد(٣)

فأصبح محموداً إلى اللهِ راجعاً   يُبكّيه حقّ المرسلاتِ ويُحمَد(٤)

وأمست بلادُ الحرمِ وَحشاً بقاعُها   لغيبةِ ما كانت من الوحيِ تعهَد

قِفاراً سوى معمورةِ اللحدِ ضافَها   فقيدٌ يبكّيه بلاطٌ وغرقَد(٥)

ومسجدُه فالموحشاتُ لفقدِه   خلاءٌ له فيه مقامٌ ومقعَد

وبالجمرةِ الكبرى له ثم أوحشت   ديارٌ وعرَصاتٌ وربعٌ ومولد

فبكّي رسولَ الله ياعينُ عَبرةً   ولا أعرفنْكِ الدهرَ دمعُكِ يجمُد

ومالَكِ لا تبكين ذا النعمةِ التي   على الناسِ منها سابغٌ يتغمّد

فجودي عليه بالدموعِ وأعولي   لفقدِ الذي لا مثلُه الدهرَ يوجد

وما فقد الماضون مثلَ محمدٍ   ولا مثلُه حتى القيامةِ يُفقد

---

(١) يغور : من الغور وهو ما انخفض من الأرض وينجد من النجد وهو ما ارتفع من الأرض .

(٢) الكنف : الجانب .   (٣) مقصد : مصيب : اسم فاعل من أقصد .

(٤) المرسلات : الملائكة .

(٥) ضافها : نزل بها . البلاط : ما استوى من الأرض : الغرقد : شجر .

أعفَّ وأوفى ذمةً بعد ذمةٍ ... وأقربَ منه نائلا لا يُنَكَّدُ[1]

وأبذلَ منه للطريفِ وتالدٍ ... إذا ضن رِمعطاءُ بما كان يُتلِدُ[2]

وأكرمَ صيتا فى البيوتِ إذا انتمى ... وأكرمَ جَدّاً أبطحيا يُسَوَّدُ[3]

وأمنعَ ذِرْواتٍ وأثبتَ فى العلا ... دعائمَ عزٍّ شاهقاتٍ تُشيدُ[4]

وأثبتَ فرعا فى الفروعِ ومنبتا ... وعودا غَذاه المُزنُ فالعودُ أغيدُ[5]

رَبّاه وليدا فاستتم تمامُه ... على أكرمِ الخيراتِ ربٌّ مُمَجد

تناهت وَصاةُ المسلمين بكفِّه ... فلا العِلمُ محبوسٌ ولا الرأىُ يُفنَدُ[6]

أقول ولا يُلقَى لقولىَ عائبٌ ... من الناسِ إلا عازبُ العقلِ مُبعدُ[7]

وليس هواى نازعا عن ثنائِه ... لعلِّى به فى جنةِ الخلدِ أُخلَدُ

مع المصطفى أرجو بذاك جِوارَه ... وفى نَيْلِ ذاك اليومِ أسعى وأجهَدُ

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ما بالُ عينِك لا تنامُ كأنما ... كُحلتْ مآقيها بكحلِ الأرمَدِ

جزعا على المهدىِّ أصبح ثاويا ... ياخيرَ من وطئ الحصَى لا تبعَدِ

وجهى يَقيك التربَ لهفى ليتنى ... غُيِّبتُ قبلَك فى بقيعِ الغرقدِ[8]

بأبى وأمى من شَهدتُ وفاتَه ... فى يومِ الاثنين النبىُّ المهتدِى

فظللتُ بعدَ وفاتِه متبلِّدا ... مُتَلَدِّدا ياليتنى لم أولَدِ

أأُقيم بعدَك بالمدينةِ بينهم ... ياليتنى صُبِّحتُ سمَّ الأسودِ[9]

---

(١) لا ينكد : لا يكدر .

(٢) الطريف : ما استحدث من المال التالد : المال الموروث . يتلد : يكتسب قديما

(٣) الصيت : الذكر الحسن . الأبطحى : المنسوب إلى أبطح مكة .

(٤) الذروات : الأعالى . (٥) المزن : السحاب . أغيد : ناعم.

(٦) يفند : يخطأ . (٧) عازب العقل : بعيد العقل غائبه .

(٨) بقيع الغرقد : مدافن أهل المدينة .

(٩) صبحت سم الأسود : أى سقيت صباحا سم الأسود ، والأسود نوع من الحيات .

أو حل أمرُ الله فينا عاجلا — فى رَوْحةٍ من يومنا أو من غدِ

فتقوم ساعتُنا فنلقَى طيبا — محضا ضرائبُه كريمَ المحتد[1]

يا بِكْرَ آمنة المبارك بِكرُها — ولدته مُحصَنةٌ بسعدِ الأسعد

نورا أضاء على البرية كلِّها — من يُهدَ للنورِ المباركِ يهتدى

يا ربِّ فاجمعْنا معا ونبيَّنا — فى جنةٍ تثنى عيونَ الحُسَّد[2]

فى جنةِ الفردوسِ فاكتبْها لنا — ياذا الجلالِ وذا العلا والسؤدد

واللهِ أسمعُ ما بقيتُ بهالكٍ — إلا بكيتُ على النبىِّ محمد[3]

ياويحَ أنصارِ النبىِّ ورهطِه — بعد المُغيَّبِ فى سَواءِ المُلْحَد

ضاقتْ بالانصارِ البلادُ فأصبحوا — سُودا وجوهُهمُ كلونِ الإثمِد

ولقد ولدناه وفينا قبرُه — وفُضولَ نعمتِه بنا لم نَجْحَد[4]

واللهُ أكرمنا به وهدَى به — أنصارَه فى كلِّ ساعةِ مشهَد

صلى الإلهُ ومن يَحفُّ بعرشِه — والطيبون على المبارَكِ أحمدِ

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

نَبِّ المساكينَ أن الخيرَ فارقَهم — مع النبىِّ تولى عنهم سَحَرا[5]

من ذا الذى عنده رحلى وراحلتى — ورزقُ أهلى إذا لم يؤنِسوا المطرا

أم من نعاتبُ لانخشى جنادعَه — إذا اللسانُ عتا فى القولِ أو عثَرا[6]

كان الضياءَ وكان النورَ نتبعُه — بعدَ الإلهِ وكان السمعَ والبصرا

فليتنا يومَ واروْه بملحَدِه — وغيبوه وألقوا فوقه المَدرا

لم يتركِ اللهُ منا بعده أحدا — ولم يُعِشْ بعده أنثى ولا ذكرا

ذَلتْ رقابُ بنى النجار كلِّهمُ — وكان أمراً من امرِ اللهِ قد قُدِرا

واقتُسِم الفَىْءُ دونَ الناسِ كلِّهمُ — وبددوه جِهاراً بينهم هَــدَرا

---

(١) الضرائب : الطبائع . المحتد : الأصل

(٢) تثنى : تبعد . (٣) والله أسمع : أى والله لا أسمع .

(٤) يريد : بولدنا : أن أخوال والد الرسول صلى الله عليه وسلم من بنى النجار .

(٥) نب : نبىء : سهل فعل الأمر بحذف الهمزة ثم بناه على حذف حرف العلة كما يبنى المعتل .

(٦) الجنادع : أوائل الشر .

وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا :

آليتُ ما فى جميعِ الناسِ مجتهداً ... منى أَلِيَّـةَ بَرٍّ غيرِ إفنادِ[1]
تاللهِ ما حَمَلَتْ أنثى ولا وضعت ... مثلَ الرسولِ نبيِّ الأمةِ الهادى
ولا بَرَا اللهُ خلقاً من بريته ... أوفى بذمةِ جارٍ أو بميعادِ
من الذى كان فينا يُستضاءُ به ... مباركَ الأمرِ ذا عدلٍ وإرشادِ
أمسى نساؤُكَ عطَّلْنَ البيوتَ فما ... يَضربنَ فوقَ قَفا سِترٍ بأوتادِ
مثلَ الرواهبِ يلبسنَ المباذِلَ قد ... أيقَنَّ بالبؤسِ بعدَ النَّعمةِ البادى[2]
يا أفضلَ الناسِ إنى كنتُ فى نَهَرٍ ... أصبحتُ منه كمثلِ المفرَدِ الصادى[3]

قال ابن هشام : عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق .

* * *

تمت السيرة

(١) الألية : اليمين . الإفناد : الخطأ والعيب .

(٢) المباذل : الأثواب التى تستعمل يوميا أو الأثواب الخلقة .

(٣) الصادى : الشديد العطش .

وقد رثاه غير حسان الكثير من الشعراء . ولكن كان المرثى أعظم من أن يُرثى وكانت المصيبة أكبر من شعر الشعراء ورثاء الراثين وحزن المحزونين .



خاتمة

يقول العبد الفقير إلى رحمة ربه القوى القدير : طه عبد الرءوف سعد وأنا معترف بتقصيرى وعيوبى طالبا إلى علام الغيوب أن يغفر ذنوبى .

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

والصلاة والسلام عليك ياسيدى يارسول الله . صلى الله عليك وعلى آلك وأصحابك والتابعين وتابعيهم بإحسان ومن نهج نهجك وسار على سبيلك واتبع سنتك إلى يوم لاينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

فمهما يقول المؤرخون ومهما يصف الواصفون فأنت أعز وأكرم ، لأنهم لايستطيعون أن يحاولوك مكانا رفعك الله إليه بقوله تعالى : « وإنك لعلى خلق عظيم » فلتكف الأقلام ولتصمت الألسنة .

وبعد : فقد تم بعون الله الجزء الرابع من كتاب سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام للإمام أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى الحميرى البصرى الأصل .

﴿ وقد تم الكتاب بانتهاء الجزء الرابع ﴾

فهرست الجزء الرابع

من السيرة النبوية

ص الموضوع

ص الموضوع

